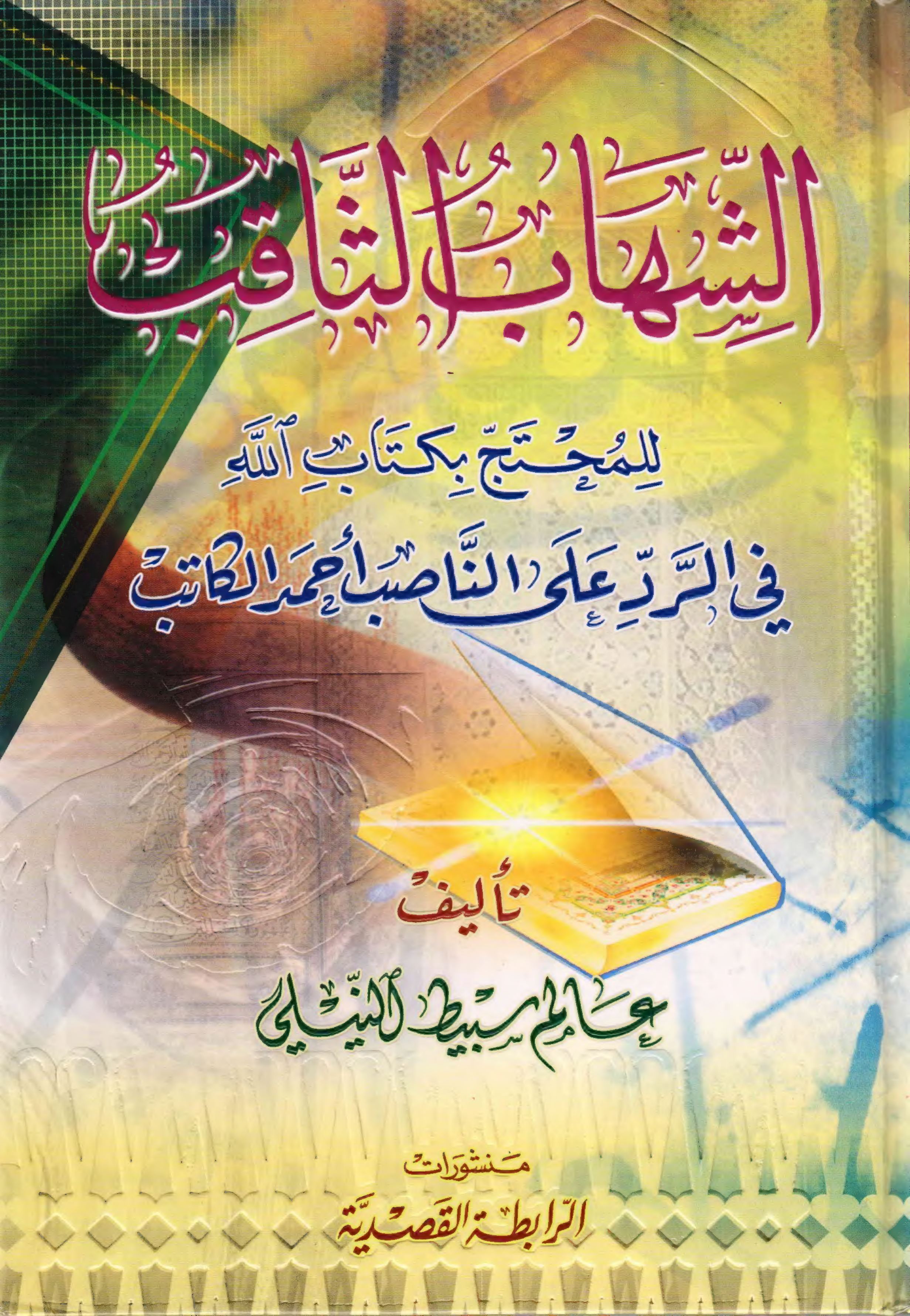


الشهاب الثاقب

للمحتج بكتاب الله

في الرد على الناصب أحمد الكاتب

تأليف

عالم سبيط النيلي

منشورات

الرابطة القصدية



الشهاب الثاقب

للمحتج بكتاب الله

في الرد على الناصب أحمد الكاتب

بسم الله الرحمن الرحيم

الشهاب الثاقب

للمحتج بكتاب الله

في الرد على الناصب أحمد الكاتب

القسم الأول

(الامامة بين الثابت والمتحول)

يتضمن الرد على كتاب

تطور الفكر الشيعي لأحمد الكاتب وأشباهه

تأليف

عالم سبيط النيلي

منشورات

الرابطة القصدية

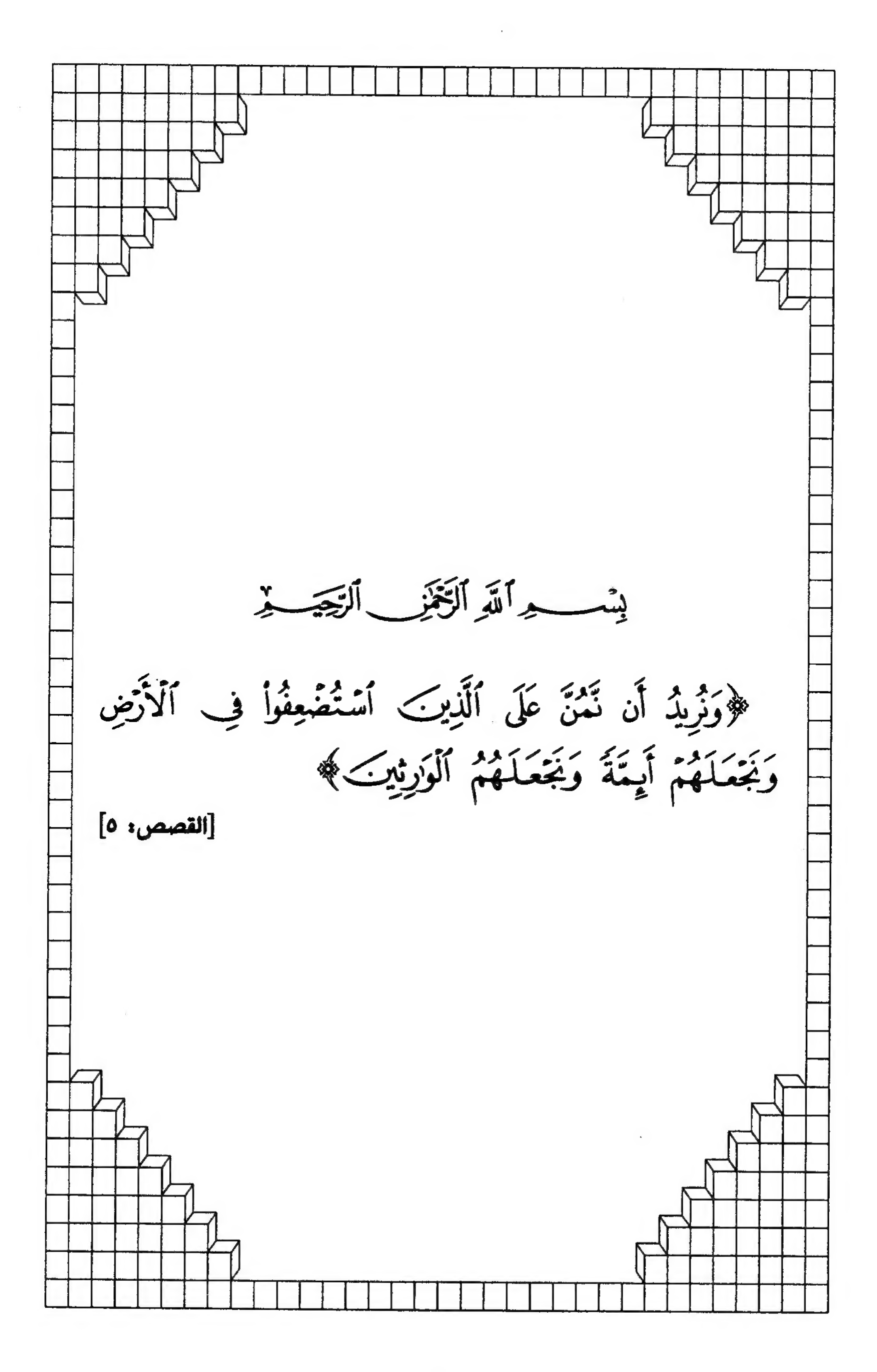
الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

منشورات

الرابطة القصدية

بغداد - شارع المتنبي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾

[القصص: ٥]

المقدّمـة

مُجْمَلُ أكاذيبِ (الكاتبِ) في مقدِّمتِهِ ويَتَضَمَّنُ:

- إبطالُ دَعْوَاهُ في الإمامَةِ مِنْ كتابِ اللهِ.
- الشُّورَى الوراثيَّةُ الَّتي يَدْعو إليها الكاتبُ.
- الردُّ عَلَى دَعْوَاهُ بكونِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام مِنْ دُعاةِ الشُّورَى بأوَّلِ الخطبَةِ الشقشقيَّةِ.

ذكرُ الموارد الَّتي احتجَّ فِيهَا الإمامُ عليٌّ عليه السلام بالوَصيَّةِ والنصِّ الإلهي:

أ - قوله عليه السلام: **«أَنْتُم واللهِ لأحرَصُ وأَبْعَدُ.. الخ»**.

ب - فقرة من قوله: **«لِتُقامَ المعطَّلةُ من حدودك.. الخ»**.

ج - تكفيرُهُ قريشاً في فقرة: **«اللَّهُمَّ إني أستعديكَ عَلَى قريشٍ.. الخ»**.

د - احتجاجُهُ بحديثِ الحوضِ وتكفيرُهُ لأهلِ الشُّورَى.

هـ - تكفيرُهُ لَهُم بحديثِ المَنزلةِ - معلوماتٌ جديدةٌ عَن الردَّةِ.

و - تأكيدُهُ عَلَى الوَصِيَّة في وصيَّتِهِ للحَسَنِ عليه السلام - مفاهيمٌ جديدةٌ لِقَولِهِ عليه السلام: **«لا آمُرُكُم ولا أنْهَاكُم»** - أفكارٌ مُنْدرِسَةٌ عَن مَعْنَى الإمامِ بالنصِّ.

ز - الاحتجاجُ عليهم بعلمِهِم بمقامِهِ مِنَ الإمامةِ - طريقُ معرفَةِ الحَقّ هُوَ الحَقُّ لا الرِّجَالُ.

ح - وصفُهُم بأنَّهم ظَلَمَةٌ وتزويرُهُم مقولات الرسول صلى الله عليه وآله.

ط - احتجاجُهُ عليه السلام بوجودِ إمامين: كتابُ الله وأَهْلُ البيت عليهم السلام - إيضاحٌ جديدٌ لآيةِ الغار وَمَا فِيْهَا من تكفيرِهِم - بعضُ خصائصِ المنافقين.

ي - الاحتجاجُ بِقَوْلِهِ عليه السلام: «**لا يُقاسُ بآلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله أحَدٌ.. الخ**».

ك - تفسيرُ قوله عليه السلام: «**وَإنَّمَا الشُّورَى للمهاجِرينَ والأنصارِ.. الخ**».

ل - رفضُهُ عليه السلام أنْ تَكُونَ الإمامةُ بالقرابَةِ أو الصحابَةِ وفيه إبطالٌ آخرٌ للشُّورى.

م - الاحتجاجُ بِقَوْلِهِ عليه السلام: «**فأين تذهبون وأنّى تؤفكون.. الخ**».

ن - الاحتجاجُ بِقَوْلِهِ عليه السلام: «**أَيْنَ الَّذينَ زَعَمُوا أنَّهُم الراسخون في العِلْمِ دوننا كذباً... الخ**» من الخطبة ١٤٢ - مبحثٌ آخرٌ في القتالِ عَلَى التأويل وأحاديثٌ في الغَدْرِ.

س - الاحتجاجُ بِقَوْلِهِ عليه السلام: «**نَحْنُ الشعارُ والأصحابُ.. الخ**» - تفسير الخطبة بالنصوصِ القرآنيَّةِ والنبويَّةِ.

ع - قوله عليه السلام: «**فَقُمْتُ بالأمْرِ حينَ فَشَلوا.. الخ**» - شَرْحُ أقوالِهِ من كتابِ الله وكشْفُ أكاذيبِ الكاتبِ - فضائلُ عُمَرَ: فَهْمٌ جديدٌ للأحاديثِ الشريفَةِ في عُمَرَ وكَشْفُ السرِّ عَن حقيقَتِهِ.

ف - قولُهُ عليه السلام: «**فنظرت في أمري فإذا طاعتي قَدْ سبقت بيعتي.. الخ**» - نصوصٌ أُخْرَى عَن النبيِّ صلى الله عليه وآله سابِقَةٌ عَلَى عِلْمِ الكلام - أبحاثٌ أُخْرَى تكشِفُ عَن أكاذيبِ الكاتبِ الناصبِ - تكذيبُهُ لعلماءِ الحديث لأهلِ السنَّةِ - مبحثٌ في وجوبِ وجودِ الحجَّةِ وتبعيَّةِ الفضائلِ - علاقةُ الإمامِ المعصومِ بالتوحيدِ والعَدْلِ الإلهيِّ.

ص - تأكيدُهُ عليه السلام عَلَى أنه وارثُ الأنبياءِ وسيِّدُ الأوصياءِ مِنَ الخُطْبَةِ ١٨١.

ق - احتجاجُهُ عليه السلام بالقُرْآنِ.

ر - أوامِرُهُ عليه السلام بإتّباع أهْلِ البيتِ عليهم السلام - مبحثٌ في الفِتْنَةِ وأسبابِها ونتائجِها - تفسيرُ غيبَةِ الحُجَّةِ وعلاقتُه بالتوحيدِ - مغالطاتُ الكاتبِ الكاذبِ - الكشفُ عَن تحريفِهِم لِتَفْسيرِ آيَةِ الشُّورَى.

ش - الاحتجاجُ بدعائِهِ عليه السلام عَلَى قريشٍ - كفرُهُم بِعَلِيٍّ عليه السلام يشبه كُفْرَ اليهودِ بالمسيح عليه السلام.

ت - الاحتجاجُ بصَلاتِهِ عليه السلام عَلَى النبي صلى الله عليه وآله - شرحُ الخصائصِ التسعِ في هَذِهِ الصَّلاةِ - مبحثٌ نفيسٌ في العُقَدِ النفسيَّةِ لعائشَةَ - شرحُ قولِهِ عليه السلام: **«للهِ بلاد فلان.. الخ»** - خصائصُ أُخْرَى لعُمَرَ بن الخطاب - المُخَاطبان في قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ١٣] - شرحُ قوله عليه السلام: **«لَمَعَ لامِعٌ ولاحَ لائحٌ واعتَدَلَ مائِلٌ.. الخ»** - شرْحُ قوله عليه السلام: **«لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلاَّ مَنْ عَرَفَ الأئمَّةَ وعَرَفوه»** - مغالطاتُ الكاتبِ الناصبِ - شَرْحُ قوله عليه السلام: **«وأَوْجَبَ مودَّتَهم»** - توضيحٌ جديدٌ لما يترَتَّبُ عَلَى المودَّةِ.

ث - الاحتجاجُ بالآياتِ المرتبطَةِ بِقَوْلِهِ عليه السلام: **«إنَّ أولى النَّاسِ بالأنبياءِ أعلمُهُم بِمَا جاؤوا بِهِ... الخ»**.

خ - الاحتجاجُ بِقَوْلِهِ عليه السلام: **«لا يُعابُ المرءُ بتأخيرِ حقِّهِ.. الخ»** - إيضاحٌ جديدٌ لانقلابِ المفاهيمِ العقائديةِ عِنْدَ الأمَّةِ.

ذ - شَرْحُ قوله عليه السلام: **«عَلَيْكُم بطاعَةِ مَنْ لا تُعذرونَ في جهالتِهِ.. الخ»** - استخراجُ القاعِدَةِ العامَّةِ للإمامَةِ من كلامِهِ عليه السلام.

ض - شَرْحُ قوله عليه السلام: **«مَا اخْتَلَفَتْ دعوتانِ إلاَّ كَانَتْ إحداهُما ضَلالةٌ.. الخ»** - مغالطاتُ شُرَّاحِ النهجِ بخصوصِ العبارَةِ.

غ - الاحتجاجُ بالبشارةِ في قَوْلِهِ عليه السلام: **«لتعطفنَّ الدُّنْيا عَلَيْنا عَطْفَ الضروسِ عَلَى وَلَدِهَا..الخ»**.

تقديم

إنَّ مشكلةَ الفكرِ عموماً ومشكلةَ الدِّين خصوصاً وَمَا حصَلَ ويحصلُ فيهما من اختلافٍ لَيْسَ مرجِعُهُ إلى عَدَمِ وضوحِ الحَقِّ من الباطلِ. إنَّمَا مرجِعُهُ إلى خَلْطِ الحَقِّ بالباطلِ عِنْدَ الناس. وَمعْنَى القولِ الأوَّلِ إنَّ الله لَمْ يجعلْ الحَقَّ مختلفاً عَن الباطلِ اختلافاً واضحاً بَيِّناً بحَيثُ يمكن أن يحاسِبَ الخَلْقَ حساباً عادلاً. وَمعْنَى القولِ الثاني هُوَ عَلَى العكسِ من ذَلِكَ أي أنَّ الحَقَّ والباطلَ مُخْتَلِفَانِ ومتناقِضَانِ بِدَرَجَةٍ كافيةٍ بحَيثُ إنَّ كُلَّ إنسانٍ يَعْلَمُ أو يمكنُهُ أنْ يَعْلَمَ الحَقَّ ويميِّزَهُ عَنِ الباطلِ كَمَا يميِّزُ جيِّداً بَيْنَ الظُلُماتِ والنُّورِ أو الظِّلِ والحَرورِ أو اللَّيلِ والنَّهَارِ. فيصبحُ كُلُّ إنسانٍ (عَلَى نَفْسِهِ بصيرَةٌ ولو ألقَى مَعَاذيرَه) كَمَا قَالَ الله تَعالَى.

القولُ الأوَّلُ إذن هُوَ الكفْرُ بعينِهِ، والقولُ الثاني هُوَ الإيمانُ الحَقُّ.

القولُ الأوَّلُ هُوَ الشِرْكُ، والقولُ الثاني هُوَ التوحيدُ.

في القولِ الأوَّلِ يُلقِي المُفكِّرُ اللَّوْمَ والتَبِعَةَ عَلَى الخالِقِ عزَّ وجلَّ ويبرِّأُ نفْسَهُ والنَّاسَ. وفي القولِ الثاني يُلقِي المُفكِّرُ باللَّوْمِ عَلَى الناسِ ويبرِّأُ الخَالِقَ مِنَ الظُلْمِ.

وَمَا نريدُ أنْ نقولَهُ في هَذا الكتابِ هُوَ أنَّ الناسَ دأبوا عَلَى الجدالِ حَوْلَ الحَقِّ والباطِلِ والصحيحِ والخاطئ، وتَمَادوْا في ذَلِكَ إلى درجةِ أنَّ عُلَمَاءَ الدِّينِ أصْبَحوا يأخذونَ بفكرةِ احترامِ الآراءِ جميعاً ولو فيما بينهم، ويبرِّرون الاجتهادَ ويزعمون أنَّ الاختلافَ في الدِّينِ رحمَةٌ وأنَّهُ ضرورةٌ لإغناءِ الفكرِ والبحثِ.

لكنَّ هُنَاكَ فَرَقاً بَيْنَ البَحْثِ عَن الحَقِّ والباطِلِ وبَيْنَ الاختلافِ في الحَقِّ والباطِلِ هُوَ عيْنُهُ الفَرَقُ بيْنَ الكُفْرِ والإيمانِ.

إنَّ كُلَّ الَّذينَ يبرِّرون الاختلافَ ويَسْمَحونَ بتعدُّدِ الوجوهِ في تأويلِ النصِّ الإلهيِّ هُمْ ظَلَمَةٌ وكفَرَةٌ، بَلْ هُمْ أَظْلَمُ الخَلْقِ طُرّاً وإنْ لَبِسوا العمائِمَ وتجلببوا بجِلبابِ الدِّينِ، لأنَّهُمْ يؤمنون بِعَدَمِ وضوحِ الفَرْقِ بَيْنَ الحَقّ والباطِلِ ابتداءً، ويجعلون النصَّ الإلهيَّ الَّذي جَاءَ لإزالةِ الاختلاف، يجعلونهُ مَصْدَراً للاختلافِ.

وفي هَذا الكتابِ نحاولُ كَمَا حاولنا من قبل إجراءَ التصحيحِ العقائديِّ في أَهَمِّ قضيَّةٍ في الدِّينِ من هَذِهِ الجهَةِ، حَيْثُ اعتبَرْنَا كَلِمَةَ الإمامِ عَلِيٍّ عليه السلام في حَرْبِ الجَّمَلِ الَّتي قالها لسائلٍ سَأَلَهُ عَن الطريقَةِ الَّتي تمكِّنُهُ من معرفَةِ المُحِقِّ والمُبْطِلِ بَيْنَ الطَّرفين، وَهْيَ قوله للسائِلِ:

«وَيْحَكَ إنَّ الحَقّ لا يُعْرَفُ بالرِّجَالِ.. إعْرِفْ الحَقَّ تَعْرِف أَهْلَهُ».

هَذِهِ الكَلِمَةُ وحدهَا اعتبرناها قاعدَةً عامَّةً للانطلاقِ في عمليَّةِ التصحيحِ العقائدي.

إن كُلَّ مَا جَرَى من أبحاثٍ ومجادلاتٍ بَيْنَ الفِرَقِ والمذاهبِ في كُلِّ الأديان، وَلَيْسَ في الدِّينِ الإسلاميِّ وحده قَدْ جَرَى بِخِلافِ هَذِهِ القاعدةِ!. فَهْيَ كلُّها مجادلاتٌ وأبحاثٌ لا تمثِّلُ مُطْلَقَاً بأيَّةِ درجةٍ محاوراتٍ لمعرفَةِ الحَقِّ والباطِلِ، بَلْ هِيَ أبحاثُ الباطِلِ مَعَ نفسِهِ فقط، ومجادلاتُ الباطِلِ مَعَ الباطِلِ.. لأنَّها بعيدةٌ عَن الحَقِّ بُعْدَ السماءِ عَن الأرضِ مُنْذُ ابتدأتْ وإلى هَذا اليومِ، لأنَّها أقوالُ الرِّجَالِ بعضِهِم في بعضٍ.

فهذِهِ الأبحاثُ والكُتُبُ والآراءُ لَيْسَتْ سِوَى آراءِ الرِّجَالِ في بعضِهِم

البعضِ. . ولا علاقَةَ لَهَا بمُرَادِ الله ولا كتابِ الله ولا مُرَادِ رسولِهِ وإنْ كَانَ النصُّ الإلهيُّ هُوَ مَوضُوعُهَا الدائِمُ.

هَذا هُوَ الفَرْقُ بَيْنَ أنْ يَكُونَ النصُّ الإلهيُّ بَيِّناً بِنَفْسِهِ باعتِبَارِهِ حَقّاً وبَيْنَ أنْ يَكُونَ غامِضاً ويَحْتَاجُ إلى تَبْيينٍ من الرِّجَالِ!.

وَحِينَمَا تَفْهَمُ النصَّ الإلهيَّ - سواء أَكَانَ قرآناً أو سنَّةً مِنْ خلالِ الرِّجَالِ فَإِنَّكَ تَعْبُدُ الرِّجَالَ ولا تَعْبُدُ اللهَ!.

وَحِينَمَا تَرَى مَا في النصِّ مِنْ حَقٍّ وباطِلٍ مُستَقِلاً عَن الرِّجَالِ فقَدْ بَدَأْتَ بالفِعْلِ أَوَّلَ خُطْوَةٍ في الطَّرِيقِ إلى عبادَةِ الله وحده!.

من هُنَا نَرَى بوضوحٍ كافٍ أنَّ الهجماتِ الموجَّهَةِ إلى الدِّينِ السماويِّ وَعَلَى كافَّةِ المستوياتِ هِيَ هَجَمَاتٌ عَلَى التفسيرِ السائِدِ للدِّينِ وَلَيْسَتْ عَلَى الدِّينِ نَفْسِهِ، وَلكِنَّهَا تُحاوِلُ إبطالَ أُسُسِ الدِّينِ من خلالِ التناقُضَاتِ في أقوالِ علماءِ الدِّينِ والمفسِّرين، فيحسِبُ البعضُ بَلْ أكثرُ الناسِ أنَّ الدِّينَ أصبَحَ في خَطَرٍ من هَذِهِ الهَجَمَاتِ.

والواقعُ هُوَ خلافُ ذَلِكَ، إِذْ إنَّ الخَطَرَ هُوَ عَلَى التفسيرِ الخاطئِ للدِّينِ وَعَلَى التأويلاتِ المتناقضَةِ للنصِّ. فَهِيَ إِذَنْ هجماتُ الباطِلِ عَلَى نَفْسِهِ. فَهِيَ مِنْ هَذِهِ الجهَةِ نافعَةٌ منفعَةً عظيمَةً، لأنَّها تكشِفُ عَن الانحرافِ والزَّيفِ وإنْ كَانَ مصدَرُهَا أقطابُ الكُفْرِ والإلحادِ العلنيِّ.

ومِثْلُهَا مِثْلُ الإفكِ الَّذي جاءت بِهِ عصبةٌ في عصر الرسول ﷺ حَيْثُ قَالَ تَعالَى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

ذَلِكَ لأنَّ هَذا الإفكَ قَدْ بَنَاهُ المنافقونَ عَلَى أُسُسٍ خاطئَةٍ مغروسَةٍ في الأذهانِ لأصولِ العقيدةِ فأمْكَنَ من خلالِهِ الكَشْفُ عَن هَذِهِ المبادئِ وتصحيحِهَا وتمييزِ المؤمنِ من المُنَافِقِ. إِذْ لَمْ يكُنْ بالإمكانِ أَصْلاً استقبالُ هَذا الإفكِ من قِبَلِ المسلمين لَولا استعدادهم لقبولِ المغالطاتِ، وَلِذَلِكَ وبَّخهُم القرآنُ عَلَى ترديدِ مقولاتِ المنافقين.

إنَّ مَا حَصَلَ في عقائِدِ المسلمينَ مُنْذُ قرونٍ طويلةٍ هُوَ انقلابٌ شاملٌ لمبادئ الدِّينِ وانعكاسٌ للمفاهيمِ بِحَيثُ إنَّ الدراسَةَ الجّادَّةَ للنصِّ القرآنيِّ ومحاولةَ فهْمِهِ مُستَقِلاً عَن آراءِ الرِّجَالِ تبيِّنُ بوضوحٍ كافٍ أنَّ الدِّينَ الَّذي بَيْنَ يدينا اليوم هُوَ نقيضُ الدِّينِ الَّذي جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَلِذَلِكَ يتمكَّنُ دعاةُ الإلحادِ والكُفْرِ من توجيهِ الضرباتِ القويَّةِ إلى هَذا الدِّينِ المزيَّفِ فيحسِبُ الناسُ أنَّ الدِّين في خَطَرٍ!.

وَلكنَّ الحقيقةَ كَمَا قُلْنَا مِنْ قبل: إنَّ الخَطَرَ هُوَ عَلَى الباطِلِ مِنَ الباطِلِ لا غَير!.

وَلكنْ يَبْقَى علينا أنْ نوضِّحَ للقارئِ الفَرْقَ بَيْنَ دِينِ الله ودينِ الناسِ!، إِذْ هُنَا تكْمُنُ المشكلَةُ بِكُلِّ أبْعَادِهَا!.

فإنَّ هَذا التوضيحَ يستلزِمُ إجراءَ سلسلةٍ مِنَ الأعمالِ سَتكونُ المفاجأةُ فِيْهَا عَلَى رجالِ الدِّينِ من كافَّةِ المذاهبِ أشدَّ وقعاً مِمَّا هِيَ عَلَى القارئِ العادي. ومن المتوقَّعِ أنْ يَقِفَ أكثرُهُم ضِدَّ عمليةِ التصحيحِ وفي صفِّ العدوِّ إذا أحسُّوا بالخَطَرِ الدَّاهم عَلَى مسلَّماتِهِم ومبادِئِهِم، وسوف يَحْسبونَ أنَّ الخَطَرَ في التصحيحِ أعظَمُ عليهم من الخَطَرِ الآتي من هجماتِ الملاحِدَةِ والكفّارِ.

ذَلِكَ لأنّنا لَو قُلْنَا أنَّ مَا تَنْتَقِدُونَهُ هُوَ آراءُ الرِّجَالِ وأعمالُ الرِّجَالِ، وبيَّنا فِيهِ حقيقةَ الدِّينِ ظَهَرَ مِنْ خلالِ ذَلِكَ كُفْرُ هَؤُلاءِ الرِّجَالِ وانحرافُهُم عَن الدِّينِ،

وهُم أسماءٌ لامعةٌ مشهورَةٌ في الأمَّةِ ومعروفَةٌ بالـ (التقوى والصلاح)، بَلْ أسماءٌ مقَدَّسَةٌ جِدَّاً. ذَلِكَ لأنَّ الدِّينَ الَّذي يؤمِنُ بِهِ الناسُ اليوم هُوَ في الواقِعِ أسماءُ رجالٍ، فَلا يَفْصِلونَ ولا يُفَرِّقونَ بَيْنَ الدِّينِ وَمَا يسمّى بـ (رجالِ الدِّين).

وفي السنواتِ الأخيرةِ تكاثَفَت الحَمَلاتُ الموجَّهَةُ ضِدَّ الدِّينِ عَلَى كافَّةِ المستوياتِ، ومن بينها مؤلَّفاتٌ مشهورةٌ تَدْعُو إلى إخراجِ النصِّ الدينيِّ مِنْ حيزِ المؤسَّساتِ الدِّينيةِ العتيدَةِ، ومحاولةِ تفسيرِهِ بالطرائقِ الحديثةِ. وَهْيَ محاولاتٌ تُعْتَبَرُ في سلسلةِ التَّطورِ التاريخيِّ لتأويلِ النصِّ آخِرَ أهدافِ الانحرافِ وغايتَهُ النهائيةَ. وإذا تُرِكَتْ بِغَيْرِ رَدٍّ فإنَّ المُصالَحَةَ بينها وبَيْنَ المؤسَّسَةِ الدِّينيةِ واقِعَةٌ حَتْمَاً وإنْ تأخَّرَتْ زمنياً شأنُها شأنُ كُلِّ انحرافٍ جديدٍ وموجةٍ جديدةٍ مِنْ هَجَمَات الإلحادِ كَمَا أثْبَتَ ذَلِكَ التطوُّرُ التاريخيُّ للمؤسَّسَةِ الدينيَّةِ.

لقَدْ لاحَظَتْ لِجْنَةُ التصحيحِ العقائديِّ الَّتي انبثَقَ عَنْهَا هَذا الكتابُ خطورةَ هَذا الأمرِ وبلوغَهُ الحَدَّ الأقصى الَّذي لَيْسَ وراءَهُ شيءٌ سِوَى الخطوةِ الأخيرةِ الَّتي هِيَ خطوَةُ إنكارِ النبوَّةِ والرسالةِ، وَلِذَلِكَ حاولَتْ إيصالَ الحقائقِ المتعلّقةِ بالعقيدةِ والنصِّ بأساليبَ وَطُرُقٍ مختلفَةٍ لا تثيرُ سُخْطَ المؤسَّسَةِ الدينيةِ، وَذَلِكَ بالتمسُّكِ ببعضِ المبادئِ المُشْتَرَكَةِ مَعَهَا والانطلاقِ مِنْهَا مِثْلُ إعجازِ القرآنِ الكريمِ، ووحدَةِ الدعوةِ الإلهيَّةِ عِنْدَ الأنبياء، والثوابِتِ في المأثورِ، وإجراءِ التصحيحِ في أُسُسِ ومبادئِ اللغَةِ من جِهاتٍ بعيدةٍ عَن نقاطِ الخَطَرِ أَمَلاً في التقاءِ هَذِهِ الأبحاثِ في النهايَةِ عِنْدَ تِلْكَ الغايةِ.

وَكَانَ ظهورُ كتابِ (تَطوُّر الفكرِ الشيعيِّ من الشُّورَى إلى ولايةِ الفقيه) لمؤلِّفِهِ المَدْعُو (أحمد الكاتب) يمثِّلُ أبرزَ عمَلٍ من أعمالِ التحريفِ والزَّيفِ القائم عَلَى أقوالِ الرِّجَال والذي لا شأنَ لَهُ بأصولِ العقيدةِ الدينيَّةِ ولا دستورِهَا الثابِتِ الَّذي هُوَ القرآن الكريم والسُّنَّة المُقَدَّسَة.

فقَدْ عَمَدَ هَذا المُؤَلِّفُ إلى استخدامِ أقوالِ وتناقُضَاتِ عُلَماءِ الدِّينِ في توجيهِ آخِرِ ضرباتِهِ الموجِعَةِ إلى الباطِلِ، وَلكِنَّهُ وبسببٍ من انحرافِهِ وكذبِهِ حاولَ الخُروجَ بنتائجِ عموميَّةٍ لإبطالِ الإمامَةِ أمَلاً منه في إبْطَالِ النبوَّةِ والرسالَةِ فيما بَعْدُ أو تَحْويلِ وجهتِهَا.

ادَّعى الكاتبُ المذكورُ أنَ الإمامَ عَلِيّاً عليه السلام لَمْ يدافعْ عَن نظريَّةِ الوَصِيَّةِ وَلَمْ يَدَّعِ العِصْمَةَ وَلَمْ يَدْعُ إلى النصِّ، وَإنَّمَا كَانَ من دُعَاةِ الشُّورَى، وأنَّهُ لَمْ يَجِدْ في كلامِهِ المُتَّفَقِ عَلَيْهِ عِنْدَ المسلمين مَا يجعلُنَا نعتقِدُ بِأنَّهُ يُؤمِنُ بالنصِّ، وأنَّ الإمامةَ بِهَذا المَعْنَى هِيَ من وَضْعِ المتكلِّمين.

وبالطَبْعِ فَبَعْدَ إلغاءِ الإمامةِ والعصمَةِ يصبحُ الأئمَّةُ الإثنا عشر أكذوبةً، ويصبحُ المَهْدِيُّ الثاني عشر مجرَّدَ فرضيَّةٍ لا أساسَ لَهَا من الواقعِ.

وَلَمَّا كَانَ الإمامُ عَلِيٌّ عليه السلام هُوَ الشخصَ الوحيدَ المُتَّفَقَ عَلَى صلاحِهِ وتَقْوَاه في الأمَّةِ كلِّهَا - إذْ إنَّ الخِلافَ حَصَلَ في غَيْرِهِ لا فِيهِ -، وَلَمَّا كَانَتْ أقوالُهُ كلُّهَا منقولَةً عَن أهْلِ الخِلافِ، وَهيَ الَّتي اعْتَمَدَهَا الكاتِبُ المذكورُ، فقَدْ رَأينَا أنْ يَكُونَ القسْمُ الأوَّلُ مُخَصَّصاً لكلامِهِ عليه السلام المُرتَبِطِ بالإمَامَةِ، حَيْثُ سيلاحِظُ القارئُ المُحْتَرَمُ وَمِنْ أوَّلِ الصَّفَحَاتِ أنَّ الكاتِبَ المَذْكورَ هُوَ مِنْ أكذَبِ الخَلْقِ، وأكثَرِهِم إمْعَاناً في الافتراءِ والتَّزويرِ، فتَسْقُطُ مصداقيَّتُهُ من أوَّلِ البَحْثِ، وَلِذَلِكَ فَلا نَعْتَبِرُ هَذا الكتابَ رَدّاً عَلَى هَذا الكاتِبِ بقَدرِ مَا هُوَ ردٌّ عَلَى كُلِّ انحرافٍ وتحريفٍ في أُسُسِ العقيدةِ، حَيْثُ اعتَمَدْنَا في شَرْحِ أقوالِهِ عليه السلام عَلَى كتابِ الله والمُتَّفَقِ عَلَيْهِ بَيْنَ أهْلِ الأديانِ، وأوضَحْنَا جوانِبَ كثيرةً مِنَ المُغَالَطَاتِ المُتَعَلِّقَةِ بالتوحيدِ فاصِلينَ فَصْلاً تاماً بَيْنَ حُكمِ الله وحُكْمِ الخَلْقِ - بحَيثُ إنَّ عَلِيّاً عليه السلام نفسَهُ سيظْهَرُ وَكَأنَّهُ شَخصٌ مأمورٌ بطاعَةِ الإمَامِ عَلِيٍّ عليه السلام من خلالِ كلامِهِ بأمْرٍ من الله وحُكْمٍ إلهيٍّ لا سبيلَ لَهُ إلى دَفْعِهِ وإلاَّ

فَإِنَّهُ كَانَ يفضِّلُ العافيةَ والسلامَةَ، بَيْنَمَا تتجلّى في البَحْثِ أحْكَامُ الخَلْقِ الَّتي قَابَلوا بِهَا حُكْمَ اللهِ.

في هَذا الرَّدِّ ستظْهَرُ العلاقَةُ بَيْنَ الإمامَةِ والتوحيدِ في أَجْلَى صُوَرِهَا المُمْكِنَةِ حالياً إلى أنْ تَحِين الفُرْصَةُ للإعلانِ عَنْ حقائقِ أُخْرَى في الموضوعِ.

والغايةُ مِنَ البَحْثِ أَيْضاً تسريبُ التصحيحِ العقائديِّ بالتدريجِ إلى المؤسَّسَةِ الشيعيَّةِ الَّتي تُرَوِّجُ معادلَةً معكوسَةً هِيَ طاعَةُ عَلِيٍّ في الله لا طاعَةُ الله في عَلِيٍّ عليه السلام، أَمَلاً مِنَّا في انعكاسِ هَذا التَّصحيحِ عَلَى الجوانِبِ الأُخْرَى في أوساطِ المسلمين كافَّةً ولو بَعْدَ حِيْنٍ.

لقَدْ لاحَظَتْ اللجنَةُ أنَّ المؤسَّسَةَ الدينيَّةَ غَيْرُ قادِرَةٍ عَلَى الرَّدِّ عَلَى دَعواتِ الكاتِبِ هَذا. وأكَّدَ هَذا الحَدَسَ لديها أنَّ أكْثَرَ القُرَّاءِ استنجَدوا بِهَا لِعِلْمِهِم أنَّ اللجنَةَ هِيَ وحْدهَا القادِرَةُ عَلَى الرَّدِّ، لأنَّها لا تُؤْمِنُ أَصْلاً بالتغيُّراتِ والاجتهاداتِ الرجاليَّةِ الَّتي اعتَمَدَهَا (الكاتِبُ) في النَّقْدِ والتي هِيَ من أعمَالِ هَذِهِ المؤسَّسَةِ ذاتِهَا. وَكَذَلِكَ لِثِقَةِ هَؤُلاءِ القُرَّاءِ بِأنَّ لدى اللجنَةِ القُدْرَةَ عَلَى النفاذِ إلى المفاهيمِ الحقَّةِ في النصِّ القرآنيِّ والتي تمكَّنَتْ بِهَا من مُحَاكَمَةِ الكثيرِ من المقولاتِ الرجاليَّةِ المُعْتَمَدَةِ في الدِّراسَاتِ الدينيَّةِ عَلَى الصَّعيدين العقائديِّ والتشريعيِّ كَمَا ظَهَرَ ذَلِكَ في أبحاثِهَا السابقَةِ.

وَلِذَلِكَ فقَدْ أكَّدَ البَحْثُ في هَذا الكتابِ عَلَى مسألَةٍ هامَّةٍ جِدَّاً هِيَ: إنَّ الإمامَةَ عقيدةٌ إلهيَّةٌ لا علاقَةَ لَهَا بعَدَدِ المؤمنين بِهَا، ولا بالتَّغَيُّرِ الحاصِلِ عَلَيْهَا عَلَى أيدي الرِّجَالِ ولا بإنكارِ الرِّجَال لَهَا أو اعترافِهِم بِهَا.. بَلْ تُعْرَضُ عَلَى الكتابِ والسُنَّةِ فإنْ ثَبَتَتْ بِهِمَا فَهِيَ حَقٌّ حَتَّى لَو لَمْ يوجَدْ إلاَّ واحِدٌ يُؤْمِنُ بِهَا، وإنْ بَطَلَتْ في الكتابِ والسُنَّةِ فَهِيَ باطلَةٌ وإنْ دَعَا لَهَا كُلُّ الخَلْقِ. وإنَّ واجِبَ المؤمِنِ هُوَ معرفَةُ الحَقِّ مجرَّداً عَن الأسماءِ وقَبْلَ معرفَةِ الرِّجَالِ وأقوالِهِم

بحَيثُ يمكنُهُ الحُكْمُ عليهم بالحَقِّ لا الحُكْمُ بِهِم عَلَى الحَقِّ كَمَا فَعَلَ الكاتِبُ الأَفَّاكُ الكَذوبُ المُلْحِدُ الَّذي اتَّخَذَ من الدِّينِ وسيلَةً لهدْمِ الركْنِ الأساسيِّ فِيهِ، وَلِذَلِكَ رَجَعَ كَيْدُهُ إلى نَحْرِهِ وأَبْطَلَ نفسَهُ بِنَفْسِهِ.

وبَعْدُ فإنَّ اللجنَةَ تتقَدَّمُ بالشُّكْرِ الجزيلِ والدُعاءِ إلى الباري عزَّ وجلَّ بالثوابِ العظيمِ لِكُلِّ الَّذينَ أعانوها عَلَى إكْمَالِ هَذا القِسْمِ وغيرِهِ من المؤلَّفَاتِ الَّتي أعْلَنَتْ لأوَّلِ مرَّةٍ للقُرَّاءِ الكِرَامِ عَنِ الحَقائِقِ بلا خَوْفٍ ولا تزويرٍ ولا كَذِبٍ ولا تَمْويهٍ ولا مجاملاتٍ، إذْ لا مُجَامِلَةَ في الحَقِّ، وَهْيَ عَلَى يقينٍ من أَنَّهَا وَهْيَ تحاولُ الدِّفَاعَ عَنِ التوحيدِ الخالِصِ والحُكْمِ الإلهيِّ المُطْلَقِ فَلَنْ تكونَ هُنَاكَ أيُّ قوَّةٍ في العالَمِ قادِرَةً عَلَى إلحاقِ الضَّرَرِ بِهَا، لأنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ وقولُهُ صِدْقٌ.. فَهْوَ تَعالَى القائِلُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

نَعَمْ.. إنَّ أكثَرَ الناسِ يَقُولُونَ هَذِهِ الآيَةَ وَلَكِنَّهُم يَنْصُرونَ الشَّيْطَانَ، وَلِذَلِكَ فإنَّ مصيرَ أبحاثِهِم الهباءُ وجنايتَهم مِنْهَا العناءُ ومآلُهم أنْ يتسلَّطَ عليهم الأشرارُ وأنْ يذوبَ باطِلُهُم، لأنَّ الباطِلَ يأكُلُ بعضُهُ بَعْضاً.

وقَدْ أطْلَقْنا الاسْمَ الفرعيَّ للبحثِ [الإمامَةُ بَيْنَ الثابِتِ والمُتحوِّلِ] للدَّلالَةِ عَلَى أنَّ لأهلِ البيت عليهم السلام نَظَرِيَّةً إلهيَّةً، وَهْيَ حُكْمٌ إلهيٌّ عليهم وَعَلَى غيرِهِم، وهم مقهورون عَلَى طاعَةِ الله فِيْهَا. وإنَّ هَذا هُوَ من الثوابِتِ القرآنيَّةِ، وإنَّ التحوّلاتِ في الفكرَةِ إنْ وُجِدَتْ فَهْيَ من آراءِ الرِّجَالِ ولا علاقَةَ لَهَا بالإمَامَةِ. فَهْيَ عَلَى العكْسِ مِمَّا زَعَمَهُ (الكاتِبُ) تُؤَكِّدُ نَظَرِيَّةَ الإمامَةِ، لأنَّ الإمامَةَ أصْلاً إنَّمَا أُنزِلَتْ في الكتابِ والسُنَّةِ للاحتجاجِ عَلَى الخَلْقِ ولإزالَةِ الاختلافِ.

فالكُفْرُ بالإمَامَةِ هُوَ منشأُ الخِلافِ والاختلافِ، وإنكارُهَا يَعْنِي السماحَ لِكُلِّ مَنْ هَبَّ ودَبَّ بإدلاءِ رأيِهِ في حُكْمِ الله، وَهَذا هُوَ الكفْرُ. وَهْوَ ناتِجٌ ستلاحِظُهُ

في كُلِّ أقوالِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام والتي تعمَّدَ (الكاتِبُ) الكاذِبُ تجاهلَهَا، وجَاءَ بغيرِها مِمَّا يحسَبُهُ مؤيّداً لَهُ. ولكنَّنا أثبَتْنا أنَّ الَّذي جَاءَ بِهِ من أقوالِهِ عليه السلام هُوَ أوضَحُ حُجَّةً وأَبْيَنُ بُرْهَاناً من النصوصِ المتروكَةِ - ذَلِكَ لأنَّ هَذا (الكاتِبَ) اعْتَمَدَ الافتراءَ والكَذِبَ مِنْ أَوَّلِ مَا بَدَأَ البَحْثَ، فَمِنَ الطبيعيِّ أنْ يُضلَّهُ الله عَلَى عِلْمٍ ويعمي بَصَرَهُ وبصيرتَهُ عَن الحقائِقِ.

هَذا ونطلُبُ من القارئِ الكريمِ قَبْلَ قراءَةِ هَذا الكتابِ التحرُّرَ من كُلِّ حُكْمٍ سابِقٍ في أيِّ شيءٍ سِوَى الله الواحِدِ الأحَدِ، وأَنْ يُرْغِمَ نَفْسَهُ عَلَى فَهْمِ سورةِ الإخلاصِ وترديدِهَا مِرَاراً وأنْ يستعيذَ باللهِ من الشَّيْطَانِ ويدعوَ الله تَعَالَى لهدايتِهِ إلى الحَقِّ قَبْلَ البدءِ بالقراءَةِ. فإنْ كَانَ كتابُنَا باطِلاً وَهْوَ سليمُ القَلْبِ فَلا شَكَّ أنَّ الله سيستجيبُ دعاءَهُ ويكْشِفُ لَهُ عَنْ بطلانِ هَذا الكتابِ. وإنْ كَانَ مَا في كتابِنَا حَقّاً - وَهْوَ كُلُّهُ حَقٌّ - فإنَّ الله سبحانه سَوفَ يهديهِ إلى الحَقِّ. وَمعْنَى هَذا الكلامِ يرجِعُ إلى أوَّلِهِ، أي لَيْسَتْ العِلَّةُ في عَدَمِ وضوحِ الحَقِّ من الباطِلِ، وَإنَّمَا العِلَّةُ في القلوبِ الَّتي في الصدورِ. فإذا سَلِمَتْ القُلوبُ أَدْرَكَتِ العقولُ. وفي هَذا النُّصْحِ كفايةٌ لِمَنِ اكتفى باللهِ، وكَفَى باللهِ هادياً وكَفَى بِهِ نصيراً.



مُجمَلُ أكاذيبِ الكاتِبِ في مُقدِّمَتِهِ

انْتَشَرَ في الآونَةِ الأخيرَةِ في أنحاءِ العراق كتابٌ لمؤلِّفٍ اسمُهُ (أحمد الكاتب) حَيْثُ ادَّعى أنَّهُ مِنْ طائفَةِ الشيعةِ، وأنَّهُ قَدْ دافَعَ عَن الفكْرِ الشيعي طوالَ حياته. وَلكِنَّهُ (وبفضْلِ الله وعنايتِهِ) اكْتَشَفَ كافَّةَ التناقُضاتِ في هَذا المذْهَبِ. . وقَدْ رتَّبَ كشوفاتِهِ في المُقَدِّمَةِ بطريقَةٍ تعتَمِدُ عَلَى العامِلِ النَفْسِيِّ للقُرَّاءِ ليكسِبَهُم إلى صفِّهِ من أوَّلِ البَحْثِ. وَلِذَلِكَ تميَّزَت المقَدِّمَةُ بوجودِ أربعِ مراحِلِ لِهَذِهِ الكشوفاتِ، وسأحاوِلُ إثباتَهَا هُنَا ليكونَ القارئُ مستعِدَّاً نفسياً لإجرَاءِ المقارَنَةِ:

الأولى: إنَّهُ بَدَأَ البَحْثَ في (ولايةِ الفقيهِ) الَّتي تبنَّى طَرْحَهَا الزعيمُ الدينيُّ الخمينيُّ في إيرانَ متسائِلاً عَن سَبَبِ إعطاءِ الفقيهِ باعتِبَارِهِ نائباً عَن المعصوم ولايةً مُطلقَةً هِيَ ذاتُهَا ولايةُ الإمامِ وصلاحياتُهُ، وحَسَب تعبيرِهِ: (كُلَّ صلاحياتِ الإمامِ والرسولِ، وَسُمِحَ لَهُ بتجاوزِ الدستور وإرادَةِ الأمَّةِ جمعاء).

ويدَّعي (الكاتبُ) أنَّهُ مندَهِشٌ لنفْسِهِ حِينَمَا اكتشَفَ فجأةً [هَكذا] أنَّ العلماءَ السابقين لَمْ يَكُونُوا يؤمنونَ بنظريَّةِ ولايةِ الفقيهِ!.

وَأمَّا أنا فقَدْ اندَهَشْتُ أكْثَرَ مِنْهُ لانتشارِ هَذا الكتابِ في أوساطِ المثَقَّفينَ في العراقَ. . ذَلِكَ لأنَّ (الكاتبَ) يُثْبِتُ بِهَذِهِ العباراتِ جَهْلَهُ مِنْ جِهَةٍ، وكِذْبَهُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

فقَدْ أَفْشَلَ بِنَفْسِهِ محاولَةَ التأثيرِ النفسيِّ للبَحْثِ من أوَّلِ خمَسةِ أسْطُرٍ، لأنَّ كُلَّ العراقيينَ وَحَتَّى بعض الصبيانِ مِنْهُم يعلمون جيِّداً أنَّ مبدأ (ولايةَ الفقيهِ)

هُوَ تنظيرٌ جديدٌ في ساحَةِ الفكرِ الشيعيِّ يُقابِلُ فكْرَةَ (انتظارِ الإمامِ القائِمِ)، وأنَّ الكثيرَ من العُلَماءِ لا زالوا عَلَى النظريَّةِ الأولى (انتظارِ القائِمِ)، وخاصَّةً المُحَدِّثينَ والإخباريين وكثيراً من الأصوليين، بَلْ وفي داخِلِ إيرانَ أيْضَاً. فَكَيفَ غابَتْ هَذِهِ المسألةُ عَن ذهْنِهِ وَهْوَ في الوسَطِ الديني؟. . بَلْ الحَرْبُ بَيْنَ العراقِ وإيرانَ قَدْ أَعْطَتْ فرصَةً كبيرَةً للتعرُّفِ عَلَى هَذا الأمرِ مِنْ قِبَلِ كافَّةِ المثقَّفينَ العاديين جِدّاً. فقَدْ نَشَرَتْ صُحُفُ العراقِ ومجلاتُهُ مثل «آفاق عربية» أبحاثاً للرَدِّ عَلَى فكرَةِ ولايةِ الفقيهِ، بَلْ كَتَبَ في هَذا الموضوعِ وتحدَّثَ فِيهِ رجالُ السياسَةِ أَيْضَاً، فَكَيفَ اكتَشَفَ (الكاتِبُ) (فجأةً) أنَّ العُلَماءَ القُدَماءِ لا يؤمنون بولايَةِ الفقيهِ؟، وَهَلْ هَذِهِ قضيَّةٌ خافيَةٌ أَمْ أنَّهَا خافيَةٌ عَلَى (الكاتِبِ) وحده في وقْتٍ اشتعَلَت فِيهِ جَبْهَةٌ طولُهَا ١٥٠٠ كم بالنارِ بِسَبَبِ هَذِهِ المسألَةِ؟.

يبدو لَنَا أنَّ (الكاتِبَ) يحاوِلُ استغلالَ المسألَةِ السياسيَّةِ في العراق خصوصاً لأغراضِ البَحْثِ. . فَهْوَ يتصوَّرُ أنَّ المرءَ سيكونُ في حَرَجٍ شديدٍ وَهْوَ يحاولُ الرَّدَّ عَلَى (الكاتِبِ) لأنَّهُ لا يقْدِرُ عَلَى الجَمْعِ بَيْنَ الإيمانِ بالأئمَّةِ المعصومين عليهم السلام وإنكَارِ ولايَةِ الفقيهِ!. وَلَمَّا كَانَ إنْكَارُ نَظَرِيَّةِ الخميني قضيَّةً لا بُدَّ (للعراقيِّ) مِنْ إعلانِهَا فإنَّ إنكارَ الأئمَّةِ المعصومين سيكونُ تحصيلَ حاصِلٍ!.

وَهَذا هُراءٌ، فَلا علاقَةَ مُطْلَقَاً بَيْنَ ولايَةِ الفقيهِ للخميني والإمامَةِ الإلهيَّةِ للأئمَّةِ الاثني عشر عليهم السلام. والدليلُ عَلَى ذَلِكَ أنَّ التياراتِ الدينيَّةَ كلَّهَا تحاوِلُ اليومَ الحصولَ عَلَى الحُكْمِ سواء أكانوا يؤمنون بالأئمَّةِ المعصومين عليهم السلام أو الشُّورَى.

الثانية: هَذا الاكتشافُ قادَهُ حسب مدَّعاه إلى المرحلَةِ التاليَةِ، وَهْيَ دراسةُ (الغيبة الصغرى)، وبعدما دَرَسَها (فوجِئ) أَيْضَاً وبالوحي الإلهامي وَهْوَ

يكشِفُ لَهُ عَن سِرٍّ آخرَ! قَالَ: (فقَدْ اكتَشَفْتُ أثناءَ البَحْثِ شُبُهاتٍ تاريخيَّةً وعلاماتِ استفهامٍ تدورُ حَوْلَ صِدْقِ ادِّعاءِ النوابِ الأربعة ضمن أكثر من عشرين نائباً)[1]!.

يا للكشوفاتِ العجيبَةِ!.

تصوّر شخصاً شيعياً (حسب ادّعائهِ) ولا يَدري إلى الآنَ أنَّ ثبوتَ أربعةِ نوّاب للإمام عليه السلام لَمْ يَحْصُلْ إلاَّ بعد الشَكِّ والتردُّدِ!.

معلومٌ أنَّ الإمامَ إذا غابَ وأوصى إلى (نائِبٍ واحِدٍ)، فإنَّ هُنَاكَ من يدَّعي النيابَةَ قَطْعاً. ويكونُ واجِبُ المُكَلَّفِ هُوَ الفَحْصَ، أَمْ أنَّ (الكاتِبَ) يزعَمُ أنَّهُ يقدِرُ عَلَى مَنْعِ الناسِ مِن انتحالِ الشخصيَّاتِ بالإكرَاهِ.

لِماذَا إذن لا يخلِّصنا من آلاف المنتحلين في كلِّ عصْرٍ ودَورٍ، وفي كلِّ عملٍ بِمَا في ذلك أخطر الأعمال المرتبطةِ بالأمن العام حيثُ كثيراً مَا يدَّعي قومٌ أنَّهُم من رجالِ الأمن، ثُمَّ يكتشِفُ صاحبُ الدَّارِ أنَّهُم عصابةٌ من السُّرَّاقِ وليسوا من الشرطةِ!.

فَهَلْ نذهبُ لوزيرِ الداخليةِ ونقولُ له: لقد اكتشفنا أنَّ وزارتك وهميةٌ لا وجود لَهَا لأنَّنا اكتشفنا وجود المنتحلين؟!.

بل النبوَّةُ نفسُها قَدِ انْتَحَلَهَا (مسيلمة الكذاب) و(سجاح)، فَهَلْ سيكذِّبُ الكاتبُ بالنبوَّةِ لوجودِ المُنْتَحِلين؟

مَا هَذِهِ الحَمَاقَاتُ؟!.

إذا كان المرءُ يؤمنُ بأنَّ الله لا بُدَّ من أن يبعثَ رسولاً فعليه إذن أن يفحصَ ويتأكَّدَ من الفوارقِ بين المنتحلين وبين الرسولِ الحقيقي. أمْ!ا إذا كان لا يؤمنُ بوجودِ رسولٍ أَصْلاً فمن الحُمقِ الإتيانِ بهكذا دليلٍ سوفسطائيٍّ.

---

(١) تطور الفكر الشيعي/ ص٦.

نعم.. إنَّ (الكاتبَ) لا يؤمنُ بوجودِ الحُجَّةِ أَصْلاً ، ولذلكَ يتوصّلُ إلى الكشْفِ الثالثِ من كشوفاته الكاذبةِ!.

وقد كانَ عَلَيْهِ أن يمتلك الحدَّ الأدنى من الشجاعةِ وينكر وجود الحجَّةِ منذُ البدءِ.. بَيْدَ أنَّ القرآنَ أكَّدَ مراراً عَلَى أنَّ المنافقين جبناءُ دوماً ويقولون بِخِلافِ مَا في قلوبهم كَمَا سنلاحظه من خصائصِ قرآنيةٍ للمنافقين.. فَهْوَ يخشى الإعلانَ عن هدفِهِ الحقيقيِّ، فضلاً عن القضايا التاريخيةِ والدينيةِ الَّتي ينتقي مِنْهَا مَا يشاءُ ويقومُ بتأويلِها كيف شَاءَ، بل طريقتُهُ في التوصُّلِ إلى النتائجِ هِيَ ذاتُ الطريقةِ، فكلَّما وجدَ مدَّعِياً لشيءٍ معيَّنٍ في فكرةٍ مبتدعةٍ اعتمدها للوصولِ إلى نتيجةٍ مسبقةٍ حدَّدها، وَهْيَ إنكارِ أصلِ الفكرةِ!!.

إنَّ هَذا الطريقَ غريبٌ جِدّاً في البحثِ، وإنَّ انتشارَهُ في الأوساطِ ليدلُّ عَلَى صدقِ الرسولِ ﷺ في مَا أخبَرَ به من علاماتٍ لآخرِ الزمانِ حيثُ التسطيح الفكري وغياب الحقائقِ واللاعقلانيةِ في التفكيرِ.. فَمَا علاقةُ آراءِ الرِّجالِ وأقوالهم بالحقائقِ الثابتةِ في النصِّ الدينيِّ والتي يجبُ أنْ تَكُونَ هِيَ المرجعَ في الحُكْمِ عَلَى أقوالِ الرِّجالِ؟.

فَهْوَ يأتي بالقصصِ لإثباتِ بطلانِ القضايا الدينيةِ أو يحشر الثوابتَ الواردةَ في السنَّةِ المقدَّسةِ من جُملةِ القضايا المشكوكِ فِيْهَا.. وأينما تصفَّحتَ في الكتابِ فَإِنَّكَ تجدُ نفسَ الطريقةِ الَّتي لا تمتُ إلى البحثِ العلمي بأيَّةِ صلةٍ تُذكرُ.. ولذلكَ فإن كشوفاته العجيبةَ تتوالى:

الثالثة: بعدما اكتشفَ السرَّ الثانيَ وَهْوَ وجود المنتحلينَ جرَّهُ هَذا إلى دراسةِ (موضوعِ الإمامِ نفسِهِ) حسب تعبيرهِ! حيثُ قَالَ: (وجدتُ لأوَّلِ مرَّةٍ في حياتي أجواء من الحيرةِ والغموضِ تلفُّ تلك القضيّةِ)!.

وَهْوَ متعجِّبٌ من نفسِهِ لأنَّه اكتشفَ لأوَّلِ مرَّةٍ وجود الشكِّ والحيرةِ حولَ الإمامِ نفسِهِ!

مَا هذه الكشوفاتُ أيُّها الكاتبُ العبقريُّ؟!

أَوَلا تعلمُ أنَّ كلَّ أطفالِ الشيعةِ يردِّدونَ عبارةَ:

«فإذا استدرَ الفلكُ وقلتم ماتَ أو هلك في أيِّ وادٍ سلك».

كواحدةٍ من علائمِ الغيبةِ وبدءِ الانتظارِ؟ فَكَيفَ لم تسمعْ في حياتكَ قطّ أنَّ المهديَّ مشكوكٌ في وجودِهِ؟ فَأَنْتَ لم تسمعْ أنَّ محمداً ﷺ مشكوكٌ في نبوَّتِهِ عند أربعةِ أخماسِ سكّانِ الأرضِ وأكثر من ثُلُثِ المسلمين وخاصّةً المتعلِّقين بالثقافاتِ الأجنبيةِ؟

ولمْ تسمعْ أَيْضاً أنَّ المسيحَ عليه السلام مشكوكٌ بوجوده في العالم المسيحي إلى حدِّ ادِّعاءِ البعضِ أنَّ هَذا الاسم لا وجودَ له في التاريخِ أَصْلاً، والى حدِّ أنَّ (برنارد شو) في كتابِ (المسيح ليس مسيحياً) يعلنُ أنَّ تبنّي هذه الفكرةَ من قبلِ المثقّفين يُعدُّ سخافةً ويدعوهم إلى الموضوعيةِ، إِذْ لا يمكن أنْ يَكُونَ مثلُ هَذا الدِّينِ المنتشرِ بين الملايينِ قد ارتبطَ باسمِ شخص لا وجودَ له مُطْلَقَاً.

لم يسمعْ (الكاتبُ) في حياته هذه الأشياءَ، فَهْوَ يقرُّ عَلَى نفسِهِ بالجهلِ والعبوديةِ وعدمِ التحرّرِ، إِذْ ليس المطلوبُ من المرءِ إلاَّ أن يختارَ الفكرةَ الَّتي يؤمنُ بها من مجموعِ الأفكارِ المطروحةِ!. أمَّا أنّه آمن بالمهديِّ لاعتقادِهِ بأنَّ الجميعَ يؤمنونَ به ثمَّ تركَ الإيمانَ به بعد اكتشافه أنَّ هُنَاكَ من يشكُّكُ بالمهديِّ فَهْوَ استدلالٌ شخصيٌّ لا يحسن حتى تجميل صورتِهِ أمامَ القرَّاءِ، ويبدأ بتقبيحِ نفسِهِ من أوَّلِ خطوةٍ، لأنَّه عَبْدٌ لآراءِ الآخرين وليس حرَّاً في أفكارِهِ.

إذن سيكتشِفُ الكاتبُ أنَّ بعضَ الخَلْقِ لا يؤمنون بمحَمَّدٍ ﷺ وسوف يُفاجَأُ المسكينُ مرَّةً أُخرَى ويشكُّ بوجودِ الرسولِ ﷺ، وسوف يلتقي يوماً مَا بجماعةٍ من الشيوعيين وسوف يُفاجَأُ للمرَّةِ الرابعةِ أنَّ بعضَ الخَلْقِ لا يؤمنون باللهِ! وأنَّ الفارابي وابن رشد وعمانوئيل كانط حاولوا إثباتَ وجودِهِ، وسوف يتخلّى عن الإيمان باللهِ أَيْضاً!.

فانظروا مَاذَا يقول؟ . .

يقول:

«لقد تعجَّبتُ من نفسي جِدَّاً لشدَّةِ جهلي بالتاريخِ الشيعي إلى حدٍّ أنّي لم أسمعْ ولمْ أقرأ تفاصيلَ وجود الشكِّ والحيرةِ حولَ ولادةِ للإمام الثاني عشر مَعَ أنّي كنتُ أقومُ بالدعوةِ والتبشيرِ بالمذهبِ الإمامي»[1]!!.

إذن فَأَنْتَ داعيةٌ غبيٌّ!!

لأَنَّك كنت تدعو وتبشِّر بإمامٍ لا تدري كيف وُلِدَ ولا تعلمُ إن كان موجوداً أمْ لا، بل لمجرّدِ أنَّ بعضهم أخبرك بوجودِ إمامٍ بِهَذا الاسمِ!.

وَمَا أدراني فلعلَّ غباءكَ مستمرٌّ للآن، وأنَّ مَا تقوله الآنَ مَا هُوَ إلاَّ واحدةٌ جديدةٌ من أوهامك الغبيةِ الَّتي رانت عَلَى عقلك طوال هَذا العمر المديد؟!.

إني لا أتعجّب منك يا أحمد الكاتب!

إنَّما عجبي هُوَ من الَّذينَ ينفقون دانقاً أو درهماً لاستنساخ كتابك وقراءته حتى لَو كانوا يبغضون المهدي عليه السلام ولا يصدِّقونَ بوجودِهِ!، ذلكَ لأنهم ليسوا بحاجةٍ أَصْلاً إلى أن يخسروا أموالهم بهذه الطريقةِ، فإنَّ اللهَ تَعَالَى لم يُجبِرْ الخَلْقَ عَلَى الإيمانِ به، وبإمكانِ المرءِ أن يكفرَ وأن يؤمنَ كَمَا يحلو له بدون مصاريف إضافيةٍ:

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

لِماذَا لا نتصارحُ يا أحمدُ (الكاذبُ)؟!..

---

(١) تطور فكر السياسي الشيعي/ ص٧.

فَأَنْتَ يا هَذا تكذِبُ علناً، وأنا أشهدُ أَنَّكَ لستَ من الشيعةِ، ولمْ تدعُ لحظةً واحدةً إلى المذهبِ الإماميِّ، ولست من دعاة المهدي عليه السلام في وقتٍ مَا. ذلكَ لان دعاة المهدي إنَّما يجيبون فقط عَلَى هذه الإشكالات المتعلِّقةِ بوجودِهِ!. أي أَنَّهُم يدعون إليه ضدَّ الشكِّ والحيرةِ أَصْلاً. فَمَاذَا كنتَ تدعو في تلك المرحلةِ؟، وكَيفَ بشّرتَ بالمذهبِ الإمامي؟، أَلَمْ يسألكَ أحدٌ من التلاميذِ يوماً مَا عن الغيبةِ وعن الظهورِ وعن أسبابِ الغيبةِ؟.

فَلِمَاذَا تكذبُ يا هَذا عَلَى الناسِ؟

وَهَلْ هُنَاكَ حديثٌ عن المبشِّرينَ بالمذهبِ الشيعي سوى الردّ عَلَى الخصومِ؟

بل المذهبُ الشيعيُّ فكرياً وعقائدياً مَا هُوَ إلاَّ ردود عَلَى الخصومِ، فإنَّ جُلَّ مؤلفاتهم العقائديةِ هِيَ في مناقشةِ أدِلّةِ المنكرين للإمامةِ عموماً والنواصبِ خصوصاً، بل ذخرت عناوين كتبهم بهذه المسمّياتِ.

انظر هذه العناوين لبعضِ كتبهم:

١ - إثبات الهداة بالنصوصِ والمعجزات: تأليف المحدِّث الحسن بن الحرّ العاملي/ ثمانية أجزاءٍ.

٢ - إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب: تأليف المحدِّث علي الحائري/ أربعة أجزاءٍ.

(فانظر: أليست العناوينُ نفسُها تتحدَّثُ عن الشكِّ؟)

٣ - الغيبة/ للشيخ محمّد بن الحسن الطوسي/ مجلّد واحد.

٤ - البرهان في أخبارِ صاحبِ الزمان/ للشيخ الفقيه محمّد بن يوسف الكنجي الشافعي.

٥ - الفصول العشرة في الغيبة/ للشيخ محمد بن النعمان العكبري الملقَّب بالمفيد.

٦ - الإرشاد في معرفةِ حجج الله عَلَى العباد/ للشيخ المفيد أَيْضَاً.

٧ - تبيين الحُجَّةِ إلى تعيينِ الحجَّة/ للشيخ ميرزا محسن التبريزي.

٨ - البيان في أخبارِ صاحبِ الزمانِ/ للإمامِ الطبري المفسِّر/ مطبوع.

٩ - البرهانُ في علاماتِ مهدي آخرِ الزمانِ/ علاء الدين بن حسام الهندي نزيل مكّة/ مطبوع بهامش المناقب للمؤلف.

١٠ - الفصولُ المهمّةُ في معرفةِ الأئمّة/ لعلي بن محمّد الصباغ المالكي المذهب والشهير بابن الصبَّاغ/ مطبوع.

١١ - البرهانُ عَلَى طول عمر صاحب الزمان/ لأبي الفتح محمّد بن عثمان الكراجكي.

١٢ - بشارةُ الإسلام في ظهور صاحب الزمان/ للسيّد مصطفى الكاظمي/ مطبوع.

١٣ - أربعون حديثاً عن المهدي/ للشيخ أَبي نعيم الاصبهاني صاحب كتاب حلية الأولياء من علماء الحديث لأهلِ السنّة.

١٤ - عَقْدُ الدُّررِ في أخبارِ المهديِّ المنتظرِ/ للشيخ يوسف بن يحيى السلمي الشافعي/ المخطوطة في معهد المخطوطات/ القاهرة/ برقم ٦١ - من علماء السنّة أَيْضَاً.

١٥ - المُخْتَصَرُ في علاماتِ المهديِّ المنتظرِ/ للشيخ ابن حجر الهيثمي الشافعي/ توجد منه نسخٌ في حلب واستانبول وذَكَرَهُ صاحب إسعاف الراغبين في/ ١٣٩ - وذكر الشيخ آل ياسين أنَّ عنده نسخة مصورة عن الأصل في هامش كتابه الآتي ص٢٥.

١٦ - المهديُّ المنتظَرُ بين التصوُّرِ والتصديقِ/ محمد حسن آل ياسين/ مطبوع.

١٧ - البرهانُ عَلَى وجودِ صاحبِ الزمان (ع)/ للسيّد محسن الامين الشامي/ مطبوع.

١٨ - الإمام الثاني عشر/ للسيّد محمّد سعيد الموسوي/ مطبوع.

١٩ - الردُّ عَلَى من قضى أن المهدي جاء ومضى/ للشيخ علي القاري من الأحناف. توجد منه نسخة خطية في الهند وتركيا، ونسخة مخطوطة في دار الكتب في قطر حسب مَا ذكر الشيخ آل ياسين ورقمها ٩/ ٣٨.

٢٠ - العرف الوردي في أخبار المهدي/ للمفسّر اللغوي جلال الدين السيوطي. من علماء السنّة/ مطبوع.

٢١ - علامات المهدي/ للسيوطي أَيْضَاً.

٢٢ - تلخيص البيان في علامات مهدي آخر الزمان/ لابن كمال الحنفي/ منه نسخة في خزانة سعيد الديوه جي في الموصل كَمَا في معهد المخطوطات مجلة العهد/ ٩/ ٢١٥ والأصل في مركز استانبول.

٢٣ - المُهدي إلى مَا وَرَدَ في المهدي/ لمحمد بن طولون الدمشقي ذكره المؤلف في كتابه الآتي.

٢٤ - الائمة الاثني عشر/ لمحمد بن طولون الدمشقي/ مطبوع.

٢٥ - التوضيح في مَا جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح/ للقاضي محمد بن علي الشوكاني ذكرته مجلة الجامعة الإسلامية - ع/ ٣/ ١٣١ - والشوكاني من أشهر علماء الحديث والفقه لأهلِ السنّة.

٢٦ - أخبار المهدي/ للشيخ عباد بن يعقوب الراوجني المتوفى ٢٥٠ هـ.

٢٧ - المحجّة في مَا نزل في القائم الحجّة من القرآن/ للمحدِّث الشهير سليمان البحراني الكتكتاني.

٢٨ - غاية المرام في حجة الخصام/ في إثبات الإمامة للبحراني المذكور آنفاً.

٢٩ - الأربعين في المهدي/ للعلامة المحدِّث محمد باقر المجلسي.

٣٠ - بحار الانوار/ للعلامة المجلسي المذكور سابقاً. خصَّصَ منه المجلَّد الثالث والعشرين للمهدي عليه السلام عَلَى الطباعة الحجرية، وَهْوَ يوافق المجلَّد السابع والخمسين من الطباعة الحروفية أو مَا يقرب منها. وَهْوَ مطبوع عدّة مرات.

٣١ - دلائل الامامة/ لأبي جعفر ممد بن جرير الطبري. خرّجَ فِيهِ نصوصاً كثيرةً تتعلّق بالمهدي عليه السلام/ مطبوع.

٣٢ - الغيبة/ للشيخ الأقدم أَبي عبد الله محمد بن إبراهيم النعماني/ مطبوع عدّة مرات/ توفي الشيخ سنة ٣٢٩ هـ.

٣٣ - إكمال الدِّين وإتمام النعمة/ في الامامة وإثباتها للشيخ الأقدم أَبي جعفر ابن بابويه المعاصر للغيبة والمتوفى سنة ٣٢٩ هـ.

٣٤ - التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول/ للشيخ منصور علي ناصف من الأزهر/ خلاصة للصحاح في آخره علامات الساعة وعلامات المهدي في الجزء الخامس.

٣٥ - كفاية الطالب في مناقب علي بن أَبي طالب/ لأبي عبد الله محمد بن يوسف الشافعي. طبع في آخره كتابه المسمى (البيان في أخبار صاحب الزمان).

٣٦ - منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر/ للشيخ لطف الله الصافي ذكر فِيهِ المرجع في ستة آلاف حديث في المهدي عليه السلام.

٣٧ - صحيح البخاري/ للشيخ أَبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ قبل ولادة المهدي المنتظر عليه السلام ذكر فِيهِ حديث الأئمة الاثني عشر في الجزء الرابع من كتاب الأحكام.

٣٨ - صحيح الترمذي: أخرج حديث الاثني عشر من باب مَا جاء في الخلفاء من الجزء/ ٢/ ٤٥ وأنّهم يكونون من بعد النبي صلى الله عليه وآله بلا فاصلٍ. عدا النصوص الكثيرة في مناقبهم عموماً.

٣٩ - صحيح مسلم: أخرج أحاديث الأئمة الاثني عشر من جزء/ ٢ ص١٩١ حسب طبعة مصر سنة ١٣٤٨ هـ وأنّهم من بعده ﷺ بلا فاصلٍ. عدا النصوص الكثيرة في مناقبهم عموماً.

٤٠ - صحيح أَبي داود/ لأبي سليمان بن الاشعر السجستاني المتوفى مَعَ ولادة المهدي أو بعدها بسنين: أخرج حديث المهدي من كتاب المهدي ج/ ٢/ ٢/ ص٢٠٧ - فذكر عن النبي ﷺ اثني عشر إمَامَاً أو خليفةً يكونون من بعده بلا فاصلٍ وذكر أن الناس كبّروا حِينَمَا سمعوا ذلك أو ضجّوا. (ويظهر أنَ الّذينَ ضجّوا هُمْ من أمثالِ هَذا «الكاتب»).

٤١ - كفاية الأثر في النصوص الدّالة عَلَى الأئمة الاثني عشر/ للشيخ أَبي القاسم علي بن محمد الرازي من تلامذة الشيخ الصدوق. ذكر فِيهِ أكثر من ألف حديث عن أرباب الآثار في المهدي وصفاته وخصائصه وظهوره وحال أهل الأرض قبله وبعده مرويّة كلها عن رسول الله ﷺ.

أقول: عَلامَ كتبَ كلُّ أُولَئِكَ العلماء تلكم الكتب والمؤلفاتِ؟، أليسَ لإثباتِ مَا أرادَ الله إثباته في كتابِه وسنَّةِ نبيِّهِ ﷺ بعْدَ أنْ تكاثرَ الشكُّ فِيهِ سواء داخل الشيعة أو خارجها؟، فَكَيفَ لمْ يسمعْ الكاتبُ في حياتِهِ بوجودِ من يشكُّ في المهدي؟ أَمْ أَنَّه سمع بوجودِ من ينكر الله فاعتبره مسألةً هيِّنةً قياساً إلى المهدي؟.

لكنَّنا تركنا الكثيرَ الكثيرَ جِدَّاً، فهناك ألوفُ الكُتبِ الَّتي ذُكِرَ فِيْهَا المهديُّ. وكلُّ ذلكَ إنَّما جرى للردِّ عَلَى الشُّكاكِ تَمَامَاً مثلما انبرى العلماءُ لإثباتِ النبوَّةِ والمعادِ وعمومِ الإمامةِ، بل وإثباتِ وجود الله بوجهِ الشكِّ. بل الشكُّ قرينٌ لذكرِ المهدي في أصولِ الأحاديثِ النبويَّةِ لأنّها مسألةٌ يبتلي بها الخَلْقُ ويُمحَّصوا ويميَّزوا ويغربلوا حتى يحيى من حيي عن بيّنةٍ... بل التكذيبُ بالمهدي وَرَدَ في القرآنِ والسنَّةِ في عشراتِ المواضعِ، ولكنَّ العيونَ عماءٌ والآذان صمَّاءٌ والقلوب متحجِّرةٌ قاسيةٌ طال عَلَيْهَا الأمدُ فقستْ واحتذَت

بالأممِ السالفةِ كَمَا ذكرَ النبيُّ ﷺ حذوَ القذّة بالقذّةِ والنعلِ بالنعلِ حتى لَو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلَتهُ هذه الأمة. وَهْوَ واقعٌ مُعاينٌ بين أيدينا.

من أوَّلِ سطورٍ قرأتها وأنا أدركُ كلَّ الكشوفاتِ اللاحقةِ للكاتبِ، وبدأتُ الردَّ ولمْ أقرأ سوى سبع صفحاتٍ.. لِماذَا؟!

لأنني أعلمُ إلى أيِّ موضعٍ يريدُ الوصولَ!!..

وأقسِمُ باللهِ وملائكته وكتبه ورسلِهِ أنّي علمتُ من أوَّلِ خمسةِ أسطرٍ أنَّه في الطريقِ لإنْكَارِ الوصيّةِ والإمامةِ، وأنَّ هذه كلَّها مقدِّماتٌ نفسيَّةٌ لهذا الهدفِ.. وَهَكذا تأتي مرحلةُ اكتشافِهِ الرابعةِ!!:

الرابعة: بعدما ادَّعى أنَّه اكتشفَ وجود من ينكر المهدي والذي لم يسمع به في حياتِهِ دَفَعَهُ هَذا إلى البحْثِ في أصلِ الموضوعِ وَهْوَ الإمامة حيثُ قَالَ: «وَهَذا مَا دفعني إلى إجراءِ دراسةٍ جديدةٍ في نظريَّةِ الإمامةِ نفسِها فاكتشفتُ أنَّها من صُنعِ المتكلِّمينَ وبعيدةٌ ومتناقضةٌ مَعَ أقوالِ الأئمّةِ وأهلِ البيتِ وأحاديثهم الصحيحةِ الرافضةِ لاحتكارِ السلطةِ أو تداولِها بشكلٍ وراثيٍّ، وأحاديثهُم داعيةٌ إلى اختيارِ الإمامِ من قبلِ الأمَّةِ عبر الشُّورَى»[1].

أنتَ اكتشفتَ هَذا؟

قُلْ لي بربِّكَ أنتَ اكتشفتَ هَذا أَمْ كشَفَهُ من قبلِكَ عمرُ بن الخطَّابِ في مجلسِ الشُّورَى، وقامت من بعدِهِ نظريةٌ كاملةٌ مقابل نظريّة التعيين والوصيَّةِ انقسَمَت عَلَيْهَا الأمةُ إلى مذاهب ومشارب عديدةٍ؟!.

لقد نفَّذَ عُمَرُ بن الخطَّابَ نظريَّةَ الشُّورَى فأفضَت إلى فتنةِ عثمانَ والحروبِ الداخليَّةِ وانتهت دَوْمَاً بتعيينِ السلطانِ من قِبَلِ الأمةِ وعَدَمِ (احتكارِ السُّلْطَةِ وراثياً)!!.

---

(١) تطور الفكر الشيعي/ ص ٧.

لقد حدثَ هَذا أيُها المغفَّلُ ولا زالَ يحدثُ إلى اليومِ ولم يستلمْ أحد الأئمَّةِ بنظريَّةِ الوصيَّةِ السلطانَ باستثناءِ الإمام علي عليه السلام لا بناءً عَلَى الوصيّة، وَإنَّما بناءً عَلَى حصولِ فتنةٍ عظيمةٍ قُتِلَ فِيْهَا خليفةُ المسلمين، وتحتاجُ إلى رجُلٍ وَرِعٍ وشجاعٍ وهادٍ للأمَّةِ لينقذها من الضّلالِ المرتَقَبِ!.. وقُتِلَ عَلِيٌّ في محرابِهِ وعادَتِ الشُّورَى لينفِّذَها المغيرةُ بن شعبة في أخذِ البيعةِ ليزيدَ بن معاوية!.

ثمَّ قامَ يزيدُ بن معاوية بعَقْدِ الإمامةِ لابنه معاوية بن يزيد. وَأيْضاً بايعته الأمةُ عن طريقِ الشُّورَى فبقيَ أربعين يوماً. وخرج ابن الزبير فاستولى عَلَى الحجازَ، وعهد مروان لابنه عبد الملك واستولى مصعب أخو ابن الزبير عَلَى العراق، وخرج الحجَّاجُ فأذَلَّ أهلَ المدينة. قَالَ السيوطي: «وختمَ في أعناقِهِم وأيديهم مثل أنس وجابر وسهل بن سعد وبقايا أصحاب رسول الله فإنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعون»[١].

وتمَّ في هذه المُدَّةِ قتلُ أكثر من خمسين ألفاً من الصحابةِ والتابعين في حروب الجمل وصفين والنهروان والمدينة واليمن وحرب ابن الزبير. وخرج عبد الملك فقضى عَلَى ابن الزبير ثمَّ أخذ البيعةَ لابنِهِ الوليد وشاورَ الأمةَ فَقَالَ: «قد فكَّرتُ فيمن أولِّيهِ من العرب فلم أجدْ أحداً»!.

تصوَّرْ.. إنَّه لم يجِدْ أحداً يستحقُّ الخلافةَ إلاَّ نفسه فإذا هَلَكَ فَلا يستحقُّها أحدٌ سواه!.

فقالوا لَهُ: **«أيْنَ أنتَ من الوليد؟»**. وكانَ الوليدُ لا يُحسِنُ الكلامَ. قَالَ السيوطي: **«كانَ قد شبَّ بلا أدبٍ»**[٢] - فأدخلهُ في دراسةِ النحوِ واللغةِ وجلسَ مَعَهُم ستةَ أشهرٍ. قَالَ السيوطي وابن الأثير: **«فخرج وَهُوَ أجهلُ ممَّا كان..»**

---

(١) تاريخ الخلفاء/ ٢١٥.

(٢) المصدر السابق/ ٢٢٣.

فَقَالَ عبد الملك: «**أما أنَّه قد أعذر**»!!.. ثمَّ عقد له البيعةَ بالشورى!!..

أقولُ: واستمرَّت الشُّورَى هِيَ الفكرةَ المعمولَ بها إلى اليومِ حتّى ظهرت في صيغتِها الحديثةِ من ممثِّلين وبرلمان وانتخاباتٍ، ولا توجَدُ في أيَّةِ بُقعةٍ في العالمِ انتخابات اتُّفِقَ عَلَى نزاهتها فضلاً عن الخطأ والمغالطةِ في نفسِ الفكرةِ. إذْ الدِّينُ في جوهَرِهِ هُوَ اختيارُ مَا اختارَ الله لا اختيارُ مَا اختارَهُ الخَلْقُ.. عندئذٍ يسقط الطرحُ الدِّينيُّ بأكملِهِ.

فَمَا أكذب (الكاتب) إذن وَهْوَ يزعمُ أنَّه اكتشَفَ أنَّ نظريَّةَ الإمامةِ هِيَ من صُنعِ المتكلِّمين!.

لأنَّ المتكلِّمينَ هُمْ ألدُّ أعداءِ الإمامةِ كَمَا سترى أخي القاريء، بل الإمامةُ من صُنعِ الله وحده وأكثرُ الخَلْقِ كَفَروا بها، وبها يدخلهم الله إلى أتونِ جهنَّم. فَمَاذَا يقولُ (الكاتبُ) في مَنْ أَعْطَاهُ الإلهُ الإمامةَ فَقَالَ:

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

فعلى منطقِ (الكاتبِ) أنَّ الله قد قامَ بمصادرَةِ اختيارِ الناسِ وضَرَبَ باختيارِهِم عرضَ الحائطِ حِينَمَا قامَ بتعيينِ الخَليفةِ في الأرضِ!!.

لِماذَا يحتكِرُ داود السلطةَ ولا يعمل انتخاباتٍ وشورى ليدلي أمثالُ (الكاتبِ) بآرائهم؟!.

وَلِماذَا عابَ الله عَلَى الملأ من بني إسرائيلَ وكفَّرَهُم حِينَمَا اختاروا مَلِكاً غَيْرَ الَّذي اختارَهُ الله تَعَالَى فقالوا:

﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ

ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

فَلَمَّا فصلَ طالوتُ بالجنودِ كَفَروا إلاَّ قليلاً مِنْهُم كَمَا قَصَّ القرآنُ.

وَلِماذَا يَرِثُ سليمانُ داودَ ويضرِبُ الوحي بالشُّورى عرضَ الحائِطِ فيقولُ:

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦].

أَوَليسَ هَذا احتكارٌ للسلطَةِ بصورةٍ وراثيةٍ؟

وَهَلْ هَذا من صنعِ المتكلِّمين أَمْ هُوَ من صُنعِ الله؟

أجِبْ أيُّها الأفَّاكُ الكذوب!

بلى والله . . إنَّه من صُنعِ الله الَّذي يُخرِجُ به وحدَهُ أضغانَ قومٍ ﴿كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

وَلِماذَا يجعلُ الله النبوَّةَ والحُكْمَ والكتابَ في (آلِ) ذريةِ رجُلٍ واحدٍ مُحْتَكِراً السلطةَ فيقولُ:

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

وَلِماذَا جعلَ في ذريتِهِ النبوَّةَ والإمامةَ فَقَالَ:

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

فَمَنَعَ من هَذا العهدِ الظالمينَ من ذرِّيتِهِ فَقَط وأَثْبَتَها فيهم وجعلَ بعضَهم مِنْ بعضٍ وجعلَ السُّلطةَ حكراً عَلَى هذه الذريةِ حيثُ أعطاهُمُ الكتابَ، فعِلْمُ

الكتابِ يدورُ مدارَ الحُكْمِ. . أَمْ يحسبُ (الكاتبُ) المغفَّلُ أَنَّنا نؤمنُ بأَنَّ عِلْمَ الكتاب في قومٍ والحُكْمَ في قومٍ آخرين. فَكَيفَ تُنفَّذُ الأطروحةُ الإلهيَّةُ إذن؟.

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٤-٨٦].

ثمَّ يعودُ فيذكرُ الذريةَ ويقولُ:

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٧].

وَقَالَ عن إبراهيم عليه السلام:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

وَقَالَ فيهم عليهم السلام:

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

فانتبه أخي القاريء إلى قولِهِ تَعالَى (يهدي بِهِ). فهؤلاءِ هُمْ هدى الله ويهدي بِهِم مَنْ يشاءُ من عبادِهِ، ولو أشركَ مَعَهُم هَؤُلاءِ العبادُ بشيءٍ في حُكْمِ الله لحبطَ عَنْهُم مَا كانوا يَعْمَلُون.

فَهُوَ تَعَالَى لا يقولُ إنَّ هَؤُلاءِ هداهم الله، بل هَؤُلاءِ هُمْ (هدى الله) نفسه الَّذي يهدي به العبادَ.

فَهَلْ يقيمُ (الكاتبُ) الصلاةَ فعلاً وَهُوَ يقرأُ في فاتحةِ الكتابِ قولَهُ تَعالَى:

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

لا أحسبُهُ يُصَلِّي منذُ أربعين سنة!!

وَهَلْ يغفلُ المرءُ وَهْوَ يعيدُ هذه العبارةَ سبعَ عشرَة مرَّةً في كلِّ يومٍ لمدَّةِ أربعينَ سنة فَلا يسألُ من هَؤُلاءِ الَّذينَ أنعمَ الله عليهم والذين يجب أن يهتدي إلى صراطهم؟

ألا يرى هَذا الأبلهُ أنَّ الصراطَ هُوَ صراطُهم المستقيمُ؟

أَوَليسَ هَؤُلاءِ هُمْ المذكورين في القرآنِ أنَّهُم ذريَّةُ إبراهيمَ الَّذينَ جعلَ الله فيهم الحُكْمَ والكتابَ؟

أَوَليسَ محمَّدٌ ﷺ وذريته هُمْ آخر عنقود ذرية إبراهيم عليه السلام؟

فَمَا أشد الحاقدينَ عَلَى محمَّدٍ ﷺ وذريته دون سائرِ الذراري!!

لمْ يوجِّه (الكاتبُ) نقْدَهُ لأمَّةِ ذراري الفسادِ بالرغم من أنَّها حكمت تاريخَ الإسلامِ في كلِّ العهودِ، وبانَ مِنْهَا من المخزياتِ والآثامِ مَا جَعلَ الأممَ الأُخْرَى تتقزَّزُ من رائحةِ العفونةِ الآتيةِ من المشرِقِ بِكُلِّ مَا امتلأتْ به صحائِفُ التاريخِ من موبقاتٍ وحِيَلٍ ومكرٍ وخداعٍ للجماهيرِ وقَتْلٍ وإكراهٍ وتزييفٍ للحقائقِ!!

تُرى.. مَاذَا سيفعلُ (أحمدُ الكاتبُ) لَو رأى بالفِعْلِ ذرية محمّدٍ ﷺ الَّتي نصَّ عَلَيْهِ الكتابُ - لا المنتحلين والمدَّعينَ من بني هاشمٍ وعليٍّ وعقيلٍ وَمَا أكثرهم!! - مَاذَا سيقولُ لَو رأى أحدُهم بالفِعْلِ وقد استولى عَلَى الحُكْمِ؟

بالتَّأكيدِ.. سيجنُّ جنونُهُ!!

وَمَا أدراكَ فقد يركبُ هُوَ الآخرُ جملاً أحمرَ ويحاربَ ذلك الإمامَ اقتداءً بالمرأةِ وأتباع البهيمةِ الَّذينَ قَالَ فيهم الإمامُ عليٌّ عليه السلام مخاطباً:

(رغا فأجبتم وعقرَ ففرَرْتم).

وَقَالَ لَهُم ابن عباسٍ حبر الأمَّة وفقيهها:

(إن كُنَّا مؤمنينَ فقد كَفَرتم بقتالكم لَنَا وإن كُنتُم كافرين فقد كفرتم بفراركم منَّا حين الزحفِ).

فأثبتَ عليهم الكُفرَ في كلِّ الأحوالِ. وَهَذِهِ بمثابةِ فتوى لأنَّهم طلبوا أنْ يَكُونَ الأمرُ بالشُّورى فلَمْ تنفعِ الشُّورَى، بل بايعوا ثمَّ نكثوا مرَّتين.

فأينَ هِيَ الشُّورَى الَّتي لا تَحتَكِرُ السلطةَ في الورثةِ؟

إنَّما الشُّورَى وُضِعَتْ أَصْلاً لاحتكارِ السلطةِ في ورثةِ الخُلَفاء.. كلُّ مَا في الأمرِ أنَّ ذرية الشيطانِ حلَّت محلَّ ذرية عبادِ الرحمنِ!

هذه قائمةٌ أُخرَى بايعَت لَهَا الأمةُ والمُعلَنُ هُوَ الشُّورَى. أحفادٌ وأخوةٌ يتناوبونَ المُلكَ بعدَ أبيهم في جزءٍ من العائلةِ المالكَةِ!:

١ - عبد الملك بن مروان.

٢ - الوليد بن عبد الملك بن مروان.

٣ - سليمان عبد الملك بن مروان.

٤ - عمر بن عبد العزيز بن مروان.

٥ - هشام عبد الملك بن مروان.

٦ - الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان.

٧ - يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان.

٨ - إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان.

إنَّها شُورَى بالفِعْلِ ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] لأنَّ الآيةَ حسب أهل الشُّورَى في أهلِ الحلِّ والعقدِ أي الزعماءِ أَصْلاً.. وبالطبعِ تختارُ العائلةُ المالكةُ بعد التشاورِ الشخصَ المناسِبَ لَهَا.

أهذا هُوَ فَهمُكُم للقرآنِ؟

أَمَّا شُورَى كلِّ الأمَّةِ فرداً فرداً فَمَا حَصَلَت وَلَن تحصلَ حتَّى تقومَ الساعةُ!

لأنَّ الشُّورَى لا تبطلُ باعتراضِ الأقليَّةِ أصْلاً، بل ولا الأكثريَّةِ، بالرغمِ من أنَّ الأقليّةَ هِيَ دَوْماً صفة المؤمنين بالفِعْلِ، والأكثرية هِيَ الفاسقةُ بنصِّ القرآنِ.

وَهَذِهِ هِيَ الشُّورَى الَّتي يؤمنُ بها (الكاتبُ) وأمثالُهُ خلافاً لقولِ الله تَعَالَى:

﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

بل تطوَّرت فكرةُ الشُّورَى إلى نظريَّةٍ عجيبةٍ جِدَّاً!

حيثُ حكمَتْ بصحَّةِ وشرعيّةِ الحاكمِ ولو توصَّلَ إلى الحُكْمِ عن طريقِ أقليّةٍ، بل ولو توصَّلَ إليه عن طريقِ القهرِ والغلبةِ، بل ذهبَ (علماءٌ) منظِّرونَ للطاغوتِ إلى أنَّها تصِحُّ ولو بايعه شخصٌ واحدٌ أوّل الأمر وتابعه الآخرون وإذا بايعوه قهراً فإنَّها تصحُّ أَيْضَاً!!

مَاذَا يعنون بـ (تصِحُّ)؟

تصِحُّ عِنْدَهُم بالطبعِ.. وإلاَّ فَلا أحدَ يعلمُ قضيَّةً مثلَ هذه في الأديانِ ولا في الفلسفةِ.. وَهْيَ أن يقومَ المرءُ بقهرِ الخَلْقِ بقوَّةِ السلاحِ ثمَّ يكونُ عند الله إمَامَاً وخليفةً شرعيّاً مثل داود وإبراهيم!!

تصِحُّ في دينِهم لا في دينِ الله الَّذي نعرفه..

تبّاً لكَ يا (كاتبُ) هذه الترهاتِ.. أيْنَ وجدتَ أهلَ البيتِ عليهم السَّلام يَدْعُونَ إلى الشُّورَى حتى تكون الوصيّة من صُنعِ المتكلِّمين؟!

وَهَلْ هُنَاكَ مَعْنًى لعبارَةِ (أهل البيت) نفسها سوى أنّه بيت فِيهِ ذرية تدعو لنفسِها فقط؟

وَلِماذَا يسمّون أنفسَهم أهلَ البيت؟

وَهَلْ دعوا إلى الشُّورَى وفي عَيْنِ الوقتِ وَضَعُوا سلسةً من النسبِ مرتبطةً ببعضِها وَاحِدَاً وَاحِدَاً لإثباتِ الشُّورَى أَمْ لإثباتِ الإمامةِ في الذريةِ؟

وكَيفَ تقول في صفحة (٥) أنَّ الإمامةَ عند الشيعة جعلتهم أي الشيعةَ في

حالةِ تبنّي (فكرٍ يتّسمُ بالانعزالِ السياسي والسلبية المطلقةِ)؟

فمن هُمْ إذن الّذين قاموا بالثوراتِ المتواصلةِ ضدَّ المتآمرين عَلَى الخلافةِ الإلهيّةِ؟

أهُمْ أسيادكَ هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ أبناءُ ذرية السبطين الطاهرين الإمامين **«إنْ قَامَا وإنْ قَعَدَا»** الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنّة؟

أَمْ أنَّكَ ستفاجأ مرَّةً أُخرَى بالثوراتِ الشيعيةِ عَلَى السلطانِ الأموي والعباسي والزبيري؟.. بدءاً من ثورةِ أصحاب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أوَّلِ مؤسّسٍ للطاغوتِ إلى قيامِهِ بحربِ الناكثين والمارقين أمثالِكَ والقاسطين وانتهاءً بثوراتِ يحيى وإدريس العلوي في المغرب ومروراً بمقتلِ سيّد الشهداءِ الحسين ابن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وثورة زيد الشهيد في العراق وثورة أخيه إبراهيم المقتول في «أحجار الزيت» في الحجاز وثورة الحسين بن زيد إلى عشراتٍ غيرها في كلّ أنحاءِ بلادِ الإسلامِ.

ومن هُمْ المنعزلون في المجالِ السياسي والفكري؟

أَهُمْ أجدادُكَ الخانعونَ في أبوابِ السلاطين ينتظرون فضلاتِ موائد الأكّالين كالوليد وسليمان الهالك بِسَبَبِ كثرةِ الطعامِ.. أَمْ هُمْ شيعةُ عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ المشرَّدينَ في كلّ أصقاعِ الأرضِ بِسَبَبِ مواقفِهِم السياسيةِ؟

تبّاً لك أيُّها الكاتبُ الغبيُّ الّذي لم يحْسِنِ المداخلَ فأعيَت عَلَيْهِ المخارجُ..

أقسِمُ باللهِ العظيمِ لَولا الاقتداءُ بعليِّ بن أبي طالبِ عَلَيْهِ السَّلَامُ في عدمِ تكليمِ الجُهالِ والمنافقين لكلّمتكَ بكلامٍ آخر أجعلك فِيهِ عبرةً لكلِّ معتبر..

لكن هيهات يمرُّ ذلك بسلامٍ عَلَيْكَ.. فانتظر فادحةً تحلُّ بِكَ أو فاقرةً تقصمُ ظهرك تتبعها رادفةٌ تنقلكَ إلى النارِ قريباً وقريباً جِدّاً!

فانتظر وتربّص فإنّه وعدٌ حقٌّ عَلَى لسانِ الرسولِ المصدَّقِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والللعنةُ عَلَى

عدوِّهِ والرادُّ عَلَيْهِ والمختارِ غير مَا اختاره والمحبّ لمن أبغضه والمبغض لمن أحبّه والمكذّب عَلَيْهِ والمعادي لذريتِهِ والمفتري عَلَيْهِ . . آمين.

ويحكَ أيُّها الإنسانُ . . أَلَمْ يقرأ لكَ كتابكَ صديقٌ ناصحٌ قبل طباعته أو عدوٌّ حقودٌ أو حميمٌ ودودٌ حتى ضمَّنتَهُ فريةً واحدةً مستمرَّةً؟!

فإني بحثْتُ فِيهِ الآنَ بحثَ المجتهدِ المحقِّقِ عن شيءٍ يليقُ به الردُّ أو عن توهّمٍ يحتاجُ إلى تحقيقٍ أو عن دعوى حقٍّ تحتاجُ إلى إقرارٍ أو اعتذارٍ، فَلَمْ أجِدْ.

ولا تحسب أنّي أردُّ عَلَيْكَ دفاعاً عن دينِ الله، فَإِنَّكَ أهونُ من ذلك، ودينُ الله أعظمُ من أن ينالهُ أحدٌ بسوءٍ لأنَّه الحقُّ الدامغُ. ولكن يحزُّ في نفسي تصديقُ بعض المساكين المُضلَّلين لافتراءاتكَ. فعسى أن ينتفعوا بِهَذا الردِّ وتنفتحَ بصيرتُهم وتنشرحَ صدورُهم للإيمان باللهِ ورسولِهِ. وَإِنَّمَا أنتَ دليلٌ عَلَى وجود هَذا النمطِ من الخَلْقِ الَّذينَ لا رأيَ لَهُم، أو لَهُم رأيٌ مخالفٌ للحقِّ فأصبحوا وسطاً صالحاً لأضرابِكَ من المتحذلقين يدفعون لَهُم ثمنين باهظين: ثمن الدُّنْيَا وثمن الآخرة عدا الثمن المدفوع نقداً لكتابكَ. فهم كَمَا قَالَ الإمامُ عليٌّ عليه السلام: **«باعوا آخرتَهم بدنيا غيرِهم»** - لا بدنياهم. وَهَذِهِ هِيَ علاماتُ آخر الزمان كَمَا ذكرها الأولياء عليهم السلام حيثُ تكونُ **«مساجدُهم عامرةٌ من البنيانِ ونفوسُهم خرابٌ من الإيمان»** كَمَا عبّروا عَنْهَا في فقرةٍ من الفقرات الَّتي كلّ مِنْهَا تعدُّ فاقرة الظهرِ في هَذا الزمانِ.

يضعُ (الكاتبُ) في ص١٢ عنواناً هُوَ: **«شعور الإمام علي عليه السلام بالأولوية»** ليوحي للقارىء أنَّه مجرَّدُ شعورٍ بالأولويةِ.

ومن البديهي أنَّ علياً عليه السلام سيكونُ من حقِّهِ أن يشعرَ بهذه الأولويةِ شأنه في ذلك شأنُ كلِّ مرشَّحٍ في أيَّةِ انتخاباتٍ، إِذْ يرى المرشَّحُ نفسَهُ دَوْماً الأولى

بالفوزِ. وبالطبعِ سَتَكونُ الانتخاباتُ وعددُ الأصواتِ هِيَ الفيصلُ، وَهْيَ الَّتي ستقرِّرُ من هُوَ الخليفة. . وَعَلَى ذلك فإنَّ عليَّ بن أَبي طالبٍ هُوَ من المدافعين عن حقِّ الانتخابِ!.

يا لَكَ من أحمَقٍ غريبِ الأطوارِ تجمعُ بين المتناقضاتِ!

فإنَّ عليَّ بن أَبي طالبٍ هُوَ أعظمُ مدافعٍ عن حرِّيةِ الاختيارِ في تاريخِ البشريَّةِ من بعدِ النبيِّ ﷺ منذُ خلَقَ الله آدمَ. ولكنَّهُ في عينِ الوقتِ لا يرى أنَّها أولويةٌ، وأنَّ الناسَ إذا لمْ ينتخبوه عملوا صالحاً، وإذا انتخبوا غيره عملوا صالحاً: !

بل يرى أنَّ الناسَ لَنْ يعملوا صالحاً قط إذا انتخبوا غيره، وأنَّهم يذهبون إلى جهنَّم مهما كانَ عددُ أصواتِهِم!!

ولذلكَ كانَ يحزُّ في نفسِهِ ويؤلمهُ جِدّاً أن يرَىٰ الخَلْقَ ذاهبين إلى جهنّم بإرادتهم!

ولغِفلَتِهم وقعَ في مصيبةٍ أعظم، لأنَّه إذا دافعَ عن مستقبلِهم ظنّوا أنَّهُ يريد خلافتَهم!!

ولذلك فإنَّ النصَّ الَّذي جاءَ به (الكاتبُ) مبتوراً لا يدُلُّ عَلَى أنَّ علياً (ممتعضٌ) من بيعةِ أَبي بكرٍ كَمَا عبَّرَ الكاتبُ، وَإِنَّمَا هِيَ «داهيةٌ» و«كارثةٌ» هِيَ الأعظمُ من كلِّ الكوارثِ، لأنَّها كانت لتوقِفَ المدَّ الرساليَّ وسوفَ تضلُّ بها كلُّ الأمَمِ. قَالَ عليٌّ عليه السلام:

«فَسَدَلْتُ دونَهَا ثَوباً، وطَويتُ عَنْهَا كَشْحاً، وطفِقتُ أرتئي بينَ أنْ أصولَ بيدٍ جذَّاء أو أصبرَ عَلَى داهيَةٍ «طخيةٍ» عمياء، يهرمُ فِيْهَا الكبيرُ ويشيبُ فِيْهَا الصغيرُ، ويكدحُ فِيْهَا المؤمنُ حتى يلقى ربَّه..».

فلاحِظ هُنَا كيفَ أسدَلَ وطوى عَنْهَا وانتقلَ إلى خيارين كلّ منهما مقرفٌ مزعجٌ: إمَّا أن يصولَ بيدٍ جذّاء وَهْيَ (المقطوعة عن بدنِها) وفيه دلالةٌ عَلَى

قُدرتِهِ عَلَى الصولةِ منفرداً، وفيه إشارةٌ إلى أنَّه قادرٌ عَلَى إبادتِهم جميعاً وإهلاكهِم بالمرَّةِ. ولكن لمن سيأخذ الخلافةَ وَهَذِهِ اليدُ جذّاء؟، إنّما يريدها للناسِ لا لِنفسِهِ. فإذا كفرَ بها الناسُ فَلا يستحقّونها.

ثمَّ انظر الإشارةَ إلى ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح: ١٠] فَهْيَ فوق في كلِّ الأحوالِ. وَإنَّمَا الحِلمُ عَلَى الخَلْقِ وإرجاعُ الحقِّ المسلوب من قبل الطغاة، إرجاعُه لَهُم أحجى كَمَا سَوفَ يذكرُ متابعاً.

من جهةٍ أُخْرَى لاحِظْ عظم الداهيةِ، فَهْيَ عمياءُ!

وَهْيَ إشارةٌ إلى الأحاديثِ النبويّةِ الَّتي ذكَرَتِ الفِتْنَةَ «العَمْيَاءَ» فراجِعْهَا في المَلاحِمِ.

وانظر إلى قولِهِ: «**يشيبُ فِيْهَا الصغيرُ**» - إذْ يدلُّ عَلَى كُفرِ المجتمعِ في هذه الفِتْنَةِ العمياءِ لِقَولِهِ تَعَالَى:

﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧].

وَهْيَ آيَةٌ تشيرُ كَمَا هُوَ واضحٌ إلى المستقبلِ وَمَا يحدثُ فِيهِ.

وقوله: «**يكدحُ فِيْهَا المؤمن حتى يلقى ربَّه**» دليلٌ عَلَى أنَّ المُحرِّكَ للأحداثِ والموجِّهَ للسياسةِ فِيْهَا هُوَ عدوٌّ للمؤمنِ، إنَّه الشيطانُ نفسُهُ من خلالِ أعوانِهِ.

إذن.. فَهَذَا ليس شعوراً بالأولويةِ!

فبعد عبارةٍ واحدةٍ سَوفَ ينتهي النصُّ نفسُهُ بإلغاءِ المقايسةِ!

وَهْيَ العبارةُ الَّتي لم يأتِ بها «الكاتبُ» المفتري عامداً لأنَّها تنسِفُ كلَّ كتابِهِ المدفوعِ الأجرِ مقدَّماً.

وكَيفَ يُقاسُ اختيارُ الله مَعَ اختيارِ الخَلْقِ؟، ولذلك قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد هذه الفقرة مباشرةً:

«فيا للهِ وللشورى متى اعترَضَ الريبُ فيَّ مَعَ الأوَّلِ مِنْهُم حتّى صرتُ أقرنَ إلى هذه النظائر»

إنَّه يسمِّهيم «نظائرَ». . إنَّهُم نكراتٌ لا وزنَ لَهُم ولا قيمة!

ولكنَّها القوَّةُ والبطشُ وحبُّ الدُّنْيا الَّذي جعلهم حُكّاماً وملوكاً باسمِ الدِّين.

لقد كان المخطَّطُ يستهدِفُ قتلَهُ، وكانت بيعتُهُ لَهُم لَو علمتَ أيُّها الجاهلُ هِيَ الضربةَ الموجعةَ المدويَّةَ الباقية آثارها للآن!. . لأنَّ عليّاً لَو قُتِلَ فَلا قرآنَ ولا كتابَ ولا سُنَّةَ.

ولذلكَ فبقاءُ عليٍّ عليه السلام لا زالَ يغيظُكَ ويغيظُ الحاقدين عَلَى الدِّينِ من أمثالِكَ. . وإذا كنتَ لا تفهم فراجِعْ تاريخَ كتابةِ القرآنِ!

لقد تأخَّرَ ظهور القرآنِ إلى عهدِ عثمان. . فأجبني لِماذَا؟

أجبني يا فيلسوفَ الشُّورَى ومنظِّرَ النكراتِ!

أجبْ: لِماذَا تأخَّرَ ظهورُ دستورهِم ربعَ قَرنٍ مَعَ أنَّه مكتوبٌ أَصْلاً كاملاً من قبلِ أربعين من كُتَّابِ الوحي؟!

لقد أجبَرَهم عَلَى إظهارِ كتابِ الله رغم أنوفهم!

ألا تفهم؟!

إذا كنتَ لا تفهم للآن فادرُسْ القرآنَ حتّى تفهم!

لكني أعتقدُ أنَّه سيلعنُكَ حَيْثَمَا تقرأ! لأنَّك عدوٌّ لدودٌ لقرينِ القرآنِ!!

إذا لَمْ يكنْ عليٌّ عليه السلام يتحدَّثُ عن الخلافةِ الإلهيّةِ في هذه الخُطبةِ فَهْوَ إذن يتحدَّثُ عن الحُكْمِ الشخصيِّ لا غير!

ومثلُهُ إذن مثلُ أيِّ مرشَّحٍ للحكومةِ وله منافسون!

هَذا الَّذي تتحدَّثُ عَنْهُ ليس عليَّ بن أَبي طالبٍ أيُّها النكِرَةُ!

إنَّه شخصٌ آخرٌ لا نعرفه!

وَهَذا الَّذي تتحدَّثُ عَنْهُ ليس صاحبَ هذه الخطبةِ الَّذي نعرِفهُ جيِّداً محاطاً بهالةٍ من أحاديثِ صاحب الرسالةِ ﷺ أخرجها المبغضون!

وكلُّ واحدٍ مِنْهَا يحكمُ له بالخلافةِ الإلهيَّةِ..

ولذلكَ فكلامُكَ لا يدخلُ أُذنَ أحدٍ إلاَّ النكِراتِ أمثالِكَ!

والشيعةُ يحفظون عن ظهرِ قلبٍ هَذا المقطع بالذاتِ من الخطبةِ. وهم يلاحظون كلَّ مفرداتِ النصِّ وكلَّ ألفاظِهِ وكلَّ لفظٍ فِيهِ يفتحُ لَهُم باباً من المعرفةِ بحقيقةِ مَا جرى وراء الكواليس!.

لأنَّ علياً عليه السلام يخاطبُ فِيهِ شيعتَهُ الَّذينَ يعرفهم جيِّداً ويعرفونه، تعرَّفَ عليهم في عالمِ الأرواحِ قبلَ عالمِ الأجسادِ والأبدانِ، يخاطبهم بالجفرة وهم يفهمون جيِّداً مَا يقول!

يخاطبُهم كَمَا قَالَ هُوَ عبر الزمانِ وهم في الأصلابِ!

يعرفُ أسماءهم ونعوتهم وألقابهم قبل أنْ يَكُونَوا..

ولذلكَ كان يخطبُ يوماً فَقَالَ له رجُلٌ: أنا أحبُّكَ يا أمير المؤمنين. فَقَالَ له: صدَقتَ يرحمكَ الله!.. فَقَالَ أحد المنافقين لصاحبِهِ: انظر هَذا الرجُلَ مَا أكذبه يقولُ له رجُلٌ احبُّكَ فيقولُ له صدقتَ! والله أنت تعلمُ أني أبغضه وسأريكَ كذبه فإني سأقولُ له أحبّك يا أمير المؤمنين وسيقولُ لي صدقتَ يرحمكَ الله! فإنَّه لم يرني قبل اليوم. فدنا من المنبرِ وَقَالَ منادياً كَمَا فعلَ الأوَّلُ: أنا أحبُّكَ يا أميرَ المؤمنين!. فَقَالَ له عليٌّ عليه السلام: كذبتَ لعنةُ الله عَلَيْكَ!. فَقَالَ: لِماذَا تلعنني؟ أَوَليسَ قد قام رجلٌ فَقَالَ مثل قولي فصدَّقتَهُ وترحَّمتَ علي، فبأيِّ حقٍّ تُخْزيني دونَ صَاحِبي؟. فَقَالَ عليٌّ عليه السلام: كَذَبْتَ

أيُّها الخبيثُ!.. إنَّ الله خلقَ الأرواح قبلَ الأجساد بألفي عامٍ.. ووالله مَا رأيتُ روحَكَ في أرواحِ من أحبَّني!.

فأبشِرْ أيُّها المنافقُ بفاقرةِ الظهرِ بعد أن حاربتَ عليّاً وليَّ الله المبرَّأَ من الدَّنسِ وبعتَ نفسَكَ للشيطانِ بثمنٍ بخسٍ.

عذراً أيُّها القاريءُ فقد تركتُكَ وخاطبتُ هَذا الأفَّاكَ وَهْوَ لا يستحقُّ الخطابَ لأني أريدُ أن أخبركَ بِأَقْوَالِ أمير المؤمنين الَّتي نبذها هَذا الكذوبُ عامداً والتي سَتَكونُ هِيَ محورَ هَذا الكتابِ حيثُ تراها كلَّها تردُّ عَلَى أكاذيب الكاتبِ عَلَى هَذا الإمامِ العظيمِ. وسنجعلُ من كلِّ قولٍ له عليه السلام عنواناً مستقلاً ثمَّ نشرحُ مضمونه بالبينة المرتبطةِ بكتابِ الله وسنَّةِ رسولِهِ وبالتاريخِ المحقّقِ منه وبالواقعِ المُعاينِ لك الآنَ.

فمن هذه الأقوالِ لعليِّ بن أَبي طالبٍ عليه السلام:

أ - فمنها قوله عليه السلام:

وقَدْ قَالَ قائلٌ إنَّكَ عَلَى هَذا الأمرِ يا بن أَبي طالب لحريصٌ. فقلت بَلْ أَنْتُم والله لأحرصُ وأبْعَدُ وأنا أخَصُّ وأقْرَبُ وَإنَّمَا طلبتُ حَقّاً لي وَأَنْتُم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي دونَه فَلَمَّا قَرَعْتُهُ بالحُجَّةِ في الملأ الحاضرين هبَّ كأنَّه بهت لا يدري مَا يجيئني بِهِ.

نهج البلاغة/ الخطبة ١٧٠

فانظر أخي القارئ فَإِنَّهُ لا يقولُ هَذا حقٌّ عامٌّ، بَلْ حقٌّ خاصٌّ بِهِ وحده حالوا دونه وضربوا وجهَهُ دونه. وَلَكِنَّهُم حَيْثُ منعوه من هَذا الحَقِّ احتجُّوا بالقُربى، فاحتجّ عليهم بِهَا لأنَّهُ بالقربى أقربُ لإسقاطِ حجَّتهم الَّتي ادّعوها حَتَّى لا تبقى لَهُم حُجَّةٌ واحدةٌ، وإلاَّ فَكَيفَ يحاجِجُ المرءُ قوماً أنكروا مَا أنزلَ اللهُ، وأنكروا البيعةَ والعهدَ والوصيَّةَ. فَإِنَّهُم قالوا: لا تجتمِعُ العَرَبُ إلاَّ عَلَى رَجُلٍ من أوسطِهِم أقربهم إلى رسول الله من كُلِّ الوجوه.

ب - وَمِنْهَا قوله عليه السلام:

اللّٰهُمَّ أنَّكَ تعْلَمُ أنَّهُ لَمْ يكنْ الَّذي كَانَ منّا منافسةً في سلطانٍ ولا التماسَ شيءٍ من فضولِ الحطامِ وَلكنْ لنرُدَّ المعالِمَ من دينِكَ، ونُظْهِرَ الإصلاحَ في بلادِكَ فيأمنُ المظلومون من عبادِكَ وتُقامُ المُعطَّلَةُ من حدودِكَ..

نهج البلاغة/ الخطبة ١٢٩

فَمَاذَا يقولُ صنائعُ الطغاةِ في هَذا الكلام؟ أهو منافسةُ رجلٍ يرى في نفسِهِ الأولويةَ أسوةً بِغَيْرِهِ أَمْ أنَّهُ تضمَّنَ الإشارةَ الواضحةَ إلى كُفْرِ من سَبَقَهُ حَيْثُ:

١ - تنافسوا في السلطانِ.

٢ - التمسوا فضولَ الحطامِ.

٣ - غيّروا معالمَ الدِّينِ وَهْوَ يريدُ رَدَّ تِلْكَ المعالمِ.

٤ - أظهروا الفسادَ وَهْوَ يريدُ الإصلاحَ.

٥ - عطّلوا الحدودَ وَهْوَ يريدُ إقامةَ مَا عطّلوا من حدودِ اللهِ.

٦ - ظلموا الخَلْقَ وأرهبوهم وَهْوَ يريدُ إعادةَ الأمنِ إلى المظلومين.

٧ - إنه لَمْ يكنْ ينافسُ في الترشيح للحكومة!. ولو كَانَ كَذَلِكَ لأعرض عَن الترشيح لأنَّ الدُّنيَا لا تساوي عنده بِمَا في ذَلِكَ هَذا الكاتب الدعيّ.. لا تساوي عفطة عنزٍ! كَمَا قَالَ هُوَ عليه السلام. ولا يحتاجُ عليٌّ الَّذي اكتفى بـ«طمريه وقرصيه» حسب تعبيره إلى دست الحُكْمِ لِهَذِهِ الغايَةِ الدنيئةِ الوضيعةِ الَّتي يحتاجها دَوْمَاً من يشعرُ بالنقصِ ويرغب بالتسلُّطِ عَلَى العبادِ.

أليست هَذِهِ الفقراتُ كلُّها مزبورةً في هَذا الخطابِ عَلَى قصرهِ أَمْ أنت لا ترى ولا تبصر. بلى أنت لا ترى قط حَتَّى تدخل قعرَ جهنَّم، لأنَّك مثلُ أسلافك وأشياعك الَّذينَ أخبر الله تَعَالَى عَنْهُم حَيْثُ يحسبون وهم عَلَى شفير جهنَّم أنَّ أبصارَهم سُحِرَت فيقول المنادي:

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥].

ج - وَمِنْهَا قوله عليه السلام

اللَّهُمَّ إني أستعديكَ عَلَى قُريشٍ ومن أعانَهُم فَإِنَّهُم قَطَعوا رَحْمي وصغَّروا عظيمَ منزلَتي وأجْمَعوا عَلَى منازعَتي أمراً هُوَ لي.

نهج البلاغة/ الخطبة ٢١٥

فَكَيفَ تقولُ أيها الأفَّاكُ الكذوبُ أنَّ علياً كَانَ يؤمنُ بالشورى ويرى صحَّةَ خلافةِ الكفرةِ المارقين قبله وَلِذَلِكَ بايعهم[1] وأنه لا يؤمن بالوَصيَّةِ؟.

ألا تراه ضمَّنَ هَذا النصَّ: يقول

١ - إنَّهم عدوٌ لَهُ وَهوَ عدوٌ لَهُم وَهوَ يشتكي إلى الله، ويطلب منه أنْ يَكُونَ عدواً لَهُم فيقولُ: «**إني أستعديكَ عَلَى قُريشٍ ومن أعانَهم**»؟!

٢ - ألا ترى أنَّه يقول: «**إنَّهُم قطعوا رحمي**»، ورحمُهُ هِيَ رَحْمُ رسول الله، فهم قطعوا رحْمَ رسولِ الله!

٣ - ألا ترى أنَّه يقول: «**وصغَّروا عظيمَ منزلتي**»، لأنَّ الشُّورَى سَاوَت بَيْنَ الرجسِ والطاهرِ، وجعلت الكافِرَ والمؤمِنَ عَلَى قَدَمِ المساواةِ في الترشيحِ؟!.

٤ - ألا ترى أنَّه يقول: «**أجمعوا على منازعتي أمراً هُوَ لي**». فالخلافَةُ لَهُ خاصَّةً، وَمَا كَانَ ليقولَ ذَلِكَ ويكذبَ عَلَى الملأ لَولا عِلْمُ الجميعِ أنَّها لَهُ خاصَّةً، وَلِذَلِكَ لَمْ يجِبْهُ أحَدٌ ولا اعترَضَ عَلَيْهِ مخلوقٌ كلَّما كرَّرَ هَذا الكلام.

ولكنكم تقولون: «لِماذَا إذن لَمْ يقاتلهم؟»!

فتباً لكم!!..

لقَدْ كَانَ عَلَيْكُم أن تقولوا: «لِماذَا إذن لَمْ يولُّوه عليهم وخالفوا أمْرَ مولاهم».

---

(١) سيأتي إيضاح للفرق بَيْنَ البيعة بالإكراه والبيعة طوعاً.

فإنَّكم تحسبون الإمامَةَ الإلهيَّةَ مِثْلَ المناصبِ الدنيويَّةِ، وفاتَكُم أنَّ الإمامةَ هِيَ مِثْلُ أيِّ حُكْمٍ شرعيٍّ في الدِّين، ولا إكراه في الدِّين كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فالإمامُ الإلهيُّ المنصوصُ عَلَيْهِ من الرَبِّ والمُعَيَّنِ من الرسول ﷺ لا يجبِرُ الخَلْقَ، ولا يقاتلُهم من أجلِ الإمامةِ، لأنَّها أمْرٌ إلهيٌّ. وَأَنْتُم تريدون أنْ يحتلَّ دارَ الإمارَةِ بالقوَّةِ..

فَيَا لَكُمْ من أغبياء وحمقى!

بَلْ إذا شَاءَ الخَلْقُ أنْ يطيعوا مولاهم فَهَذَا خيرٌ لَهُم في الدُّنْيَا والآخرة، وإن شاؤوا العصيانَ عَاقَبوا أَنْفُسَهُم وذراريهم بِأَنْ يَكُونُوا تَحْتَ مطرقَةِ الفِتَنِ والظُّلْمِ والقَهْرِ.

فَمَا أضحكني بعدما أبكاني شيءٌ مثْلُ عقولِ هَؤُلاءِ المعترضِينَ، لأنَّ الإمامَةَ لَيْسَتْ منصباً دنيوياً، والإمامُ لا يذهب باحثاً عَن الإمامَةِ وعن المطيعين، بَلْ الخَلْقُ عليهم أنْ يأتوه مذعنين، فإذا لَمْ يأتوه تألَّمَ لَهُم وعليهم لا عَلَى المنصبِ والرئاسةِ، وَهْوَ منفِّذٌ لمشيئَةِ الله تَعَالَى، وَلَيْسَ هُوَ شخصاً من مثل أئمَّتِكُم حَتَّى تقيسوا عَلَيْهِ. وألاّ فَلِمَاذَا نقول هُوَ إمامٌ بتنصيبٍ من الله إذا كَانَ مثلَ أَبي بكر وعمرٍ.. واحِدٌ يضَعُ يَدَهُ في يَدِ الآخرِ يقول لَهُ: لا أنتَ أكبرُ مني سناً. فإذا ماتَ الأوَّلُ دفَعَها إلى الثاني بلا شُورَى مزعومَةٍ أو غير مزعومةٍ.

وَلَيْسَ هَذا الإمامُ الإلهيُّ مثْل أَبي بكر إمامكم الَّذي قَتَلَ مالك بن نوير بعدما أعطاه وقومَه الأمانَ، ثم يغدر بِهِم لأنَّهُمْ منعوا الزكاة، وأجْبَرَ الخلق عَلَى البيعةِ حَتَّى حملوا علياً مكتوفاً بسلاسلِ الحديدِ وجاؤوا بالمشاعِلِ

لإحراق دارِهِ. فَقَالَ بعضُ الناس: «فِيْهَا فاطمة!» فَقَالَ عمرٌ: «وإنْ!»، فَقَالَ قائلٌ: «إنَّ فِيْهَا الحسنَ والحسينَ!»، فَقَالَ عمرٌ: «وإن!».

أَمْ أَنَّكَ ستكذِّبُ هَذِهِ القصَّةَ الَّتي ذَكَرَها كُلُّ المؤرخين وهم من أئمتكم ودافعوا عَن أَبي بكر بزعمهم أنَّ الإمام لَهُ الحَقُّ في حَمْلِ الخَلْقِ عَلَى البيعةِ والطاعةِ لكي تجتمعَ الكَلِمَة!.

فالإمامُ الإلهيُّ لا يجبرُ أحداً عَلَى البيعةِ والطاعةِ، لأنَّ حُكْمَهُ هُوَ ذاتُهُ حُكْمُ الله، والله تَعَالَى لا يجبرُ، وَإِنَّمَا يحاسِبُ يوم القيامة، وفي الدُّنْيَا يعاقِبُ بالفِتَنِ والبلاء. ولو شَاءَ أن يجبرَ الخَلْقَ لما احتاجَ أمرُهُ إلى الإمامِ، بَلْ ولا إلى الرُّسُل والأنبياءِ، ولكانَ أجبرَ الخَلْقَ بقُدْرتِهِ الَّتي خضعَتْ لَهَا السمواتُ والأرضُ، واندكَّتْ لَهَا الجبالُ وتضعضعت لَهَا قوائمُ الكرسيِّ.

فَمَا أغبى عقولكم حَيْثُ تقارنون الإمامَ المعيَّنَ من الله بأئمَّةِ الشيطان!

فمن الطبيعي أَنَّكُم لا تَفْهَمونَ مَا يفعلُهُ عليٌّ بن أَبي طالبٍ، وترون أَمْرَهُ عجيباً، إِذْ كيف يكتِّفونَهُ بالحَديدِ وَهْوَ الَّذي فرَّ منه جيشُ حُنينٍ، وجَنْدَلَ عَسْكَرَ الأحزابِ في «الخندقِ»، ووَصَلَ صدى ضربتِهِ في «خيبرَ» إلى الملأ العلوي؟.

فَهَذَا عِنْدكُم عجيبٌ جِدَّاً لأَنَّكُم عبيدُ الشيطانِ فَلا تَفْهَمونَ سِوَى عمل الشياطين.

فاتركوا هَذا والتهوا أيُّها القومُ بأموالِكم ودنانيركم وأئمَّتِكم، فإنَّكم أبْعَدُ الخَلْقِ عَن فَهْمِ الأسرارِ الإلهيَّةِ والكراماتِ الرساليَّةِ وغرائبِ الأنوارِ المحمديَّةِ..

دعوا هَذا لأهله.. فإنَّكم في وادٍ وهؤلاء في وادٍ آخر...

إنَّكم لا تَفْهَمونَ هَذِهِ الأسرارَ ولا تفرِّقون بَيْنَ حالٍ لاذَ فِيهِ مُحَمَّدٌ ﷺ بالفرار والهجرة، وحالٍ آخر ارتقى فِيهِ أطباقَ السماءِ فاهتزَّتِ السِّدرَةُ، ولا بَيْنَ

حالٍ حُمَّ فِيهِ النبيُّ حَتَّى كادَ يموتُ وحالٍ آخر أحيا بِهِ بتفلتِهِ المُباركَةِ من كادَ يموت، ولا بَيْنَ حالٍ ولَّى فِيهِ موسى عليه السلام لائذاً بالفرار فَقَالَ: «**فَفَرَرْتُ مِنْكُم لَمَّا خِفْتُكُم فَوَهَبَ لي ربِّي حُكْماً**»، وبَيْنَ حالٍ أحدَثَ فِيهِ فرعونُ عَلَى نفسِهِ غرقاً من عصاه.

د - وَمِنْهَا قوله عليه السلام:

أيُّها الناسُ أنشدُكُم الله أتعلمون أنَّ رسولَ الله قَامَ خطيباً فَقَالَ: أيُّها الناسُ إني تارِكٌ فيكم الثقلين: كتابَ الله وعترتي أهل بَيْتِي فتمسَّكوا بهما لَنْ تضلُّوا فإنَّ اللطيفَ الخبيرَ أخبرني وعَهَدَ إليَّ أنَّهما لَنْ يفترِقا حَتَّى يَرِدَا عليَّ الحوضَ فقَامَ عُمَرُ بن الخطاب شبه المغضبِ فَقَالَ: يا رسول الله أكُلُّ أهلِ بيتك؟ فَقَالَ: لا وَلكن أوصيائي مِنْهُم أوَّلُهم أخي ووزيري ووارثي وخليفتي في أمَّتي ووليُّ كُلِّ مؤمنٍ بعدي هُوَ أوَّلُهُم ثمَّ إبني الحسن ثمَّ إبني الحسين ثمَّ تسعةٌ من ولد الحسين واحد بعد واحد حَتَّى يَرِدوا علي الحوضَ شهداء الله في أرضِهِ وحجَّته عَلَى خَلْقِهِ وخُزَّان عِلْمِهِ ومعادِنَ حِكْمَتِهِ من أطاعَهم أطاعَ الله ومن عصاهم فقَدْ عصى الله؟؟

فقالوا كلُّهم «واللفظ لابن حجر في الصواعق»: نَشْهَدُ أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله قَالَ ذَلِكَ. قَالَ: ثُمَّ تمادى عليٌّ في السؤال فَمَا تَرَكَ شيئاً إلاَّ ناشدَهُم فِيهِ حَتَّى أتى عَلَى آخرِهِ وهم في كُلِّ ذَلِكَ يصدِّقونه ويشهدون أنَّه حقٌّ.

الصواعق المحرقة(١)

فَكَيفَ تقولُ أيُّها الأفَّاكُ الكذوبُ إنَّ علياً لا يؤمِنُ بالوَصيَّةِ، وإنَّ الوَصِيَّةَ كَانَتْ شخصيَّةً محضَةً تخصُّ العائلةَ النبويَّةَ؟، وكَيفَ تَزْعَمُ أنَّ الإمامةَ الإلهيَّةَ

---

(١) الصواعق المحرقة/ محاججة علي للصحابة - فابحث عَنْهُ في العنوان لاختلاف الطبعات.

هِيَ من صُنْعِ المتكلِّمين؟، وأين هُمْ المتكلِّمونَ يومئذٍ وَهَذا الخطابُ والمناشدةُ حَصَلَتْ في أواخِرِ عَهْدِ عمر أو أوائل عهد عثمان؟.

هَذِهِ قائِمَةٌ بمصادرِ هَذا النصِّ الَّذي رواه أئمَّةٌ وحفاظُ السنَّةِ الَّذينَ يؤمنون بـ «الشُّورَى».. والذين لَمْ يجرؤْ أحَدٌ مِنْهُم من قبل عَلَى إنكارِ الوَصِيَّةِ والإمامَةِ، بَلْ أشاروا إليه باسمِهِ الشريفِ «الإمام علي» في كُلِّ كتبِهِم، وكتبوا بعده «عليه السلام» خلافاً للبقيَّةِ الَّذينَ يكتبونَ بعد أسمائهم «رضي الله عنه»! إِذْ هُوَ دعاءٌ فَكَأَنَّهُم يشيرون إلى عَدَمِ العِلْمِ برضا الله عَنْهُم، وكلُّ من هُوَ غير معصومٍ تدعو لَهُ بِهَذا الدعاء. أمَّا الرُّسُلُ والأنبياءُ وخلفاءُ الله فيقال لَهُم عليهم السلام.. وكلُّ مَا فَعَلَهُ أهلُ السنَّةِ هُوَ تبريرُ فعْلِ الثلاثة واستلابهم الخلافة، وغايَةُ مَا أرادوا إثباتَهُ هُوَ أنَّهُم اجتهدوا بحسنِ نيَّةٍ لاعتقادِهِم أنَّ العَرَبَ تعصي الإمامَ. وَهُوَ تبريرٌ مكشوفُ الزيفِ، وَلِذَلِكَ كانوا يكتمون تشيّعَهم. ولو بحثت عَنْهُم جيِّداً لوجدتَ أكثرهم من الشيعَةِ الحقيقيين بشرْطِ أن تُخْضِعَ عباراتِهِم للتحليلِ الدقيقِ للجُمْلَةِ، ولا تنخدِعَ بالألفاظِ المجاورَةِ الَّتي كَانَتْ بمثابَةِ «جوازٍ» لانتشارِ مؤلَّفاتهم، بَلْ تهتَمُّ بالموضوعِ والمضمونِ. فَإِنَّهُم رحمهم الله أشاروا إلى كُفْرِ الثلاثة بالتلميحِ دونَ التصريحِ ووضعوا عَلَى أسمائِهِم عبارَةَ «رضي الله عنه» لمخادعَةِ السلطات لا غير.

وَلكن رَانَ عَلَى العقولِ غباءٌ مستحْكِمٌ مَنَعَ الناسَ من فَهْمِ هَذِهِ الإشاراتِ

أمَّا هَذا الكاتبُ المنافقُ فقَدْ جَاءَ بِمَا هُوَ من إشراطِ الساعة حَقّاً، فَإِنَّهُ نَسَبَ الشُّورَى والقولَ بِهَا لصاحبِ الوَصِيَّةِ نفسِهِ.. فَمَا أكذبه!!.

هَذِهِ القائمَةُ بأصولِ حديثِ المناشدَةِ والذي ذكروا منه مقتطفاتٍ كثيرةً ومختلِفَةً. وَلكنَّ مَا أثبتناه كَانَ مُشتركاً وَهْيَ المناشدَةُ بالوَصيَّةِ والإمامةِ والنصِّ عَلَى اثني عشر إمَامَاً أولهم علي عليه السلام، وَلِذَلِكَ اختار كُلُّ واحدٍ من علماء السنَّةِ جزءاً من حديث المناشدة. فمن هَذِهِ المصادر:

١ - كتاب المناقب للخوارزمي/ ص٢١٧.

٢ - كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر/ ص٧٧.

٣ - كتاب فرائد السمطين للحمويني الشافعي/ ج١/ ب٥٨.

٤ - كتاب ينابيع المودة لسليمان القندوزي الحنفي/ ص١١٤.

هَؤُلاءِ أخرجوا حديثَ المناشدةِ كاملاً وفيه ثمان وعشرون مناشدة. وَأمَّا الَّذينَ أخرجوا فقراتٍ منه بحسب عناوينهم فهم:

٥ - كتاب المناقب للخوارزمي/ الفصل ١٩/ ص٢٤٦.

وفيه المناشداتُ الخاصَّةُ: إنَّه أَوَّلُ الموحِّدين، إنَّهُم ليسَ فيهم صهرٌ كصهره ولا أخٌ كأخيه ولا عمٌّ كعمِّهِ ولا زوجةٌ كزوجتِهِ ولا سبطان كسبطيه، وإنَّهُ صاحبُ الولايةِ وصاحبُ الراية ومن سلَّمَت عَلَيْهِ الملائكةُ... إلى آخر مَا ذكره.

أقولُ: الاحتجاجُ بالأرحامِ والقُربى إنَّمَا هُوَ للرَدِّ عَلَى قواعِدِهِم الجاهليَّةِ، فَإِنَّهُم يتفاخرون بِذَلِكَ، فإذا كانوا صادقين بِهَذِهِ المفاخرةِ مَعَ الإيمان بالرسول تنتقلُ صلةُ الأرحام إلى النبيِّ، ويكون هُوَ الفائزَ أَيْضَاً وفق قواعدِهِم، وغايتُهُ من ذَلِكَ إجبارُهُم عَلَى أحَدِ أمرين: إمَّا أنْ يشهدوا لَهُ بالإمَامَةِ، أو أنْ يشهدوا عَلَى أنفسهم بالكفرِ. وقَدْ فهموا المرادَ، وَلِذَلِكَ كانوا يشهدون لَهُ بالإمَامَةِ دوْمَاً ولا يَردُّون عَلَيْهِ قط ولا نَعْلَمُ شيئاً وَرَدَ في التاريخ أنَّهُم رَدُّوا احتجاجَهُ.

ثمَّ نلاحِظُ أنَّه عليه السلام يحاججهم بِكُلِّ العناصرِ المرتبطةِ بالإمَامَةِ مرّةً واحدةً كَمَا في هَذا الحديثِ الَّذي ناشدهم فِيهِ بثمانٍ وعشرين قضيَّةً كُلٌّ مِنْهَا تدُلُّ عَلَى إمامَتِهِ المنصوصَةِ، وكلُّها منسوبَةٌ لصاحبِ الرسالةِ أو للقرآن بتفسيرٍ من النبيِّ صلى الله عليه وآله.

وَلكنَّ الكاتبَ الكاذبَ كَانَ ينتقلُ من فكرةٍ إلى فكرةٍ لضعْفِ الأولى وعَدَمِ صلاحيتها للاحتجاج!

طَبْعَاً. . فإنَّ المرءَ لا ينقلُ الاحتجاجَ من فكرةٍ إلى فكرةٍ لضعْفِ الأولى، بَلْ لإجبارِ ضعْفِ إيمانِ الخصم الَّذي استهواه الشيطان. ولو أخذنا بقولِكَ لكانَ احتجاجُ القرآنِ المُكرَّرُ سبع مرات في سورة الروم والمبدوء كُلٌّ مِنْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى «ومن آياته» كذا وكذا. . أنَّهُ ينتقِلُ إليه لضعفِ الحجَّةِ الأولى فيأتي بالأخرى!.

٦ - مدارك التنزيل للنسفي/ج٤ من تفسير الخازن/ ص٢٤٢، وفيه المناشدَةُ الخاصَّةُ بآيةِ المناجاة.

٧ - جامع الترمذي/ج٢/ ص٤٦٠، وفيه المناشدة بحديث الطير.

٨ - الرياض النضرة/ للمحبِّ الطبري والذخائر عَلَى الترتيب ص١٨٤ من ج٢/ وص٧٢، وفيه المناشدة بحديث الراية.

٩ - البخاري في صحيحِهِ في أربعة مواضع هِيَ: ج٢/ص٣١٠ باب اللواء، وج١٤/ ص٣٨٥، وج١٦/ ص٤٥٠ باب الغزو، وج١٢/ ص٣٤٠ باب المناقب وفيه المناشدَةُ بحديثِ الرايةِ.

١٠ - صحيح مسلم ج٢/ ص٣٢٤، وفيه المناشدة بحديث الراية وَهْوَ جزء من هَذِهِ المناشدة المبدوءة بالنصِّ الآنفِ.

هَذا وقَدْ تركْتُ الكثيرَ من المصادرِ. وللمزيد تجِدُ بعضَها الآخر في كتاب «علي والوصيَّة» تأليف نجم الدِّين الشريف العسكري حَيْثُ فصَّلَ فِيهِ القولَ من صفحة ٧٢ إلى صفحة ١٣٠ وَذَكَرَ كُلَّ مَا يتعلَّق بحديث المناشدة وَهْوَ في كتابه الحديث المرقم «٣٣».

هـ - وَمِنْهَا قوله عليه السلام:

. . . فقُلْتُ أتخلِّفُني يا رسول الله في النساءِ والصبيانِ؟، وبكيتُ، فَقَالَ أما ترضى أنْ تكُونَ مني بمنزلة هارون من موسى ألا أنَّكَ لسْتَ بنبيٍّ أنه لا ينبغي أن أذهب إلاَّ وَأَنْتَ خليفتي.

وَهُوَ عليه السلام يحتجُّ عليهم بِهَذا القولِ للخلافَةِ الإلهيَّةِ.

أقولُ: نَقَلَ هَذا الحديثَ حُفَّاظُ السنَّةِ وأهلُ الشُّورَى قبل وجودِ شيءٍ اسمُهُ عِلْمُ الكلامِ عَن التابعينَ والتابعينَ لَهُم بإحسانٍ عَن الصحابةِ. وَلِذَلِكَ أثبَتوه، ومنه يظهَرُ كذبُ هَذا الأفَّاكِ حَيْثُ يزعَمُ أنَّ الوَصِيَّةَ عائليَّةٌ شخصيَّةٌ. فيفَنِّدُ هَذا النصُّ هَذِهِ الدعوى خصوصاً، لأنَّهُ لا يقول لَهُ: **«خلَّفتُكَ في النساءِ والصبيان»**، بَلْ يقول لَهُ: **«أنت منِّي بمنزلةِ هارون من موسى»**، وقَرَنَ ذهابَهُ ببقاءِ عليٍّ وخلافتِهِ لَهُ. وَكأنَّ غيابهما معاً، هُوَ غيابٌ للدّينِ، وَلَمْ يستثْنِ صلى الله عليه وآله سِوَى النبوَّة.

فمن يُصَدِّقُ بقولِ المنافقينَ بعد ذَلِكَ؟.

وَهَذا الحديثُ أجْمَعَ عَلَيْهِ الناسُ الَّذينَ اختلفوا ظاهرياً في عليٍّ عليه السلام حَيْثُ رواه السنَّةُ والشيعَةُ.

فاختلافُهُم هُوَ العجيبُ بعد إجماعِهِم عَلَى وجودِ كلامٍ للنبي صلى الله عليه وآله بِهَذا المَعْنَى!.

مصادر الحديث:

١ - الصحيحُ لمسلم ج٢/ ص٣٢٣ - ج٢/ ص٣٢٤.

٢ - صحيح الترمذي ج٢/ ص ٤٦٠ - ٤٦١.

٣ - المستدرك عَلَى الصحيحين للحاكم ج٣/ ص١٠٨.

٤ - صحيح البخاري ج١٤/ ص ٣٨٦ و ج١٧/ ص ٤٧٥.

٥ - الخصائص للنسائي ص١٨ و ص٢٨.

٦ - السنن لابن ماجة ج١/ ٢٨.

٧ - سنن ابن داود ج١/ ص٢٩.

٨ - مسند أحمد بن حنبل ج١/ ١٧٠/ ١٨٥/ ٣٣١ وج٣/ ص٣٢ وج٦/ ص٣٩٦.

٩ - البدايةُ والنهايةُ لابن كثير ج٧/ ص٢٣٩، وص٣٤٠.

هَذا. . وله ذِكرٌ في كلِّ كتبِ الفضائلِ والمناقبِ، وَهْيَ تربو عَلَى ثلاثمائةِ كتابٍ في عليٍّ ابن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ عدا كتب الشيعةِ.

تنبيــــهٌ:

ألا ترى أيُّها القاريءُ الكريمُ أنَّ معاجزَ عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مستمرَّةٌ ولم تتوقَّفْ لحظةً واحدةً؟.

فإنَّ الَّذي ألهمَهُ الله هَذا السؤالَ عن الخلافةِ عَلَى النساءِ والصبيانِ لَيعلم أنَّ الزمانَ سيجودُ عَلَى الأمَّةِ بمثلِ هَذا الدَّعيِّ الَّذي يزعمُ أنَّ الخلافةَ عائليَّةٌ في النساءِ والصبيانِ والوصيَّةَ شخصيَّةٌ!. . لِذَلِكَ سأل عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**أتخلفني يا رسول الله في النساءِ والصبيانِ؟**».

نعم. . إنَّ رجلاً يدورُ معه الحقُّ حَيْثَمَا دارَ لهوَ أكبرُ من أن يُقرَنَ إلى هذه النظائرِ. ويبقى قولُ الله ورسولِهِ مُبطِلاً للبِدَعِ في كلِّ زمانٍ.

ولذلكَ كلِّهِ. . فحينما حَكَمَ الأشباهُ والنظائرُ من غيرِ مشورةِ المؤمنينَ قامتْ المعارَضَةُ عَلَى السلطةِ القرشيّةِ المُسنَدَةِ من قبيلِ اليهود والروم بأحلافٍ سرِّيةٍ ومعاهداتٍ خفيَّةٍ تستَّرَ عَلَيْهَا المجرمون وظهرَتْ رائحتُها العفنةُ فيما بعدُ من خلالِ فلتاتِ ألسنةِ المؤرِّخين وعِبَرِ الأحداثِ. .

ولكنَّ هذه الأمَّةَ لا زالتْ تزوِّرُ وتكذِّبُ وتماري في الحقِّ. .

فَلِمَاذَا اتَّفقت كلمةُ العربِ عَلَى محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ واختلَفتْ بشأنِ أبي بكرٍ؟.

هل ارتدَّت العربُ فعلاً يا أبناءَ المكذِّبين أَمْ كانوا معارضةً سياسيةً عَلَى حكومةٍ لا شرعيَّةٍ؟

وَلِماذَا لَمْ يخرجْ عليٌّ بن أَبي طالبِ وجملةُ بني هاشمٍ وشيعةُ عليٍّ لمقاتلةِ هَؤُلاءِ المرتدِّين إن كانوا فعلاً مرتدِّينَ عن دينِ الإسلام؟

وَهَلْ يُعقَلُ أنَّ هَؤُلاءِ كلَّهم يخشونَ سطوةَ النبيِّ ﷺ حتَّى إذا غابَ استغلّوا «ديمقراطيّةَ أَبي بكرٍ» و «رقَّةَ قلبِهِ» الَّتي بلغتْ حدَّ أن يُحرِقَ المعارضينَ بالنارِ أسوةً بالكفرَةِ الَّذينَ فعلوا فعلَتَهم بأصحابِ الأخدود؟!

أَمْ أَنَّكُم لا ترون مَا في التاريخِ ولا تُبصرونَ الأحداثَ؟!

لقد بلغَ طغيانُ أَبي بكرٍ أَنَّه أجبَرَ أسرى المعارضةِ عَلَى الإقرارِ بأنَّ «قتلاهم في النار وقتلى جيشِ أَبي بكرٍ في الجنَّةِ» فتَصوَّر!!

وكأنَّ هَذا الطاغيةَ له صلاحيَّةٌ بلغت حدَّ أنْ يحِلَّ محلَّ «رضوان» و«مالك» خازن الجنّةِ والنارِ.

بَيْنَمَا النبيُّ ﷺ نفسُهُ لَمْ يقُلْ هَذا، لأنَّ من **«قاتلَ لامرأةٍ يصيبها أو مالٍ أو لأجْلِ حلفٍ فَهْوَ لمن قاتلَ لأجلِهِ»**، وَإِنَّمَا وضَعَ قانوناً عامَّاً مفادُهُ أنَّ من قُتِلَ في سبيلِ الله فَهْوَ في الجنَّةْ، وسواه إلى الله إنْ شَاءَ عذَّبَهُ وإنْ شَاءَ غَفَرَ له، والكافِرُ في النارِ.

لقد ارتدَّتْ حسب زعمهم العربُ كلُّها إلاَّ قريشُ!

ولو لاحظنا أحداثَ الردَّةِ لوجدناها أكذوبةً، بل الردَّةُ هِيَ في قريش. وأمَّا العربُ فقد بقيَت عَلَى الأمر الأوَّلِ.. ولكنَّ بعضَ الكفَرَةِ استغلَّ الأحداثَ والانقسامَ فادَّعى النبوَّةَ، وتوجَدُ معلوماتٌ أُخرَى تقولُ أنَّ المدَّعينَ للنبوَّةِ أُرسِلوا من قبلِ القيادةِ الجديدةِ أَصْلاً باتِّفاقٍ مَعَ اليهود، وذلِكَ لإسنادِ محاربتهم لَهُم بسَنَدٍ شرعيٍّ، وأنَّ المتابعينَ لمسيلمة الكذّاب وسجاح قد وقعوا بين فكَّينِ، وأنَّ القيادةَ الجديدةَ ضحكت عليهم حيثُ حرَّضتهم عَلَى الردَّةِ ودفعت لَهُم الأموالَ وغدَرَت بِهِم فأبادتهم!!.

وَهَكذا هُوَ الأمرُ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

فأجبني يا كاتبَ الترهاتِ.. كيفَ تفسِّرُ ارتدادَ العربِ كلها مَا عدا قُريش؟

أَهَذَا ناتجُ شوراكَ الَّتي تُدَافِعُ عَنْهَا؟ أَمْ الأصحُّ أنَّ قريشاً كفرَتْ وبدَّلَت نعمة الله، وَهْوَ الظاهرُ في كلامِ أميرِ المؤمنين المبدوء بِقَوْلِهِ: «**إنَّ قريشاً قطعوا رحمي..**» إلى آخر الفقرةِ الَّتي ذكرنَاهَا!

أَمْ تحسبُ أنَّنا نتَّفِقُ معكَ في مَا تدرِّسونه للطلاَّبِ منذ أربعة عشر قرناً من وجودِ ردَّةٍ عادت إلى الدِّينِ بفضلِ أَبي بكرٍ؟

إنَّ الله تَعَالَى يقولُ:

﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩].

نَعم.. إنَّكُم تتعبون أنفسَكم فقط، فإنَّ الباطلَ لا يختلِطُ بالحقِّ ولو استمرَّ الخلْطُ مليون سنةً لا أربعةَ عشر قرناً!

قَالَ ابن الأثير في كاملِهِ:

«.. **فإنَّه لمَّا ماتَ النبي ﷺ ارتدَّت العربُ وتضرَّمتَ الأرضُ ناراً وارتدَّت كلُّ قبيلةٍ عامَّةٍ وكلُّ قبيلةٍ خاصَّةٍ إلاَّ قريشاً وثقيفاً**»(١).

ألا تَفْهَمونَ هذه المعاني الَّتي يشير إليها المؤرِّخونَ؟

ألا تَشْتَغِلْ عقولُكُم بحسبِ التصميمِ الَّذي أرادهُ الله لَهَا؟

إذن.. فقولُ عُمر: «لا تجتمِعُ العربُ عَلَى أنْ تَكُونَ النبوَّةُ والخلافةُ في بيتٍ واحدٍ» هُوَ قولُ الشيطان المضادِ لقولِ الرحمن، لأنَّ الرحمن يعلمُ اجتماعها عَلَى هَذا البيتِ كَمَا اجتمعت لمحمّدٍ ﷺ، ذلك أنَّ الله هُوَ الَّذي أَلَّفَ بينهم:

---

(١) الكامل ج٢/ ٢٣١ - باب أخبار الرِّدة.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وَأَنْتُم تقولون: «أَلَّفَ بين قلوبِهم أبو بكر وعمر»، فكفرتم هُنَا أَيْضاً حيثُ تردُّونَ أمرَ الله بأمرِ طواغيتكم وأئمَّتِكم قادةِ الضلالةِ.

هذه عناوينُ المناطقِ «المرتدَّةِ» حسَبَ زعمِهِم من كُتُبِ التاريخِ «وَهَذِهِ القائمةُ من الكامل لابن الأثير» وَهْيَ تُعادُ نفسُها تقريباً عند الطبري وسواه من المؤرِّخين:

١ - خبر ردَّة طيء وأسد.	الكامل/ج٢/ ص٢٣١.
٢ - خبر ردَّة طليحة الأسدي وغطفان.	الكامل/ج٢/ ص٢٣٢.
٣ - خبر ردَّة عامر وذبيان.	الكامل/ج٢/ ص١٣٤.
٤ - خبر ردَّة عامر.	الكامل/ج٢/ ص١٣٦.
٥ - خبر ردَّة هوزان وسليم.	الكامل/ج٢/ ص٢٣٧.
٦ - خبر ردَّة تميم مَعَ سجاح.	الكامل/ج٢/ ص٢٤٠.
٧ - خبر ردَّة مالك بن نويرة وأهل البطاح.	الكامل/ج٢/ ص٢٤٢.
٨ - خبر ردَّة أهل اليمامة مَعَ مسيلمة.	الكامل/ج٢/ ص٢٤٤.
٩ - خبر ردَّة أهل البحرين.	الكامل/ج٢/ ص٢٤٩.
١٠ - خبر ردَّة أهل عمان ومهرة وناجية وراسب وعبد القيس وسعد العشيرة.	الكامل/ج٢/ ص٢٥٢.
١١ - خبر ردَّة اليمن: صنعاء وتهامة وأهل الساحل.	الكامل/ج٢/ ص٢٥٤.
١٢ - خبر ردَّة نجران وبجيلة.	الكامل/ج٢/ ص٢٥٥.
١٣ - خبر ردَّة اليمن الثانية.	الكامل/ج٢/ ص٢٥٥.
١٤ - خبر ردَّة حضرموت وكندة.	الكامل/ج٢/ ص٢٥٦.

أقولُ: قتلوا في هذه المواقعِ الألوفَ وأهلكوا الحَرْثَ والنَّسلَ ووقعت فِيْهَا فضائعُ مخزيَّةٌ خاصَّةً في اليمن والبحرين والنصارى من نجران وأصحاب مالك بن نويرة، وتفنَّنوا في القتلِ والتعذيبِ، ولذلك وَرَدَ قولُ أميرِ المؤمنين الَّذي يشيرُ إلى الظُلْمِ وغيابِ الأمنِ وتعطيلِ الحدودِ..

فافهموا التاريخَ أوَّلاً والقرآنَ ثانياً وكلامَ الأولياءِ ثالثاً قبل أن تؤلِّفوا الكُتُبَ يا أولادَ الخنا والعارِ وشُذَّاذِ الآفاقِ وزُبالةِ تاريخِ الأمَمِ.

فبكم وحدكم أصبحَتْ هذه الأمَّةُ أضحوكةً وألعوبةً بيد اليهودِ والمارقين إلى هَذا اليوم.

تنبيــهٌ:

انتبه أخي القاريء إلى قولِهِ تَعَالَى:

﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣]

مرادُهُ تَعَالَى أنَّ الإنفاقَ لا يؤلِّفُ قلوبَهم لَو أعطيتَهم حرِّيةَ الاختيارِ الَّذي منحه الله لَهُم. ومعلومٌ أنَّ التأليفَ بحدِّ السيفِ وبالبطشِ والإرهابِ ممكنٌ وليس مُحالاً، ويقدِرُ عَلَيْهِ كلُّ الطغاةِ الَّذينَ لا زالوا يؤلِّفونَ الناس بالحديدِ والنارِ. ولكنَّ هَذا ليسَ مرادَ الله، إِذْ لَو شَاءَ أن يجمعَ الناسَ عَلَى أمرٍ بالقَهرِ لَفَعَلَ بلا رُسُلٍ ولا أنبياء له.

فافهم هذه الإشاراتِ الإلهيَّةِ واربطها مَعَ سيرَةِ النبيِّ ﷺ وعليٍّ عليه السلام فإنَّهما مَعَ الأئمة العُصماء وحدَهما يمثِّلانِ الإسلامَ، وغيرهما طواغيتٌ وجبابرةٌ لا يُمثِّلُ عملُهم شيئاً من الدِّينِ ولا علاقةَ له بِمَا أنزل اللهُ، بل هُوَ حربٌ عَلَى الله ورسولِهِ وسيعلمُ الَّذينَ ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون.

و - وَمِنْهَا قوله عليه السلام :

وَذَلِكَ في اليوم الَّذي قضى فِيهِ مخاطباً الحسن عليه السلام :

. . أمَرَني رسولُ الله صلى الله عَلَيْهِ وآله وسلم أنْ أوصي إليك وأنْ أدفعَ كُتُبي وسلاحي كَمَا أوصى إليَّ رسول الله ودفع إليَّ كتبه وسلاحه وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموتُ أن تدفع ذَلِكَ إلى أخيك الحسين - قَالَ وأقبل عَلَى الحسين - فَقَالَ: وأمرك رسول الله أن تدفعَه إلى ابنك هَذا ثمَّ أخذ بيدِ ابنه علي ابن الحسين فضمَّهُ إليه وَقَالَ لَهُ يا بني وأمرك رسول الله أن تدفعه إلى ابنك مُحَمَّد فاقرأ محمَّداً من رسولِ الله ومنِّي السَّلام ثم أقبل عَلَى الحسن فَقَالَ يا بني أنت وليُّ هَذا الأمر ووليُّ الدم فإن عفوت فلَكَ وإن قتلت فضربة مكان ضربة.

مستدرك نهج البلاغة ج٢/ ص ٣٠٨

ذَكَرَ ذَلِكَ برواية القاضي النعمان عَن الإمام علي بن الحسين وعن الإمام الباقر عليه السلام .

أقول: حِينَمَا سألوه عليه السلام عَن الحسَنِ عليه السلام فَقَالَ: «**لا آمركم ولا أنهاكم وَأَنْتُم بأموركم أبصر**» - ظنَّ السفهاءُ أنَّه بِهَذا القولِ قَدْ ألغى الإمامةَ والخلافةَ . . .

إذن فَكَيفَ أثبَتَ هَذِهِ الوَصِيَّةَ كتابَةً وأَشْهَدَ عَلَيْهَا رؤوسَ الصحابةِ وبني هاشم وجميعَ أولادِهِ؟

نعم . . أوَ لَيْسَ قَدْ قَالَ مِراراً أنَّ بني أميَّةَ سيسلبون المُلْكَ وأنَّهُ مَا قُبض حَتَّى دعا الله أن يبدِّلَهُ بخيرٍ من هَؤُلاءِ الناس ويبدِّلهم بمن هُوَ شرٌّ منه؟

فبأيِّ شيءٍ يأمُرُهم وبأيِّ شيءٍ يَنْهَاهُم؟ .

لقَدْ قضى نحْبَهُ بناءً عَلَى طلبِهِ ودعائِهِ فَكَيفَ يأمرهم بِمَا يعلَمُ مسبقاً أنَّهُم مخالفون فِيهِ؟

فإن قُلْتَ: «فأين هُوَ هَذا الطَلَبُ؟ وَلِماذَا قَبلَ الحَسَنُ عليه السلام بالخلافَةِ بعد ذَلِكَ؟».

فأما الحسن عليه السلام فَإنَّهُ رفَضَ الخلافة، إذْ لَمْ تعد فِيْهَا فائدةٌ قط بعد فساد الناس وضلالهم. فهم يُريدون قِيادَةً دنيويَةً لا قِيَادَةً إلهيَّةً. وَلكنْ لَمَّا أفهَمَهُم هَذا الأمْرَ فإنَّ القِلَّةَ مِنَ المؤمنين لَمْ تَكُنْ تحتمل هَذا ويصعب عَلَيْهَا فَهمُ الأمور كَمَا يفهَمُها أولياءُ الله، ولا بُدَّ من ابتلائِهم بالحربِ والقتال حَتَّى يظهر مكنونُ مَا انطوت عَلَيْهِ أنفسهم. فإذا بَقِيَتْ أقلِّيَّةٌ ضئيلةٌ يكون قَدْ أعذر، والأمر موكول إليه. فالشاهدُ يرى مَا لا يرى الغائبُ. فَلَمَّا ابْتَلاهُم بِذَلِكَ انقلبوا ضدَّهُ وهجموا عَلَى خيمتِهِ وعصوه!

والإمام عيَّنَهُ الله ليُطاعَ لا ليُعصى فإذا عُصيَ وَقَعَتِ الحُجَةُ عَلَى الناسِ دون الإمامِ، وَهْيَ سنَّةُ الله في الرُّسُل كلِّهم.

لَو كان حاكماً طاغوتياً يبعثُ بالرشاوى سِرَّاً لرؤوسِ القبائلِ، ويقتلُ المعارضينَ غيلةً، ويأخذُ عَلَى التهمَةِ والظَنَّةِ كَمَا يفعل بنو أميَّةَ عَلَى نهجِ الشيخينِ لأَطَاعوه.

لكنَّ الناسَ لا يفهمون من هُوَ الإمامُ المنصوبُ من قبل الله. فإنَّ رحمتَهُ بالعباد وحنوَّهُ عَلَى الخَلْقِ وتحرَّجَهُ من الظُلْمِ وإيمانَهُ بحريَّةِ الاختيارِ يجعلُ الناسَ تطْمَعُ فِيهِ، وتَجِدُ فِيهِ مسرحاً لآرائها - فحزمُهُ من طاعَةِ الخَلْقِ، لأنَّ عزمَه وحزمَه واحدٌ، وَهْوَ من الخَلْقِ وإليهم، وَلَيْسَ هُوَ طاغوتاً. وديدنُ الخَلْق مُنْذُ عَهْدِ آدمَ أنَّهُم يطيعونَ الطاغوتَ ويعصونَ الوليَّ وألاّ فَكَيفَ يَشكُّ المرءُ المؤمنُ بقرارٍ يتَّخِذُهُ الحسن عليه السلام والنبيُّ يقول هُوَ «سيد شباب أهل الجنة»؟.

وَهَذا النصُّ تحفظُهُ الأمَّةُ كلُّها، لأنَّهُ صلى الله عليه وآله كرَّرَهُ مئات المرّاتِ حَتَّى حفظَهُ كُلُّ الصحابَةِ!

فإذا كَانَ الخَلْقُ لا يريدون الإمامةَ فَهَذَا شأنُهُم، لأنَّ الإمامَ منفِّذٌ لمشيئةِ الله لا غير.. وَهْوَ عليه السلام معدومُ الرغبةِ في الحُكْمِ أَصْلاً، وَإنَّمَا هُوَ يفعلُ ذَلِكَ تنفيذاً لأمْرِ الله. فَهْيَ عنده بلاءٌ ومحنَةٌ لا كرسيٌّ يسيلُ اللعابُ لرؤيتِهِ كَمَا هُوَ عِنْدَ عمر وأبي بكر وعثمان صاحبِ القميصِ الَّذي ثارَ عَلَيْهِ الخَلْقُ وأوْشَكَ عَلَى الهلاكِ وَهْوَ يصيحُ بِهِم من السطْحِ وَهْوَ محاصَرٌ: «والله لا أخلَعُ قميصاً ألبسنيه الله»!!

هَذِهِ هِيَ الخلافَةُ الإلهيَّةُ عندهم.. إنَّها قميصٌ يلبسُهُ ابنُ حَرْبٍ. وقَدْ كَانَ جَدُّهُ المعاهرُ المحكومُ عَلَيْهِ بالنفي إلى الشام أقرَّ رغم عهره بضرورةِ تنفيذ أمْرِ النفي الَّذي حَكَمَتْ بِهِ العربُ. فكم ورث إذن من العُهْرِ حَتَّى بلغ هَذا الحد[1]؟.

وَهَلْ هُنَاكَ من عاهِرٍ يموت ولدُهُ وزوجتُهُ جوعاً وعطشاً ويرفض تسليم السلطة إلاَّ ذَلِكَ النوعُ من المعاهرين الَّذي يعبدون الكرسي؟!

فأينَ هَذا أيُّها الناسُ ممَّن يدعو في الليل بالموتِ ليأتيهِ ويخلِّصَهُ مِمَّا يراه من فِتَنٍ وظُلْمٍ لا يقْدِرُ عَلَى إزالتِها لقلَّةِ الناصِرِ وسريانِ الضَّلالِ في النفوسِ والذي فَتَحَ أبوابَهُ الثلاثةُ آخرُهم سليلُ العاهِرِ؟.

فاسمع لشكوى عليٍّ عليه السلام، وَهْيَ جوابٌ لسؤالِكَ الآخرِ، وقولك متى كَانَ ذَلِكَ؟ ومتى طَلَبَ الموتَ؟.

بلى لقَدْ طَلَبَ الموتَ والشهادةَ:

«عَن الحسنِ بن عليٍّ قَالَ: قَالَ لي عليه السلام: يا بني رأيتُ رسول الله في هَذِهِ الليلةِ في نومةٍ نمتها فقلت: يا رسول الله مَاذَا لقيت من أمّتِك من الأودِ واللددِ

---

(١) إشارة إلى الحكم الصادر عَلَى حرب عِنْدَ منافرة هاشم حَيْثُ برّر الحاكم حكمه عليه بالنفي لكونه «معاهر» – انظر الطبري/ هاشم/ ج٢/ ٢٥٣.

فَقَالَ: يا عليُّ ادعُ عليهم فقلت: اللَّهُمَّ أبدلني بِهِم خيراً لي مِنْهُم وأبدلهم بي من هُوَ شرّ مني. قَالَ فخرج إلى المسجد فضربه الرجل».

مصادرُ النصِّ: الاستيعاب ٢/ ٤٧٠، أسد الغابة ٤/ ٣٦، طبقات ابن سعد ج٣/ ق١/ ٢٤، وله مثيل في الكنز ج٦/ ٤١١.

فقارن بَيْنَ رجُلينِ أحدُهُما رعيَّته تريدُهُ للدنيا ولا يُريدُها ويُريدُ الموت ويَتَمَنَّاه!

أهَذَا رَجُلٌ يحلُمُ بحُكْمٍ دنيويٍّ أَمْ هُوَ حاكِمٌ إلهيٌّ؟

وآخرُ رعيتُهُ تحاصِرُهُ وتتوسَّلُ إليه أنِ اتركْ هَذا الأمرَ فَإنَّكَ لا تليقُ بِهِ ولا يليقُ بِكَ ولا نريدُ قتْلَكَ.. فيصرُّ عَلَى البقاءِ في الحُكْمِ حَتَّى يهلكَ.. أهو عابِدٌ للهِ أَمْ هُوَ عابِدٌ للكرسي؟ مالكم كيف تحكمون؟!

وَأمَّا أَيْنَ تنبّأ بمعاويةَ وبني أميَّةَ وملكِهِم؟ فَهُوَ كثير منه قوله عليه السلام:

«أما أنَّهُ سيظهر عَلَيْكُم بعدي رجُلٌ رحبُ البلعوم، مندحقُ البطن يأكل مَا يجد ويطلب مَا لا يجد فاقتلوه وَلَن تقتلوه! ألا وأنَّهُ سيأمركم بسبّي والبراءة مني».

الخطبة/ ٥٧ من نهج البلاغة

أقولُ: قولُهُ «اقتلوه» مَعَ علْمِهِ بأنَّهم لَنْ يقتلوه يتضمَّنُ حجَّةً عَلَى الخَلْقِ ودليلاً عَلَى فسادِ عقائدهم بحَيثُ إنَّهُم يستحقُّون حاكماً كهذا، لأنَّهُمْ لا ينفِّذون الأمْرَ بقتْلِهِ لأنَّهُ عليه السلام قَدْ خَبِرَهم وعَلِمَ مَا في قلوبِهِم، وَلِذَلِكَ فعلمُهُ القرآنيُّ يحدِّدُ لَهُ مسارَ الأحداثِ مستقبلاً لا من حَيْثُ هِيَ حَتْمٌ لا تغييرَ فِيهِ، بَلْ من حَيْثُ معرفته بالوجهين معاً: السننُ العاملةُ من جهةٍ وحالُ الناسِ من جهةٍ. كَمَا لَو عَلِمْتَ من شدَّةِ عبَثِ وكَسَلِ الطلاب من جهةٍ وتشدُّدِ الأساتذةِ وصرامةِ الدراسة من جهةٍ أُخْرَى أنَّ هَؤُلاءِ فاشلون حَتْماً! فافهم ذَلِكَ.

وَمِنْهَا قوله عليه السلام:

«أما أَنَّكُم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً وأثرةً يتَّخذُها الظالمون فيكم سنَّةً».

الخطبة/ ٥٨

وَمِنْهَا قوله عليه السلام:

«فاسألوني قبل أن تفقدوني فوالذي نفسي بيَدِهِ لا تسألوني عَن شيء فيما بينكم وبَيْنَ الساعَةِ ولا عَن فئةٍ تهدي مائةً وتضلُّ مائة إلاّ أنبأتكم بسائقها وناعقها وقائدها ومناخ ركابها ومحط رحالها ومن يقتل من أهلها قتلاً ومن يموت مِنْهُم موتاً ولو قَدْ فقَدْتموني ونزلت بكم كرائهُ الأمور وحوازبُ الخطوبِ لأطرَقَ كثيرٌ من السائلين وفَشَلَ كثيرٌ من المسؤولين وَذَلِكَ إذا قلصت حربكم وشمّرت عَن ساق وضاقت عَلَيْكُم الدُّنْيَا ضيقاً تستطيلون معه أيام البلاء عَلَيْكُم حَتَّى يفتح الله لبقيةِ الأبرارِ مِنْكُم».

نهج البلاغة/ الخطبة ٩١

فبماذا يأمُرُهم؟ إنَّمَا يأمُرُ ابنَهُ الحسنَ عليه السلام ويوصي إليه بكتُبِ الأنبياءِ كلِّها، لأنَّ الحُجَّةَ عندهم، والسلاحَ عندهم، وَهْوَ هُوَ المقصودُ من الرسالَةِ أنْ تَكُونَ الحجَّةُ لِلَّهِ دون الخَلْقِ.

أمَّا الكاتِبُ الكاذِبُ فيزعَمُ أنَّ الحُجَّةَ للخَلْقِ من حَيْثُ إنَّ الشُّورَى هِيَ نظامُ الحُكْمِ وبالتالي فالاختلافُ لا بُدَّ منه.

وإذن.. فالخَلْقُ عَلَى حقٍّ حِينَمَا اختلفوا وأنّى اختلفوا. فإنْ كَانَ الأمرُ كَذَلِكَ فلنا سؤالٌ: مَا الغايَةُ وَمَا المقصودُ من الخَلْقِ أصْلاً أيُّها المتغافِلُ؟ أليس إدخالُ فريقٍ إلى الجنَّةِ وفريقٌ إلى النار؟، أمْ تَحْسبُ أنَّ الغايَةَ من الدُّنْيَا هِيَ الدُّنْيَا؟

وَمَا بَيْنَ السؤالين فَرقٌ هُوَ الفَرقُ الجوهريُّ العظيمُ بَيْنَ الأطروحتين!:
أطروحة الإسلام الَّذي يؤمنُ بالشورى، وأطروحة الإسلام المحمدي العلوي.

والإسلامُ الأوَّلُ هُوَ نقيضُ الإسلامِ الثاني تَمَاماً!

وَهَذا الفَرقُ هُوَ الَّذي غابَ عَن أكْثَرِ العقول، بِمَا في ذَلِكَ طيّبو النوايا. وَهَذا هُوَ مركزُ الخلافِ وأصْلُ المشكِلَةِ ونواةُ التفرُّقِ وَلكنَّ أكثَرَ الناس لا يعلمون!

وَلِذَلِكَ اعتبَرَ القرآنُ الكريمُ كُلَّ الَّذينَ اختلفوا في مَا أنزل الله في شقاقٍ ووصَمَهم بالبغيِّ والعدوانِ. إذْ إنَّ كلامَ الله واضِحٌ يحتاجُ إلى من يطيعُ فِيهِ حجَجَ الله فقط، ولا يحتاجُ مِنْهُم إلى أنْ يوضّحوا مراميه مجدَّداً أو يتجادلوا فِيهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

وَقَالَ تَعَالَى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦].

ذَلِكَ أنَّه تَعَالَى أنْزَلَ الكتابَ لإزالَةِ الاختلافِ:

﴿.. فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

إذن.. فالغايَةُ من إنزالِ الكتابِ هِيَ لإزالَةِ الاختلافِ، وهنا تكمن حجَّةُ الله عَلَى الخَلْقِ، لأنَّهُمْ حَيْثُ يختلفونَ فإنَّ السَّبَبَ لَيْسَ في الدِّين، وَإنَّمَا هُوَ في الخَلْقِ قطعاً والعلَّةُ فيهم لا في النصِّ!

وإذا كَانَتْ الإمامةُ بالشورى فالاختلافُ واقِعٌ حَتْماً. . والطريقُ الوحيدُ لِعَدَمِ الاختلاف هُوَ استمرارُ وجودِ حامِلٍ لِلْكِتَابِ.

وَلَيْسَ مَعْنَى هَذا أَنَّهُم إذا عيَّنَ الله لَهُم لَنْ يختلفوا!، بَلْ سيختلفون في كُلِّ الأحوال، إِذْ كيفَ وَعَدَ سبحانه وتعالى إبليسَ الملعونَ أَنْ يملأَ جهنَّمَ منه ومن أتباعِهِ؟.

لكنَّ الفرقَ هُوَ في بقاءِ الحُجَّةِ للهِ بحَيثُ إنَّ الداخلَ إلى النارِ يدخلُ بحَقٍّ والداخِلَ إلى الجَنَّةِ يدخلُ بحقٍّ لوضوحِ أمرِ الدِّينِ. . بَيْنَمَا غيابُ الحامِلِ لعلْمِ الكتابِ يلغي هَذا الاحتجاجَ ويصبح الاختلافُ مبرَّراً. وبمعنًى آخر إنَّ وجودَ الإمامِ المنصوصِ عَلَيْهِ هُوَ الحجَّةُ الكبرى عَلَى وجودِ الله تَعَالَى، فمن شكَّ في وجوده فقَدْ كَفَرَ، لأنَّهُ بِهَذا الشَكِّ يلغي عدل الله والمعادَ وصحَّةَ الحسابِ.

فالغايةُ من الإمام لَيْسَتْ إزالةَ الاختلافِ عملياً، بَلْ إسقاطُ مبرِّراتِ الاختلافِ، لأنَّ الإنسانَ حُرُّ الاختيارِ، والحرِّيةُ باقيَةٌ وبها يتمُّ الحسابُ.

إنَّ الفارِقَ بَيْنَ الكُفرِ والإيمانِ هُوَ هَذا الخَطُّ الدقيقُ جِدّاً. . إنَّه الصراطُ المستقيمُ العابِرُ عَلَى جهنَّم. فَهُوَ كَمَا وَصَفَ النبي ﷺ: **«أدقُّ من الشَّعرةِ وأحَدُّ من السيفِ»**، فَلا يثبتُ عَلَيْهِ إلاَّ مؤمنٌ حقيقيٌّ، وَهَذا هُوَ المطلوبُ أخيراً!.

إِذْ لَيْسَ المطلوبُ بناءَ دولةٍ وتشييدَ عماراتٍ وقصورٍ!.

لَيْسَ المطلوبُ هُوَ الكيانُ السياسيُّ للدّينِ، بَلْ الكيانُ العقائديُّ.

فإذا افترضنا أنَّ الخَلْق أطاعوا الله في هَذا. . فالكيانُ السياسيُّ يتحقَّقُ تلقائياً كأفضلِ مَا يكونُ. . .، وَهَذا هُوَ جوهَرُ مَا انطوى عَلَيْهِ الوعْدُ الإلهيُّ.

والكاتِبُ الكاذِبُ لَمْ يأتِ بآيَةٍ واحدَةٍ من القرآنِ في كتابِهِ بأجزائِهِ الثلاثَةِ!

فَهُوَ يخافُ القرآنَ خوفهُ من الإمامِ نفسِهِ لأنَّهُمَا قرينان لا يفترقان. وكلُّ مَا جَاءَ بِهِ هُوَ أقوالُ الرِّجَالِ الشيعةِ وتفسيرُهم ومبرراتُهم للإمامةِ.

الإمامةُ لا تثبت عِنْدَ المؤمن لوجودِ جماعاتٍ آمنوا بِهَا واسمهم الفقهاء أو المتكلمون الشيعة! بَلْ هِيَ ثابتَةٌ، لأنَّها حقٌّ. والحقُّ لا يُعْرَفُ بالرجالِ، بَلْ يُعْرَفُ بِنَفْسِهِ.

فَهَذَا الكاتِبُ الكاذِبُ يأتي بِأَقْوَالِ الرِّجَالِ واختلافاتِهِم وَكَأَنَّهُ يطلبُ مذهباً لا اختلاف فِيهِ!

فَلِمَاذَا لا تدخلُ إذن مذهبَ عبدةِ البَقَرِ؟!

فإنَّ الخلافاتِ بينهم أقلُّ بكثيرٍ مِمَّا هِيَ عِنْدَ المسلمين أو مذاهبِ الشيعة!.

أأنتَ تتَّبِعُ الرِّجَالَ ولا عَقْلَ لك أَمْ أَنَّكَ تبحَثُ عَن الحَقِّ مُجَرَّداً عَن الأسماء؟

فَمَا علاقَةُ أقوالِ الرِّجَالِ بأصلِ المبحث مهما كثروا ومهما اختلفوا؟ أَمْ أَنَّكَ تحسب أنَّ مَعْنَى الدِّينِ والإمامةِ عِنْدَ الشيعة هُوَ «آراءُ رجالِ الشيعةِ»؟

أنت واهمٌ في كُلِّ شيءٍ بِمَا في ذَلِكَ الأسماء واسم الشيعة!

فالشيعَةُ عِنْدَ أهلِ البيت عليهم السلام لَيْسَتْ الطائفَةَ الشيعيَّةَ ولا طوائِفَ الشيعَةِ أيُّها الأفَّاكُ الَّذي يحرِّفُ الكَلِمَ عَن مواضِعِهِ!

كيف؟! وفيهم مائةٌ وعشرون ألفَ كافِرٍ ومشْرِكٍ يخرجون من الكوفةِ وحدهَا ليقاتلوا المهديَّ المُنتظرَ حسب مَا ذَكَرَ الصادِقُ عليه السلام!

كيف؟! وَهُوَ يقولُ لا بُدَّ **«أنْ يتميَّزَ الشيعَةُ ويُغَربَلوا ويخرجُ من الغربالِ خَلْقٌ كثيرٌ»**[1]!

---

(١) النصوص من بشارة الإسلام/ باب مَا ذكر عن الصادق عليه السلام.

كيف؟! وَهْوَ يقولُ **«لا بُدَّ من اختلافِ الشيعةِ حَتَّى يكَفِّرَ بعضُهُم بعضاً ويتفِلَ بعضُهم في وجوهِ بعضٍ»**[1]!

كيف؟! وَهْوَ يؤكِّدُ عَلَى خروجِ عصائب مِنْهُم عِنْدَ اللقاءِ بالسفياني فيكونونَ في جيش السفياني!

كيف؟! والإمامُ الرضا عليه السلام يقول:

«لَيْسَ كُلّ من قَالَ بولايتنا مؤمناً وَلَكِنَّهُم جعلوا أُنساً للمؤمنين»[2].

إسمُ الشيعَةِ هُوَ الاسمُ الَّذي أطلقَهُ النبي صلى الله عليه وآله عَلَى شيعَةِ عليٍّ وسمّاهم «الفائزون» حَتَّى زعَمَ ابنُ حجرٍ بعد اعترافِه بالحَديثِ أنَّ المقصودَ بِهِم أهل السنة!!؟

وعددُهُم «سبعون ألفاً» فقط يدخلون الجنَّةَ بِغَيْرِ حساب.

فإنَّ الإمامَ المعصومَ عليه السلام منوطٌ بقاؤُهُ برجُلٍ واحدٍ فقط أو إمرأةٍ واحدةٍ فقط!

وإنَّ العالَمَ بأسرِهِ منوطٌ بقاؤُهُ ببقاءِ الإمامِ المعصومِ!

فَهَلْ تفهم هَذا الكلام؟ لا والله لا أراكَ تفهم!

ومن يدري لعلَّكَ إذا فَهِمْتَ وقَدَحَتْ في عقلِكَ قَدْحَةٌ أرادَها الله هداك بِهَا وانقلبْتَ وتغيَّرَتْ أحوالُكَ فإنَّ لِلَّهِ في خلقِهِ شؤوناً عجيبةً.

يا هَذا إنَّ أمرَكَ العجيبَ يذكِّرُني بالذينَ قاتلوا علياً عليه السلام في الجمَلِ وصفِّينَ. فإذا كُنْتَ تبحثُ عَن الحَقِّ فَإنَّكَ لَنْ تجِدَ الحَقَّ عِنْدَ الرِّجالِ، ولا

---

(١) النصوص من بشارة الإسلام/ باب ما ذكر عن الصادق عليه السلام.

(٢) النصوص من بشارة الإسلام/ باب ما ذكر عن الصادق عليه السلام.

تنفعُكَ الأسماءُ شيئاً قط. . ولا يفيدُكَ الشيخُ المفيدُ ولا غيرُهُ، بَلْ لا ينفعُكَ حَتَّى النبي ﷺ نفسه!.

أتدري لِماذَا؟

لأنَّ الحَقَّ يُعْرَفُ قبلَ الأسماءِ ويُحدَّدُ بِغَيْرِ عنوانٍ، ثمَّ يحْكُمُ المرءُ بِمَا عَرَفَ من الحَقِّ! لأنَّ الحَقَّ بَيِّنٌ بذاتِهِ.

والجميعُ قلبوا هَذِهِ المعادلَةَ، والجميعُ ضلّوا بِهَا إلاَّ من عَصِمَ الله وقليلٌ مَا هُمْ.

أنت توحي للشيعةِ أنَّ رجالَكُم اختلفوا وعليكم أن تتركوا القولَ بالإِمَامَةِ والوصيَّةِ وتنتقلوا إلى القولِ بالشورى!

فَهَلْ أَنْتَ ناصِحٌ لَهُم وبهم شفيقٌ؟

فإذا كنت ناصحاً شفيقاً فَعَلَيْكَ أنْ تؤلِّفَ لَهُم كتاباً آخر تُبيِّنُ فِيهِ اختلافَ أهل الشُّورَى إلى معتزلةٍ وقَدريَّةٍ ومرجئةٍ وأشعريَّةٍ وليثيةٍ وعثمانيةٍ وبكريةٍ وعمريةٍ وحنبليةٍ وشافعيةٍ وظاهريةٍ وعباسيةٍ وأمويةٍ ومالكيةٍ وصوفيةٍ وكرمانيةٍ وماورديةٍ وطبريةٍ. . . ، إلى آخرِ القائمةِ البالغةِ أربعينَ إسماً.

ففي كُلِّ الأحوالِ إذا كَانَ المرءُ عبداً لا حُرَّاً، ومغشياً عَلَيْهِ لا واعياً، وغبياً لا زكياً، ومتعالماً كسولاً لا عالماً نشيطاً، ومتواكلاً لا متوكِّلاً، وَلَيْسَتْ لديه طريقَةٌ فذَّةٌ للاختيارِ بَيْنَ أهلِ الشُّورَى وأهلِ الوَصِيَّة، فإنَّه يختار وَهْوَ بِكُلِّ هَذِهِ الصفات واللامبالاة طريقتَكَ الَّتي تقومُ عَلَى ملاحظَةِ عدَدِ الاتجاهاتِ والانقساماتِ، وسوف يَجِدُ أنَّ اختيارَ الوَصِيَّةِ أفضلُ، لأنَّهُمْ انقسموا إلى عدَدٍ أقلَّ من عدَدِ مذاهِبِ أهلِ الشُّورَى، ومجموعُهُم أقلُّ عدداً من أُولَئِكَ، لأنَّ الكثرَةَ في القرآنِ مرافقَةٌ للخبيثِ دَوْمَاً، والقِلَّةُ صِفَةٌ للطَّيبِ. وَكَذَلِكَ هِيَ في الطبيعَةِ والنباتِ والحيوانِ والمآكلِ والمشاربِ والمعادنِ الشريفةِ النادرةِ علاوةً

عَلَى الاحتياط.. فالقولُ بإتّباعِ إمامٍ «قِيْلَ» إنَّه مُنَصَّبٌ من الله ولو عَلَى الظَنِّ أحوطُ من إتّباعِ إمامٍ هرولَ إلى السقيفةِ، وتَرَكَ جَسَدَ النبيِّ ﷺ بلا دفنٍ!، وَلَمْ يَقُلْ فِيهِ أحَدٌ إنَّه وصيٌّ أو مُنَصَّبٌ. وإتّباعُ اثني عشر متّفقينَ في القولِ خيرٌ من إتّباعِ ثلاثةِ مختلفينَ في كُلِّ شيءٍ وأربعة فقهاء وثلاثة عشر فرقة من المتكلمين وستة عشر من الصوفية...، وإتّباعُ من يسري في أجسادِهم شيءٌ من رائحةِ صاحبِ الرسالةِ خير من إتّباعِ عديٍّ وتيمٍ وَهْيَ منبوذة عِنْدَ قريش، وإتّباعُ إمامٍ بَطَلٍ خيرٌ من إتّباعِ إمامِ جبانٍ ورعديدٍ قَالَ عَنْهُ المؤرخون بالحرفِ الواحدِ في خيبرَ «فَرَجَعَ يجبِّنُ أصحابَهُ ويجبِّنونه»، وإتّباعُ إمامٍ عليمٍ خيرٌ من إتّباعِ إمامٍ جاهلٍ أقرَّ أنَّ ربّاتِ الحِجالِ والعجائزِ أفقَهَ منه، وإتّباعُ إمامٍ أبي أئمَّةٍ خيرٌ من إتّباعِ إمامٍ أبترٍ وإمامٍ ابترٍ وإمامٍ ثالثٍ ابترٍ، وإتّباعُ إمامٍ منطيقٍ خيرٌ من إتّباعِ إمامٍ عيٍّ، وإتباعُ إمامٍ ذي حياءٍ خيرٌ من إتّباعِ إمامٍ جاسوسٍ كَانَ جاسوساً لقريشٍ عَلَى النبيِّ ﷺ، وبقيتِ الوظيفةُ وحبُّها في نفسه حَتَّى كَانَ يتسوَّرُ عَلَى الدُورِ ويهتِكُ الستورَ، وقَدْ أفحمَهُ شارِبُ الخمرِ حَيْثُ قَالَ لَهُ: «يا عدو الله أتشرب الخمر؟»، فَقَالَ السكرانُ: «أَنْتَ يا عمر عدوُّ الله، أنا فعلتُ واحدةً وَأَنْتَ فعلْتَ ثلاثةً: فقَدْ تسوَّرتَ وقَدْ قَالَ الله وأتوا البيوتَ من أبوابها!، وتجسَّستَ وقَدْ قَالَ الله ولا تجسَّسَوا، ودخَلْتَ وتكلَّمْتَ بِغَيْرِ سلامٍ وقَدْ قَالَ الله فسلِّموا عَلَى أنفسكم فَقَالَ عمر: «اكتم عليَّ أكتِمُ عَلَيْكَ»!!

يا للزمانِ الَّذي جعلنا نقارن بَيْنَ اختيار علي الوَصِيَّة وعمر الشُّورَى!

فإنَّ عمر الشُّورَى لا يُقارَنُ أَصْلاً بِهَذا «السكران الفقيه»!!

لا والله ولا يساوي نعليه، فَإِنَّهُ أضرَّ نفسَهُ وحَفِظَ أخلاقاً من كتابِ ربِّهِ.. فَكَيفَ يُقَارَنُ بمن أفسَدَ العالَمَ ومنَعَ رحمةَ الله من الدوام[1]؟.

---

(١) مع الاعتذار للشيخ رضا الهندي الَّذي رفض مساواته بنعلي قنبر.

أيَّةُ نصيحةٍ هامَّةٍ قَدَّمْتَها أيُّها «الكاتبُ» للمسلمين؟

باللهِ عَلَيْكَ لَو كَانَتْ لديك وديعةٌ من مالٍ وأردْتَ أن تودعَها عِنْدَ أحدِ رجُلَينِ: أمَّا عُمَرُ وَأمَّا هَذا السكران فمن الَّذي تختارُ؟

لا والله مَا أراكَ تختارُ إلا السكرانَ، لأنَّهُ كَمَا يبدو يسْكرُ ولا يفجر، ويشرب ولا يغدرُ!

فَلِمَاذَا تخدعُ المسلمين وتقولُ لَهُم اختاروا شُورَى عُمَرَ عَلَى وصيَّةِ عليٍّ أمْ أنَّ المسلمين عندك أرخصُ من مالِكَ الخاصِّ؟!..

ثمَّ تكذبُ عليهم كذبتَكَ الكُبْرى فتقول إنَّ علياً كَانَ لا يؤمِنُ بالوَصيَّةِ ويؤمِنُ بالشورى!!

ز - وَمِنْهَا قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ولقَدْ علم المستحفظون من أصحاب مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أني لَمْ أردّ عَلَى الله ولا عَلَى رسوله ساعةً قط.

نهج البلاغة الخطبة/ ١٩٥

أقولُ: هَذِهِ العبارَةُ تفيدُ غيابَ الحُكْمِ العقليِّ الذاتيِّ مقابلَ الحُكْمِ الإلهيِّ. وكلُّ الخَلْقِ يردُّونَ عَلَى الله، إمَّا جَهْلاً وهُمْ بِهَذا يكونون عصاةً أو عَمْداً فيكونونَ كَفَرَةً ومشركين. وعَدَمُ الردِّ هُوَ أمرٌ خاصٌّ وصِفَةٌ خاصَّةٌ لا يُؤْتَها كُلُّ أحدٍ. فمن أوتي ذَلِكَ كَانَ في مَقَامِ الرُّسُلِ والأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولا يعلم ذَلِكَ إلاّ الخواص، ولهذا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ «عَلِمَ المستحفظون» إشارَةً إلى آية «بِمَا استحفظوا من كتاب الله» وهم الَّذينَ يعرفونَ الحَقَّ بلا أسماءٍ، وبلا رجالٍ ثُمَّ يعلمون مَنْ مِنَ الرِّجَالِ عَلَى الحَقِّ بِمَا في ذَلِكَ يعرفون أنفُسَهُم.. فإذا جَهِلَ المرءُ نفسَهُ جَهِلَ ربَّه. وَلِذَلِكَ قَالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: **«من عَرَفَ نفْسَهُ فقَدْ عَرَفَ ربَّه»**. والعبارةُ تشير إلى العصمةِ. وَلِذَلِكَ احتجّ بِهَا في هَذِهِ الخطبة.

قَالَ النبي ﷺ: «**عَلِيٌّ مني كَنَفْسِي بَلْ هُوَ نَفْسِي**»..

فالكاتِبُ الكاذِبُ سيقولُ: هَذا الحَديثُ ضعيفٌ!

نعم.. صحيحٌ فَإِنَّهُ ضعيفٌ جِدَّاً، وكلُّ الأحاديثِ ضعيفةٌ جِدَّاً..!!

فيا له من أحمقٍ إذن! كلَّما تصفعُهُ يعيدُ الخطأَ نَفْسَهُ.. أَلم أَقُلْ لك لا تكلّمني بالرجالِ فإنِّي لا أحتجُّ بالرجالِ!. والذي يحتجُّ بالرجالِ ضالٌّ مضِلٌّ.. أَمْ تَحْسبُ أنَّ الشيعةَ هُم الأصوليون؟.

ألا تدري أنَّ سهمَكَ قَدْ عَادَ إلى نحرك؟. ذَلِكَ لأنَّ عِلْمَ الرِّجَالِ والحُكْمَ عَلَى النصوصِ من خلالِهِ لَيْسَ من أعمالِ شيعةِ عليٍّ!. بَلْ هُوَ من أفكارِ وأعمالِ أهلِ الشُّورَى! وانتقالُهُ إلى الطائفةِ الَّتي تسمَّى اصطلاحاً بـ«الشيعة» لا علاقةَ لَهُ بالموضوعِ الَّذي بيننا الآنَ، وإلاَّ فَلِمَاذَا أنا مسرورٌ بشتْمِكَ في كُلِّ صفحةٍ؟.. لأني أَقْرَأُكَ من الداخلِ وأَعْرِفُ جيِّداً كَيْفَ تُفَكِّرُ وَلِماذا وَمَاذَا تُريدُ!! فدَعْ عنك هَذا كلَّهُ.. إِذْ لَو بَقِيَ واحدٌ فَقَطْ من شيعةِ عليٍّ فَإِنَّهُ سيكونُ حجَّةً عَلَيْكَ وَعَلَى كُلِّ أهلِ الأرضِ.

ألا تَرَى أنَّ الله سبحانَهُ قَدْ أَهْلَكَ القُرى حَيْثُ آمَنَ واحِدٌ مِنْهُم فقط حَيْثُ أَهْلَكَ القريَةَ الَّتي جاءَهَا المُرسَلون فَلَمْ يؤمِنْ سِوَى «رجل جَاءَ من أقصى المدينة يسعى»؟، قَالَ تَعالَى:

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠].

فللمرْءِ أَنْ يقولَ لَكَ: «إنَّ مَا تستشهد بِهِ من أحاديث هِيَ كاذبةٌ أو منتحلةٌ أَيْضاً»!.

إنَّ العقائِدَ لا تَثْبُتُ بِأَقْوَالٍ وأحاديثَ تبعاً لوثاقَةِ الرِّجَالِ أو عَدَمِ وثاقَتِهم، لأنَّ الرِّجَال يختلفونَ أَيْضاً في هَذِهِ الوثاقةِ!.

إنَّ العَمَلَ لَهُوَ بالمعكوسِ أيُّها الخَلْقُ المنكوسُ حَتَّى لَو تبَنَّى طريقَتَكَ كُلُّ مَنْ تسمِّيهم شيعةً فَلا حُجَّةَ في ذَلِكَ.

فَمَا أَدْرَاكَ أنْ يَكُونَ أَكْثَرُ طائفَةِ الشيعَةِ عَلَى ضَلالٍ في هَذا وَمَعَ ذَلِكَ تَبْقَى الإمامَةُ هِيَ الدِّينَ؟!!.

وَهَلْ تَفْهَمُ هَذا الكَلامَ؟

أَشُكُّ أنَّكَ سَتَفْهَم!

فَلَو فَهِمَتِ الأُمَّةُ جُمْلَةً واحدةً قالها عليٌّ عليه السلام يَوْمَ الجَّمَلِ لَمَا اختَلَفوا لَو أرادوا مَعْرِفَةَ الحَقِّ بإخلاصٍ. فقَدْ قَالَ كَلِمَةً هِيَ خيرٌ من كُلِّ مَا قالَهُ الخَلْقُ مُجْتَمِعينَ مُنْذُ خَلَقَ الله آدَمَ مَا عدا أقوالِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وأوليائهِ.. قَالَ مخاطباً أحدهُم:

«ويحَكَ إنَّ الحقَّ لا يُعْرَفُ بالرِّجالِ.. إعرفْ الحقَّ تَعْرِف أهْلَهُ، وٱعرِفْ البَاطِلَ تَعْرِف أهلَهُ»

وَهَذِهِ الكَلِمَةُ مشهورةٌ وَلكنَّ العَمَلَ الجارِيَ ضدُّها تَمَاماً، والقانونُ الأصوليُّ والكلاميُّ عكْسُها ولا غرابَةَ!! فَكَمْ مِنْ آيَةٍ في القرآنِ مشهورةٍ والعَمَلُ عَكْسُهَا تَمَاماً؟!!

إنَّ مَنْ يُثْبِتُ الإمامَةَ بعليٍّ والأئِمَّةِ لَهُوَ كافِرٌ!

وَأَنْتَ تفْهَمُ وكُلُّ الناسِ يفهمُونَ أنَّ الإمامَةَ والعِصْمَةَ أُثْبِتَتْ عَن طريقِ الأئمَّةِ!!.

لقَدْ فَهِمَ أَحَدُ اليهودِ هَذا السرَّ الإلهيَّ، وأَرَادَ أنْ يَخْتَبِرَ دينَ الإسلامِ في هَذا، وَكَانَتْ تُحدِّثُهُ نفسُهُ أنَّ محمَّداً لَو صَدَقَ وكَذَّبَ بِهِ فَإنَّهُ سَيَكْفُرُ فَلَمْ يطْلُبْ مُعْجِزَةً ولا أَرَادَ آيةً سماويةً ولا قَالَ أيْنَ قرآنكم؟. فَجَاءَ من الروم وَلَيْسَ عنْدَهُ غَيْرُ هَذا السؤالِ حَيْثُ سَأَلَهُم قائلاً:

«هَلْ عَرَفْتُمْ ربّكم بِمُحَمَّدٍ أَمْ عَرَفْتُمْ مُحَمَّداً بِرَبِّكُم؟».

لَكِنْ لسوءِ حظِّهِ فقَدْ تَوَجَّهَ بالسؤالِ أولاً إلى عُمَرَ!.. وَأَنْتَ بالطبعِ تَعْلَمُ أعلميَّةَ عُمَرَ بِهَذِهِ المسائلِ!.. فَرَجَعَ الرَّجُلُ عَلَى يهوديتِهِ لَولا علي ابن أَبي طالب عليه السلام الَّذي أجابه قائلاً: **«بَلْ عَرَفْنا مُحَمَّداً بِرَبِّنا»**.

ذَلِكَ أنَّ من يَقولُ عَرَفْتُ ربِّي بِمُحَمَّدٍ فَهُوَ كافرٌ دَرَى أَمْ لَمْ يَدْرِ بِكُفْرِ نفْسِهِ، والصحيحُ أَنَّهُ عَرَفَ مُحَمَّداً بربِّهِ.

أَنْتَ الآنَ تناقِشُ الشيعَةَ بِهَذا المنطِقِ المقلوبِ وَكَأَنَّ الإمامَةَ ثَبَتَتْ بقولِ الرِّجَالِ في الأئمَّةِ!!..

فهذِهِ مصادرة!!

فمن أَيْنَ يَعْلَمُ المرءُ وجْهَ الحُجَّةِ في الرِّجَالِ وأقوالِهِم؟.

وعليٌّ عليه السلام لا يُثبِتُ الإمامة لنفسِهِ بقولِ نفسِهِ! كيف؟ وكلُّ رَجُلٍ بإمكانِهِ أنْ يقومَ ويقولَ في نفسِهِ مَا شَاءَ ويسمِّي نفسَهُ إمَاماً!. وَعَلَى هَذا يتساوى المُدَّعِيانِ الحقيقيُّ والمُزَيِّفُ.

فَكَيفَ تعرِفُ الحقيقيَّ من المزَيِّفِ إذا كُنْتَ تَرْجِعُ لأقوالِ الرِّجَالِ مَرَّةً أُخرَى؟

إذا كُنتَ لا تَعْلَمُ أنَّ عِلْمَ الرِّجَالِ وُضِعَ أَصْلاً لجَعْلِ المُزَيِّفِ عَلَى قَدَمِ المساواةِ مَعَ الحقيقيِّ فاعْلَمْ هَذا الآنَ!.

وإذا كُنْتَ تَبْحَثُ عَنِ الحَقِّ بِمَا هُوَ حقّ فَمَا شأْنُكَ بِمَا يقولُهُ النَّاسُ قَلُّوا أو كَثَروا؟ بَلْ أعرِفْ الحَقَّ أولاً، وعندئذ سَتَعْلَمُ موقعَ كُلِّ واحدٍ من الناسِ مِنَ الحَقِّ.

أَلاَ تَرَاهُ عليه السلام كَيْفَ يُثْبِتُ إمامَةَ نفسِهِ بِعِلْمِ غيرِهِ؟ فيقول: **«عَلِمَ المستحفظونَ من أصحابِ مُحَمَّد أني لَمْ أَرُدْ عَلَى الله ورسولِهِ ساعَةً»**؟

والاحتجاجُ المُكْتَمِلُ من جِهَةِ أنَّ غيرَ المُستحفِظِ يعلَمُ يقيناً مَنْ هُوَ المستحفظ.. فإذا شكَّ في وجودِ مستحفِظٍ رَجَعَ الشكُّ إلى «مُحَمَّدٍ» نَفْسِهِ فَيَكْفُرُ الشاكُّ ويسقطُ الكلامُ عَن الإمامَةِ برمَّتِهِ، وينتقلُ الشكُّ إلى اللهِ. وَلَمَّا كَانَ الله لا شكَّ فِيهِ: «أَفِي اللهِ شَكٌّ؟».. والجوابُ: «لا شكَّ فِيهِ مُطْلَقاً»، رَجَعَ الحديثُ إلى «مُحَمَّدٍ». فَهُوَ يدورُ بَيْنَ الله وبَيْنَ من بلَّغَ رسالاتِهِ، ولا يخْرجُ عَن هَذا الحيزِ قط. قَالَ تَعالَى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وَأَنْتَ الآنَ تردُّ المنازَعَةَ إلى المتكلِّمينَ والباحثينَ في الإمامَةِ وتَعصي أمْرَ الله تَعالَى، ولا تَسْتَشْهِدُ بالقُرْآنِ ولا بقولِ الرسولِ!.

ثُمَّ تكذِبُ عَلَى عليٍّ بن أَبي طالبٍ وتقولُ هُوَ من المؤمنينَ بالشورى!

ح - وَمِنْهَا قوله عليه السلام:

فَوَ الله مَا أَدْري إلى مَنْ أَشْكُو فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ الأَنْصارُ ظُلِمَتْ حقَّهَا وَأَمَّا أَنْ يَكُونُوا ظَلَمُوني حَقِّي بَلْ حَقِّي المَأْخوذُ وَأَنَا المَظْلومُ فَقَالَ قَائِلٌ: الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيشٍ فَدَفَعُوا الأَنْصارَ عَن دَعْوَتِهَا وَمَنَعوني حَقِّي مِنْهَا.

مستدرك النهج/ ج٥/ ٢٠١

واضحٌ أنَّهُ عليه السلام يؤكِّدُ عَلَى مفردَةِ «حقِّي» في ثلاثَةِ مواضعٍ، ويشيرُ إلى الظُلْمِ في ثلاثةِ مواضع أُخْرَى.

ولو كَانَ هَذا الحَقُّ مُشْتَرَكاً كَمَا يَزْعَمُ هَذا الأَفَّاكُ لَمَا جَازَ لَهُ عليه السلام أَنْ يُسَمِّيهِ حقَّهُ وَحدُه، ولا جَازَ لَهُ أَنْ يَدَّعي أَنَّهُ مَظْلومٌ، ولا جَازَ لَهُ الشكوى. ولو قَالَ هَذا القَوْلَ أيُّ واحدٍ من الصحابَةِ وَوَجَدْنَا أَنَّهم لا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ ولا يُبطِلُون حجَّتَهُ عَلِمْنَا أَنَّهُ هُوَ الإمامُ المعصومُ المنصوصُ عَلَيْهِ، سواءٌ أكَانَ القائِلُ اسمُهُ عليُّ بن أَبي طالبٍ أو زيدُ بن مالكٍ أو أيُّ إسمٍ آخرٍ!.

إنَّمَا علا عليٌّ في أنفُسِنَا بالإسلامِ، وفَاقَ الخَلْقَ بمُحَمَّدٍ وَكَانَ علياً بالوَصيَّةِ والنصِّ، وَلَيْسَ كَمَا يَفْهَمُ هَذا الكاتِبُ أنَّنَا أكْرَمْنَا علياً بالوَصيَّةِ. فَنَحْنُ لا نَعْبُدُ الأوثانَ والأصنامَ كَمَا يَفْعَلُ سِوَانَا من المذاهِبِ، إذْ عَبَدوهُم بَعْدَمَا رأوا الآياتِ وَثَبَتَت البيناتِ وظَهَرَ مِنْهُم الجورُ والظُلْمُ بِمَا مَلأَ الخافِقَينِ وسَارَتْ بِهِ الرُكْبَانُ، واستمرَّ عَلَى طوالِ الزمانِ إلى هَذا اليومِ.

ط - وَمِنْهَا قوله عليه السلام:

في ذكر النبي صلى الله عليه وآله:

فَمَضَى صلى الله عليه وآله لسبيلِهِ وَتَرَكَ كِتَابَ الله وَأَهْلَ بَيْتِهِ إمَامَيْنِ لا يَخْتَلِفَان، وَأَخَوَيْنِ لا يَتَخَاذَلانِ، وَمُجْتَمِعَيْنِ لا يَفْتَرِقَانِ.

المختار من الكتب - المستدرك ج٥/ ٢٠٠

النصّ واضحٌ وَلَمْ يأتِ بِهِ الكاتبُ الناصبُ ولا بِغَيْرِهِ من النصوصِ. وَهْيَ نصوصٌ معدودةٌ بالمئاتِ حَيْثُ ادَّعى أنَّ عليَّ بن أَبي طالبٍ لَمْ يَذْكُرْ شيئاً عَن الإمامَةِ الخاصَّةِ بِهِ وبذرِّيتِهِ، وإنَّها من ترتيبِ متكلّمي الشيعَةِ فيما بعد.

فَمَاذَا تقولُ بحديثِ الثقلين عَن النبي صلى الله عليه وآله، وبالكتابِ الَّذي أرادَ كتابَتَه يومَ رحيلِهِ فَمَنَعَهُ المنافقون بقيادَةِ عُمَرَ، وطَرَدَهُم صلى الله عليه وآله مِنَ الدَّارِ بعد أنْ صبَّ عليهم لعناتٍ متواصلةً حَيْثُ لَمْ يخرجوا في جيشِ أُسامةَ بن زيدٍ؟!.

أَلَيْسَ هَذا الكلامُ في مَجْرَى ذَلِكَ الحديثِ الشريفِ الَّذي أَثْبَتَهُ أصحابُ الحديثِ المؤيِّدينَ للشورى قَبلَ وجودِ شيءٍ من عِلْمِ الكلامِ؟.

ألا تَرَاهُ يشيرُ عليه السلام إلى اجتماعِ أهلِ البيتِ والقرآنِ وعَدَمِ افتراقِهِما؟!.
وَهْوَ أمرٌ حجَّتُهُ قائمَةٌ الآنَ!!

ولكنَّكُم قَومٌ لا تفقهون.

فتعالوا أفهِّمكُم كيفَ أنَّ حجَّتَهُ قائمةٌ الآنَ بصورةٍ علميةٍ تجريبيةٍ محضةٍ معطياتها هِيَ ذات معطيات العلوم التجريبية:

أَلَسْتُمْ تُقِرُّون أنَّ الرسولَ رحمةٌ للعالمين؟....

ستقولون: نعم!

أَلَسْتُمْ تُقِرُّون أنَّ كتابَ الله رحمةٌ للعالمين؟....

ستقولون: نعم!

أَلَسْتُمْ تُقِرُّون أنَّ تطبيقَ مَا فِيهِ يؤدِّي إلى هدايَةِ الخَلْقِ ونزولِ البركاتِ وزوالِ الأمراضِ وطولِ الأعمارِ وانعدامِ الظُلْمِ والجور؟....

ستقولون: نعم.

أَلَسْتُمْ تَرَونَ أنَّ هَذا كلَّهُ لَمْ يحْصُلْ أَمْ أنَّهُ حصل؟....

ستقولون: لا لَمْ يحْصُلْ!

أَلَسْتُمْ تُقِرُّون أنَّ عَدَمَ حصولِهِ هُوَ بِمَنْعٍ من الله أو هُوَ بِسَبَبِ قيادَةِ المُسلمين؟....

ستقولونَ: بِسَبَبِ قيادَةِ المُسلمينَ وحاشا لِلَّهِ أنْ يَأْمُرَ بالشيءِ وَيَمْنَعَ منه!

أَلَسْتُمْ تُقِرُّون أنَّ أئمَّتَكُم هُمْ قيادَةُ المُسلمينَ الأولى وأنَّ الله أعطاكُمْ فرصةَ أنْ يَحْكُمَ ثلاثَةٌ مِنْكُم أحدُهُم مؤسِّسُ الشُّورَى؟....

ستقولون: نعم كَانَ ذَلِكَ!

لا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكُم!!

أَلَسْتُمْ تُقِرُّون أَنَّكُم جِئْتُمْ إلى إمامِنا مثلما تلوذُ الغَنَمُ وتوسَّلْتُم إليه أنْ يَتَولَّى الأمْرَ من بعدِهِم؟

ستقولون: نعم كَانَ ذَلِكَ!

أَلَسْتُمْ تُقِرُّون أَنَّكُم خدعتُمُوه وعصيتُمُوه بعد أنْ أَخَذَ عَلَيْكُم العهودَ والمواثيقَ، ووجَّهتُم إليه الجيوشَ من مِصْرَ والشامَّ والبصرةَ والأنبارَ والنهروانَ

وخراسان. . فَكَأَنَّ حالهُ بينكم غريباً مِنْ دونِ الثلاثةِ حَتَّى احتاجَ إلى الاحتجاجِ عَلَيْكُم بطاعتِكُم لَهُم وعصيانكم لَهُ؟! ستقولون: نعم كَانَ ذَلِكَ!

إذَنْ. . فالحُكْمُ لكم مُنْذُ ذَلِكَ العَهْدِ. ولا يُعْقَلُ أنْ يَكُونَ فَسَادُ العالَمِ كلِّهِ وتَفَرُّقُ الأمَّةِ وهوانُهَا وعَدَمُ وصولِ هَذِهِ الرحمةِ إلى هدفِهَا بِسَبَبِ ثلاثِ سِنِينَ من تأميرِ إمامِنَا مُقَابِلَ ألفٍ وأربعمائةِ سنَةً من تأميرِ أئمَّتِكُم؟. . ثلاثِ سنينِ عَصَيْتُم وحارَبْتُم فِيْهَا إمامَنَا.

فالفَسَادُ فينا أَمْ فيكم؟ وَهَلْ ترونَ الآنَ أنَّ حصولَكُم عَلَى الاجتماعِ والانتفاعِ من عِلْمِ الكتابِ مَعَ غيابِ إمامِنا مُحَالٌ أَمْ لا تَرونَ ذَلِكَ؟

وإذن. . فالكتابُ والعترَةُ لا يفترقان حقيقةٌ برهانُهَا الواقعُ التاريخيُّ نفسُهُ، إِذْ لا مانِعَ من رحمَةِ الكتابِ سِوَى غيابِ قرينِهِ وَهْوَ العترَةُ.

لا واللهِ لا تؤمنوا باللهِ ولا تشمُّوا ريحَ الجنَّةِ مَا لَمْ تؤمنوا بالعترَةِ ولو انْحَنَتْ ظهورُكُم من الصَّلاةِ، وتقطّعت لهواتُكُم من التسبيحِ، وأرجُلُكُم من المشي إلى الحَجِّ، وأنفَقْتُم مَا في الأرضِ وملء الأرضِ ذهباً. . . لأنَّ اللهَ تَعَالَى أكبَرُ من أنْ يصِفَهُ الواصفونَ، وَهْوَ تَعَالَى يُغَرْبِلُ الخَلْقَ ويَكْشِفُ عَن نواياهُم بأوامر عجيبةٍ، لأنَّهُ يُريدُ أنْ يعبُدَهُ الخَلْقُ من حَيْثُ هُوَ يريدُ لا من حَيْثُ هُمْ يريدون!.

إِذَنْ ستنقَلِبُ المعادلةُ، وتسقطُ العبادَةُ، وَلِذَلِكَ قَرَنَ عِلْمَ الكتابِ وظهورَ الرَّحْمَةِ بهؤلاءِ القومِ الَّذي تشمئِزُّ نفوسُكُم من ذكرِهِم استكباراً.

كَذَلِكَ فَعَلَ الله تَعَالَى حِينَمَا أَرَادَ إخراجَ وكَشْفَ العنصرِ الخبيثِ من بَيْنِ الملائكةِ!

فقَدْ تدرونَ أنَّ جبريل عليه السلام يَسدُّ حجمُهُ المجموعَةَ الشمسيَّةَ أو هُوَ أكْبَرُ مِنهَا، وَكَذَلِكَ لا نَعْلَمُ قوَّةَ باقي الملائكَةِ فابتلاهُمُ الله بالسجودِ لآدمَ عليه السلام. . . آدمَ الَّذي لا جناحَ لَهُ ولا يطيرُ، وَهْوَ كائنٌ ضئيلُ الحَجْمِ

صغيرُ الجِسْمِ قياساً للملائكةِ عليهم السلام، فَهُوَ مِثْلُ النَّمْلَةِ بالنِسْبَةِ للمدينةِ الكبيرةِ! ابتلاهُمُ الله تَعَالَى بالسجودِ لهذا الكائنِ فأَعْلَنَ العنصرُ الخبيثُ بَيْنَهُم عَن رفضِهِ للسجودِ وكَشَفَ الله نفاقَهُ!.

فَمِنْ رحمَتِهِ إِذَنْ أَنْ مَنَّ الله سبحانَهُ عَلَيْكُم ببلاءٍ حسنٍ فَجَعَلَ الَّذينَ ابتلاكُمْ بِهِم بَشَراً مِنْ جنسِكُم وأعطاهُمْ مِنَ الفضائِلِ والمعاجِزِ مَا يُغْري المرءَ باتّباعِهِم وعَدَمِ التكبُّرِ عليهم! وَمَعَ ذَلِكَ استكبرتُمْ وعتَوْتُم عتواً كبيراً.

وبالمقابلِ فإنَّ مَنِ استكْبَرَ عليهم سيعَذَّبُ عذاباً لا يعذَّبُ بِهِ إبليسُ نفسُهُ!

وَلِذَلِكَ قَالَ الصادِقُ عليه السلام في حديثِ الجُبِّ:

«إنَّ في جهنَّمَ وادياً يشتكي أهلُ النارِ وسُكَّانُ جهنَّم مِنْ حَرِّهِ ونَتَنِهِ، وفي الوادي قُلَيبٌ يشتكي أهلُ الوادي مِنْ حَرِّهِ ونَتَنِهِ، وفي القُلَيبِ جُبٌّ يشتكي أهلُ القُلَيبِ مِنْ حَرِّهِ ونَتَنِهِ وَمَا أَعَدَّ الله فِيهِ من العذابِ وفي الجُبِّ تابوتٌ يَضِجُّ أَهْلُ الجُبِّ من عذابِهِ وفي التابوتِ خَمْسَةُ نَفَرٍ».

أَفَتدري مَنْ هَؤُلاءِ الخمْسَةُ يا بنَ الماكرينَ المُفْتَرين؟ إنَّهُم الَّذينَ أحرقوا الأولياءَ، والذينَ ادَّعوا مَعَ الله إلهاً آخرَ:

نمرودُ صاحِبُ إبراهيمَ عليه السلام وقابيلُ صاحِبُ هابيلَ، وفرعونُ صاحِبُ موسى وأعرابيانِ غليظَا القَلْبِ من هَذِهِ الأمَّةِ صاحبي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله.

أَعَرَفْتَهُما يا هَذا؟

قَالَ تَعَالَى:

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

فَهَذَا أَحَدُ الرَّجُلينِ وقَدْ أَثْبتَ عَلَيْهِ الكُفْرَ في كُلِّ ألفاظِ الآيَةِ، وَذَلِكَ بملاحظَةِ الأمورِ الآتيَةِ:

الأمرُ الأوَّل: إنَّهُ خَرَجَ أوَّلاً مِنْ قِبَلِ الَّذينَ كَفروا. ولا يُعْقَلُ أنْ يُخرجُوا صاحِبَهُ ويتركُوهُ. والإخراجُ إنَّمَا هُوَ للنبيِّ ﷺ، فَمَا قَالَ «أخرجوهما» بَلْ أخرجوا الرسول. وَأمَّا هُوَ فتطوَّعَ بالخروجِ لأجلِهِم فَأَصْبَحَ النبيُّ بعْدَهُ زمنياً. وَلِذَلِكَ أصبحَ ثانياً في الخروج مَعَ أَنَّهُ أَوَّلٌ في الإخراجِ.. فافهم يا معتوه!.

الأمرُ الثاني: إنَّهُ فوجِئَ بالانتقالِ إلى الغارِ فَمَا أدْرَكَ الموضِعَ ولا المسافَةَ وَحَبِطَ التخطيطُ، لأنَّهُ إنَّمَا خَرَجَ للإعلامِ بموضِعِ النبيِّ حَتَّى يقتلوه ففوجِئَ وَهُوَ في الغار: **«إِذْ هما في الغار»**.

الأمرُ الثالِثُ: سمَّاهُ صاحِبَهُ وَهُوَ في القرآنِ خلافَ التابعِ في ستَّة عشر من المواضعِ فتدبّرْ وافهم!.

الأمرُ الرابعُ: إنَّهُ تَعالَى أنْزَلَ السكينَةَ عَلَى النبيِّ ﷺ وحْده دونَ صاحبِهِ، لأنَّهُ لا يستحِقُّ. عِلْماً أَنَّ السكينَةَ تَنْزِلُ عَلَى المؤمنين في المواقِفِ كلِّها. قَالَ تَعالَى:

﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦].

وَقَالَ تَعالَى:

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦].

فأثبتَ تَعالَى بِهذا كونَهُ مِنْ غيرِ المؤمنين.

الأمرُ الخامسُ: إنَّهُ تَعالَى أَيَّدَ النبيَّ ﷺ وحدَهُ عِلْماً أنَّ التأييدَ ينزِلُ عَلَى المؤمنينَ، فراجع موارِدَ التأييدِ في القرآنِ ينكشِفُ لَكَ السِّرُ في الحال[1].

الأمرُ السادِسُ: إنَّهُ تَعالَى أَيَّدَ رسولَهُ بجنودٍ لَمْ يروها. وأبو بكرٍ مِنَ المُخاطبينَ قَطْعاً فيدلُّ عَلَى أنَّهُ لَيْسَ من الجنودِ، فَلَمْ يكُنْ مؤيَّداً بِهِم ولا مؤيِّداً مِنْهُم! فَهُوَ عنصرٌ غريبٌ.

الأمرُ السابعُ: إنَّهُ تَعالَى أَثْبَتَ عَلَيْهِ الحُزْنَ في هَذا الموضِعِ!. والموضِعُ موضِعُ خوفٍ لا حزنٍ. والحُزْنُ هُوَ دَوْماً عَلَى مَا فاتَ، والخوفُ هُوَ دَوْماً مِمَّا يُحْتَمَلُ أَنْ يأتيَ مستقبلاً!.

وَلَمَّا كَانَ أبو بكرٍ حزيناً لا خائفاً دلَّ ذَلِكَ عَلَى وجودِ شيءٍ فاتَهُ.. وَلَمْ يَفُتْهُ شيءٌ سِوَى نجاةِ الرسولِ.. فافْهَمْ وراجِعْ موارِدَ الخوفِ والحُزنِ في القرآنِ تظْهَرُ لَكَ جلِيَّةُ الحَال.

الأمرُ الثامِنُ: إنَّهُ تَعالَى أَثْبَتَ وجودَ كلمتَينِ في الغَارِ أحدُهمَا كَلِمَةُ الله العُلْيَا وَهُوَ رسولُ الله، والأخرى كَلِمَةُ الَّذينَ كَفَروا وَهُوَ أَبو بكر.

وَلِذَلِكَ فلاحِظْ الاتّفاقَ العجيبَ بَيْنَ هَذِهِ الآيةِ وبَيْنَ آخرِ آيةٍ نَزَلَتْ في حُجَّةِ الوداعِ لَمْ تَنْزِلْ بعْدَهَا إلاَّ آيَةُ النِعْمَةِ وسورَةُ النَّصْرِ، وَهِيَ قَولُهُ تَعالَى:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤].

نزلت في الثلاثَةِ المتآمرينَ الَّذينَ كَشَفَهُم حُذَيفَةُ بن اليمَّانِ حَيْثُ قالوا حِينَمَا

---

(١) سيأتي ذكر الموارد في القسم الثاني من الكتاب وَكَذَلِكَ المزيد من التفصيل.

عَقَدَ النبيُّ ﷺ لعليٍّ عليه السلام البيعةَ: «**هَذا لا يكونُ قط**»، واتَّفَقوا أَنْ يجعلوا أبا بكرٍ مِنْ بعْدِهِ ويقتلوا عليّاً. فأشارَتِ الآيَةُ إلى إمكانيَّةِ حصولِ خلافتِهِ بَعْدَ كُفْرِهِم وَعَدَمِ قُدْرَتِهِم عَلَى قَتْلِ عليٍّ عليه السلام. . وقَدْ وَرَدَ تفسيرُ الآيَةِ عَن أهلِ البيتِ عليهم السلام في سبعَةِ أحاديثٍ، وأنَّ المقصودَ بـ «كَلِمَةِ الكُفْرِ» هُوَ أبو بكر[1].

فأنْ كُنْتَ صادِقاً فأَخبِرْنَا مَنْ هَؤُلاءِ الَّذينَ حَلَفوا؟ وعَلامَ حَلَفوا؟ وكَيفَ كَفَروا بعد إسلامِهِم؟ وبماذا هَمُّوا؟. فَإِنَّكَ مِنْ أصحابِ الشُّورَى، وتقولُ «كُلُّ الأصحابِ عدولٌ»، والقرآنُ يقولُ: إنَّ هُنَاكَ مَنْ كَفَروا بَعْدَ إسلامِهِم وقالوا كَلِمَةَ الكُفْرِ!.

حَدَثَ ذَلِكَ قَبْلَ رحيلِ النبيِّ ﷺ. ومعلومٌ أنَّ القرآنَ لا يَذْكُرُ قوماً لا أهميَّةَ لَهُم!، إنَّهُ يَذْكُرُ قوماً هَمُّوا بقضيةٍ مرتبطةٍ بالرسالةِ والرسولِ والكُفْرِ والإيمانِ!.

أَخْبَرَ حذيفَةُ النبيَّ ﷺ بالمؤامَرَةِ حَيْثُ كَانَ نائماً في الخيمَةِ المجاورَةِ اللصيقَةِ بخيمَتِهِم وَلَمْ يعلَمُوا بِهِ. وَحِينَمَا انْتَهَرَهُم وهدَّدَهُم بإخبارِ النبيِّ ﷺ قالوا: «والله لنحلفَنَّ مَا قُلْنَا ونَحْنُ ثلاثةٌ وَأَنْتَ واحدٌ، فَهَلْ تَرَى أنَّهُ يكذِّبُنَا ويُصَدِّقُكَ؟».

لقَدْ كَانَ النبيُّ ﷺ يُعامِلُ المنافقينَ عَلَى الظاهِرِ لا عَلَى الباطِنِ مَعَ عِلْمِهِ بالظاهِرِ والباطِنِ. وَجَرَتْ أوامِرُ الوحي عَلَى هَذا القانونِ، لأنَّهُ تَعالَى أمْهَلَهُم إلى يومٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأبْصَارُ ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٨].

وَيحَ هَذِهِ الأمَّةِ. . فانظُرْ إليها كَمْ أَلَّفَتْ من الكُتُبِ في ترّهاتِهَا الخاصَّةِ؟: فَهَلْ تَقْدِرُ عَلَى إحصاءِ كُتُبِ اللغَةِ والفقْهِ والأدَبِ؟

---

(١) عن كتاب حجة الخصام/ في تَفْسيرِ الآية. وانظر لِذَلِكَ البرهان.

إنَّهَا لا تُحْصَى.

وَلكنَّ انظر هَل أَلَّفَتْ كتاباً وَاحِداً في موضوعِ النفاقِ؟.

كلاَّ.. مَعَ أنَّ آياتِ المنافقينَ هِيَ مِنَ الكثرَةِ والتنوُّعِ، وتتضمَّنُ علوماً في العقائد وعلْمِ النفسِ الجماعيِّ والفرديِّ مَا لا يَخْطِرُ عَلَى قَلْبِ مخلوقٍ!.

لِماذَا؟ لأنَّ السرَّ ينكَشِفُ في آياتِ المنافقين ويظْهَرُ المستورُ. فلعنةُ الله عَلَيْكَ أيُها الكاذِبُ حَيْثُ تَجعَلُ الأَمْرَ شُورَى، فَإنَّهُ لا يَغْلِبُ في الشُّورَى غَيْرُ المنافِقِ.

بَلْ الأكيدُ لا يَغْلِبُ إلاَّ هُوَ. لأنَّ الله تَعَالَى قَالَ عن المنافقينَ:

١ - تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُم:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

٢ - إنْ يقولوا تَسْمَعُ لقولِهِم:

كَمَا في الآيَةِ السابقَةِ!!

٣ - يَشْهَدُ اللّه عَلَى مَا في قلوبِهِم:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

٤ - كَاذِبون:

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢].

وفي القرآن آياتٌ أُخرَى تشيرُ إلى كذبِهِم!!

٥ - مُسْتَعْجِلون:

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٨].

٦ - يتقدَّمونَ في السِلْمِ أَمَامَ الصُّفوفِ:

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢].

٧ - يَتَرَاجَعونَ في الحَرْبِ إلى الوَرَاءِ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

٨ - يُخَادِعون اللّه والَّذينَ آمَنوا:

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

٩ - المُسْلِمونَ «سَمَّاعونَ لَهُم»:

﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧].

١٠ - يَحْلِفُونَ باللّهِ مَا يُرِيدونَ غَيْرَ الحُسْنَى:

﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٢].

١١ - يَنْشرونَ إشَاعَاتِ الاستِضْعَافِ للمُؤْمنينَ:

كَمَا في آية التوبة السابقة.

١٢ - **يُعْلونَ أصواتَهُم بالدَعْوَى إلى الإصْلاحِ وحَقِيقَتُهُم أنَّهُم مُفْسِدون:**

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

وإلى صفاتٍ لَهُم أُخرَى كثيرةٌ..

فَمِنَ الطبيعي أنْ يُتَابعَهُم الناسُ ويتركونَ الأولياءَ، لأنَّ أكثرَهُم فاسقون.

عودَةٌ إلى ذِكرِ أقوالِهِ عليه السلام في الإمامَةِ:

ي - وَمِنْهَا قَولُهُ عليه السلام:

لا يُقَاسُ بآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ ولا يُسَوَّى بِهِم مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُم عَلَيْهِ أَبَداً: هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وعِمَادُ اليَقِينِ. إلَيْهِم يَفِيءُ الغَالِي. وبِهِمْ يَلْحَقُ التَالِي وَلَهُم خَصَائِصُ الوِلايَةِ. وفِيهِم الوَصِيَّةُ والوِراثَةُ. الآنَ إذْ رَجَعَ الحَقُّ إلى أَهْلِهِ ونُقِلَ إلى مُنْتَقَلِهِ.

الخطبة/ رقم ٢/ الفقرة الرابعة

مَعَ هَذا كلِّهِ يقولُ المُنافِقُ إنَّهُ بَحَثَ في نَهْجِ البلاغَةِ كلِّهِ فَمَا وَجَدَ فِيهِ إشارةً إلى إمامةِ أهلِ البيتِ عليهم السلام وحَصْرِ الإمامةِ فيهم. واستَشْهَدَ بفَقَرَةٍ واحدَةٍ ستأتيك قريباً مثلما فَعَلَ الأفَّاكُ المصريُّ الكَذوبُ عمارةُ[1] الهَدْمِ حِينَمَا قَالَ نَفْسَ القولِ واستَشْهَدَ بِنَفسِ الفَقَرَةِ!.

عجباً لهؤلاءِ فإنِّي لا أعجبُ من جُرْأتِهِم عَلَى الله ورسولِهِ، ولكنِّي أعْجَبُ لمهانَتِهِم في هَذِهِ الدُّنْيا!.

أَفَلاَ يحتاجونَ إلى قُرَّاءٍ ومشترينَ لِمَا أنفقوا؟ أَمْ أنَّ الناسَ أصبحوا يفضِّلون الأكاذيبَ، وأنَّ الصِدْقَ سلعتُهُ ثقيلةُ الحرَكَةِ في سوقِ الأفكارِ؟.

---

(١) يقصد به الكاتب المصري المعروف د. محمد عمارة.

هَذا محتملٌ جِدّاً. . فإنَّ أكثرَ الخَلْقِ يتحوَّلونَ بالتدريجِ إلى بهائمَ لا تميِّزُ، وإلاَّ كيف تبقى قِلَّةٌ تدخلُ الجنَّةَ، بَيْنَمَا الأكثريَّةُ إلى النارِ كَمَا قَالَ الله تَعَالَى؟.

ألا تَرَى في هَذا النصِّ أنَّهُ عليه السلام:

١ - رَفَضَ قياسَهُم بأيِّ واحدٍ من الأمَّةِ؟

فأينَ مَا زَعَمْتَهُ من مفهومِ الأولويةِ؟

٢ - يقول: إنَّهُم أساسُ الدِّينِ. . فإذا لَمْ يُولُّوا لَمْ يَبْقَ دِينٌ؟.

وَهَذا هُوَ الواقعُ المُعَاينُ أَمْ تسمِّي هَذا الواقِعَ الَّذي فِيهِ المسلمون - مَعَ امتلاكهم كُلّ الثروات - أذلُّ للأجنبي من الأمَةِ لمالِكِها واقعاً دينياً؟

٣ - يقولُ: إنَّهُم الحالُ الأوسَطُ الحقيقيُّ الَّذي يَجْمَعُ ويجتَمِعُ عَلَيْهِ الغالي والقالي؟.

٤ - يقولُ: إنَّ لَهُم خصائصَ الولايَةِ والوصيَّةِ والوراثَةِ؟.

٥ - جَعَلَ للحقِ أَهْلاً. وَقَالَ هَذا الكلامَ عِنْدَ خلافَتِهِ ولا يَجوزُ لَهُ ذَلِكَ لَولا المعاني المتقَدِّمَة في الخِطَابِ.

فَقُلْ للأفَّاكِ الكَذوبِ: عَن أيِّ صحابةٍ تتحدَّثُ؟

وعن أيِّ مقارنةٍ وقياسٍ تتكلَّمُ؟

وعن أيِّ شُورَى تتكلّم؟

صَاحَبُوهُ وَنَافَقُوا في هَوَاه	فَهُوا في جَحِيمِهَا ولَظَاهَا
نَقَضُوا عَهْدَ أَحْمَدٍ في أخِيهِ	وَأذَاقُوا البَتُولَ مَا أشْجَاهَا
لَمْ يَذُوقُوا الهُدَى وَلَو طَعِمُوهُ	عَرَفُوا لِلنَبِيِّ قَدْراً وَجَاهَا
مَا لَكُمْ قَدْ مَنَعْتُمُوهُمْ حُقُوقَاً	أوْجَبَ الله في الكِتَابِ أدَاهَا
تَدَّعُونَ الإسْلامَ إفْكَاً وَزُوراً	كَذَبَتْ أمَّهَاتُكُم بِادِّعَاهَا
لَمْ نَسَلْكُمْ لِحَاجَةٍ واضطِرَاراً	بَلْ نُدَلُّ الوَرَى عَلَى تَقْوَاهَا

هَـذِهِ الـبُـرْدَةُ الَّـتـي غَـضِـبَ الـلـهُ عَـلَـى كُـلِّ مَـنْ سِـوَانَـا ارْتَـدَاهَـا
فَـخُـذُوهَـا مَـقْـرُونَـةً بِـشَـنَـارٍ غَـيْـرَ مَـحْـمُـودَةٍ لَـكُـمْ عُـقْـبَـاهَـا
وَالـبِـسُـوهَـا لِـبَـاسَ عَـارٍ وَنَـارٍ قَـدْ حَـشَـوْتُـمْ بِـالـمُـخْـزِيَـاتِ وِعَـاهَـا[1]

ك - وَمِنْهَا قوله عليه السلام :

في كتابٍ لمعاويةَ حَيْثُ احتجَّ بشورى عُمَرَ لِفَصْلِ الشام عَن الدولَةِ الإسلاميَّةِ حَيْثُ اتَّفقَ مَعَ الروم عَلَى ذَلِكَ مُنْذُ عَهْدِ عُمَرَ الَّذي ولاَّه عَلَيْهَا عشرين سَنَةً هُوَ وعثمان. قَالَ عليه السلام :

وَإِنَّمَا الشُّورَى للمهاجِرينَ والأَنْصَارِ فَإِنْ اجْتَمَعوا عَلَى رَجُلٍ وسمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًى فإِنْ خَرَجَ عَن أَمْرِهِم خَارِجٌ بِطَعْنٍ أو بِدْعَةٍ رَدُّوه إلى مَا خَرَجَ مِنْهُ فإِنْ أَبَى قَاتَلوه عَلَى إتِّبَاعِهِ غَيرَ سَبيلِ المؤمنين

النهج باب الكتب رقم/ ٢٤٥

استَشْهَدَ الأَفَّاكُ بِهَذا النصِّ للزَعْمِ بِأَنَّ أميرَ المؤمنين يُؤْمِنُ بالشورى ولا يُؤْمِنُ بالوَصيَّةِ. وَلَمْ يُشِرْ إلى أَنَّ هَذا الكلامَ هُوَ في كِتَابٍ مُوَجَّهٍ لمعاويَةَ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ معاويَةَ أَنْكَرَ الوَصِيَّة والإمامَةَ واحتجَّ بالشورى!.

وَذَلِكَ لكي لا ينتَبِهَ القارئُ إلى أَنَّ كلامَهُ عليه السلام هُوَ للمُحَاجَجَةِ مَعَ المُنْكِرِينَ للوصيَّةِ، فَأَسقَطَ حجَّتَهم بالشورى أَيْضاً!.

أيْ أَنَّ أميرَ المؤمنينَ يقولُ لمعاويَةَ: «إذا كُنْتَ تؤمِنُ بالشورى - والكلامُ نَفْسُهُ موجَّهٌ للأَفَّاكِ شقيقِ معاويَةَ البغي والعُدوانِ وإلى كُلِّ مَنْ هُوَ عَلَى شاكلتِهما - فإِنَّ الشُّورَى خاصَّة بالمُهَاجرينَ والأنصارِ، فَأَنْتَ إِذَنْ خارجٌ عَنْهَا»!

فَقَولُهُ عليه السلام : **«فَإِنْ اجْتَمَعوا عَلَى رَجُلٍ وسمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رضًى»** هُوَ كلامٌ حقٌّ يَحْمِلُ تكفيرَ عُمَرَ واضِعِ الشُّورَى لا تبريرَ الشُّورَى!

---

(١) الأبيات من القصيدة الأزرية الشهيرة عَلَى ناظمها رضوان الله تعالى.

ذَلِكَ لأنَّ عُمَرَ استَعْمَلَ المَعْنَى القرآنيَّ لآيَةِ الشُّورَى وطَبَّقَ من الواقِعِ خِلافَهُ وعكْسَهُ.

أولاً: إنَّ عُمَرَ أَخَذَ الخلافَةَ من الأوَّلِ بلا شُورَى. فإذا كَانَتْ الشُّورَى هِيَ نظامُ الحُكْمِ في القرآنِ فولايتُهُ إِذَنْ باطلَةٌ!

وثانياً: انظُرْ إلى شُورَى عُمَرَ.. فإنَّ شُورَى عُمَرَ فِيْهَا سِتَّةُ أشخاصٍ فقط، بَيْنَمَا المهاجرون والأنصارُ هم بالمئاتِ إنْ لَمْ يَكُونُوا أُلُوفاً.

فَمَنْ هُوَ الَّذي استَبَدَّ برأيِ الأمَّةِ أولاً أَيُّها الأحمَقُ؟

إِذْ لَمْ يجتَمِعِ المهاجرونَ والأنصارُ كلُّهُم عَلَى رَجُلٍ ويسمُّونَهُ إمَامَاً.. فَلَو فَعَلَوا لكانَ هَذا الإمامُ هُوَ رضا الله بالطبعِ سواء أكَانَ اسْمُهُ علياً أو زيداً أو غَيْرَ ذَلِكَ!

لكنَّ هَذا مُحالٌ!!

لأنَّ اجتماعَهُم عَلَى رَجُلٍ واحِدٍ هُوَ ضَرْبٌ مِنَ المُحَالِ قَطْعاً.

فإذا افْتَرَضْنَا أنَّهُم أرادوا أنْ يجتمِعُوا عَلَى رَجُلٍ هُوَ غَيْرِ المنْصوصِ عَلَيْهِ، فَلَنْ يَتَحَقَّقَ لَهُم هَذا الاجتماعُ، وَذَلِكَ لِبَقَاءِ المَنْصوصِ عَلَيْهِ خَارِجَ هَذا الاجتماعِ!، إِذْ يُحْتَمَلُ أنْ يِضِلَّ الخَلْقُ كلَّهُم وَلكنَّ المعصومَ لا يَضِلُّ قط.

وَلِذَلِكَ قَالَ النبيُّ ﷺ:

«لا تجتمِعُ أُمَّتي عَلَى ضَلالٍ».

وَذَلِكَ لوجودِ الحُجَّةِ ومَنْ تابَعَهُ.. وَمعْنَى ذَلِكَ لَو فَهِمْتَ: إنَّ الانحراف والضَّلالَ آتيانِ لا محالةَ. ورسولُ الله ﷺ يُشيرُ إلى كُلِّ مُكَلَّفٍ لِيَبْحَثَ عَنِ الحَقِّ في هَذا الضَّلالِ لأنَّهُ لا بُدَّ من بقاءِ لنورِ الله في الأَرْضِ ولا بُدَّ من وجودِ من لا يَضِلُّ من أُمَّتِهِ.

وَهَذِهِ الكَلِمَةُ الجامِعَةُ لَهُ عليه السلام هِيَ للمَنْعِ من الردَّةِ.

ألا تَرَاه في النصِّ يقولُ «إذا اجْتَمَعوا» - وَهَذا الشَّرْطُ مُحالٌ. . فَإِنَّهُم لَنْ يجتمِعُوا قط عَلَى غَيْرِ المعصومِ.

فإذا قُلْتَ: «فَإِنَّهُم أَيْضاً لا يجتمعونَ عَلَى المعصومِ «صاحِبِ الوَصِيَّةِ» ومُحَالُهُ مِثْلُ مُحَالِ الأَوَّلِ!

أقول: «إِذَنْ فَأَنْتَ لَمْ تَفْهَم إلى الآنَ لُغَةَ المعصومِ!. فالمعصومُ لا يَنْطِقُ عَن الهوى ولَفْظُهُ هُوَ لَفْظٌ مُنْتَزَعٌ من القرآنِ. إِذْ «المهاجرون والأنصارُ» هُمْ عَلَى المَعْنَى القرآنيِّ في النصِّ لا عَلَى المَعْنَى الذهنيِّ الَّذي عندك!، لأنَّ الَّذي عندك هُوَ أسماءٌ فِيْهَا مِنْ بَيْنِ مَا فِيْهَا المنافقون. وهؤلاءِ ليسوا عِنْدَ الله من المهاجرينَ وإِنْ هاجروا، وليسوا عِنْدَ الله من الأنصارِ وإِنْ كانوا مَعَهُم».

فإن قلت: «وكَيفَ يُعرَفُ هَذا؟».

فالجوابُ: «هُنَا تَكمنُ المُحَاجَجَةُ. فالإمامُ عليه السلام يريدُ أَنْ يبيِّنَ أَنَّ الشُّورَى هِيَ بِهَذا المَعْنَى المحصورِ بَيْنَ «المؤمنينَ» لا بَيْنَ «الَّذينَ آمنوا». إِنَّهَا اختيارُ الله لا اختيارُ الخَلْقِ. فالخَلْقُ لا يتَّفقونَ في كُلِّ الأحوالِ. والاجتماعُ ممكِنٌ ولَهُ مَعْنَى بِهَذا الحَدِّ. فإذا خَرَجَ عَنْ هَذا الحَدِّ أصبَحَ مُحالاً».

فَهُوَ عليه السلام يَحْتَجُّ بالمُحَالِ لإثباتِ الوَصِيَّةِ لا لتبريرِ الشُّورَى.

وَلكنَّ معاويَةَ حَيْثُ لا يَزْعمُ باستغراقِ الشُّورَى للأفرادِ فَرْداً فَرْداً، وَإِنَّمَا هِيَ بنظَرِهِ مقصورةٌ عَلَى الزعاماتِ القبليَّةِ لعقليَّتِهِ الرجعيَّةِ وجاهليَّتِهِ المُسْتَحْكمَةِ فِيهِ فإنَّ إسقاطَ حجَّتَه قَدْ تَمَّ بِهَذا، لأنَّ بيعَةَ عليٍّ عليه السلام لَمْ تكُنْ من جانِبِ الزعاماتِ فقط، وَإِنَّمَا من مجموعِ المهاجرين والأنصارِ وعامَّةِ الناسِ بِمَنْ فيهم النساء والصبيان. وَهِيَ البيعَةُ الوحيدَةُ الَّتي تَمَّتْ بِهَذِهِ الصورَةِ عَلَى مرِّ التاريخِ الإسلامي. وَهُوَ الوحيدُ الَّذي انْفَرَدَ بِهَذِهِ البيعَةِ دونَ سائِرِ الخَلْقِ الَّذينَ حَكَموا المُسلِمين.

وَحَتَّى الَّذينَ لا يرغبونَ فِيهِ ويَبْغضونَهُ، بايعوه طَوعَاً ثُمَّ نكثوا وادَّعو أنَّهُم بايعوا باللسانِ دونَ القَلْبِ! فتأمّل!

وهؤلاءِ وأمثالُهُم قَدْ شَهِدوا عَلَى أنفسِهِم بالنفاقِ من غَيْرِ أنْ ينتبهوا، ذَلِكَ لأنَّ منادي عليٍّ عليه السلام قَدْ نادى أنْ لا إكراهَ في البيعَةِ فَمَنْ شَاءَ أنْ لا يُبايعَ فَلا تثريبَ عَلَيْهِ. وقَدْ فَعَلَ هَذا أملاً بأنْ يُحاجِجَهم فيما بَعْدُ بالحُسنى.

فانظُرْ أخي القارئ كيف هُوَ صِدْقُ النبي مُحَمَّدٍ الصادِقِ الأمينِ صلى الله عليه وآله حِينَمَا يقولُ:

«عليٌّ مَعَ الحَقِّ والحَقُّ مَعَ عليٍّ يَدورُ مَعَهُ حَيْثمَا دَار».

ل - وَمِنْهَا قوله عليه السلام:

وَأَعْجَبَاهُ أَتكونُ الخِلافَةُ بالصَّحَابَةِ وَالقَرَابَةِ؟

تصنيف النهج/ ٨٤/ ص ٢٦٠

هَكذا يَسْتَهْجِنُ الإمامُ عليٌّ عليه السلام كافَّةَ القِيَمِ الجاهليَّةِ والرجعيَّةِ.

فَلا الصحبَةُ ولا القُرْبى تشكِّلُ عندَهُ مُسْتَنَداً للخِلافَةِ.. فَمَا أَكْثَر الأصحابِ؟، وَمَا أكْثَر الأقارِبِ؟.. إنَّهُ لَيْسَ بِمُلكٍ كسرويٍّ وراثيٍّ حَتَّى يكونَ الأولى بِهِ هُوَ الأقْرَبَ بالرحمِ أو الأقْرَبَ لحمةً من صاحِبِ الرسالةِ!. فالمنافِقُ يسرعُ هُوَ الآخرُ «حَيْثُ يَأْمَنُ المَكَارِهَ» في الطاعَةِ ويمثِّلُ دَوْرَ المطيعِ المُتَفَاني.

وَلَيْسَتْ الشُّورَى إلاَّ تكريساً لِهَذا المَعْنَى.. لأنَّ مَعْنَى الشُّورَى هُوَ أنْ يتشاوَرَ هَذا الجَمْعُ غَيْرُ المُتَجَانِسِ بِشَأْنِ الحكومَةِ ويَخْتَارَ الحَاكِمَ.

فالاختلافُ هُوَ في هَذا...

الشُّورَى هِيَ الاختلافُ نفْسُهُ وَلَيْسَتْ حَلاً للاختلافِ.

إن الاختلافَ والرَّغْبَةَ في السُّلطانِ قَدْ قَوِيَتْ بَعْدَ الشُّورَى حَتَّى صَارَ يَطْمَعُ فِيهَا مَنْ كَانَ لا يُفَكِّرُ أَصْلاً بالخلافة!!

وَكَفَى بالشورى سُبَّةً وفَضِيحَةً أَنْ يُدَافِعَ عَنْهَا رَأْسُ البَغْي والجورِ معاويةُ بن أَبي سفيان!!

م - وَمِنْهَا قوله عليه السلام:

فَأَيْنَ تَذْهَبونَ؟ وَأَنَّى تُؤْفَكون؟ والأَعْلامُ قائِمَةٌ والآياتُ واضِحَةٌ، والمَنَارُ منصوبَةٌ. فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُم وَكَيْفَ تَعْمَهون؟ وَبَيْنَكُمْ عترَةُ نَبِيِّكُمْ وَهُمْ أَزِمَّةُ الحَقِّ وَأَعْلامُ الدِّينِ وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ! فَانْزِلوهُم بِأَحسَنِ مَنَازِلِ القُرْآنِ وَرِدُوهُم وُرُودَ الهِيمِ العِطَاشِ..

أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَبِيينَ صلَّى الله عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ وَلَيْسَ بِبَالٍ فَلا تَقُوْلُوا بِمَا لا تَعْرِفُوْنَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الحَقِّ فِيْمَا تُنْكِرُوْنَ. أَلَمْ أَعْمَلْ فِيْكُمْ بِالْثِقْلِ الأَكْبَرِ وَأَتْرُكْ فِيْكُمْ الثِقْلَ الأَصْغَرَ؟

نهج البلاغة/ الخطبة ٥٨

هَذا هُوَ حجَّةُ الله، وَهَذا هُوَ مَعْنَى حُجَّةِ الله..

لأنَّ بِهِ تكونُ الحُجَّةُ للهِ عَلَى الخَلْقِ. فَلا مُسوِّغَ للاختلافِ. فَمَنْ ضَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ فإلى النارِ بحَقٍّ ومَنِ اهتدَى فإلى الجَنَّةِ بحَقٍّ.

وإذا غَابَ القَرينانِ أو أحدُهُمَا اخْتَلَفَ النَّاسُ، وعندها فَلَهُمُ الحُجَّةُ في الاختلافِ.

ستقولون: ربَّنا أَنْزَلْتَ كِتَاباً لَمْ نقْدِرْ عَلَى تأويلِهِ، وَلَمْ تَضَعْ لَنَا مَنْ يقومُ بِهِ، وفينا من يَطْمَعُ بالسلْطَانِ فاخْتَلَفْنَا، وكلٌّ حَسبَ اجتهادِهِ وَفَهْمِهِ وسُفِكَتْ دماؤُنَا وعِشْنَا في الضَّنَكِ فَكَيْفَ تُعَذِّبُنَا بَعْدَ هَذا كلّه؟!

أجل.. سَتَكونُ الحُجَّةُ لَهُم عَلَى اللهِ.

وَلكنْ إذا كَانَ «المَنَارُ مَنْصوباً»، وإذا كَانَتِ «الأعلامُ قائِمَةً» و«الآياتُ واضِحَةً» والعترَةُ موجودَةً حَتَّى الميِّتُ مِنْهَا لا يموتُ والبالي لا يَبلى لوجودِ كلامِهِ وسيرَتِهِ ووَرَثَتِهِ دَوْماً بلا انقطاعٍ..

إذا كانَ ذلكَ كذلكَ فَلا حُجَّةَ للخَلْقِ عندئذٍ في الاختلاف..

بَلْ لَو لَمْ يُنَصِّب الله إمَامَاً فَلا مَعْنَى أَصْلاً لِكُلِّ مَا فَعَلَ مِنْ إرسالِ رسولٍ وإنزالِ كتابٍ.

وَلِذَلِكَ أَكَّدَ أهْلُ البيتِ في أَكْثَر مِنْ أربعينَ ألف نِصٍّ واضِحٍ وجَلِيٍّ كُفْرَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الإمامَةَ باختيارِ النَّاسِ.

أهلُ البيتِ عليهم السَّلام الَّذينَ يُحَاوِلُ الكاتبُ مُخَادَعَتَهُم والتقوُّلَ عليهم..

فَلِمَاذَا تَرَكَ الكاتبُ هَذِهِ الخُطَبَ والنصوصَ وَلَمْ يَذْكُرْها للقارئ؟

لأنَّهُ يُريدُ مُخادعَتَهم.

وَبَعْدَمَا أَوْضَحْتُ هَذا لِبَعْضِ القُرَّاءِ مَقَتُوهُ وَكَرِهوا سِمَاعَ اسمِهِ والتَفَوُّهَ بِذِكْرِهِ، وتلك هِيَ عاقِبَةُ الَّذينَ أساؤوا السوأى أَنْ كَذَّبُوا بآياتِ الله وكانوا بِهَا يَسْتَهْزِئون.

ن - وَمِنْهَا قوله عليه السلام:

أَيْنَ الَّذينَ زَعَمُوا أَنَّهُم الرَّاسِخُونَ في العِلْم دُونَنَا كَذِباً وَبَغْياً عَلَينا أَنْ رَفَعَنَا الله وَوَضَعَهَمُ وأَعْطَانَا وحَرَمَهُم وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُم. بِنَا يُسْتَعْطَى الهُدَى وَيُسْتَجْلَى العَمَى.

نهج البلاغة/ الخطبة/ ١٤٢

أَقولُ: الأداةُ «أنْ» في العبارَةِ سببيَّةٌ أي أَنَّهُم ادَّعوا هَذا للأسبابِ الثلاثَةِ حَيْثُ وضعَهُم الله وَرَفَعَ آلَ البيتِ وحَرَمَهُم وأَعْطَى آلَ البيتِ وأَخْرَجَهُم وأَدْخَلَ آلَ البيتِ.

والمفاعيلُ والمتعلّقاتُ متروكَةٌ لتعدُّدِهَا وعَدَمِ إمكانيَّةِ إحصائِهَا في هَذا المُخْتَصَرِ. فَلَو جَاءَ بأحَدِ المتعلّقَاتِ واقْتَصَرَ عَلَيْهِ فَسَيَغمُطُهُم حقَّهم.

يُقالُ: مَاذَا أعطاهم؟. فيُقالُ: أعطاهُم عِلْمَ الكِتابِ وأعطاهُم الجودَ والحِلْمَ والشجاعَةَ وعِلْمَ المَنَايَا والبَلايَا وفَصْلَ الخِطابِ و.. و.. وَمَا لا يُحْصَى. وَلِذَلِكَ تَرَكَ ذِكْرَ المتعلَّقاتِ.

وَلَمَّا كانوا قَدْ حَسَدُوهُم عَلَى هَذِهِ الثلاثَةِ فقَدِ ابتَكَروا دَعْوى الرسوخِ في العِلْمِ مَعَهُم أو دونَهُم.

وَهَذا يَحْتاجُ إلى تَفْسيرٍ وتوضيحٍ لأنَّ بقيَّةَ الصِّفاتِ لا يقَدِرونَ عَلَى ادِّعائِها..

فَلَو ادَّعوا الجودَ والإنفاقَ كَذَبوا وانْكَشَفُوا لأنَّ عُمَرَ دَفَنَ أصوعَةَ التَّمْرِ عِنْدَمَا أَمَرَهُ النبيُّ ﷺ بالإنفاقِ.. وَلَمْ يُنْفِقْ لا هُوَ ولا أَحَدٌ سِواه درهَماً وَاحِداً لمناجاةِ النبيِّ ﷺ حِينَمَا نَزَلَ قانونُ التَّصَدُّقِ قَبْلَ التقَدُّمِ بمناجاتِهِ، فَتَرَكوه عَشْرَةَ أيامٍ لا يَرَاهُ سِوَى علي بن أبي طالب[1]!!

وإن ادَّعوا الشجاعَةَ فَضَحُوا أنفسَهُم. فَهُمْ جبناءُ يَفِرُّونَ مِنْ أضْعَفِ المُقَاتلين.. ويُظْهِرونَ شَجاعتَهُم عَلَى الأَسْرَى والنِسْوان فقط!

فَتَتَبَّعْ شَجَاعَةَ عُمَرَ في التاريخِ تَجِدْهُ كَمَا أَخْبَرْتُكَ وَلَن تَجِدَ قتيلاً وَاحِداً مِنَ الكُفَّارِ بسيفِهِ ولا بسيفِ عثمانَ ولا أبي بكر[2].

وإنِ أدَّعو الحِلْمَ: فَمَا أفْضَحَهم وَمَا أَكْذَبَهم!

فَإِنَّهُم أَعْتى وأَطْغَى خَلْقِ الله، وأكثَرُهُم إضماراً للانتقامِ ولو بَعْدَ عشرات السنين.

وإنِ ادَّعوا القوَّةَ البدنيَّةَ.. فكذبُهُم ظاهِرٌ عياناً، إذْ وَلَّى عثمانُ هارباً حَتَّى قِيْلَ «ذَهَبَ بِهَا عريضَةً».. وغابَ ثلاثَةَ أيامٍ عَن معركةِ أحد.. وفيهم نزلت آيةُ:

---

(١) انظر الكشاف للزمخشري في تَفْسيرِ آية النجوى.

(٢) تأتي بعض التفاصيل في القسم الثاني من الكتاب.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة: ٥٧].

وفرَّ الثلاثَةُ في حُنينٍ وفرُّوا في خَيْبَرَ وفرُّوا في أَكْثَرِ المواقِعِ الحربيَّةِ.

والتأويلُ اللغويُّ هُوَ الطريقُ الوحيدُ لهؤلاءِ لأَنَّهُمْ يُحسنونَ تدبيجَ الكلامِ وتخريجَ العباراتِ. قَالَ تَعالَى في المنافقين:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

وَقَالَ تَعالَى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠].

وَهُوَ غَيْرُ اللَّحنِ في الاصطلاحِ اللغويِّ، بَلْ عَكْسُهُ تَماماً، لأنَّ اللَّحْنَ عِنْدَ النحويين خِلافَ الفصاحَةِ. والمقصودُ القرآنيُّ هُوَ تنغيمُ الأصواتِ وتحزينُ النَّبَرَاتِ بِمَا يَخْدَعُ السامِعَ ويَظُنُّ أنَّ المتكلِّمَ صادِقٌ. وَهَذِهِ الصِّفَةُ موجودَةٌ في المنافقينَ في كُلِّ زمانٍ.

وَلِذَلِكَ حذَّرَ القرآنُ من المنافقين مَا لَنْ تَجِدَ مِثْلَهُ مِنْ تَحْذيرٍ بشأنِ المُشركينَ حَتَّى لَو كانوا دولاً وإمبراطورياتٍ ومَمَالكَ عظيمةً.

وَلكنَّ هَذِهِ الأمَّةَ لا زالَتْ تُنَافِقُ وتُوغِلُ في النفاقِ ولا تَتَدَّبَرُ كتابَ الله الَّذي سَوفَ يَكْشِفُهَا لِكُلِّ الأُمَمِ.

بَلْ لَمْ يَخْشَ النبيُّ ﷺ عَلَى أمته الشرْكَ فقَدْ قَالَ:

«إنِّي لا أَخَافُ عَلَى أُمَّتي مُؤمناً ولا مُشْرِكاً أَمَّا المؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ الله بإيمانِهِ وَأمَّا المُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ الله بِشَرِكِهِ ولكنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم كُلَّ مُنَافِقِ الجِنَانِ عَالِمِ اللسانِ يقولُ مَا تعرِفونَ ويَفْعَلُ مَا تُنْكِرونَ

ذَكَرَهُ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام في النهج أَيْضاً - تحت رقم/ ٢٢٦ من الطبعة الكاملة البيروتية لدار الأندلس.

هَؤُلاءِ إِذَنْ هُمْ الَّذينَ يُخْشَى عَلَى الدِّينِ مِنْهُم. وَهْوَ مأخوذٌ من القرآنِ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

ومعلومٌ أنَّهم «أي الراسخون في العِلْمِ» لا يَقُولُونَ ذَلِكَ وَهُم لا يعلمونَ تأويلَهُ، إِذْ لا مَعْنَى للعبارةِ، ولا مَعْنَى لامتداحِهِم. فتأويلُهُ الكلِّيُّ عِنْدَ الله ويأتيهم مِنْهُ حَسَبَ الحاجَةِ، وَلِذَلِكَ ذَكَرَ قولَهُم دونَ عطفٍ عَلَى العِلْمِ بالتأويلِ لتجنُّبِ تساوي علمهم مَعَ عِلْمِ المتكلِّم عَزَّ وجلَّ لأنَّهُ مُحالٌ. فاختلفوا في الآيَةِ والوَقْفِ، وَهْوَ اختلافٌ يُعَدُّ جزءاً من ابتغاءِ الفِتْنَةِ والتأويلِ.

إنَّ معركَةَ التأويلِ هِيَ بَيْنَ عليٍّ عليه السلام وعدُّوهِ. وَلِذَلِكَ قَالَ النبي صلى الله عليه وآله: **«فِيكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تأويلِهِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ»**.

وَهَذا النصُّ وَحْده كافٍ لإثباتِ الإمامَةِ بِكُلِّ أبعادِهَا.. وَلِذَلِكَ انْبَرَى أَبو بكرٍ مُسْرِعاً وَهْوَ يقولُ للنبيِّ صلى الله عليه وآله: أنا هُوَ.. أنا هُوَ..؟!!

فَقَالَ النبيُّ صلى الله عليه وآله: لا!.

واختلَطَ معَهُ صوتُ عُمَرَ وَهْوَ يقولُ: أنا هُوَ؟!

فَقَالَ النبيُّ صلى الله عليه وآله: لا!.

وعليٌّ عليه السلام في البابِ يَحْمِلُ نَعْلَ رسولِ الله لإصلاحِهَا، فَقَالَ النبيُّ: هُوَ خاصِفُ النَّعْلِ!

وقِيلَ إنَّ النبيَّ قَالَ ذَلِكَ ثُمَّ دَخَلَ عليٌّ وبيدِهِ النَّعْلُ فأخبروهُ «فَلَمْ يرْفَعْ بِهَا رأسُهُ» حَسَبَ تعبيرِ الرواةِ.

قَالَ ابنُ حجر: «كأنَّهُ قَدْ سَمِعَهُ مِنْ رسولِ الله قَبْلَ ذَلِكَ»!

يا لَهُ مِنْ نعْلٍ! فدى شراكه كُلُّ العَالَمِ.. نَعْلٌ مَشَى عَلَى بِسَاطِ الرَّحْمَةِ ودَخَلَ دهليزَ سرادِقِ المَلَكوتِ حَيْثُ لَمْ يَقْدِرْ جبريلُ عَلَى المرورِ!!

شَرَفٌ عظيمٌ لِمَن يُصْلِحُهُ!! ولا يُصْلِحُهُ سِوى عليٍّ عليه السلام.

ذَكَرَ هَذا النصَ أصْحَابُ الحديثِ من السُّنَةِ والمعتزلَةِ والشيعَةِ جميعاً مُقِرِّينَ بصحَّتِهِ وورودِهِ في عليٍّ عليه السلام وَهْوَ مِنْ أشْهَرِ الأحاديثِ.

فيما يلي النصُّ الكامِلُ للحديثِ وأمثالِهِ من طُرُقِ أصحابِ الحديثِ، وَهْوَ مشهورٌ عندهم بحديثِ «خاصف النعل»:

قَالَ رسول الله صلى الله عليه وآله:

فاسْتَشْرَفَ لَهَا أَبو بكرٍ وعمر قَالَ أَبو بكر: أنا هُوَ؟ قَالَ: لا. قَالَ عمر: أنا هُوَ؟ قَالَ: لا وَلكنْ خاصف النعل. قَالَ أَبو سعيد الخدري فأتيناه فَبَشَّرْنَاهُ فَلَمْ يرفَعْ بِهَا رأسَهُ كأنَّهُ قَدْ سمِعَهُ من رسولِ الله صلى الله عليه وآله.. انتهى.

مصادر النصّ:

مستدرك الحاكم/ ج ٣/ ١٢٢ قَالَ: هَذا الحديث صحيحٌ عَلَى شَرْطِ الشيخين «يَعْنِي البخاري ومسلم» وَلَمْ يخرِّجاه.

مسند أحمد بن حنبل/ ج ٣/ ٨٢ و ٣٣.

حلية الأولياء في ترجمة أبي سعيد.

كنز العمال/ الحديث رقم ٢٥٨٥.

فَتعالَ أيُّها الأفَّاكُ وأخبِرْ:

أَهذا الكلامُ من وَضعِ متكلّمي الشيعَةِ أَمْ هُوَ كلامُ رسولِ الله أَخْرَجَهُ مَنْ هُمْ في عِدادِ خصومِ الشيعَةِ بالمعنى الطائفي؟. وَهْوَ المَعْنَى الَّذي لا قِيمةَ لَهُ عِنْدَ

اللهِ. فَكَمْ في طائفةِ الشيعة مِنْ منافِقٍ؟: وكَمْ في طائفَةِ السنَّةِ من مؤمِنٍ يكتُمُ إيمانَهُ؟: . فَأَخْرَجَ المؤمنونَ بولايَةِ عليٍّ عليه السلام هَذِهِ الأحاديثَ لِهَذِهِ الغايَةِ لا لِسواها.

ومن هُوَ الَّذي يكونُ قتالُهُ عَلَى التأويلِ مُشابهاً لقتالِ صاحِبِ الرسالَةِ عَلَى التنزيل سِوَى الخليفة بالحَقِّ والإمام بالنصِّ؟

فالفقهاءُ أجمَعَوا عَلَى أنَّ الدفاعَ هُوَ من حَقِّ الخلفاءِ. وَلكنَّ صفحَةَ الهجومِ لَيْسَتْ إلاَّ للنبيِّ صلى الله عليه وآله، إِذْ أَنَّهُ هُوَ المعصومُ..

وَهَذا النصُّ يثبتُ أنَّ عصمتَهُ مِثْلُ عصمَةِ النبيِّ صلى الله عليه وآله لأنَّ قِتَالَهُ كَقِتَالِ النبيِّ صلى الله عليه وآله.

وكَيفَ تقولُ أيُّها المُتْخَمُ من موائِدِ الطُغَاةِ: إنَّ عِصْمَةَ عليٍّ وإمامتَهُ لا تَثْبتُ بالأحاديثِ وإنْ صَحَّتْ لأنَّها أحاديثُ فضائلٍ!.

فهلاَّ جِئْتَنَا بفضيلةٍ مشابهةٍ لِهَذِهِ أَقَرَّ بِهَا أصحابُ الحديثِ سُنَّةً كانوا أَمْ خوارجَ أَمْ مرجئةً لأحَدِ أصنامِكَ أصنامِ الشُّورَى؟.

وَمَا الَّذي يَدْعوهُ للقتالِ عَلَى التأويلِ لَولا الأَمْرِ الإلهي؟.. كَمَا في اللفظِ الآتي:

«عَن أَبي أيوبٍ قَالَ: أَمَرَ رسولُ الله عليَّ بن أَبي طالبٍ بِقِتَالِ الناكثينَ والقاسِطينَ والمَارقين».

مصادر الحديث: أَخْرَجَهُ ابن عساكر وَهْوَ الحديث ٢٥٨٨/ ج ٦/ من كنز العمال. ونَقَلْتهُ عَجِلاً مِنَ المُراجعاتِ وَلَمْ أَتتَبَّعْ بقيَّةَ مصادِرِهِ.

أَلا ترَى أَنَّهُ أَمْرٌ إلهيٌّ عَلَى لِسانِ الرسول صلى الله عليه وآله بِأَنْ يُقاتِلَ هَذِهِ الفئاتِ؟ وَهَلْ يُؤْمَرُ شَخْصٌ عاديٌّ بِمِثْلِ هَذا الأَمْرِ؟

عَن رسول الله ﷺ قَالَ لعليٍّ عليه السلام:

«إِنَّ الأُمَّةَ سَتَغْدرُ بِكَ بَعْدي وَأَنْتَ تعيشُ عَلَى مِلَّتي وتُقْتَلُ عَلَى سُنَّتي مَنْ أحبَّكَ أَحَبَّني وَمَنْ أَبْغَضَكَ أَبْغَضَني».

مصادر الحديث: مستدرك الحاكم عَلَى الصحيحين/ج٣/ ١٤٧ - وأورده الذهبي في التلخيصِ معترِفاً بصحّته عَلَى مَا نقله السيّد شرف الدِّين الموسوي أعلى الله مقامه.

ونحن نَذْكرُ ذَلِكَ عَلَى عادتِهِم وألاَّ فعِلْمُ الرِّجَالِ لا قيمة لَهُ بالمرَّةِ، لأنَّ الأَمْرَ النبويَّ هُوَ في عَرْضِ الحديثِ عَلَى القُرآنِ. وَإِنَّمَا خالفوهُ لأنَّهُمْ لَو فَعَلَوا لاضطرُّوا إلى تحديدِ معاني القرآنِ، إِذْ لا يُعْقَلُ أَنْ يُحْكَمَ بِهِ عَلَى الحديثِ مَعَ الاختلافِ في التفسيرِ. وهم لا يريدونَ الحصولَ عَلَى التفسيرِ الصحيحِ، بَلْ يريدونَ المَنْعَ من ظهورِ التفسيرِ الحَقِّ للقرآنِ، لأنَّهُ سيكشِفُ المؤامرَةَ كلَّها عَلَى قرينِهِ «العترة»!.

فافْهَمْ ذَلِكَ فَهَذَا هُوَ السببُ الوحيدُ والأَوَّلُ والأخيرُ لظهورِ عِلْمِ الرِّجَال والتضعيفِ للأحاديثِ.. وخاصَّةً أخبار أهلِ البيتِ عليهم السلام لأنَّها جميعاً أَخْبَار آحادٍ بِسَبَبِ الاضطهاد!.

وَهَذا الكاتبُ الأَفَّاكُ يستخدِمُ هَذِهِ الطرائقَ عينَهَا لتضعيفِ الأحاديثِ الَّتي لا تعجبُهُ وتقويَةِ الَّتي يُريدُها!.

وعمَلُهُ هَذا وإنْ فَعَلَهُ أقوامٌ من طائفةِ الشيعةِ فَإِنَّهُ لا يَمُتُ إلى الدِّينِ بِصَلَةٍ، وَهُوَ خلافُ الأوامِرِ النبويَّةِ والمنطقِ والعَقْلِ! فَلا حُجَّةَ فِيهِ، إِذْ أَكْثَرُ السُنَّةِ والشيعَةِ خلافُهُ[1].

---

(١) وهم أصحاب الحديث من السنة والشيعة والاخباريين من الشيعة وهم خصومٌ للأُصوليين مِنْهَا.

ذَلِكَ لأنَّ الرِّجَالَ هُمْ الَّذينَ يحْكمونَ عَلَى وثاقَةِ الرِّجَالِ فيبقى الاختلافُ قائماً بَيْنَ الرِّجَالِ!

والطريقُ الوحيدُ لتصحيحِ الأحاديثِ هُوَ قانونٌ لا يأتيه الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يديهِ ولا مِنْ خلْفِهِ.

وَلَيْسَ هُنَاكَ سِوَى القرآن أو الإمام المنصوص عَلَيْهِ من الرسولِ.

أمّا الإمامُ فَقَتَلُوهُ بالسيفِ، وَأمَّا القرآنُ فَقَتَلُوه بِتَعَدُّدِ التأويلِ وابتداعِ المرادِفاتِ والمجازِ لتوجيهِ النصوصِ بحَسَبِ الشهيَّةِ!.

وجَعَلوا مكانَهُما أنفسَهُم من خلالِ علم الرِّجَالِ فَحَلُّوا مَحَلَّ الثقلين كليهما. فلعنَةُ الله عَلَى الظالمين. ثُمَّ وَضَعُوا شروطاً قاسيَةً جِدّاً للرجالِ، قاسيَةً ضِدَّ الخصوم لِا ضِدَّ الانتحالِ والوَضْعِ، فَمَرَّتْ مِنْهَا الموضوعاتُ وَلَمْ تَمُرْ مِنْهَا الصِحَاحُ، لأنَّها تَتَحَدَّثُ عَن كُلِّ مَا يُدَمِّرُ المؤامرةَ وأصحابَها مشمولين كأسانيدَ بشروطِ الاستبعادِ.

وَمَعَ ذَلِكَ فقَدْ تَحَامَلوا أكْثَرَ مِمَّا هُوَ مذكورٌ في الشروطِ ومَنَعَوا من تسجيلِ الأحاديثِ بأقسى مِمَّا هُوَ مشروطٌ، فانبرى بَعْضٌ من بَقِيَ عندهم ضَمِيرٌ حيٌّ واستَدْرَكوا عَلَى الأحاديثِ المارَّةِ بِنَفسِ الشروطِ. وَكَأنَّ لسانَ حالِهِم يقولُ: اظلموا وَلكنْ بالقانونِ الموضوعِ عِنْدكُم للظُلْمِ!.. فيا لبؤس هَذِهِ الأمَّةِ إذا انْكَشَفَ المستورُ!.

وَعَلَى هَذا فالكاتبُ يستخدِمُ الأسلوبَ الانتقائيَّ للحديثِ. فللمِرْءِ أنْ يقولَ لَهُ: إنَّ كُلَّ مَا تَسْتَشْهِدُ بِهِ موضوعٌ ومزيَّفٌ!. فيبقى كُلُّ واحِدٍ عَلَى مَا أرَاد.

أهذا هُوَ الدِّينُ الَّذي تَدْعو لَهُ أيُّها الكذوب؟.

ألا تَعْلَم أنَّ الحديثَ النبويَّ مُحَارَبٌ بُعَيْدَ رحيلِ النبيِّ وأنَّ الشيخينِ جَمَعَا الحديثَ الشريفَ وأحْرَقَاهُ مرَّتينِ وَلَمْ يقْدِرْ أبو بكر أنْ ينامَ الليلَ بَعْدَ جَمْعِهِ الحَديثَ فَأَمَرَ بإحْراقِهِ عِنْدَ طلوعِ الشَّمْسِ؟

فَلِمَاذَا يقولُ الرسولُ ﷺ لعليٍّ عليه السلام ستغْدرُ بِكَ الأُمَّةُ من بعدي؟.

فإذا كَانَ مُرَشَّحاً للخلافَةِ أسوةً بِكُلِّ المُرَشَّحينَ فَلا مغدورَ فيهم فَازَ مَنْ فَازَ بِهَا، بَلْ هُمْ أخوةٌ في الإيمانِ يَحْكُمُهُم واحِدٌ مِنْهُم يَرونَهُ بِحَسَبِ عقولِهِم هُوَ الأكفأ بَيْنَ الجميعِ.

أليست هَذِهِ هِيَ أحسنُ صورةٍ للشورى؟

يا لِلْعَجَبِ وَكَأَنَّ هَؤُلاءِ ملائكةٌ!

وَكَأَنَّ هَؤُلاءِ لَمْ تَنْزِلْ في أكْثَرِهِم آياتُ النفاقِ المبثوثَةِ في سورِ التوبَةِ والنساءِ والتحريمِ والأحزابِ والحديدِ وغيرِهَا!

وإذا صَحَّ مَا تقولُ فَلا مَغْدورَ. . فَلِمَاذَا تَغْدِرُ بِهِ الأُمَّةُ؟.

إنَّما بلى. . فَلا شَأْنَ لَكُم بكتابِ الله، بَلْ هُوَ عدوُّكُم اللدودُ شأْنُهُ شَأْنُ قرينِهِ. . وَهَذا مَا أَخْبَرَ بِهِ عليٌّ عليه السلام أَيْضاً حَيْثُ قَالَ:

«إنَّهُ سيأتي عَلَيْكُم مِنْ بَعْدي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شيءٌ أَخْفَى من الحَقِّ، ولا أَظْهَرَ مِنَ الباطِلِ، ولا أَكْثَرَ من الكَذِبِ عَلَى الله ورسولِهِ، وَلَيْسَ عِنْدَ أهْلِ ذَلِكَ الزمانِ سلعةٌ أَبْوَرُ مِنَ الكِتَابِ إذا تُلِيَ حَقَّ تلاوتِهِ «لاحِظْ: :!. . مُنْتَهى صفْحَةِ التأويلِ اللغويِّ!» **ولا شيءَ في البِلادِ أَنْكَرَ مِنَ المَعروفِ ولا أَعْرَفَ مِنَ المُنكَرِ، فقَدْ نَبَذَ الكتابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاه حَفَظَتُهُ، فالكتابُ يومئِذٍ وأهلُهُ طريدانِ منفيانِ، وصاحبانِ مصطحَبانِ في طريقٍ واحِدٍ لا يؤويهُمَا مؤوٍ، فالكتابُ وأهلُهُ في ذَلِكَ الزمانِ في الناسِ وليَسا فيهِم، ومَعَهُم وليَسا مَعَهُم، لأنَّ الضلالةَ لا تُوافِقُ الهُدَى وإنِ اجْتَمَعَا، فاجْتَمَعَ القومُ عَلَى الفُرْقَةِ وافْتَرَقوا عَنِ الجَمَاعَةِ كأنَّهُم أئِمَّةُ الكِتَابِ وَلَيْسَ الكتابُ إمامَهُم».**

نهج البلاغة - الخطبة/ ١٤٥

واللهِ لَو وُزِنَتْ هَذِهِ السطورُ بِكُلِّ مَا أنْتَجَتْهُ الأُمَّةُ من أبْحَاثٍ لأصبَحَتْ

أبحاثُهُم هَبَاءً ولرَجَحَتْ هَذِهِ الكلماتُ عَلَيْهَا رُجْحَانَ الجبالِ عَلَى الدُّخَان وَلكنَّ أَكْثَرَ الناسِ لا يَعْلَمُون.

نَعَمْ.. إنَّ القرآنَ مَعَهُم وَلَيْسَ مَعَهُم.

فهذِهِ نتيجةُ التأويلِ: أنْ يَكُونَ القرآنُ تابعاً للأهواءِ وَلَيْسَ متبوعاً. وَهْوَ مَعَهُم يسمَعُونَهُ من الإذاعاتِ ومُحطاتِ التلفزيونِ ومجالسِ الفاتحَةِ ويضَعُونَهُ في المكاتبِ والسياراتِ ليدرَّ عليهم المَالَ ويحفظهم من الشياطين!

يا لبؤس أهلِ هَذِهِ الأمَّةِ!.

فهم لا يسمعونَهُ وإذا سَمِعوهُ لا يَقُولُونَ: «مَاذَا يَعْنِي؟». وإذا قالوا: «مَاذَا يَعْنِي؟». قالوا قَبْلَهُ ومِنْ عنْدِهِم لا مِنْ عندِهِ: «يَعْنِي كذا وكذا».

وإذا قِيلَ لَهُم: تدبَّروا لا يتدبَّرونَ، وإذا حاولوا لا يَعْلَمونَ.. وإذا أَجْبَرْتَهُم أنْ يعْلَمُوا لا يُصَدِّقون، وإذا صَدَّقوا لا يُؤْمِنون، وإذا آمَنوا لا يَعْمَلُون..

فَمِنْ أَيْنَ تَأْتيهِم بَرَكَةُ الكِتَابِ؟ أو كَمَا قَالَ صَديقي نَثْرَاً:

«عَلَى المَكْتَبِ قرآنٌ والجالِسُ شيطانٌ»!

س - وَمِنْهَا قوله عليه السلام:

نَحْنُ الشِّعَارُ وَالأَصْحَابُ وَالخَزَنَةُ وَالأبواب. وَلا تُؤْتَى البيوتُ إلاَّ مِنْ أَبْوَابِهَا فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غيرِ أَبْوَابِهَا عُدَّ سَارِقَاً..

نهج البلاغة/ الخطبة/ ١٥٢

كَيفَ تقولُ أَيُّهَا الكذَّابُ إنَّ علياً لَمْ يَكُنْ يَرَى لنفسِهِ ولأَهْلِ بيتِهِ حَقَّاً في الإمامَةِ ولا أشارَ إلى الوَصِيَّةِ؟.

فَمَا مَعْنَى هَذا الكَلامِ؟

وكَيفَ تقولُ لا شيءَ في نَهجِ البَلاغَةِ يُشيرُ إلى ذَلِكَ؟!!.

أَوَ لَيْسَ مَعْناهُ أَنَّكَ تُريدُ الوصولَ إلى الدِّينِ مِنْ غَيرِ البابِ الَّذي وَضَعَهُ الله «وَلَنْ تَصِلَ. . »؟.

فَأَنْتَ إِذَنْ بِحَسَبِ هَذا النصِّ سارِقٌ!

فيا لبؤسِكَ: كذّابٌ وسارقٌ أَيْضاً؟!.

لأنَّ قولَكَ هُوَ بِخِلافِ مَا قَال.

أقولُ: الألفاظُ الوارِدَةُ في النصِّ مَنْبَعُهَا قرآنيٌّ:

فالشِّعارُ النبويُّ «يا مَنْصورُ أَمِتْ» وَهْوَ عَلَى الرايَةِ ومواردُ النَّصْرِ كلُّها فيهِم عليهم السلام.

ومن ذَلِكَ قولُهُ تَعالَى:

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣].

والآيةُ هِيَ في المهديِّ عليه السلام.

وقولُهُ تَعالَى:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

فالرُّسُلُ لَمْ يُنْصَروا بَلْ كُذبُوا كَمَا نصَّ عَلَيْهِ القرآنُ، ويَكونُ نَصْرُهُم يومَ المهديِّ عليه السلام.

وَكَذَلِكَ بقيَّةُ الموارِدِ القرآنيَّةِ الكثيرَةِ وفيها نصوصٌ نبويَّةٌ كثيرةٌ جِدّاً «من الفريقين» حَسبَ تعبيرِهِم.

وقولُهُ: «الأصحابُ» هُمْ أصحابُ الأعرافِ. وحالُهُم مَزبورٌ في سورَةِ الأعرافِ يَلعنونَ الحُكَّامَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ الله وأَتْباعَهم وأَشْياعَهُم ويدخلونَهُم النارَ ويشفَعونَ لشيعَةِ عليٍّ عليه السلام وَلِمَنْ وَالاهُم وآمَنَ باللهِ وحده وَلَمْ يُشْرِكْ في حُكْمِهِ أحداً سِوَاه.

وقولُهُ: «الخَزَنَةُ» خَزَنَةُ جهنَّمَ وخَزَنَةُ الجنَّةِ. ذَلِكَ أنَّ أميرَ هَؤُلاءِ يومَ القيامةِ هُوَ عليٌّ عليه السلام. كَذَلِكَ في الرجعَةِ بَعْدَ ظهورِ المهديِّ عليه السلام، وفيه اتِّفاقٌ دلاليٌّ نصيٌّ مَعَ القرآنِ والسنَّة كَمَا قَالَ صلى الله عليه وآله:

عليٌّ قَسيمُ الجنَّةِ والنَّارِ[1]

قَالَ تَعَالَى بَعْدَ ذِكْرِ احتجاجِ الأتْبَاعِ عَلَى قَادَتِهِم في النارِ:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: ٤٩-٥٠].

هَذِهِ آيَةٌ مِنَ الآياتِ العجيبَةِ جِدّاً وَهْيَ تُثْبِتُ أنَّ العَذابَ كَانَ مِنْ أيدِيهِم وبأيديهِم بحَيثُ أنَّ العارِفَ بالحقائِقِ قادِرٌ عَلَى تغييرِ الحالِ بالدُّعاءِ. وَلِذَلِكَ قالوا لَهُم: «**أدْعوا أنْتُم فَنَحْنُ وإيَّاكُم سواء في مَعْرِفَةِ الحقائِقِ مَا دامَتْ رسلُكُم قَدْ جاءَتْكُم بالبيِّناتِ وتُقِرُّونَ أنَّكُم تعرِفُونَهَا جيِّداً..**».

وبالطَبْعِ يَدْعُون.. وَلكنَّ دعاءَهُم في ضَلالٍ وأوامِرَهُم إلى النارِ ومَصَادِرَ العذابِ لا تنفذُ لأنَّ نواياهُم خبيثةٌ لا لأنَّ عِلْمَهُم قاصِرٌ. وهُمْ مِثْلُ هَذا الكاتبِ يَعْرِفُ الحَقَّ ويُعرِضُ عَنْهُ.

هَذا الأمرُ يتحقَّقُ بَعْدَ انكِشَافِ الحُجَبِ بَيْنَ الفِعْلِ والواقِعِ عِنْدَ حُصولِ التغييرِ الطبيعيِّ إبّانَ ظهورِ المهديِّ عليه السلام.

والحديثُ هُوَ عَنْ مرحلَةِ «النارِ»، وَلكنَّ الخِطَابَ لِخَزَنَةِ جهنَّم. والنارُ هِيَ إحْدَى مراحِلِهَا الأولى.

وقَدْ سمَّى الرسولُ صلى الله عليه وآله عليّاً قَسيمَ الجنَّةِ والنارِ وحامِلَ رايَةِ النبي صلى الله عليه وآله يومَ

---

(١) ستأتي مصادر الحديث قريباً.

القيامَةِ وحامِلَ اللواءِ «وفيه دلالةٌ عَلَى الشِّعَارِ» وسمَّاه صاحِبَ الحوضِ وصاحِبَ الجَوَازِ. وفي كُلٍّ مِنْهَا نصوصٌ أَخْرَجَهَا أصحابُ الحديثِ قَبْلَ عَصْرِ الكلامِ والفِقْهِ، فمنها مثلاً:

الحديثُ الأوَّلُ: حديثُ حمْلِ الرايَةِ:

عَنِ ابنِ سَمْرَةَ قَالَ قالوا لرسولِ اللهِ: «يا رسولَ الله مَنْ يَحْمِلُ رايتَكَ يومَ القيامَةِ؟. قَالَ: «مَنْ عَسَى أنْ يحمِلَهَا يومَ القيامَةِ إلاَّ مَنْ كَانَ يَحْمِلُهَا في الدُّنْيَا عليٌّ بنُ أبي طالبٍ».

هَذا الحديث هُوَ المرقم ٣٩٨/ ج٦ من أحاديث الكنز.

قَالَ: وأَخْرَجَهُ الطبرانيُّ أَيْضاً. وَهُوَ في الحلية ج١/ ٦٦.

أقول: وبحَثْتُ عَنْهُ في مَا أُسْنِدَ إلى جابر بن سَمْرَةَ فوجَدْتُه فِعْلاً عِنْدَ الطبراني في ج٢/ ص٢٤٧/ طبعة بغداد - وزارة الأوقاف وَهُوَ المرقم «٢٠٣٦» من الجزءِ الثاني. وَلكنَّ لفظَهُ مُخْتَلِفٌ، والاختلافُ هامٌّ. فَفِيهِ قَالَ النبيُّ ﷺ:

وَمَنْ يُحْسِنُ أن يَحْمِلْهَا إلاَّ مَنْ حَمَلَهَا في الدُّنْيَا عليٌّ بنُ أَبي طالبٍ.

والظاهِرُ أنَّ بَعْضَ عَبَدَةِ الطاغوتِ أَبْدَلَ مُفْرَدَةَ «يُحْسِنُ» بِلَفْظِةِ «عَسَى» للتخفيفِ مِنْ وطأتِهَا عَلَى القومِ. وَرَوَاهُ الخَطيبُ أَيْضاً في ج١٤/ ص٩٨.

الحديثُ الثاني: حديثُ حمْلِ اللواءِ «لواءِ الحَمْدِ»:

عَنِ النبيِّ ﷺ وَذَكَرَ خَمْسَ خِصَالٍ لعليٍّ عليه السلام قَالَ: «وَأمَّا الرابِعَةُ فإنَّ لواءَهَا مَعَهُ يومَ القيامَةِ وَتَحْتَهُ آدمُ وَمَا وَلَدَ».

ذكره في الكنز ج٦/ ٤٠٣ عَن الحارث.

وَوَرَدَ حديثُ حمْلِ اللواءِ في نصوصٍ أُخْرَى متفرِّقَةٍ في ذخائر العقبى/ ٧٥ والرياض النضِرَة ج ٢/ ٢٠١ والكنز ج ٦/ ٣٩٣ عَن ابن عباس.

الحديثُ الثالثُ: حديثُ سِقايَةِ حَوضِ الكَوثَرِ:

عَن أَبي سعيدٍ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: يا عليُّ مَعَكَ يومَ القيامَةِ عَصاً مِنْ عِصِيِّ الجَنَّةِ تَذودُ بِهَا المُنافِقينَ عَن حَوضِي

تهذيب التهذيب/ج٣/ ٢٨٤ والمجمع ج٩/ ١٣٥.

ومن الفاظِهِ الأُخرَى:

عَنْ أَبي هريرَةَ وجابر بن عبد الله قَالا: قَالَ رسولُ الله ﷺ: عليُّ بنُ أَبي طالبٍ حَوضي يَوْمَ القيامَةِ فِيهِ أكوابٌ كَعَدَدِ نُجومِ السماءِ، وسِعَةُ حَوضي مَا بَيْنَ الجابيَةَ إلى صَنْعَاءَ.

المجمع ج١٠/ ٣٦٧. قَالَ: «وقَدْ رواه الطبراني في الأوسط».

والأحاديثُ في هَذا كثيرةٌ. فانظر: تاريخ بغداد ج١٤/ ٩٨، والحلية/ ج١٠/ ٢١١، والكنز ج ٦/ ٤٠٢، والمستدرك للحاكِم ج٣/ ١٣٨، وأحاديثُ أُخرَى متفرِّقَةٌ في الكَنْزِ بِهَذا المضمونِ في ج ٦/ ٤٠٠، ٤٠٣، ٣٩٣.

الحديثُ الرابِعُ: حديثُ صاحِبِ الجَوَازِ:

عَنِ النبيِّ ﷺ قَالَ: «إنَّ عَلَى الصِّراطِ لَعَقَبَةً لا يَجُوزُهَا أَحَدٌ إلاَّ بِجَوَازٍ مِنْ عليِّ بن أَبي طالبٍ..».

وفيهِ ألفاظٌ مختلِفَةٌ ومضامينُ متعَدِّدَةٌ. ومِنْ مصادِرِهِ تاريخُ بغدادَ للخطيب ج١٠/ ٣٥٦، والرياضُ النضِرَةُ ج٢/ ١٧٢ و١٧٧.

الحديثُ الخامِسُ: حَديثُ قَسيمِ الجنَّةِ والنارِ:

وَرَدَ هَذا الحديثُ في المُنَاشدَةِ المذكورَةِ سابقاً حَيْثُ احتجَّ بِهِ عليه السلام عَلَى الإمامَةِ. وَذَكَرَ ابنُ حجر أنَّهُ قَالَهُ للستَّةِ أصحابِ شُورَى عُمَر في كلامٍ طويلٍ منه:

أُنْشِدُكُم الله هَلْ فيكُم أَحَدٌ قَالَ لَهُ رسولُ الله ﷺ: يا عليُّ أَنْتَ قَسيمُ الجنَّةِ والنارِ غَيري؟. قالوا: اللَّهُمَّ لا.

مِنْ مصادِرِهِ: الصواعق/ ٧٥ - وَهْوَ مِنْ أحاديثِ الكنز ج٦/ ٤٠٢ - وَذَكَرَهُ المناوي في كنوز الحقائق/ ٩٢.

فإذا كَانَ أصحابُ الشُّورَى يَكْذِبونَ في روايَةِ هَذِهِ الأحاديثِ في مَنْ هُوَ خصمُهُم بالإمَامَةِ، فَهُمْ في الشُّورَى أَكْذَبُ.

فَهَلْ هَذا مِنْ كَلامِ المتكلِّمينَ أَيُّهَا الأفَّاكُ أَمْ هُوَ مِنْ كلامِ رسولِ الله ﷺ؟

عَوْدَةٌ لِشَرْحِ فَقَرَةٍ أُخْرَى من قولِهِ في «س»:

قولُهُ عليه السلام في النصِّ:

«والأبوابُ»: المُرَادُ أبوابُ رحمَتِهِ تَعَالَى وأبْوابُ العِلْمِ وأبوابُ الخَيرِ.. وَهْيَ إشارةٌ مُخْتَصَرَةٌ لِمَا وَرَدَ عَن النبيِّ ﷺ في كَونِهِ باب مدينَةِ العِلْمِ وباب بيتِ الحكمَةِ وسِواهَا مِنْ ألفاظِ. وَمَا يَلي الأحاديثُ الوارِدَةُ:

الحديثُ الأوَّلُ:

قَالَ رسولُ الله ﷺ: عَلِيٌّ بَابُ عَمَلي ومُبَيِّنٌ لأمَّتي مَا أُرْسِلْتُ بِهِ مِنْ بَعْدي.

مصادِرُهُ: كنز العمال/ ٦/ ١٥٦، فضائل عليٍّ للسيوطي/ ح٣٨.

الحديثُ الثاني:

قَالَ رسولُ الله ﷺ: أَنَا دَارُ الحِكْمَةِ وعَليٌّ بَابُهَا.

مصادِرُهُ: صحيحُ الترمذي ٢/ ٢١٤/ الحلية/ ١/ ٦٤، مصابيح السنة/ ٢/ ٢٧٥.

الحديثُ الثالثُ:

قَالَ رسولُ الله ﷺ: أَنَا دَارُ العِلْمِ وعليٌّ بَابُهَا.

مصادرُهُ: ذخائر الطبري/ ٧٧ - البغوي في المصابيح.

الحديثُ الرابِعُ:

قَالَ رسولُ الله ﷺ: أنَا مَدينَةُ العِلْمِ وعَلِيٌّ بابُهَا ولا تُؤْتَى البيوتُ إلاَّ مِنْ أبْوابِهَا.

مصادِرُهُ: مستدركُ النيسابوري / ٣/ ١٢٦-١٢٨، مناقب ابن شهرآشوب ١/ ٢٦١ الطبراني في الأوسط والكبير - بالرواة الحرث، عاصم، حذيفة، ابن عباس، سعيد بن جبير. فابْحَثْ عَنْهُ في هَذِهِ الأسماءِ لأنَّ ترتيبَ معجمِهِ عَلَى الأسماءِ لا عَلَى مضمونِ الحديثِ، المناقب لابن حنبل/ ٢٤١، مسند البزار الكبير، مستدرك الحاكم عَلَى الصحيحين ٣/ ١٢٧، جامع الترمذي/ ٢٧٩/ الاستيعاب لابن عبد البر / ٢/ ٤٦١، أسد الغابة/ ٤/ ٢٢، تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/ ٢٨، العسقلاني في التهذيب ٧/ ٣٣٧.

هَذا وَهُنَاكَ ثَبْتٌ بمصادِرِ الحديثِ ورواتِهِ وَهْيَ تبلُغُ «١٤٣» مصدراً من كُتُبِ العامَّةِ عدا مئاتِ الموارِدِ الأُخْرَى لَهُ في كُتُبِ الأدَبِ واللغَةِ والدراساتِ. وقَدْ جَلَّى أكْثَرَهَا الحَبْرُ العَلَمُ المُجَاهِدُ عَبْدُ الحسين الأميني النجفي في كتابِهِ «الغدير» الَّذي هُوَ شوكةٌ في عيونِ الحاقِدين إلى يَوْمِ الدِّين، يَخافونَ الاقترابَ مِنْهُ لأنَّ فِيهِ فضائِحَهُم ومخازِيَهُم، ولا قُدْرَةَ لَهُم عَلَى تزويرِ وإعادَةِ طَبْعِ مئاتِ المصادِرِ كَمَا فَعَلوا في بَعْضِها فغيَّروها وحرَّفوها.. ولا يقْدِرون عَلَى صَرْفِ الأموالِ الطائلةِ عَلَى هَذِهِ الغايَةِ وبطونُهُم نَهِمَةٌ لا تَشْبَعُ إلاَّ أنْ تُحْشَى ناراً في جهنَّمَ وَمَا ربُّكَ بظلامٍ للعبيد.

لَمْ يكتفوا بالمحنَةِ الَّتي وَقَعَتْ عَلَى عُلَمَاءِ السنَّةِ القُدَامى حَيْثُ أخْرَجوا هَذِهِ الأحاديثَ لإفهامِ الأجيالِ محنتَهُم مَعَ السُلْطاتِ. فإذا الزمانُ يأتي بِقوم يكذِّبونَ أَهلَ السنَّةِ والشيعَةِ فيما حدَّثوا بِهِ ونَقَلوهُ تَمهيداً للإجهَازِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ!!

وَهَذِهِ هِيَ حقيقَةُ أهدافِهِم.. ولا تَحْسب أنَّ عليَّ بنَ أَبي طالبٍ وخصومَهُ هُمْ الموضوعُ!

لا . . لا يا أخي القارئ لا تتوهَّم في هَذا. فالكلامُ كُلُّهُ والصِراعُ كُلُّهُ لا زالَ يَدورُ عَلَى . . «مُحَمَّد»!!.

وَمَا هَذِهِ الأسماءُ إلاَّ واجِهَاتٌ أُخْرَى لِهَذا الصراعِ لا غير!.

فإذا شَكَكْتَ فانْظُرْ جَميعَ مؤلَّفاتِ هَذِهِ الموجَةِ الجديدةِ!

فإنَّها مُنَظَّمَةٌ بدقَّةٍ مُتناهيَةٍ ومرسومةُ الخطوطِ، وَهَذِهِ بَعْضُ أسمائها:

صادق جلال العظم، مُحَمَّد شحرور، نصر أبو زيد، سلمان رشدي، أحمد الكاتب - تيَّارٌ واحِدٌ وهَدَفٌ مُشْتَرَكٌ يُديرُهُ مُحَمَّدٌ الجابري. رأسُ مالِهِ الكَذِبُ وسلاحُهُ اللغَةُ وجيوبُهُ عيونُ البترولِ العربيِّ ومَكْتَبُهُ طاوِلَةُ المفاوضَاتِ مَعَ إسرائيلَ. . .

وآخرون هَرَعوا خَلْفَهُم بلا وعيٍ ولا هُدًى ولا كِتابٍ منيرٍ بِحُجَّةِ التجديدِ.

وَمَا جاؤوا بجديدٍ سِوَى جَديدِ الملأ مِنْ قُرَيشٍ!

ألا تُلاحِظُ هَذا الأفَّاكَ يُدَافِعُ عَن دَعاوَى قُرَيشٍ ضِدَّ الأنصارِ وآلِ الرسول؟.

وَكَذَلِكَ يفْعَلُ أبو زيد ورشدي وشحرور فَإِنَّهُم يُفَسِّرونَ الدِّينَ تَفسيراً ماديَّاً مُتَهَلْهِلاً . . ومُشْكِلَةُ النصِّ والوصيَّةُ هما عقبةٌ كُبْرَى أمَامَهُم. فَهْيَ أكْبَرُ مِنْ عقبةِ القرآنِ نفْسِهِ.

فَهَلْ فَهِمْتَ مَا أقولُ؟.

إفْهَمْ يا أخي وشَغِّلْ عقْلَكَ. . فالقرآنُ عندَهُم أمْرُهُ هَيِّنٌ. وهَا هُمْ يَدْعُون لِفَهْمٍ آخرَ للنصِّ بناءً عَلَى طُرُقِ التحليلِ الجديدةِ الَّتي لا أسوأَ مِنْهَا. وَلِذَلِكَ عَلَيْكَ أنْ تَقرأَ أبحاثَ اللغَةِ كُلها الحديثَةَ والقَدِيمَةَ لِتَفْهَمَ المؤامرةَ!.

أَمَّا الوَصِيَّةُ فَهْيَ العَقَبَةُ الأعْظَمُ عِنْدَهُم. ذَلِكَ لأنَّ مُحَمَّداً عِنْدَهُم لَيْسَ إلاَّ مُجَرَّدَ رَجُلٍ «عبقريٍّ» في أَحْسَنِ الأحوالِ، وَهْوَ صاحِبُ دَولَةٍ ومؤسِّسٌ

لِمُجْتَمَعٍ، وقُرْآنُ السَّمَاءِ هُوَ مُجَرَّدُ ادِّعَاءٍ لإقنَاعِ الناسِ. وَلكنْ ظَهَرَ مِنْ سِيرَتِهِ وأَعمالِهِ أَنَّهُ مُحِبٌّ للخَيرِ ورَجُلُ سياسَةٍ مُوَحِّدٍ لقومِهِ، فَهُوَ مُعَادٍ شديدُ العَداءِ للقبليَّةِ والعشائريَّةِ. ولذا كَانَ يُفْتَرَضُ أَنْ يَضَعَ لَهُم نظاماً انتخابياً.

وَعَلَى تفسيرهم هَذا.. يَجِبُ أَلاَّ يَكونَ في عَقيدتِهِ شيءٌ مِنْ مفاهيمِ الوراثَةِ والوَصيَّةِ والخلافَةِ العائليَّةِ، لأَنَّهُ حَارَبَهَا أَصْلاً بِكُلِّ قُوَّةٍ.

ولا يمكنُ الجَمْعُ بَيْنَ محاربَتِهِ للعشائريَّةِ والقبليَّةِ وبَيْنَ تثبيتِهِ لوصيٍّ لَهُ مِنْ أَهْلِ بيتِهِ وجَعْلِهِ وَليّاً لِعَهْدِهِ إلاَّ في حَالَةٍ واحِدَةٍ هِيَ أَنَّهُ لا دَخلَ لَهُ بِهَذا الأَمْرِ، وأَنَّهُ مأمورٌ بِهِ بالفِعْلِ مِنَ السَّمَاءِ. وَهَذا يُثْبِتُ عَكْسَ المطلوبِ.. إنَّهُ يُثْبِتُ أَنَّهُ نبيٌّ بالفِعْلِ!. وإِذَنْ فالوصيَّةُ تُثْبِتُ النبوَّةَ!!.

الصراعُ كُلُّهُ هُوَ عَنْ نبوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ!.

والإمامُ عليٌّ عليه السلام قَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ أَيْضاً. فَقَدْ أَعَادَ كُلَّ أسبابِ البُغْضِ والحَرْبِ عَلَيْهِ إلى النبيِّ!

وَذَكَرَ أَنَّ كُلَّ الَّذينَ لا يَقْدِرونَ عَلَى التصريحِ بتكذيبِ مُحَمَّدٍ أو مُحارَبَتِهِ سيسْلِكُونَ سبيلاً آخرَ هُوَ محاربَةُ عليٍّ!.

وبِشَأْنِ الوَصِيَّةِ فقَدْ ذَكَرَ النبيُّ ﷺ مَا يُشْبهُ الاعتذارَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ بِشَأْنِ عليٍّ عليه السلام!.

فقَدْ ذَكَرَ لِقُرَيشٍ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ أَنَّهُ عَبْدٌ مأمورٌ ينفِّذُ مَا يُوحَى إليه، بَلْ اشْتَكَى وبَكَى لِحُذَيفَةَ حَتَّى ابْتَلَّتْ لحيَةُ حُذَيفَةَ لبكاءِ النبيِّ، إِذْ بَكَى مَعَهُ طويلاً وَهُوَ لا يَدْري مِمَّ يَبْكي!

وَكَانَ الَّذي أَبْكَاهُ هُوَ آيَةُ التبليغِ والولايَةِ.. فالإشاراتُ والنصوصُ الَّتي قَالَهَا في كُلِّ حياتِهِ لَمْ تَجْعَلِ القَومَ يُحبُّون علياً، بَلْ كانوا يحترِمونَهُ فَقَطْ لأَجْلِ إجلالِ النبيِّ لَهُ، ولِمواقفِهِ الَّتي لا مَغمَزَ فِيْهَا لأَحَدٍ.

إنَّهُ إقرارٌ إجباريٌّ بالفضلِ!

وَلكنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يسعى للحُبِّ!

وأكَّدَ قضيَّةَ الحُبِّ في عشراتِ النصوصِ فراجِعْها في الكُتُبِ المخصَّصَةِ فإني لا أستطيعُ أنْ أذْكُرَ لك كُلَّ شيءٍ.

ولأجلِ هَذا نَزَلَتْ آيَةُ «المودَّةِ» في القُرْبَى.

لكنَّ القومَ مَا أحبُّوا عليّاً قط.. والذينَ أحبُّوه ظَاهِراً وبَاطِناً كانوا نَفَراً معدودِينَ!!.

سَأكْشِفُ لَكَ الآنَ عَنْ هَذا السرِّ:

لقَدْ دَرَسْتُ حَيَاةَ النبيِّ ﷺ في ثلاثينَ سَنَةً متواصِلَةً في علاقَتِهِ مَعَ عليٍّ عليه السلام وبقيَّةِ الأصْحَابِ وعُمومِ الناسِ والمِلَلِ.

لقَدْ اكْتَشَفْتُ أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ في مِحْنَةٍ كَبِيرَةٍ، وإنَّ الله تَعَالَى استَمَرَّ في ابتلائهِ بِهَا.

وَهَذِهِ المحنَةُ هِيَ: عليُّ بنُ أَبي طالبٍ.

صَحِيحٌ أنَّ عليّاً ربيبُهُ وحبيبُهُ، فقَدْ كَانَ يُحبُّهُ أكْثَرَ مِنْ كُلِّ الناسِ. ولكنِّي اكْتَشَفْتُ أنَّه كَانَ يَتَمَنَّى لَو أنَّ هَذا الرَجُلَ الَّذي اسمُهُ عليُّ بن أبي طالبٍ لَيْسَ ابنَ عمِّهِ ولا يَمتُ لَهُ بِصِلَةٍ قُرْبَى تُذْكَرُ!

كَانَ يتمنّى ذَلِكَ مِنْ أجْلِ أنْ يُصدِّقَ الناسُ أنَّهُ مَا أحَبَّهُ لأنَّهُ ابنُ عَمٍّ لَهُ.. فَمَا أَكْثَرَ أولاد العَمِّ!، بَيْدَ أنَّ عُقولَ الناسِ هِيَ عُقُولٌ عشائريَّةٌ وقَبَليَّةٌ، ولا زَالَتْ إلى اليومِ كَذَلِكَ. وقَدْ سَمِعْتُ إذاعَةً عربيَّةً يتحدَّثُ فِيهَا رَجُلٌ عَن الانتخاباتِ المحليَّةِ وينقُدُها بالقَوْلِ:

«لا زالَ مجتمعنا غارقاً في العشائريَّةِ فَإنَّهُم لا ينتخِبونَ لأيِّ سببٍ وجيهٍ سِوَى أنَّ هَذا ابن عمِّي وَهَذا مِنْ عشيرتي!!» - سَمِعْتُ هَذا بتاريخ ٤/٣/ ١٩٩٩ - فَكَيفَ كَانَتِ العشائريَّةُ قَبْلَ ألف وأربعمائة سنة؟.

إنَّ هُنَاكَ آياتٍ قرآنيَّةً تُشيرُ إلى هَذِهِ القضيَّةِ. وَهْيَ تؤكِّدُ لَهُ ﷺ أنَّ مَا جَاءَهُ بِشأنِ عليٍّ عليه السلام هُوَ الحَقُّ، وأنَّ الحَقَّ لا يَتَجزَّأُ!!.

إنَّ الله يُريدُ أنْ يبتليَ الخَلْقَ بِهَذِهِ المسألةِ. فَمَنْ أحَبَّ مُحَمَّداً بِحَقٍّ لا بُدَّ أنْ يُحِبَّ كُلَّ مَا يَأْتي بِهِ مُحَمَّدٌ حَتَّى لَو كَانَ يَخصُّ أرحامَهُ!.

ذَلِكَ لأنِّي لَو قُلْتُ: «يُحَابي أرحامَهُ ويتحيَّزُ لَهُم»، فَهُنَاكَ عندي إِذَنْ شكٌّ أسْبَقُ بنبوَّتِهِ!.

هَذا هُوَ مَكْرُ الله!

إنَّهُ يَسْتَخْرِجُ مكنونَ النفوسِ بأوامِرَ غَرِيبَةٍ، ويبتلي بِهَا الخَلْقَ.

الدِّيْنُ هُوَ التسليمُ لأمْرِ الله لا البَحْثُ في أمْرِ اللهِ!.

يَصِحُّ البَحْثُ حِينَمَا لا أَعْلَمُ بالأمْرِ والمُرَادِ الإلهيِّ، فأبْحَثُ عَنِ المُرادِ!

وَبَعْدَ أنْ أعرِفَ المُرادَ لا يِحِقُّ لي البَحْثُ، بَلْ أُسَلِّمُ وأَطِيْعُ..!

إنَّ هَذا الخَلْقَ أكثرُهُ لا يَطيعُ.. إنَّهُ يُريدُ أنْ يُشَرِّعَ مَعَ اللهِ!

هَذِهِ هِيَ كُلُّ القَضِيَّةِ!

وفي النهايَةِ فلَيْسَتْ جَهَنَّمُ مَخلوقَةً إلاَّ لِلْذينَ يريدونَ أنْ يُشَرِّعُوا مَعَ اللهِ.

فَهَلْ فَهِمْتَ الآنَ شيئاً مِنَ السِرِّ الإلهيِّ؟

هَلْ فَهِمْتَ لِماذَا يقولُ عليٌّ عليه السلام:

«أَنَا الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ وَأَنَا السَّبِيلُ المُقِيمُ. أَنَا عَيْنُ المِيزانِ... الخ».

لأنَّ الأيمانَ بِصِدْقِ مُحَمَّدٍ ﷺ إنَّما يُكْشَفُ ويُثْبَتُ بالإيمانِ بالأمْرِ الأَصْعَبِ عَلَى النُّفوسِ. إنَّ مَرَضَ النُّفوسِ هُوَ حُبُّ الذَّاتِ.. إنَّهُ الشُّعورُ بالأَنَا.

كُلُّ المُسْتَكْبِرِينَ يبدأونَ بِلَفْظِ «أَنَا» وأوَّلُهُم إبليسُ المَلْعُونُ حَيْثُ قَالَ:

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٦].

وفِرْعونُ الخَبيثُ:

﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

ونَمْرودُ الكَافِرُ:

﴿. . . قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ. . .﴾ [البقرة: ٢٥٨].

كُلُّ الَّذينَ يَبْدأونَ بالأنا يُلْقَونَ في أَتونِ جَهَنَّم!

وكُلُّ الَّذينَ يبدأون بـ «هُوَ» - هُوَ الَّذي ولا هُوَ سواه هُمُ الفائزون. .

فَجَاءَكَ في هَذا أَمْرٌ وموعِظَةٌ وكَشْفٌ لِلسِرِّ.

فاقْرَأ الإخلاصَ فَلا خَلاصَ إلاَّ بالإخلاصِ:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

يا هَذا لا تَقُلْ أنا. . إذْ مَنْ أَنْت؟!

أَنْتَ جِيفَةٌ نَتِنَةٌ لَو مُتَّ فَلا يُبْقيكَ أَحَبُّ الناسِ إليكَ أَكْثَرَ مِنْ ساعاتٍ قلائل! لأنَّ جِيفَتَكَ ستُزْكِمُ أنفَهُ!

منْ أَنْتَ؟

أَنْتَ لا شيءَ!!

وإذا أَرَدْتَ أنْ تَكُونَ شيئاً فَلا سَبيلَ لَكَ إلاَّ الإقرار بأَنَّكَ لا شيء!

اللاشيء هُوَ الَّذي يَبْقَى. .

الفَنَاءُ هُوَ الَّذي يكونُ فَقَط مَعَ المطلق!

لأنَّ الله استحْوَذَ عَلَى الوجودِ كلِّهِ، وكلُّ مَا عَدَاهُ باطِلٌ.

أَتُريدُ أنْ تَفْهَمَ التوحيدَ؟

إذَنْ فاقْرَأ أَدْعِيَةَ عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في مُسْتَدْرَكِ النَّهجِ، وفي الصَحفيَةِ العَلويَّةِ الأولى والثانيةِ، إذْ هُنَاكَ التوحيدُ!

أَمْ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تُسَجَّلَ مِنْ جُمْلَةِ الباحثينَ في الفِكْرِ والدِّينِ؟!

إنَّ سِجِلَّ المُوحِّدينَ مُخْتَلِفٌ يا صاحِ عَنْ سِجِلِّ الباحثين!

الباحثونَ هُمْ أَهْلُ الأَنَا. . وأَكْثَرُهُم مصيرُهُم إلى جَهَنَّمَ، لأَنَّهُمْ يَفْتَرونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ. .

والمُوحِّدونَ هُمْ «أَهْلُ اللَّيلِ ورُعَاةُ الشَّمْسِ والقَمَرِ والمَواقيتِ. .»، قُدوَتُهُم سُليمانُ ومُحَمَّدٌ وعليٌّ وعليُّ بن الحُسينِ، وكُلُّ بَكَّاءٍ في الليلِ مِنْ ذَنْبِهِ!

فَهَلْ بَكيتَ مِنْ ذَنْبِكَ حَتَّى تَكْتُبَ أَبْحَاثاً في دِينِ اللهِ!

عليٌّ يُعَلِّمُكَ البكاءَ في اللَّيلِ، عليٌّ يُعَلِّمُكَ التوحيدَ.

وَأمَّا الأَرْجاسُ فَيُعَلِّمونَكَ العَسَسَ في اللَّيلِ، والتَسَوُّرَ عَلَى الجُدْرانِ، والتَلَصُّصَ عَلَى الخَلْقِ، وتَجْريبَ «طلاءِ» الشامِ، وركوبَ الفَرَسِ بَدَلَ البَغْلِ خُطُواتٍ، وخَلْطَ الماءِ بالخَمْرِ حَتَّى يَحِلَّ في دِينِ مُحَمَّد!!

الأَرْجَاسُ يُعَلِّمونَكَ: «إذا قَبِلَ ثَلاثَةٌ وأَبَى إثنانِ فاضْرِبْ عُنُقَيهِمَا بالسَّيفِ!، وإذا أَبَى ثَلاثَةٌ وقَبِلَ ثلاثةٌ فَكُنْ مَعَ الثلاثَةِ الَّذينَ فيهِم الوَلَدُ الَّذي يُقَالَ إنَّه ابنَ فُلانٍ!»!

والأولِيَاءُ يعلِّمونَكَ: «كُنْ مَظلوماً ولا تَكُنْ ظَالِماً إنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بُدٌّ مِنْ أَحَدِهِمَا فَوَرَاءُكَ حِسَابٌ شَديدٌ»!!

الأَرْجَاسُ يُريدونَ أَنْ يَلْقوكَ في جَهَنَّمَ،

والأولِيَاءُ يريدونَ لَكَ الخَيْرَ. . يُريدونَ إنقاذَكَ. .

وَكَانَتْ تِلْكَ شَكْوى عليٍّ عليه السلام حَيْثُ قَالَ مُخَاطِباً النَّاسَ:

«أَنَا أُريدُكُم للهِ وَأَنْتُم تُريدونَني لِدُنْيَاكُم. . .!! أو «أنفسكم» خطبة/ ١٣٤ .

الناسُ هُمُ الناسُ في كُلِّ زمانٍ:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

فَهَلْ يَظُنُّ هَذا الأَفَّاكُ الكَذوبُ أَنَّ أَهْلَ الشُّورَى هُمُ الناجونَ مِنَ النَّارِ دونَ أَهْلِ الوَصِيَّةِ؟.

إنَّ هَذا الكاتِبَ يَتَّهِمُ الله بالجَّورِ وقَوْلِ مَا لا يَفْعَلُ!

فَإنَّهُ تَعَالَى قَالَ بِنَجاةِ الأَقَلِّيَةِ وهَلاكِ الأكثريَّةِ. ففي سُورَةِ الواقِعَةِ قَسَّمَ الخَلْقَ ثلاثَةَ أقسامٍ: أصحابُ المشأمة وأَصْحَابُ المَيْمَنَةِ والسابِقونَ السابِقون.

وَحِينَمَا فَصَّلَ القَولَ فيهم قَالَ في أَصْحَابِ المَيمَنَةِ: ثُلَّةٌ مِنَ الأوّلين وقليلٌ مِنَ الآخرين. وَقَالَ في السابِقين: ثُلَّةٌ مِنَ الأولين وثُلَّةٌ مِنَ الآخرين. وسَكَتَ عَنْ أَصْحَابِ المشأمة، إذْ الباقي مِنَ القليلِ لَيْسَ سِوَى الكثير. إنَّها أُمَمٌ كامِلَةٌ:

﴿. . . كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا . . .﴾ [الأعراف: ٣٨].

أَمْ أَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ لَيْسَتْ مِنَ الناسِ حَيْثُ يَقولُ تَعَالَى:

﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

بَلَى.. هَذِهِ الأُمَّةُ مِنَ الناسِ ويَصْدُقُ عَلَيْهَا المذكورُ.

ع - وَمِنْهَا قوله عليه السلام:

فَقُمْتُ بِالأَمْرِ حِيْنَ فَشِلوا، وَتَطَلَّعْتُ حِيْنَ تَقَبَّعُوا، ونَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا، وَمَضَيْتُ بِنُوْرِ الله حِيْنَ وَقَفُوا، وكُنْتُ أَخفَضُهُمْ صَوْتاً وأَعْلاهُمْ فَوْتَا، فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا، واسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا كَالجَّبَلِ لا تُحَرِّكُهُ القَوَاصِفُ ولا تُزِيلُهُ العَوَاصِفُ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مِنْ مَهمَزٍ ولا لِقَائِلٍ فِيَّ مَغمَزٌ..

صَدَقْتَ يا عليُّ العَلِي وكَذَبَ عَلَيْكَ الكاتِبُ المفتري.

أخي القارئ: ألا ترَى في هَذا النصِّ أنَّهُ يَحصرُ حَقَّ الخِلافَةِ والإمامَةِ فِيهِ ويُشيرُ إلى كُفْرِ ونِفَاقِ مِنْ سَبَقَه؟.

وَهَذا هُوَ كلامُهُ في الخطبة «٣٧» مِنَ النهج. والأفَّاكُ يقولُ: «لَمْ يَرِدْ شيءٌ عَنْ عَلِيٍّ يُشيرُ إلى أنَّهُ يُؤمِنُ بالإمَامَةِ، بَلْ كَانَ يُؤمِنُ بالشُّورى» عَلَى زَعْمِهِ.

وألفَاظُ النصِّ كلُّها قُرآنيَّةٌ، وَلكنْ عَلَى القُلوبِ أقفالُهَا.

فَتعَالَ مَعِي وانْظُرْ عَلاقَةَ هَذِهِ المَقاطِعِ بالقُرْآنِ:

◄ ١ - فَقَولُهُ عليه السلام: **«فَقُمْتُ بالأَمْرِ حِينَ فَشِلوا..»** فِيهِ إشارَةٌ إلى قَولِهِ تَعالَى:

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ومُحَالٌ عَدَمُ التنازُعِ إذا كَانَتِ الخِلافَةُ باختيارِ الخَلْقِ، وَإنَّمَا أَمَرَ الله بطاعَةِ الله ورَسولِهِ..

ومُحَالٌ أنْ يُنَظِّمَ الدِّينُ كُلَّ شُؤونِ الحَياةِ حَتَّى كيفيَّةَ الغُسْلِ والطَّهَارَةِ وعِيادَةِ المَريضِ والنَّومِ.. وسِوَاهَا مِنَ الأُمورِ، ويَتْرُكَ الإمامَةَ والرئاسَةَ العامَّةَ المَنوطَ بِهَا تَطبيقُ الشَّرْعِ لاختيارِ الخَلْقِ. وقَدْ وَقَعَ النِّزاعُ فِعْلاً حِينَمَا أَنْكَروا الإمامَةَ فَفَشِلوا فكَانَتْ عاقِبَةُ أَمْرِهِمْ خُسْرَا. ثمَّ اضْطرُّوا للرُّجوعِ إليه، ونَسَبَ الفَشَلَ إليهِم.

فَهَلْ هُنَاكَ وضوحٌ أَكْثَرُ مِنْ هَذا؟

والمعنى: أنَّهُم لَمْ يُطِيعُوا الله ورسولَهُ فَفَشِلوا.. فالَّذِينَ سَبَقُوهُ فِيْهَا عَصَوا الله ورَسُولَهُ.

◄ ٢ - قَولُهُ عليه السلام: **«وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا..»**، القَابعُ مِنْ أَسْمَاءِ القُنْفِذِ إِذْ يختفي، فَهُوَ يَحْمي نَفْسَهُ بالشَّوكِ ويُخْفي رَأْسَهُ. وفي هَذا إشارَةٌ إلى نِفَاقِهِم.

والمُتَطَلِّعُ مِنْ أسماءِ المُؤمِنِ الَّذي يُواجِهُ المَصَائِبَ، ويَقومُ بواجباتِهِ مُعَرِّضاً نَفْسَهُ للمَخَاطِرِ.

وَهوَ عليه السلام يَتَّهِمُ المَجْموعَ حَيْثُ حَرَّفوا الرِّسَالَةَ، وقَلَبُوا الدِّينَ كَمَا هُوَ واضِحٌ مِنْ بَقيَّةِ كلامِهِ في خُطَبِهِ الأُخْرَى.

والمُؤمِنُ يتطلَّعُ حَتَّى في الجنَّةِ:

﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الصافات: ٥٤-٥٥].

فَهذَا مُؤمِنٌ كَادَ أنْ يَهْلَكَ لَولا رَحمَةُ الله، وَلَمْ يَعْتَدْ عَلَى التَطَلُّعِ. فَقَالَ لَهُ القَائِلُ أو الوَليُّ أو الملائِكَةُ: «اطَّلِعْ لِتَرَى مَوْضِعَ صَاحِبِكَ!»، فاطَّلَعَ فَرآهُ في سَواءِ الجَحيمِ، فَقَالَ:

﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الصافات: ٥٦-٥٧].

◄ ٣ - قَولُهُ عليه السلام: «**وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعوا..**» إشارَةٌ إلى أنَّهم ظَلَمَةٌ هُمْ وأَصْنامُهُم المعبودَةُ الَّتي لا تَنْطِقُ حِينَ يَتَوَجَّبُ النُطْقُ. فَإنَّهُم بَعْدَ حصولِ الفِتْنَةِ خَرِسوا فَلا يَنْطقُون إلاّ تِلْكَ التَعْتَعَةَ المعهودَةَ وتوقَّفَتْ صِفَتُهُم الأولى وَهْيَ رَفْعُ الأصواتِ واللَّحْنِ في القَولِ كَمَا قَالَ تَعالَى:

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ [النمل: ٨٥].

◄ ٤ - قَولُهُ عليه السلام: «**وَمَضَيتُ بِنُورِ الله حِينَ وَقَفُوا..**» دليلٌ متكامِلٌ عَلَى كَوْنِهِ عليه السلام يَعْلَمُ نفاقهم ويشير إليه بِكُلِّ وضوحٍ لأنَّ الألفاظ هُنَا قرآنية كلّها. فهؤلاء لا نور لَهُم وَلِذَلِكَ يتوقّفون عَن الحركة. وَهْيَ إشاراتٌ متلاحقةٌ لما وَرَدَ في القرآن. قَالَ تَعالَى:

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

فالكتابُ هُوَ القُرآنُ، والنُّورُ هُوَ حامِلُ الكِتابِ «مُحَمَّدٌ وعليٌّ والأئِمَّةُ» كَما قَالَ في آيَةِ المِشكاةِ: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥]. قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**إِمَامٌ عَلَى رَأْسِ إِمَامٍ**» أو «**إِمَامٌ عَلَى إِثْرِ إِمَامٍ**».

وقَدْ تَوَقَّفَ الثلاثَةُ وأَتْبَاعُهُم مِنْ قَبْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنَّهُمْ بِلا نُورٍ، ولأنَّهُم بِلا عِلْمٍ بالكِتَابِ، وبِلا طاعَةٍ لِمُنَزِّلِ الكتابِ.. فَمِنْ أَيْنَ يأتيهُمُ النُّورُ؟.

فالنُّورُ هَذا مَجْعُولٌ مِنَ الله لا مِنْ قِبَلِ الخَلْقِ. فَلَيْسَ لِهَذا المفتري أنْ يقولَ: «النُّورُ عِنْدَ فُلانٍ» فَنُصَدِّقُهُ، بَلْ هُوَ مِنْ شُؤونِ المُشَرِّعِ نَفْسِهِ. قَالَ تَعالَى:

﴿...وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وَمِنْ صِفَاتِ المُنَافِقِينَ أَنَّهُم يَدورونَ في موضِعِهِم لانعدامِ النُّورِ، فإذا بَرَقَ شيءٌ مِنَ الإمَامِ مَشَوْا، وإذا أَعْرَضَ الإمامُ عَنْهُم تَوَقَّفُوا:

﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

وَلِذَلِكَ نَصَحَهُم الإمامُ عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَحَضَ لَهُم النَّصيحَةَ. وَلكنْ لا يَمْكن أنْ يَجْعَلَهُم يَحِلُّونَ مَحَلَّهُ في كُلِّ شيءٍ لأنَّ مَسِيرَةَ الدِّينِ هِيَ مَسيرَتُهُ، وَهْوَ مَعْدومُ الأنانيَّةِ، وَلَيْسَ في قَلْبِهِ شيءٌ مِنَ الحَسَدِ. فإذا قَدَرَ عَلَى الإضاءَةِ أَضَاءَ.

وَلَكِنَّهُم يُريدونَ الإِضاءَةَ حَيْثُمَا احتاجوا ويتركونَها حَيْثُ لا يُريدون. وَهْوَ عَمَلٌ متناقِضٌ. فَلا يَجْتَمِعُ النورُ والظُّلُماتُ، وَإِنَّما هِيَ خَطَفَاتُ بَرْقٍ.

ومِنْ هُنَا نُلاحِظُ أَنَّهُم سَألوهُ واستَعَانوا بِهِ حَيْثُ احتاجوا إليه، فَبالَغَ في المَعُونَةِ والنُّصحِ وأَعْطى غايَةَ المَجْهودِ. وَهَذا مِنْ طَبيعَةِ عَمَلِ الوَليِّ.

وَلكنَّ الأغبياءَ والحَمْقَى يَبْقونَ أغبياءَ وحَمْقَى، حَيْثُ مَا فَتَأوا يَعْقِدُونَ النَدواتِ ويؤَلِّفونَ الكراريسَ الصفْرَاءَ ويُوحُونَ إلى أَقْرَانِهِم أنَّ علياً كَانَ يُحِبُّ

هَؤُلاءِ، وَكَانَ يَرَى رأيَهم وإلاَّ فَكَيفَ أَعَانَهُم ونَصَحَهُم وَلَمْ يَخْرُجْ عليهم بالسيفِ؟.

يا لِحُمْقِ العقولِ ورَينِ القُلوبِ وغِلْظَةِ الكُلَى وعَمَى الأَبْصَارِ!!

تَبّاً لِحَياةٍ أَعيشُ فِيهَا بَيْنَ قَوْمٍ بَهَائِمٍ لا يَفْقَهونَ شيئاً ولا يَهْتَدون!

واللهِ لَولا حُرْمَةَ التَعَرُّبِ بَعْدَ الهِجْرَةِ. . لَعِشْتُ في البَيْدَاءِ. فإنَّ رَعْيَ بَعيرَينِ أَجْرَبينِ مَعَ كَلْبِ صَيْدٍ لَهُوَ خَيْرٌ مِنْ مُرَاعَاةِ هَذِهِ العُقولِ فيما تَقولُ!!

يا قَومُ أَنَّكُم لَمْ تَفْهَموا الإمامَ بَعْدُ!

إنَّكُم تَتَحدَّثون عَنْ غَيرِهِ وتَجْعلونَ كلامَكُم فِيهِ!

وَهَذا افْتِرَاءٌ عَلَى الله الحَقِّ المُبين!

يا قَوْمُ لا تُقَارِنوا الإمَامَ بالحُكَّامِ، إِذْ مِنْ هُنَا جاءَكُمُ الالتِبَاسُ في الأَمْرِ!

كأَنَّكُمْ تَقُولُونَ لَو كَانَ الإمامُ هُوَ الوصيَّ بِحَقٍّ منصوصٍ مِنَ الله لحَرَّكَ الدُّروعَ والمُشَاةَ وسَيْطَرَ عَلَى قَصْرِ الخِلافَةِ!!

وَهَذا هُوَ الوَهْمُ المَحْضُ.

فإنَّكُم تَتَحدَّثونَ عَنْ شَخْصٍ آخَرَ غَيرِ الإمامِ، لأنَّ الَّذي يَفْعَلُ ذَلِكَ لَيْسَ إمَامَاً مَنْصوصَاً عَلَيْهِ قطعاً!

الإمامُ المَنْصوصُ عَلَيْهِ لا يَفْعَلُ هَذا مُطْلَقَاً وإذا فَعَلَهُ وقَهَر العِبادَ عَلَى حُكومَتِهِ فقَدْ كَفَر!

الإمامُ مُنَفِّذٌ لِمَشيئَةِ الله تعالى. . الإمامُ لا يُريدُ أنْ يَحْكُمَ الناسَ، فَهَذَا لَيْسَ هُوَ الإمامُ المَعْصومُ. . الإمامُ يُريدُ للناسِ أنْ يَطْلبوا حُكْمَ اللهِ. فإذا طَلَبوا حُكْمَ الله لَمْ يَعدُّوهُ في اختيارِهِم لأَنَّهُمْ لَنْ يَختارُوا سواه!. وإذا وَجَدَهُمْ لا يريدونَ

حُكْمَ الله فَهُوَ لا يُرِيدُ حُكْمَهُم لأنَّهُ سَيَفْشَلُ حَتْمَاً فَهُوَ يَتَطَلَّعُ ويَنْصَحُ وينْتَظِرُ ويُعَاوِنُ!

إنَّهُ لا يَغْدِرُ ولا يَفْجُرُ ولا يَتآمَرُ ولا يَتَّفِقُ مَعَ جَمَاعَةٍ عَلَى الثَّورَةِ ولا يُؤَسِّسُ حِزْبَاً ولا يُشَكِّلُ جَمْعِيَاتٍ سِرِّيةٍ!.

يا قَوْمُ افْهَمُوا مَنْ هُوَ الإمامُ المَعْصومُ أولاً!

فإنَّ الله لَو شَاءَ أنْ يَقهرَ العَبادَ لَقَهَرَهُم بِلا إمامٍ!

يا قَوْمُ إنَّ الإمامَ هُوَ حُرِّيَةُ الإنسانِ، إنَّهُ نَفْحَةُ الله في الخَلْقِ.. إنَّهُ النورُ الإلهيُّ.. إنَّ الطُغَاةَ يطْفِئونَ نورَ الله باستلابِ الحُرِّيةِ، والإمامُ حارِسٌ لحُرِّيةِ الاختيارِ.. إنَّهُ لا يَقِفُ ضدَّهَا أبداً..

إفْهَمُوا خَلْقَ الإنسانِ قَبْلَ خَلْقِ الإمامِ!

فإنَّ الله خَلَقَ الإنسانَ لِيَختارَ.. وَمَا القَولُ بالجَبْرِ والاختيارِ إلاَّ مَظْهَرٌ آخَرُ مِنْ مَظاهِرِ مُحَارَبَةِ الطُغَاةِ للإمامِ!

فَفي الجبْرِيةِ تسْقطُ الإمامَةُ، والبَحْثُ في الأقْدَارِ تزِلُّ بِهِ الأقْدَامُ، والقَدريةُ ألْعَنُ الفِرَقِ لأنَّها تُريدُ استِلابَ حرِّيةِ الإنسانِ في الاختيارِ، وتُوحِي للخَلْقِ أنَّ مَا يَجْري مِنَ الوَقَائِعِ مُثَبَّتٌ في لَوحِ الأَزَلِ ولا مَحيصَ عَنْهُ لِيَسْتَعْبدوا الخَلْقَ ويَجْعَلوهُم مِثْلَ الأنْعامِ.

أَمَامَكُمُ الكَثيرُ لِتَعْلَمُوا الفَرْقَ بَيْنَ الظُلُماتِ والنورِ. والطاغوتُ عدوٌّ للنورِ يُخْرِجُ الناسَ مِنَ النورِ إلى الظُلُماتِ. فإنْ كُنْتُم لا تُدْرِكونَ الفَرْقَ للآنِ فَتمَهّلوا وافْهَموا مَنْ هُوَ الإمامُ.

فواللهِ إنِي لَكُم مِنَ الناصِحينَ وإنِّي لَمُشفِقٌ عَلَيْكُم.

تَحرَّروا مِنْ كُلِّ عبوديَّةٍ أوَّلاً ثُمَّ اختاروا مُجَدَّداً.. إذا فَعَلْتُم ذَلِكَ اكْتَشَفْتُم

الحَقَائِقَ، ولا تَغُرَّنَّكُم الظواهِرُ. فَكُلُّ مَا تُريدونَهُ سيَتَحَقَّقُ لَكُم في هَذِهِ الدُّنْيَا أَكْثَر مِمَّا كُنْتُم تَحْلمون..

إنَّ العلاقَةَ مَعَ الله تَجْرِبَةٌ فَطَهِّروا أَنْفُسَكُم وجَرِّبوا!

كَذَبَ الَّذينَ يَقُولُونَ إنَّ العِلاقَةَ مَعَ الله هِيَ مِنَ الغيبِ!

جَرِّبُوا طَهَارَةَ النفوسِ والتَّحَرُّرَ مِنَ الطاغوتِ فَهَذِهِ التجرِبَةُ أَوَّلُ دَرَجَةٍ في سُلَّمِ مَحَبَّةِ الله الَّذي يُعطي أَكْثَر مِمَّا يُعْطي الطاغوتُ بِمَا لا يُقَاسُ ولا يَسْلِبُ مِنْكُم شيئاً.

إنَّ مَنْ لا يَتَحرَّرُ مِنَ الطاغوتِ يَتَوَقَّفُ ولا يَمْضي لأَنَّهُ بِلا نُورٍ.

◄ ٥ - قَولُهُ عليه السلام: **«وكُنْتُ أَخْفَضُهُم صَوْتاً وأَعْلاهُمْ فَوتاً»**.

فارقٌ آخرُ بَيْنَهُ وبَيْنَهُم وفيهِ التَّعريضُ بنفاقِهِم. لأنَّ المُنافِقَ عالي الصَّوتِ خَفِيضُ الفَوتِ عَلَى عَكْسِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ صِفَتِهِ عليه السلام. وَلَيْسَ المَقصودُ بِهِ صَوت الكَلام العاديِّ. فالكَثيرُ مِنَ الناسِ يَجْهَرونَ بالقَوْلِ، وبَعْضُهُم هَذا هُوَ طَبْعُهُ، وَهُوَ قَدْ يُحسِنُ في قَولِ الحَقِّ خصوصاً. وَإِنَّمَا المَقصودُ أصواتُ الاعتراضِ والمُطَالَبَةِ والدِّعَايَةِ. فالمُنافِقُ يُعْلي صَوتَهُ عِنْدَ الاعتِرَاضِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ عُمَرُ وأبو بَكْرٍ مَعَ النبيِّ صلى الله عليه وآله، وفيهِ حَوَادِثُ كَثيرَةٌ في التاريخِ، مِنْهَا مَا حَدَثَ في صُلْحِ الحديبية. وَكَذَلِكَ في حَادِثِ البَشَارِةِ بِقولِ لا إلهَ إلاَّ الله مُحَمَّدٌ رسولُ الله. وَأَيْضاً عِنْدَ شَكْوى قُرَيشٍ حَيْثُ قالوا «جِيرانَكَ وحُلَفَاءَكَ»، وفي حَوَادِثِ النصوصِ الخاصَّةِ بِفَضائِلِ العترَةِ حَيْثُ كَانَ عُمَرُ يَعْتَرِضُ رَافِعَاً صوتَهُ: «أَكُلُّ آلِ بَيْتِكَ عَلَى هَذا؟». وعِنْدَ أَسْرَى بَدْرٍ، وغيرهَا بالعَشَرَاتِ يَعْلَمُها كُلُّ قارئ للتاريخِ.

وَمَعَ ذَلِكَ كَانَتْ تَفوتُهُم كُلُّ الفَضَائِلِ ولا تَفوتُهُم الموبقاتُ والمخازي. فالفَوتُ مِنَ المُضاداتِ في المَعْنَى.

قَالَ بَعْضُ الشُّرَّاحِ: «الفَوْتُ: السَبْقُ» لأنَّهُ وَجدَ مَعَهُ العلوَّ في كَلامِهِ وَهْوَ صَحيحٌ عَلَى العمومِ، إِذْ لا يَسْبِقُهُ أَحَدٌ في مُكْرَمَةٍ. وَلكنَّ الفَوْتَ عَلَى الأصلِ عَكْسُ السَّبْقِ. أيْ كَانَ يَفوتُهُ مِنْ حَقِّهِ عَلَى الخَلْقِ أكْثرُهُ ولا يَفُوتُهُم ذَلِكَ. وَإنَّمَا وَصَفَهُ بالعلوِّ لأنَّهُ كالبَلاءِ فَيُقالُ هَذا بلاءٌ حَسَنٌ وَهَذا بلاءٌ غَيْرُ حَسَنٍ، فَهْوَ فَوْتٌ عَالٍ لَيْسَ بِخَفيضٍ. وَمَا كَانَ كَذَلِكَ جَمَعَ كُلَّ المَعَاني.

بَيْنَمَا فَوْتُهُم خَفيضٌ. فإذا فَاتَتْهُم الفَضَائِلُ فَلِعَدَمِ استحقاقٍ، فَهْوَ خفيضٌ. وإذا فَاتَهُم الخَلاصُ مِنَ المُحَرَّمَاتِ فَلِدَنَاءَةِ نُفوسِهِم، فَهْوَ فَوْتٌ خفيضٌ أَيْضاً. وَهَذِهِ العِبَارَةُ تُعَدُّ مِنْ عَجَائبِ كَلِمَاتِهِ البَليغَةِ. وبالطَبْعِ لا يَأْسَى المُؤمِنُ عَلَى هَذا الفَوْتِ تَحْقيقاً لِقَولِهِ تَعَالَى:

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣].

وَكَذَلِكَ قوله تعالى:

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

◄ ٦ - قَولُهُ عليه السلام: **«فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا واسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا»**.

طَارَ بعنَانِ الفَرَسِ: انْطَلَقَ بِهَا بِأَقْصَى سُرْعَةٍ حَتَّى كَأَنَّهُ يَطيرُ فلا يُرَى مِنْهَا حَرَكَةُ القَوَائِمِ. والتعليقُ عَلَى العِنَانِ لإِظْهَارِ القُدْرَةِ عَلَى السيطرَةِ والتوجيهِ، والضميرُ يَعودُ إلى الإمامَةِ. أيْ أنَّهُ صاحِبُهَا الوحيدُ المُنْفَرِدُ لأنَّ الفَرَسَ لا يَطيرُ هَكذا إلاَّ تَحْتَ صَاحِبِهِ. وفيهِ دَليلٌ آخرُ عَلَى أنَّهم رَكِبوا غَيْرَ مَرْكَبِهِم فَسَقَطوا في قَعْرِ جَهَنَّمَ. ثُمَّ بَدَا ظَهْرُهَا عَارِياً بَعْدَ الفِتْنَةِ فَطَارَ بِهَا، لأنَّها مَخْلوقَةٌ ومَجْعولَةٌ لَهُ دونَ سَائِرِ الخَلْقِ.

ويقولَ: «واسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا»!، أيْ أخَذَ الرِّهانَ - رِهَانَ هَذا الفَرَسِ الطائِرِ لِنَفْسِهِ مُسْتَبِدّاً بِهِ.

وَهَذا مَعْنًى بلاغيٌّ عجيبٌ، وفيهِ تَكْفيرٌ لِمَنْ سَبَقَهُ في الحُكْم كَمَا في الأوَّل. ذَلِكَ أنَّ الرَّاكِبَ لا يُرَاهِنُ عَلَيْهِ الآخرون. وَلكِنَّهُ جَعَلَ الرِّهَانَ بَيْنَ طَرفينِ: هُوَ طَرَفٌ، والخَلْقُ طَرَفٌ آخرُ. فَكَأَنَّهُم تَرَاهَنوا: مَنْ مِنَ الخَلْقِ يَقْدِرُ عَلَى ركوبِ هَذا الأمْرِ؟.. هَذا الجوادِ الإلهيِّ المقَدَّسِ كَنَاقَةِ صَالحٍ.. الفَرَس الَّذي يَطيرُ بِحَيثُ يَبْقَى في يَدِهِ العِنَانُ وَيَكْسِبُ الرِّهانَ؟

فَلَمْ يَكُنْ أحَدٌ مِنَ الخَلْقِ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ سِوَاه. وكَسَبَ الرِّهانَ مُسْتَبِدّاً بِهِ دونَ سَائِرِ الخَلْقِ.

وغايتُهُ عليه السلام مِنْ هَذا الكلامِ نَقْلُ الاحتجاجِ مِنَ النظريَّةِ إلى الواقِعِ.. أيْ إذا كُنْتُم تُكذِّبونَ أنِّي صَاحِبُ هَذا الأمْرِ وراكِبُهُ الوَحيدُ فَقَدْ أَثْبَتَ الواقِعُ سقوطَ الَّذينَ رَكبوه قَبْلِي. إِذْ عَمَّ الجورُ والظُّلْمُ وظَهَرَ الفَسَادُ واغْتيلَ الصحابَةُ وبُدِّلَتِ السُّنَنُ ومُنِعَ مِنْ تِلاوةِ الكِتابِ وأُحرِقَتِ السُّنَّةُ. والرَّاكِبُ يُلَقَّبُ بأميرِ المؤمنينَ زُوراً، وَهْوَ يُريدُ السيطَرَةَ عَلَى الأمْرِ وَلكِنَّهُ لا يَقْدِرُ فَيَضْطَرُّ للسقوطِ في المُهْلكاتِ.

كُلُّ ذَلِكَ وأَنَا مَعَهُم أَنْصَحُ لَهُم وأُعاونُهُم.

فانْظُروا إِذَنْ مِنْ واقِعِ التَجرِبَةِ إذا كُنْتُم تُكَذِّبونَ الوَحْيَ: مَنْ طَارَ بِعِنَانِهَا واسْتَبَدَّ بِرِهَانِهَا؟.

فَكَيفَ يَقولُ الكاتِبُ المُنافِقُ: إنَّ عَلِيّاً لَمْ يُشِرْ إلى انْفِرَادِهِ بِحَقِّ الإمامَةِ والخِلافَةِ؟

فَمَا مَعْنَى استِبْدادِهِ بالرِّهَانِ إِذَنْ؟.

◀ ٧ - قَولُهُ عليه السلام: «**كالجَبَلِ لا تُحرِّكُهُ القَوَاصِفُ ولا تُزِيلُهُ العَوَاصِفُ. .**» إشارَةٌ إلى قَوْلِهِ تَعالَى:

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦].

وفيه تَعْريضٌ وتَوْضيحٌ لِمَكْرِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ وقَدْ رَكِبَ غَيْرَ مَرْكَبِهِ، واسْتَعْمَلَ المَكْرَ لإزالَةِ الأئِمَّةِ عَنْ مَوَاضِعِهِم، إِذْ هُمُ الجِبَالُ في الآيَةِ جَبَلَهُم الله مِنَ الطِّيْنَةِ الَّتي ذَكَرَهَا النبيُّ صلى الله عليه وآله عِنْدَمَا قَالَ:

«**أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ طِيْنَةٍ وَاحِدَةٍ**».

وَجَعَلَهَا في شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ عِنْدَمَا قَالَ:

«**أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ والناسُ مِنْ شَجَرٍ شَتَّى**».

زَيتونَةٌ لا شَرْقِيَّةٌ ولا غَرْبِيَّةٌ يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ ولو لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ. فَهُمْ «أَوتَادُ الأَرْضِ» كَمَا قَالَ الإمَامُ الصَّادِقُ عليه السلام.

والمَقصودُ بالجِّبَالِ هُمْ، لأنَّ الصِّرَاعَ التاريخيَّ هُوَ صِرَاعٌ سِياسِيٌّ بَيْنَ المَلِكِ الَّذي مِنَ الله وبَيْنَ الملوكِ الَّذينَ يُمَلِّكُهُم الناسُ.

فالمَكْرُ لا عَلاقَةَ لَهُ بالجِبالِ الحَجَرِيَّةِ، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ المَجَازاتِ اللغويَّةِ يا عَبَدَةَ الطَّاغوتِ. .

فَأَنتُم تَعْتَرفونَ أنَّ المَجازَ هُوَ عَكْسُ الحقيقَةِ في عِلْمِ اللُّغَةِ، وتَعْتَرفونَ أَنَّ الله لا يقولُ غَيْرَ الحقيقَةِ ثُمَّ تَقُولُونَ بالمَجَاز!

فَلَو مَسَخَكُمُ الله قِرَدَةً وخَنَازيرَ لَمْ يَكُنْ قَدْ وَفَّاكُم مَا تَسْتَحِقّونَ مِنْ عِقَابٍ. فَهَذَا تَفْسيرُ أَهْلِ البيتِ عَلَيْهِم السَّلام للآيَاتِ لأنَّ مَرْكَزَ الصِّرَاعِ هُوَ الحُكْمُ والسُّلْطَان. فالجَّبَلُ هُوَ كنايَةٌ حَقيقيَّةٌ عَنِ الإمامِ المنصوصِ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ. والجِبالُ لا تُحرِّكُهَا قَواصِفُ الرِّيحِ لأنَّها مُوَجَّهَةٌ لإغراقِ أَهْلِ المَكْرِ بِفِتْنَتِهِم:

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ [الإسراء: ٦٩].

فَلَمَّا انْفَتَقَتِ الفِتْنَةُ مِنْ عُمَرَ وَهْوَ «غَلْقُ الفِتْنَةِ» حَسبَ الحديثِ النبويِّ الَّذي سَيأتي وماجُوا فِيهَا، جَاؤوا عَليّاً عليه السلام لِيُنقذهُم مِنْهَا فَأَعْرَضَ عَنْهُم حَتَّى إذا جاءَهُم المَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ دَعَوا الله لَئِنْ قَبِلَهَا ابْنُ أَبي طَالِبٍ لَنُقَاتِلُنَّ مَعَهُ وَلَنطيعَنَّهُ في الله، فَأَخَذَ مَوثِقَهُم، ثُمَّ بَغَى عَلَيْهِ البُغَاةُ وَمَا عَلِموا أَنَّ بَغْيَهُم عَلَى أَنْفُسِهِم، وأَنَّ الجَبَلَ لا تُحَرِّكُهُ العَوَاصِفُ. قَالَ تَعَالَى:

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس: ٢٢-٢٣].

◄ ٨ - وَأَمَّا قَولُهُ عليه السلام: **«لَمْ يَكُنْ لأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ ولا لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ»** فَهْوَ إشارةٌ إلى أَصْحابِ سُورَةِ الهُمَزَةِ. فإنَّهَا نَزَلَتْ في الثَّلاثَةِ وأَصْحَابِهِم حَيْثُ كانوا يَسْخَرونَ مِنَ المؤمنينَ. وقَدْ انْتَشَرَ ذَلِكَ في كُتُبِ المؤرِّخينَ وأَهْلِ الأَخْبَارِ.

فَعُمَرُ هُوَ الَّذي كَانَ يَلْمِزُ في الصَّدَقَاتِ، وَكَانَ يَلْمِزُ سَلْمَانَ في ذِكْرِ الأَجْدادِ حَتَّى قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: **«سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلِ البَيْتِ»**.

وَعُمَرُ هُوَ القَائِلُ عَنْ عَليٍّ: «لَولا دَعَابَةٌ فِيهِ». وَهْوَ لا يَفْتَأُ يَفْتَري عَلَى المُؤمنينَ مِنْ شِيعَةِ النبيِّ صلى الله عليه وآله، وَعَلَى عَلِيٍّ عليه السلام أَنْوَاعَ المُفْتَرَيَاتِ والأَلْقَابِ. وَأَسْوَأُ مِنْهُ أَبو بَكْرٍ الَّذي هُوَ أَحْقَدُ قُرَيشٍ. وعَنْ أَهْلِ البَيْتِ عليهم السلام إِنَّهُ أَحْسَدُ الخَلْقِ مُنْذُ آدَمَ عليه السلام. وأَصَابَتْ عَيْنُهُ عَسْكَرَ النبيِّ صلى الله عليه وآله في حُنَيْنَ. وَهْوَ القَائِلُ: «مَا أَكْثَرَنا اليومَ»، فَنَزَلَ قَولُهُ تَعالَى:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

والخِطَابُ مُوَجَّهٌ لَهُم لأنَّ عَليّاً عليه السلام هُوَ الثَّابِتُ في حُنينٍ بإجماعِ المؤرِّخين. وَكَانَ أبو بَكْرٍ يُنَمِّقُ الكَلامَ، وَيَمْتَدِحُ الأصْحَابَ في وجوهِهِم، ويَذْكُرُ مآثِرَهُم فَقَالَ لَهُ عُمَرُ وأبو عُبَيدَةُ: إنَّ مَا تَفْعَلُهُ مَعَ هَؤُلاءِ هُوَ غَيْرُ مَا اتَّفَقْنَا عَلَيْهِ مِنَ الأَمْرِ، فَعَنَّفَهُم وَرَدَّهُم وَقَالَ: «إنَّمَا أَفعَلُ ذَلِكَ لأكْتُمَ بِهِ أَمْرَكُم ويَكونُ مَدْعَاةً للسُّخْرِيَةِ مِنْهُم فإنِّي إذا لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ شَكُّوا في أَمْرِنَا وانْكَشَفَ حالُنَا عِنْدَهُم». وقَدْ أَوْرَدَ هَذِهِ المَضَامينَ بأَسانيدِ الثُّقَاتِ عَن أَهْلِ البَيْتِ عليهم السلام جَمْعٌ مِنَ المُؤلفينَ كالبَحْرَانيِّ وعليِّ بن إبراهيمَ في تَفْسيرِهِ وغيرِهِم.

فَفِيهِم نَزَلَتِ الآياتُ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ البَقَرَةِ:

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة: ١٤-١٨].

وفِيهِم نَزَلَتْ آياتُ المُنافقين كُلُّهَا، لأنَّهُمْ قَادَةُ المُنافقينَ وزعماؤُهُم. ومن هَذِهِ الآيَاتِ سُورَةُ الهُمَزَةِ لارْتِبَاطِهَا بالبُخْلِ وحُبِّ المَالِ. وَكَانَ أبو بَكْرٍ قَدْ خَرَجَ إلى الدُّكَانِ الخَاصِّ بِهِ وتَرَكَ مَوضِعَهُ مِنَ الخِلافَةِ فَمَا أَعادوه إليه حَتَّى اشْتَرَطَ عَلَيهِم رَاتِباً مُضَاعَفاً وَذَلِكَ للمُسَاوَمَةِ عَلَى هَذا الرَّاتِبِ لا جَهْلاً مِنْهُ أَنَّ الجلوسَ في الدُّكَانِ لا يَليقُ بالخَليفَةِ الَّذي يَكُونُ مَشْغولاً عَادَةً بأمورِ الدَّولَةِ.

لكِنَّ أَكْثَرَ الشِّيعَةِ فَسَّروا تَصَرُّفَاتِ هَؤُلاءِ بتفسيراتٍ سَاذِجَةٍ جِدّاً، ونَسَبُوا لَهُم

الغَبَاءَ والحُمْقَ. وَهَذا خِلافُ الواقِعِ، فَهُمْ أدْهَى العَرَبِ قَاطِبَةً وأكْثَرُ خَلْقِ الله مَكراً. ويَكْفِي أَنْ تَعْلَمَ أنَّ فَضائِلَ عُمَرَ المَذْكورَةَ في التاريخِ صَحيحَةٌ كُلُّهَا وَلكنْ عَلَى مَعْنَاهَا الصحيحَ في اللُّغَةِ لا بالمَعْنَى السَّاذِجِ لَدَى المُفَسِّرينَ. وَهَذِهِ أَمْثِلَةٌ مِنْهَا:

* أَخْرَجَ ابنُ عَسَاكِرَ عَنْ عائشَةَ عَنِ النبيِّ ﷺ قَالَ:

«إنَّ الشيطَانَ يَفْرُقُ مِنْ عُمَرَ».

وأَوْرَدَهُ السيوطيُّ في تاريخِ الخُلَفَاء/ ١١٨.

ومِنَ المَعْلومِ أنَّ الشيطانَ لا يَفْرُقُ مِنَ المؤمِنِ، بَلْ الأَمْرُ بالعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ، إذْ مَا تَجِدُ الشياطينُ مؤمِناً حَتَّى تُسَارِعَ إليه لإيذائِهِ أو إغرائِهِ أو إيقاعِهِ في المَعَاصي.. الخ. ولا نَعْلَمُ شَيْطَاناً يَخافُ مِنَ الإنسانِ إلاَّ إذا كَانَ ذَلِكَ الإنسانُ أعلى دَرَجَةً مِنْهُ في الشَّيْطَنَةِ وَهُوَ مَا يُفَسِّرُهُ الحَديثُ الآتي.

* أَخْرَجَ الترمذيُّ عَنْ عائشَةَ عَنِ النبيِّ ﷺ قَالَ:

«إنِّي لأَنْظُرُ إلى شَيَاطِينِ الجِنِّ والإِنْسِ قَدْ فَرُّوا مِنْ عُمَرَ».

وَهذا غَيْرُ مَعقولٍ إلاَّ إذا كَانَ هو زعيمُهُم، لأَنَّهُمْ لَمْ يَفِرُّوا مِنَ الأولِيَاءِ، ولا مِنَ الأنبياءِ عليهم السلام. فقَدْ قَالَ تَعالَى مُخَاطِباً رَسولَهُ ﷺ:

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

وَقَالَ الوليُّ الَّذي مَعَ مُوسَى عليه السلام:

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٣].

وَفَعَلَ مُوسَى فِعْلاً نَسَبَهُ إلى الشَّيطانِ حِينَمَا حَاوَلَ قَتْلَ الفرعونيِّ، فَقَالَ:

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ

وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٥].

وتكالَبَ الشَّيطانُ والأبالسَةُ عَلَى سَيِّدِنا أيُّوبَ عليه السلام حتَّى قالَ شاكياً:

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [ص: ٤٠-٤١].

ولا يَفِرُّ الشَّيطانُ إلاَّ مِنْ سَيِّدِهِ ورَئِيسِهِ كَمَا يَفِرُّ النَّاسُ مِنْ جَبَّارٍ مِنْ جِنْسِهِم ويَفَسِّرُهُ الحَديثُ الآتي.

* أَخْرَجَ السيوطيُّ في الخُلَفَاءِ، والشيخانِ عَن سَعْدِ بنَ أبي وقَّاصٍ عَنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:

«يَا بْنَ الخَطَّابِ والذي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيطَانُ سَالِكاً فَجّاً قط إلاَّ سَلَكَ فَجّاً غَيْرَ فَجِّكَ»(١).

أَقولُ: مَضْمونُهُ واضِحٌ. فالشَّياطينُ تَجْتَمِعُ وتَتَعَاوَنُ عَلَى المُؤْمِنِ أو القَومِ لإضْلالِهِم. فإذا سَلَكَ عُمَرُ وادِياً أو فَجّاً اكْتَفَتِ الشياطينُ بِهِ وحْده في هَذا الفَجِّ فَيَسْلِكونَ فَجّاً آخرَ. ومُحَالٌ أنْ يَكُونَ المَعْنَى غيرَ هَذا، إذْ سيكونُ عُمَرُ أفْضَلُ مِنْ كُلِّ الرُّسُلِ والأنبياءِ، وَهْوَ مُحَالٌ.

فَلا داعِيَ لِرَفْضِ هَذِهِ النصوصِ الشريفَةِ المُقَدَّسَةِ مِنْ قِبَلِ الشِّيعَةِ والزَّعْم بِأَنَّهَا ضَعِيفَةٌ. فهذِهِ دَعَاوى لَيْسَتْ مِنَ العِلْمِ في شيءٍ، بَلْ هِيَ نُصوصٌ صَحِيحَةٌ وصَرِيحَةٌ في المَضْمونِ.

وَلِذَلِكَ يَمْكِنُكَ تفسيرُ أحاديثِهِ صلى الله عليه وسلم الأُخرَى في عُمَرَ بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ مِثْلِ:

«مَا رَأى الشَّيطَانُ عمر إلاّ خرّ ساجداً».

«مَا رآك الشيطانُ يا عُمَرُ إلاّ خَرَّ لِوَجْهِهِ».

---

(١) تاريخ الخلفاء/ ١١٧.

«مَا رَأيتُ الشَّيْطانَ لاقَى عُمَرَ إلاَّ وخَرَّ لأستِهِ».

أَخْرَجَهَا جَمْعٌ مِنَ المُحَدِّثين في فَضَائِلِ عُمَرَ، وَهْيَ صَحيحَةٌ كُلُّها، لأنَّهُ زَعيمُ الشَّيَاطِينِ.

وَهَذِهِ هِيَ الجَفْرَةُ بَيْنَ رسولِ الله ﷺ والمُؤمنينَ، فقَدْ كَشَفْنَاهَا لَكَ فافْهَمْ فقَدْ أَزِفَتِ الآزِفَةُ واقْتَرَبَ الوَعْدُ.

* وَمِنْهَا قولُهُ ﷺ:

«إنَّ الشَّيْطَانَ لَمْ يَلْقَ عُمَرَ مُنْذُ أَسْلَمَ إلاَّ خَرَّ لِوَجْهِهِ».

أَقُولُ: فِيهِ مَعْنًى عَمِيقٌ وَهُوَ أَنَّهُ زَعيمُ الشَّيَاطِينِ. ودخولُهُ في الإسْلامِ هُوَ الغَايَةُ والمَأمولُ الَّذي رَسَمَ عَلَيْهِ إبليسُ زعيمُ شياطينِ الجَّانِ، وحَقَّقَ جُزْءاً مِنْ غايتِهِ في إبْطَاءِ تَحقُّقِ الوَعْدِ الإلهيِّ الَّذي هُوَ مُنْتَهَى أَجَلِهِ حَيْثُ يُعَذَّبُ بِمُجَرَّدِ حصولِ الوَعْدِ. ودُخولُ عُمَرَ للإسْلامِ أَعْطَاهُ فُرْصَةً أَطْوَلَ للخَلاصِ مِنَ العَذابِ.

وَهَذا يُفَسِّرُ الحادِثَ الغَريبَ الَّذي رَوَاهُ كُلُّ الحُفَّاظِ وأَشْكَلَ تَفْسيرُهُ عَلَى «العُلَمَاءِ»، وَهُوَ قَتْلُ الشَّيْطَانِ أو إبليسَ الَّذي تَمَثَّلَ في صُورَةِ عَابِدٍ أُعْجِبَ الصَّحابَةُ بِعِبَادَتِهِ، وأَخْبَروا النبيَّ ﷺ بِهِ، فَأَمَرَ أَنْ يُنْتَدَبَ لَهُ رَجُلٌ فَيَقْتُلَهُ. فَقَالَ أَبو بَكْرٍ: «أَنَا لَهُ». فَذَهَبَ وَرَجَعَ وَقَالَ: «كَرِهْتُ أَنْ أَقْتُلَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ». ثُمَّ ذَهَبَ عُمَرُ وَرَجَعَ وَلَمْ يَقْتُلِ الرَّجُلَ فجاءَ عَلِيٌّ عليه السلام فَقَالَ لَهُ النبيُّ ﷺ: «هَذا لَهُ إنْ وَجَدَهُ»، فَلَمَّا ذَهَبَ إليهِ مُخْتَرِطاً سيفَهُ مُسْرِعاً نَحْوَهُ لَمْ يَجِدْهُ. فَقَالَ النَبِيُّ ﷺ: «لَو قَتَلْتُموهُ مَا اخْتَلَفَ مِنْ أُمَّتِي رَجُلانِ».

ظَنَّ بَعْضُهم أَنَّهُ ذو الثَدْيَةِ المَقتولِ في النهروانِ مَعَ الخَوَارِجِ فيما بَعْدُ حَيْثُ أَخْرَجَ الحَدِيثَ أَبو يعلى في مُسْنَدِهِ مِنْ تَرْجَمَةِ ذي الثدية مِنَ الإصَابَةِ. وذَكَرَهُ أَحْمَدُ بنَ حنبل في ج٣/ ص ١٥ مِنَ المُسْنَدِ.

وبالطَبْعِ لا يَمْكُنُ أنْ يَقومَ رَجُلٌ واحِدٌ بإضلالِ كُلِّ الأمَّةِ إلاَّ أنْ يَكُونَ قَائِداً للشَيَاطينِ كُلِّهم. لَكِنَّ عَدَمَ الاختِلافِ بَعْدَ قَتْلِهِ لَيْسَ بِسَبَبِ غِيَابِهِ بَعْدَ القَتْلِ كَمَا قَدْ يُفْهَمُ، وَإنَّمَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بالرَّجُلينِ أبي بَكْرٍ وعُمَر. فَلَو قَتَلا مِثْلَ هَذا الشَّيْطانِ لَكَانَا مُؤْمِنينِ وَمِنْ أهْلِ الإسْلامِ، وإذا كَانَا كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إذَنْ مُشْرِكٌ أو كَافِرٌ في كُلِّ الدُّنْيَا، لأنَّهُمَا الأعْلَى دَرَجَةً في الكُفْرِ فَهْوَ مبنيٌّ عَلَى مَعْرِفَةِ قَضِيَّةِ الحُدودِ في المَنْطِقِ كَمَا تَقولُ عَنْ رَجُلٍ مُلْحِدٍ شَديدِ العِنَادِ: «لَو آمَنَ هَذا لآمَنَ كُلُّ النَّاسِ كَأنَّكَ تُشيرُ إلى أنَّهم دونَهُ في العِنَادِ.

أمَّا أنْتَ فَتُبَالِغُ لأنَّكَ لا تَعْرِفُ كُلَّ الخَلْقِ، وَأمَّا رَسولُ الله فَهْوَ لا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى وكلامُهُ حَقٌّ. وَلَيْسَ المَفْهومُ مِنْ كلامِهِ إلاَّ هَذا المَعْنَى. وَهْوَ أنَّهُ لَو كَانَ ثَمَّةَ احتمالٌ في إيمانِ أبي بَكْرٍ وعُمَرَ لآمَنَ النَّاسُ كلُّهُم وَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْ أُمَّتِهِ رَجُلانِ لأنَّهُمَا أكْفَرُ الخَلْقِ.

واعْلَمْ أنِّي كَشَفْتُ لَكَ عَنْ سِرٍّ دَفِينٍ وعَظِيمٍ كَتَمَهُ أهْلُهُ عَنْ غَيْرِ أهْلِهِ قُرَابَةَ أرْبَعَةَ عَشَرَ قرْناً. فَلا يفوتُكَ تطبيقُ المَعْنَى والبَحْثُ في المَرْوِيَّاتِ عَلَى كُلِّ موردٍ قرآنيٍّ وَرَدَ فِيهِ ذِكْرُ الشَّيْطَانِ، فَإنَّهُ مُرْتَبِطٌ بالرَّجُلينِ لا بِسِوَاهُمَا وسَتَنْكَشِفُ لَكَ الأسْرَارُ.

وإنَّ هَذا الأمْرَ يُفَسِّرُ لَكَ مُعْضَلاتِ المَسَائِلِ ومُشْكِلاتِ الحَديثِ. ولَكُمْ هَذا المِثَالُ:

* أوْرَدَ أهْلُ السُّنَّةِ عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام كَلاماً اسْتَشْهَدوا بِهِ عَلَى حُسْنِ علاقَتِهِ ونَظْرَتِهِ لِعُمَرَ عِنْدَمَا مَاتَ عُمَرُ. فقَدْ رَوُوا عَنْ جَابِرٍ: قَالَ: دَخَلَ عَلِيٌّ عَلَى عُمَر وَهْوَ مُسَجَّى فَقَالَ:

«رحْمَةُ الله عَلَيْكَ مَا مِنْ أحَدٍ أحَبُّ إليَّ أنْ ألْقَى الله بِمَا في صَحِيفَتِهِ بَعْدَ صُحْبَةِ النَبيِّ صلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ مِنْ هَذا المُسَجَّى».

ذَكَرَهُ السيوطيُّ في التاريخِ وَقَالَ: «أَخْرَجَهُ الحاكِمُ»[1] - والمَعْنَى واضِحٌ بَعْدَ تِلْكَ الإشاراتِ: فَرَحْمَةُ الله عَلَيْكَ لا لَكَ لأنَّ الإمامَةَ والنبوَّةَ هِيَ رَحْمَةُ الله، والكِتَابُ هُوَ رَحْمَةُ اللهِ. قَالَ تَعالَى:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وَهَذِهِ «عَلَيْكَ» أي تَبِعَتُهَا عَلَيْكَ.

إي واللهِ.. رَحْمَةُ الله لَهِيَ عَلَيْهِ[2]!

ثُمَّ هُوَ عليه السلام يُريدُ أنْ يَلْقَى الله بِصَحيفَتِهِ ويُقَدِّمَهَا للشَّكوى عَلَيْهِ. وَهَذا مِنْ شؤونه عليه السلام لأنَّهُ هُوَ الإمامُ والشهيدُ عَلَى الأُمَّةِ بَعْدَ رسولِهَا ﷺ. وَكَمَا رَأيْنا فَهْوَ القَسيمُ بَيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ.

فالصَحِيفَةُ تَتَضَمَّنُ ظُلاماتِهِ الخَاصَّةِ وظُلاماتِ الخَلْقِ عامَّةً، لأنَّها سَوفَ تَتَتَابَعُ عَنْ طَريقِ الحِسَابِ، فَلِذَلِكَ لا شَيءَ أَحَبُّ عِنْدَهُ مِنْ هَذا اللِّقَاءِ.

وَهَذا يُؤَيِّدُهُ أَيْضاً بِنَفسِ التَفْسيرِ مِنْ «فَضَائِلِ عُمَرَ» قَولُ النَبيِّ ﷺ:

«مَا في السَّمَاءِ مَلِكٌ إلاَّ وَهْوَ يَوقِّرُ عُمَرَ ولا في الأَرْضِ شَيْطَانٌ إلاَّ وَهْوَ يَفْرُقُ مِنْ عُمَرَ».

أَخْرَجَهُ ابنُ عساكِرٍ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ ونَقَلْتُهُ عَن السيوطي في تاريخِهِ/ ١١٨.

والوقْرُ هُوَ الحِمْلُ ويوقِّرُ: يُحَمِّلُ، والمَفعولُ مَتروكٌ وَهْوَ مِنَ الأفْعَالِ الَّتي تأتي لازِمَةً أو مُتَعَدِّيَةً. فالملائِكَةُ في السَّمَاءِ تُحَمِّلُهُ تَبِعَةَ مَا يَحْصُلُ مِنْ فَسَادٍ في الأَرْضِ.. ويوقِّرُ: يُعَظِّمُ أمْرَهُ. ولا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ تَوقيرِ الملائِكَةِ وفَرَقِ الشَّيَاطِين إلاَّ بِهَذا المَعْنَى.

---

(١) تاريخ الخلفاء/ ١٢٠.

(٢) ولا يفوتك المَعْنَى وَهُوَ مثل قولك: فلان علينا - يقول: أنا رحمة الله وأنا عليك ولذلك يحبّ أن يلقى الله بصحيفته.. فافهم.

وأَخْرَجَ الحُفَّاظ عَن مُجاهِدٍ قَالَ:

«كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ الشَّيَاطِينَ كَانَتْ مُصَفَّدَةً في إِمَارَةِ عُمَرٍ».

أَخْرَجَهُ السيوطيُّ في التاريخ عَنِ ابنِ عساكِرٍ/ ١٢١.

ولا مَعْنَى لِهَذا إلاَّ أَنْ يَكُونُوا قَدْ اكْتَفُوا بِعَمَلِهِ فَبَقوا لا شُغْلَ لَهُم.

وأَخْرَجَ سالمٌ بنُ عبد الله قَالَ:

أَبْطَأَ خَبَرُ عُمَرَ عَلَى ابنِ موسى فأَتَى امْرَأَةً في بَطْنِهَا شيطانٌ فَسَأَلَهَا عَنْهُ فَقَالَتْ: «حَتَّى يَجيئُني شَيطاني»، فَجَاءَ، فَسَأَلْتُهُ عَنْهُ فَقَالَ الشَّيْطَانُ: «تَرَكْتُهُ مُؤْتَزِراً بِكِسَاءٍ يهنأ إبلَ الصدقة وَذَاكَ رَجُلٌ لا يَرَاهُ الشَّيْطَانُ إلاَّ خَرَّ لِمَنْخِرِيهِ»[1].

وبالجُمْلَةِ فإنَّ المَكْرَ والكَيْدَ هُمَا عَمَلُهُ حَيْثما جَاءَ في القُرْآنِ. وَيَبدُو أَنَّ الصَّحَابَةَ والتَّابِعينَ كانوا يدرِكونَ هَذِهِ المَسْأَلَةَ فنَقَلوهَا لَنَا بِصُورٍ مُتَعَدِّدَةٍ.

وَهُنَاكَ عَشَرَاتُ الاتِّفَاقَاتِ الأُخْرَى في مَنَامَاتِهِ وأَحْلامِهِ ومُحَاورَاتِهِ مَعَ أَصْحَابِهِ وَمَعَ المُؤمنينَ تُثبِتُ أَنَّهُ رئيسُ الشَّيَاطِينِ. ومِنَ المُحْتَمَل أَنْ يَكُونَ إبليسُ نَفْسُهُ قَدْ يَحِلُّ بِهِ ويَتَلَبَّسُ فِيهِ فَيَحْصَلُ سُجودُ الشَّيَاطِينِ لَهُ. وإذا غَضَبَ في هَذا الحَالِ فَتَقَعُ دَاهِيَةٌ لا مَحَالَةَ وقَدْ عَلِمَ الأَصْحَابُ ذَلِكَ وحَاولوا اسْتِعْمَالَ القُرْآنِ للخَلاص مِنْهُ. فقَدْ رَوى السيوطيُّ عَن بِلالٍ أَنَّهُ قَالَ لأَسْلَمَ:

«كَيفَ تَجِدونَ عُمَرَ؟»، قَالَ: «خَيرٌ إلاَّ أَنَّهُ إذا غَضِبَ فَهوَ أَمْرٌ عَظِيمٌ»، فَقَالَ بِلالُ: «لَو كُنْتُ عِنْدَهُ إذا غَضِبَ قَرَأْتُ عَلَيْهِ القُرْآنَ»!![2].

أَقُولُ: والقُرْآنُ يُسْتَخْدَمُ لِطَرْدِ الشَّيْطَانِ أو إسْكَاتِ حَرَكاتِهِ، وَلَمْ يُؤْثَرْ شيءٌ كهذا إلاَّ عَنْ عُمَرَ!.

---

(١) تاريخ الخلفاء/ ١١٨.

(٢) تاريخ الخلفاء/ ١١٩.

وَيَظْهَرُ مِنْ هَذِهِ النصوصِ وغيرِهَا الكَثيرُ أَنَّ جَمْعَاً مِنَ المؤمنينَ مِنَ الصَّحَابَةِ ومِمَنْ هُمْ بَعْدهُم مِنَ التابعينَ كانوا يُدْرِكونَ جيِّداً أَنَّ عُمَرَ شَيْطَانٌ إِنْسِيٌّ، وأنَّهُ زَعيمُ الشَّيَاطِينِ في العَالَمِ وفْقَ هَذِهِ التَصْريحَاتِ النَبَوِيَّةِ. وَلِذَلِكَ وَرَدَ عَنِ الصَّادِقِينَ عليهم السلام في أَكْثَرِ مِنْ مَوضِعٍ:

«إذا قَرَأْتَ القُرآنَ فَأَيُّمَا مَوْضِعٍ يَرِدُ فِيهِ الشَّيْطَانُ فالمُرَادُ بِهِ الثاني».

وفي كِتَابِ «عبقرية عُمَر» للعقّادِ لَمْ يَجْدْ العقّاد مِنَ النُصوصِ الدَّالَةِ عَلَى فَضِيلةٍ مِنْ فَضَائِلِهِ سِوَى حَديثِ رُؤياه ﷺ في أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ. فَدَارَ حَوْلَ هَذا الحَدِيثِ لاسْتِخْرَاجِ فَضْلِهِ كَمَا تَدُورُ الرَّحَى الفَارِغَةُ، بَيْنَمَا الحَديثُ يُشيرُ إلى وادي الشَّيَاطِينِ «عَبْقَرَ» الَّذي هُوَ مَشْهورٌ عِنْدَ العَرَبِ:

فقَدْ أَخْرَجَ الشيخان عَن أَبي هريرة أنَّ النَبِيَّ ﷺ قَالَ:

«بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأيتني عَلَى قُلَيبٍ عَلَيْهَا دلوٌ فَنَزَعْتُ مِنْهَا إلى مَا شَاءَ الله ثُمَّ أَخَذَهَا أَبو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذنوباً أو ذنوبينِ وفي نَزْعِهِ ضعْفٌ ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فاسْتَقى فاسْتَحَالَتْ في يَدِهِ غَرْبَاً فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيّاً يَفْري فَرْيَهُ حَتَّى رَوَى النَّاسَ وضَرَبُوا بِعَطْنٍ».

قَالَ: قَالَ النووي: هَذا إِشارَةٌ إلى خلافَتِهِمَا.

القُلَيبُ: البِئْرُ العَميقةُ. والذنوبُ: لَفْظٌ قُرآنيٌّ وَرَدَ للتَّهَكُمِ عَلَى أَهْلِ النَّارِ.

قَالَ تَعَالَى في الَّذينَ ظَلَمُوا:

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الذاريات: ٥٩].

وَلَمْ يَنْزَعْ النَبِيُّ ذنوباً، وَلَمْ يَقُلْ ذَلِكَ، بَلْ نَزَعَ أبو بَكْرٍ وعُمَرُ. وَلَمَّا جَاءَ عُمَرُ استَحَالَتْ في يَدِهِ غَرْبَاً، أي استَحَالَ الدَّلو إلى وعَاءٍ عَظيمِ السَّعَةِ، وَهْوَ ذاتُهُ الذنوبُ.

والغَرْبُ: الماءُ الآسِنُ. وَهَذا تَعْبيرُ رؤياه ﷺ، لأَنَّهُمْ بَعْدَ إنْ ذَاقوا مِنْ يَدِ أَبي بَكْرٍ لَمْ يُمَيِّزوا الخَبيثَ مِنَ الطَيِّبِ، فَأَخْرَجَ لَهُم المَاءَ الآسِنَ فَشَرِبُوا.

وقولُهُ: لَمْ أرَ عبقرياً. أي لَمْ أرَ شَيْطَاناً، لأنَّ عَبْقَرَ هُوَ وادي الشَّيَاطِينِ، ومنه العَبْقَرِيُّ الحِسانِ: خَميلَةُ سَجَّادٍ يَصْنَعُهُ الشَّيَاطِينُ لسليمانَ عليه السلام مُتقَنُ الصُّنْعِ.

وقولُهُ صلى الله عليه وآله: يَفْري: الفَرْيُ: التَغْييرُ والتَبْديلُ عَلَى نَحْوِ الكَذِبِ والتمويهِ. أي لَمْ أرَ شَيطَاناً يَكْذِبُ مِثْلَ كِذْبِهِ، ويُغَيِّرُ مِثْلَ تَغييرِهِ في الدِّينِ.

وضَرَبوا بِعَطَنٍ: امْتَلأتْ بطونُهُم حَتَّى تُوشِكُ أنْ تَنْفَتِقَ. وكُلُّ ذَلِكَ مُتَّفِقٌ مَعَ مَا حَصَلَ في الواقِعِ وَمَعَ مَا أشَارَ إليه أميرُ المؤمنينَ في خُطَبِهِ في مِنْ سَبَقَهُ كَمَا مَرَّ عَلَيْكَ.

وَهَكذا بِإمكَانِكَ أنْ تُفَسِّرَ كُلَّ مَا وَرَدَ عَن هَذِهِ العِصَابَةِ في التاريخِ بِنَحْوِ هَذا والكَشْفَ عَن مَرْموزاتِ النصوصِ ودلالاتِهَا الحَقِيقِيَّةِ. عَلَى أنَّكَ لَو تَتَبَّعْتَ أعمالَهُ كافَّةً لَوَجَدْتَهَا أعْمَالَ الشَّيَاطِينِ بالفِعْلِ وَلكنْ بِشَرْطِ أنْ تَعْرِفَ عَمَل الشَّيْطَان وَعَكْسَه. فإنَّ الشَّيْطَانَ يُغريكَ بِالكَثِيرِ مِنْ الأشياءِ، ويُبَرِّرَ لَكَ الكَثيرَ مِنَ الأعْمَالِ في نَفْسِكَ فَكَيفَ بِغَيرِكَ؟. وتُعْتَبَرُ مِنْ أكْبرِ أعْمالِهِ الشَّيطانيَّةِ - الَّتي ظَاهِرُها عِنْدَ الأغبيَاءِ والحَمْقَى أعْمَالاً صالِحَةً وَهْيَ عِنْدَ الله لإفسادِ الخَلْقِ - هَذِهِ القائمة المختصرة جِدّاً والتي تحتاج إلى دراساتٍ واسعةٍ لستُ فِيْهَا الآنَ:

الأوَّلُ: الإسْراعُ إلى السَّقِيفَةِ ومُبَايَعَةُ أَبي بَكْرٍ بالاتِّفَاقِ مَعَ رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ وزُعَمَاءِ اليَهُودِ، وحَلَقَةُ الوَصْلِ هيَ أبو سفيان.

الثَّاني: تَسْييرُ اليَهُودِ للاسْتِيطَانِ في فلسطينَ لِتَكونَ أرْضَ المِيعَادِ الخَاصَّةِ بِهِم. ذَكَرَهُ ابنُ الأثير في الكامِلِ وغيرُهُ بإشَارَاتٍ في مَوَاضِعِ مِنْ تاريخِهِ.

الثَّالِثُ: الاتِّفَاقُ مَعَ الرُّومِ عَلَى فَتْحِ الشَّامِ وبَيْتِ المَقْدِسِ بِشَرْطِ تأميرِ آلِ أَبي سفيان، والسَّمَاحِ لليهودِ بالسَّكَنِ في فلسطين كَمَا في المغازي.

الرَّابِعُ: تَأجيجُ الفتوحِ لإشْغَالِ الرِّجَالِ بالجِّهَادِ عَن مَعْرِفَةِ الدِّينِ.

الخَامِسُ: تَأجيلُ إخراجِ المُصْحَفِ الشَّريفِ والمَنْعُ مِنْهُ، وانتِدَابُ سَالِم مولى أَبي حذيفة لإكْمَالِ مُصْحَفٍ رَسْميٍّ للحكومَةِ. وانْتَقَلَ المُصْحَفُ إلى حفْصَةَ وَمِنْهَا إلى عُثْمَانَ. واعْتُمِدَتِ النُّسْخَةُ نَفْسُهَا لإخرَاجِ المُصْحَفِ بانتِدَابِ زَيْدِ بن ثابِتَ الَّذي وُلِدَ وقتَ كَانَ عَبْدُ الله بنُ مَسْعودٍ قَدْ حَفِظَ كامِلَ المُصْحَفِ. وَرَفَضَ ابنُ مَسْعودٍ تَسْليمَ مُصْحَفِهِ فَكَسَّروا أضلاعَهُ سَحْقاً بالأرْجُلِ في دَارِ الإمَارَةِ وقَتَلوهُ. وَهُدِّدَ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ الَّذي رَفَضَ تَسْليمَ مُصْحَفِهِ أيْضاً بالإعْدَامِ.

السَّادِسُ: تَحْريمُ ذِكْرِ أحَاديثِ النَبِيِّ ﷺ والمَنْعُ مِنَ التَحَدُّثِ بِهَا ثُمَّ جَمْعُهَا وإحْراقُهَا مرَّتينِ: مَرَّةً عَلَى عَهْدِ أبي بَكْرٍ، ومَرَّةً عَلَى عَهْدِ عُمَرَ.

السَّابعُ: تَصْفِيَةُ المُعَارِضينَ مِثْلِ مالكِ بنِ نُوَيرَةَ، وسَعْدِ بنِ عُبَادَةَ زَعيمِ الأنْصَارِ، وفَاطِمَةَ الزَّهْراءِ عليها السلام وغَيْرِهِم الكَثيرُ.

الثَّامِنُ: فَرْضُ الإقامَةِ الجَبْريَّةِ عَلَى الصَّحَابَةِ والقُرَّاءِ والفُقَهاءِ مِنْهُم خصوصَاً، وتَعْيينُ أقْطَابِ الاتِّجَاهِ الجَاهِليِّ الرَّجْعيِّ في الوِلاياتِ كَأُمَرَاءِ.

التَّاسِعُ: تَوْزيعُ المَالِ والعَطَاءِ بالأسْلوبِ الطَبَقيِّ وزَرْعُ بُذورِ الصِّرَاعِ الطَبَقيِّ الَّذي قَضَى عَلَيْهِ الرَّسولُ ﷺ، وأُلِّفَتْ فِيهِ رَسَائِلُ سَابِقَةٌ.

العَاشِرُ: زَرْعُ بُذورِ الانْشِقَاقِ عِنْدَ الفِئَاتِ الحَديثَةِ العَهْدِ بالإسْلامِ كالمُؤَلَّفَةِ قلوبُهم بِمَنْعِ حُصَّتِهِم المَفْروضَةِ في القُرْآنِ بِحُجَّةِ أنَّ الدَّوْلَةَ لَمْ تَعُدْ بِحَاجَةٍ إليهِم.

الحَادي عَشَر: وَضْعُ بَذْرَةِ الفِتْنَةِ عَنْ طرَيقِ ابْتِدَاعِ الشُّورَى.

هَذا وَلَهُ أعْمَالٌ أُخرَى كثيرةٌ جِدّاً في تَحْريفِ السُّنَنِ وتَغْييرِ مَعَالِمِ الدِّينِ مِمَّا مَهَّدَ للعَصْرِ الملوكي الأمَوي.

وَمِنْ هُنَا نَجِدُ الأوامِرَ المُشَدَّدَةَ لِمَعَاوِيَةَ وَمَنْ خَلَّفَهُ في الحُكْمِ في ضَرورَةِ ذِكْرِ مَنَاقِبِ الشَّيخَينِ ومَثَالِبِ عليّ بنَ أَبي طَالِبٍ.

فَالحُكْمُ البَكَرِيُّ العُمَرِيُّ كَانَ بِحَقٍّ هُوَ التَأْسِيسَ الأَهَمَّ للحُكْمِ الطَاغوتِيِّ. وَلِذَلِكَ فَإنَّ وَلَعَ الحُكَّامِ كُلِّهِم بِعُمَرٍ وأبي بَكرٍ هُوَ ضَرُورَةٌ وأَمْرٌ طَبيعيٌّ لأَنَّهُمْ المُؤَسِّسونَ الأَوَائِلُ لِفِكْرَةِ التَّشريعِ مَعَ الله أو بَدَلِ الله تَحْتَ رَايَةِ: لا إلهَ إلاَّ الله!!.

وكُلُّ الَّذي ذَكَرْنَاهُ لَهُ مَصادِرُ مُستَفيضَةٌ في التَّاريخِ.. فالتَّاريخُ وبالرُّغْمِ مِنَ التَحَوُّطِ الشَّديدِ في كِتَابَتِهِ لِصَالِحِ الطُغَاةِ إلاَّ أنَّ الدَّارِسَ يَتَمَكَّنُ مِنَ الحصولِ عَلَى المَعْلومَاتِ الأُخْرَى مِنْ خِلالِ المُقَارَنَةِ والاستِنْتَاجِ، بَلْ والتَصْريحِ أَحْيَاناً مِنْ خِلالِ فَلَتَاتِ ألسِنَتِهِم والمَعَايِيرِ الثَّابِتَةِ في عِلمِ الاجتِمَاعِ والحَرَكَةِ السِّياسيَّةِ والاجْتِمَاعيَّةِ.

نَرْجِعُ إلى قَوْلِ الإمامِ عليه السلام: «لَمْ يَكُنْ لأَحَدٍ فيَّ مَهْمَزٌ ولا لِقَائِلٍ فيَّ مَغْمَز..».

مَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ إنْسَانٍ مُؤمِنٍ لَهُ جُمْلَةٌ مِنَ المَعَاصي ظَاهِرَةً أو باطِنَةً، وَلِذَلِكَ أَمَرَ تَعَالَى بالاستِغْفَارِ للذَّنْبِ وطَلَبِ التَّوبَةِ. ويَجِدُ المُنَافِقُ دَوْماً ما يَغْمِزُ بِهِ المُؤْمِنَ ويَهْمِزُهُ، وَلِذَلِكَ أَمَرَ الشَّارِعُ بِسَتْرِ المُؤْمِنِ فَقَالَ رَسولُ الله صلى الله عليه وآله:

«مَنْ سَتَرَ مُؤْمِناً سَتَرَهُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ إلاَّ مَنْ جَاهَرَ بالفِسْقِ والعِصْيَانِ فَيُؤْمَرُ بالمَعْروفِ ويُنْهَى عَنِ المُنْكَرِ».

وقَولُ الإمَامِ هَذا الَّذي يَنْفي فِيهِ وُجودَ أَحَدٍ يَغْمِزُهُ أو قَائِلٍ يَجِدُ فِيهِ مَغْمَزاً إنَّمَا يُدلُّ دلالَةً واضِحَةً جِدّاً عَلَى أَنَّهُ مَعْصُومٌ عَنِ الخطَأ. فَلا يَجِدُ فِيهِ المُنَافِقُ طريقاً لِذَلِكَ. وَبِهَذا يَكُونُ حُجَّةً عَلَيْهِ لكي لا يُقَال: «لا وُجودَ لِمُؤمنٍ يُنَفِّذُ أَمْرَ الله كُلِه»، وَكَأَنَّ الله قَدْ أَمَرَ بأشياء فَوقَ طَاقَةِ الإنْسَانِ وتَنَاقَضَ في أَوامِرِهِ. لكِنَّهُ جعَلَ المَعْصُومَ عليه السلام قُدْوَةً يَرْتَفِعُ بِهِ الخَلْقُ عَن مُستَوياتِهِم ويَقْتَدونَ بِهِ لِتَنْفيذِ مَطَالِبِ الشَّرْعِ في طَرِيقِ التَّقْوى والتَّعَقُّلِ حَيْثُ قَالَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ:

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وَهِيَ تَعْليلاتُ الشَّرْعِ ومَجْموعِ الأحْكَامِ، ولا يَقُومُ بالحُكْمِ فِيْهَا إلاَّ الرَّسولُ ﷺ أو مِنْ لا يَكُونُ فِيهِ مَغمَزٌ لأَحدٍ ولا مَهْمَزٌ حَتَّى تكُونَ إمَامَتُهُ جُزءاً مِنَ الشَّرْعِ طَاهِراً مِثْلَ طَهَارَتِهِ.

وَهَذا هُوَ مَفْهُومُ العِصْمَةِ عِنْدَ أميرِ المُؤمنين، فاخْتَارَ الله لَهُم هَؤُلاءِ القَادَةَ والذريَّةَ الطَّاهِرَةَ بِعَدَدٍ طَبيعيٍّ يَكْفي لِتَكْوينِ حضَارَةٍ وأُمَّةٍ مُتَقَدِّمَةٍ لإثني عَشَرَ جَيْلاً.

وَلِذَلِكَ احتَارَ أَهْلُ السُّنَّةِ في تَخْريجِ حَديثِ الأئِمَّةِ الاثني عَشَرَ الثَّابِتِ نِصّاً وسَنَداً فَلَمْ يَنْطَبِقْ عَلَى الطُغَاةِ مِنْ بني أُمَيَّةَ ولا بني العبَّاس، وانطِبَاقُهُ عَلَى غَيرِ أَهْلِ البَيْتِ عليهم السلام مُحَالٌ.

فَقُلْ لِهَذا الأَفَّاكِ الكَذوبِ: مَا أَغْبَاكَ وَمَا أَكْثَرَ حُمْقكَ إذْ تُكَذِّبُ عَلَى القُرَّاءِ وتَقُولُ في ص٤٩ من كتابِكَ الآفِنِ:

«وَكَانَتْ فَلْسَفَةُ العِصْمَةِ تَقومُ عَلَى الإطْلاقِ في الطَّاعَةِ لإولي الأَمْرِ وعَدَمِ جَوَازِ النِسبيَّةِ فِيْهَا والرَدِّ عَلَى الإمَامِ أو رَفْضِ طَاعَتِهِ في المَعَاصي والمُنْكَرَاتِ الَّتي يَرْتَكِبُهَا وظهورِ فِسْقهِ أو انْحِرَافِهِ وَهوَ المَفْهُومُ الَّذي رَوَّجَ لَهُ بنو أميَّةَ حَيْثُ طَالَبوا المُسْلِمينَ بِطَاعَتِهِم طَاعَةً مُطْلقَةً في الخَيْرِ والشَرِ، وَهوَ مَا أَوْقَعَ فَلاسِفَةَ الشِّيعَةِ والمُتَكَلِّمينَ في شُبْهَةِ التَنَاقُضِ بَيْنَ طَاعَةِ الله وضَرورَةِ طَاعَةِ الحُكَّامِ حَتَّى في المَعَاصي لأنَّهُ أَمَرَ بِطَاعَتِهِم فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] . .» انتهى كلامُهُ.

وكَلامُهُ هَذا لَهُ مَثَلٌ عِراقيٌّ ولكِنِّي أُكْرِمُ نَفْسي عَنْ ذِكْرِهِ لأنَّ هَذا الأَحْمَقَ يُريدُ أنْ يُثْبِتَ لِكَنَّاسِ الزُّبَالَةِ أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ الزُّبَالَةُ موجودَةً أَصْلاً حَتَّى يُشْغِلَ نَفْسَهُ

بالكَنْسِ، فَأرَادَ إخفَاءَ الزُّبَالَةَ لتَحقِيقِ البُرْهَانِ فَلَمْ يَجِدْ مَوضِعاً لَهَا فَوَضَعَهَا فَوقَ رأسِهِ وسَالَتِ الزُّبَالَةُ وَمَا فِيْهَا عَلَى لحْيَتِهِ وبَدَنِهِ!.

واللهِ مَا بَالَغْتُ في المَثَلِ وَلكنْ قَصَّرْتُ فِيهِ لأنَّ أَصْلَ الكَّلامِ في إثْبَاتِ وُجودِ المَعْصُومِ هُوَ التوحيدُ. فَحَيْثُ أَمَرَ الله أنْ يُطَاعَ أولو الأَمْرِ ولا يُعْصونَ قط اسْتَنْتَجَ الشِّيعَةُ أنَّ وَليَّ الأَمْرِ لا بُدَّ أنْ يَكُونَ مَعْصوماً، وبالتالي فَهْوَ شَخْصٌ مَنصوصٌ عَلَيْهِ مِنْ صَاحِبِ الرِّسَالَةِ، وَلَيْسَ هُوَ مُطْلَقُ الإمَامِ أَيُّهَا الأحْمَقُ حَتَّى تَقولَ إنَّهُم تَنَاقَضوا..

فَمَا لَكَ أَخْزَاكَ الله تَقْلِبُ الأمورَ؟!

فإنَّ التَّنَاقُضَ بَيْنَ طَاعَة الله وَطَاعَة الأئمَّةِ عَلَى إطْلاقِهِم هُوَ تَنَاقُضُ أَهْلِ الشُّورَى لأَنَّهُمْ قالوا: إنَّ الإمَامَ يَكونُ باخْتِيَارِ الخَلْقِ ولا مَعْصُومَ سِوَى النَبيِّ ﷺ. فَكَأَنَّ الله تَعَالَى أَوْجَبَ طَاعَة مِنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ فِعْلُ المُنْكَرَاتِ، فالْتَبَسَ الأَمْرُ عَلَيْهِم لا عَلَى الشِّيْعَةِ.

أمَّا الشِّيْعَةُ فَمَا قالوا: إنَّ الإمَامَ هُوَ غَيرُ المَعْصُومِ حَتَّى تَنْسِبَ تَنَاقُضَ السُّنَّةِ لَهُم!.

بَلْ كَلامُهُم في هَذا هُوَ أَحَدُ أَهَمِّ أرْكَانِ فَلْسَفَةِ العِصْمَةِ وَلَمْ يقْدِرْ كُلُّ أساطينِ التَّنظيرِ السُّنِّي للشُّورى عَلَى إبْطَالِ هَذا الدَّليلِ إلى اليَوْمِ. وَجَرَتْ عَلَيْهِ مُنَاقَشَاتٌ طَويلَةٌ بَيْنَهُم كَانَ آخِرُهَا أنْ سَكَتوا وَلَمْ يَردُّوا عَلَى الدَّليلِ بِشيءٍ حَتَّى جَاءَ آخِرُ الزَّمَانِ وَظَهَرَ فِيهِ مِنْ هُوَ مِثْلُكَ فَوَجَدَ أَحْسَنَ الحلولِ في أنْ يَنْسِبَ التَّنَاقُضَ للشِّيعَةِ!.

ثُمَّ إنَّنا نَرَاكَ تقولُ:

«وَقَالَ أُولَئِكَ المُتَكَلِّمونَ بِضَرورَةِ أنْ يَكُونَ الإمامُ مُطْلَقُ الإمَامِ مَعْصُوماً مِنَ اللهِ».

أَيْنَ وَجَدْتَهُم يَقُولُونَ بِعِصْمَةِ مُطْلَقِ الإِمَامِ؟

فَثَمَّةَ إِمَامٌ جَائِرٌ وإِمَامٌ حَقٌّ.

إِذَنْ فَهُمْ يَذْهَبونَ إلى أنَّ عُمَرَ وأبا بَكْرٍ ومعاويَةَ مَعْصومونَ!

فَوَقَعُوا في تَنَاقُضٍ بَيْنَ طَاعَةِ هَؤُلاءِ وَطَاعَةِ الله الَّذي أَمَرَ بِطَاعَتِهِم!!

أخزاك الله!!

فَلِمَاذَا يَلعنونَ هَؤُلاءِ إِذَنْ إذا كانوا يَقُولُونَ بِعِصْمَتِهِم؟!

إِنَّمَا لَعَنوهُم وأَتْبَاعَهُم للخَلاصِ مِنْ هَذا التَّنَاقُضِ لأَنَّهُمْ إذا لَمْ يَفْعَلوا جَمَعَوا بَيْنَ وجوبِ طَاعَتِهِم عَلَى المُنْكَراتِ وَطَاعَةِ الله فَكَأَنَّ الله أَمَرَ بِطَاعَتِهِم. وخَلاصاً مِنْ هَذا الكُفْرِ قالوا لا بُدَّ مِنَ الإِيمَانِ بوجودِ مَعْصُوم طَاعَتُهُ طَاعَةٌ لِلَّهِ فَيَزولُ التَّنَاقُضُ فَمَا قَدرَ أَهْلُ الشُّورَى عَلَى نَقْضِ هَذا الدَّليلِ إلى اليومِ. وَهَذا لَيْسَ مِنْ كَلامِ الفَلاسِفَةِ والمُتَكَلِّمينَ، وَإِنَّمَا هُوَ النَّاتِجُ المحتومُ لكلامِ الله وأمرِهِ بالطَّاعَةِ لإولي الأَمْرِ ولِكلامِ النَبِيِّ ﷺ وأميرِ المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ والذي كُلُّ سَطْرٍ فِيهِ هُوَ إشارَةٌ إلى الإِمَامِ المَعْصُومِ إمَّا تَصْريحاً أو بالنَّاتِجِ المَحْتومِ.

فَلا جَرَمَ أَيُّهَا الدجّالُ أنْ يَظْهَرَ أَمْثالُكَ في زَمِنِ التَدْجيلِ وإِمَارَةِ الصِّبيانِ وحُكْمِ الخِصْيَانِ، وقَدْ خَدَمْتَنَا خِدْمَةً عَظيمَةً مِنْ حَيْثُ لا تَشْعرُ لأنَّك كَشَفْتَ الغطَاءَ عَن الوجوهِ القَبيحَةِ وَمَا تُخفيهِ مِنْ قُدْرَةٍ عَلَى الكَذِبِ والتزويرِ، وبَرْهَنْتَ بالدَّليلِ القاطِعِ عَلَى وُجودِ مَنْ يَكونُ الباطِلُ هَدَفَهُ مِنْ كُلِّ بَحْثٍ. وبالتالي حتميَّةُ ظهورِ دَابَّةِ الأَرْضِ المَوعودَةِ الَّتي أَيْنَمَا فَرَرْتَ مِنْهَا لاحَقَتْكَ حَتَّى تَخْتِمَ عَلَى جَبْهَتِكَ «هَذا كافِرٌ»! كَمَا وَعَدَ النَبِيُّ ﷺ وحَدَّثَ القُرْآنُ:

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

نَعَمْ.. ظَهَرَ الآنَ وسَيَظْهَرُ المَزيدُ أنَّهُم لا يُوقِنونَ بالآيَاتِ وَلَيْسَتْ مُشْكِلَتُهُم غِيَابَ المَعلومَاتِ!!

ذَلِكَ أنِّي مَهْمَا شَرَحْتُ وأَوْضَحْتُ للنَّاسِ أنَّكَ يا هَذا كَافِرٌ فَلا يُصَدِّقون وسيقولون: «بأيِّ حَقٍّ تُسَمّي رَجُلاً يتشهَّدُ بالشَّهادَتَين كافِراً؟». لَكِنْ إذا جَاءَتِ الدابَّةُ اخْتَلَفَ الأمْرُ!

اللَّهُمَّ فَعَجِّلْ بِظُهورِ الدابَّةِ حَتَّى تَخْتمَ عَلَى الجِبَاهِ: هَذا مُؤْمِنٌ وَهَذا كَافِرٌ حَتَّى نَنتهي مِنْ هَذِهِ المشكِلَةِ - آمين.

لِنَرْجع إلى ذِكْرِ فَقَرَاتٍ أُخْرَى مِنْ كَلامِ أميرِ المؤمنين الإمَامِ عَلِيِّ بنَ أَبي طَالِبٍ عليه السلام والتي يُنْكِرُ فِيْهَا الشُّورَى، ويَعْتَبِرُهَا قَرينَ الكُفْرِ، ويُثْبِتُ فِيْهَا الوَصِيَّةَ والعِصْمَةَ خِلافَاً لِمَا زَعَمَهُ هَذا الأفَّاكُ الكَذوبُ.

ف - وَمِنْهَا قَوْلُهُ عليه السلام:

فَنَظَرْتُ في أَمْرِي فإذا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي وإذا المِيثَاقُ في عُنُقِي لِغَيري..!!

الخطبة/ ٣٧ مِنَ النهج

هَذا الكَلامُ واضِحٌ جِدَّاً في كَونِهِ وليّ الأمرِ بالنصِّ الإلهيِّ والأمرِ الرسَاليِّ وإلاَّ كَيْفَ تَسْبِقُ طَاعَةُ الخَلْقِ لَهُ بَيْعَتَهُ لَو كَانَ وإيَّاهُم عَلَى قَدَمِ المُسَاواةِ بالشُّورى؟.

فإنَّ طاعَتَهُ سَتَكونُ مِثْلَ غَيرِهِ لا تَجِبُ عَلَيْهِم إلاَّ بَعْدَ انتِخَابِهِ للخِلافَةِ. فَلَمَّا قَالَ سَبَقَتْ البيعَةُ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهَا سَابِقَةٌ بالنصِّ!، وَلِذَلِكَ فَهُوَ يَعْجبُ مِنْ حَالِهِ حَيْثُ أَصْبَحَ المِيثَاقُ الَّذي في أَعْنَاقِهِم لَهُ، أصْبَحَ في عُنُقِهِ لِغيرِهِ!

ولا يَفْعَلُ قومٌ بِرَجُلٍ هَذا الفِعْلَ إلاَّ أنْ يَكُونُوا قَدْ ارتدُّوا وكَفَروا وقَلَبُوا الأمْرَ. وفِيهِ نصوصٌ كثيرَةٌ دالَّةٌ عَلَى كُفْرِهِم أَخْرَجَهَا حَتَّى البخاري نَفْسهِ رُغْمَ

تَعنُّتِهِ! وَهْيَ نُصوصٌ لأصْحَابِ الحَديثِ سَابِقَةٌ عَلَى أيِّ تَخريجٍ كلاميٍّ للمَذَاهِبِ مِنْهَا:

حَديثُ الحَوْضِ نفسه. فقَدْ أخْرَجَ البخاريُّ عَن النَبِيِّ ﷺ قَالَ عقبة:

«آخِرُ مَا رَأيتُ رَسولَ الله عَلَى المِنْبَرِ عَنْ سَهْلِ بن سَعْدٍ أنَّ رَسولَ الله قَالَ: أَنَا فَرْطُكُم عَلَى الحَوضِ مَنْ مَرَّ عليَّ شَرِبَ ومَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأ أبَداً [و] ليَرِدُنَّ عليَّ أقْوامٌ أعْرِفُهُم ويَعْرِفوني ثُمَّ يُحَالُ بيني وبَيْنَهُم فأَقولُ: إنَّهُم مِنِّي فَيُقالُ: لا تَدْري مَا أحْدَثوا بَعْدَكَ فَأقولُ: سُحْقاً سُحْقاً لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدي».

ذَكَرَهُ صَاحِبُ التاجِ الجامِعِ للأصولِ مِنْ جزء ٥/ ٣٧٩/ ط بغداد. وَقَالَ رَوَاهُ الشَّيخَانِ. ثُمَّ قَالَ:

وللبخاريِّ: «بَيْنَمَا أَنَا قائِمٌ إذا زمْرَةٌ حَتَّى إذا عَرَفْتَهُم خَرَجَ رَجُلٌ بيني وبينَهُم فَقَالَ [لَهُم]: هَلُمَّ فقلتُ: إلى أَيْنَ؟ قَالَ: إلى النَّارِ واللهِ. قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُم؟ قَالَ: إنَّهُم ارتدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِم القهقرى. فَلا أَرَاه يَخْلُصُ مِنْهُم إلاَّ مِثْلُ هَمْلِ النعَم». . انتهى.

فَتَعالَ أيُّهَذَا الكاتِبُ فإنِّي أُريدُ أنْ أسألَكَ عَنْ هَذا الرَّجُلِ الَّذي يَحُولُ بَيْنَ النَبِيِّ وبَيْنَ أَصْحَابِهِ ويَأخُذُهُم إلى النَّارِ ويَشْهَدُ عَلَيْهِم أَنَّهُم ارتَدُّوا بَعْدَهُ: أَهُوَ مُرَشَّحٌ للخلافَةِ أَمْ هُوَ خَليفَةُ الله بالحَقِّ يُدْخِلُ النَّارَ مَنْ شَاءَ ويُخْرِجُ مِنْهَا مَنْ شَاءَ بحَيثُ إنَّ النَبيَّ ﷺ لا يَعْتَرِضُ عَلَيْهِ بَلْ فِعْلُهُ هُوَ عَيْنُ فِعْلِهِ ويَقولُ لَهُ: لا تَدْري مَا أَحْدَثوا بَعْدَكَ، فَيَكْتَفي بِقَوْلِهِ هَذا لإدخالِهِم النَّارِ بلا سِجِّلاتٍ ولا حِسَاباتٍ: أَهَذَا رَجُلٌ عَاديٌّ أَمْ مَالِكٌ لِمَقَاليدِ الجَنَّةِ والنَّارِ؟.

ثُمَّ إنَّهُم فَرَّقوا الكَلامَ في النصوصِ فَحَيْثُ ذَكَروا اسْمَ الرَّجُلِ وقالوا هُوَ عَلِيٌّ ابنُ أَبي طَالِبٍ لَمْ يَذْكروا إلاَّ أَحاديثَ الحَوضِ في الشَرَابِ والرِّيِّ مِنْهُ وعدَدَ الكؤوسِ والأقْدَاحِ وَلَمْ يَذْكروا الرِّدَّةَ وحَيْثُ ذَكَروا الارْتِدادَ سَمَّوْهُ «رَجُل».

وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ واضِحٌ لأنَّ مَنْ سَبَقَتْ طاعَتُهُ بيعَتَهُ هُوَ عَلِيٌّ عليه السلام. فالذينَ كَفَروا إِذَنْ هُمُ الَّذينَ جَعَلَوا المِيثَاقَ في عُنُقِهِ لَهُم خِلافاً للنصِّ.

لا شَكَّ عِنْدَ الشِّيْعَةِ أنَّ هَؤُلاءِ كُفَّارٌ لأنَّ المُدافعين عَنْهُم أَخْرَجوا هَذِهِ الأَحاديثَ عَدَا أَهْلِ البيتِ عليهم السلام وعَدَا المُعَاينِ في الواقِعِ والتاريخِ.. وقَدْ حَاوَلَ السُّنَّةُ ويُحَاولونَ وكُلُّ مُحاولاتِهِم هِيَ تَبْريرُ فِعْلَتِهِم وإِقْنَاعِ الشِّيْعَةِ بِعَدَمِ كُفْرِهِم!

أمَّا تَفضيلُهُم أو جَعْلَهُم عَلَى قَدَرِ المُسَاواةِ مَعَ عَلِيٍّ عليه السلام فَهَذَا لَيْسَ مِنْ مذاهبِ السُّنَّةِ، وَإِنَّما هُوَ مِنْ مَذْهَبِ بَني أُمَيَّةَ الَّذينَ وَرِثَهُم الآنَ تَيَّارُ الوهَّابيَّةِ، وأُعيدَ إِحْيَاءُ مَذْهَبِهِم عَلَى أَيْدي نَفْسِ القَومِ أَعْني يَهودَ أَهْلِ الكِتَابِ، إِذْ دَعَمَتْ بريطانيا آلَ سعود ومَذْهَبَهُم لِهَذِهِ الغَايَةِ لا غَيْرَ.

فالآن أَنْتَ تَطْمَحُ إلى أَشْيَاء مُسْتَحيلَةٍ!

فالشِّيعَةُ يَعْلَمونَ جيِّداً أَنَّ هَؤُلاءِ كُفَّارٌ، وَأَنْتَ تَتَجَاوَزُ هَذِهِ المَسْأَلَةَ وتَنْصَحُهُم أَنْ يَتَخَلُّوا عَنِ الوَصِيَّةِ وكَأَنَّكَ تَقولُ للشِّيعَةِ: «اكْفروا خَيْرٌ لَكُم؟»!.. فَمَنْ مِنْهُم يَسْمَعُ كَلامَكَ إلاَّ مَنْ شَاءَ الله أَنْ يُضِلَّهُ ويُخْرِجَهُ مِنَ المِلَّةِ. ومِثْلُ هَذا يَخْرُجُ بِكَ أو بِغَيرِكَ أو بِمُفْرَدِهِ، وحَتَّى لَو بَلَغَ الرُّوحُ الحَلْقومَ، إِذْ لا بُدَّ أَنْ يَموتَ عَلَى غَيْرِ مِلَّةِ الإِسْلامِ. أَمَّا النَّقِيُّ السَّريرَةِ فَلا بُدَّ أَنْ يَرْجَعَ ولو قَبْلَ المَوتِ.

فَقُلْ: هَذا الَّذي أَخْرَجَهُ البخاريُّ ومُسْلِمُ مِنَ النصِّ النبويِّ.. أَهُوَ مِنْ كَلامِ المُتَكَلِّمينَ والفَلاسِفَةِ أَمْ هُوَ مِنَ الوَحْيِ الإلهيِّ؟

وَأَمَّا أقوالُ أَهْلِ البيتِ عليهم السلام في كُفْرِهِم وارْتِدَادِهِم فَهِيَ لا تُحْصَى كثْرَةً. فَمِنْهَا قَوْلُ الصَّادِقِ عليه السلام الشَّهيرِ جِدَّاً:

«ارْتَدَّ النَّاسُ بَعْدَ رَسولِ الله إلاَّ أَرْبَعَةٌ عَمَّارَ وسَلْمَانَ ومِقْدَادَ وأَبَا ذَرٍّ. قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ النَّاسُ بَعْدُ!».

والمَقْصودُ بالنَّاسِ طَبْعَاً كُلُّ النَّاسِ باستِثْناءِ أصْحَابِ العبَا. وَلِذَلِكَ وَرَدَ في نِصِّ البخاري لَفْظُ «أقوام» وَهْوَ جَمْعُ قَومٍ.. فَهُمْ أكْثَرِيَّةٌ ولا يَنْجُو مِنْهُم أحَدٌ لَمْ يَتَّبِعْ الوَصِيَّ. وَلكِنَّهُ أبْقَى احتِمَالاً لنَجاةِ مَنْ لَمْ يَتَّبِعْ الطَّاغوتَ وَلكِنَّهُ لا يُفَكِّرُ بمَعْصِيَةِ الوَصِيِّ ولا اتِّبَاعِهِ وَهْوَ مَا أَطْلَقَ عَلَيْهِ «همْلَ النَّعَمِ» - وَهْيَ الدَّابَّةُ تُرْعَى مُنْفَرِدَةً بلا رَاعٍ..

ويَنْطَبِقُ مِثْلُ هَذا الوَصْفِ ظَاهرِيّاً عَلَى «سَعْدِ بن عبادة» زعيمِ الأنصَارِ لأنَّهُ قَالَ: «إذا بَايَعَهُم عليٌّ أُبَايِعُهُم ولَعَلِّي لا أَفْعَل وإنْ بايَعَ عليٌّ» - ثُمَّ تَرَكَهُم لا يَحْضِرُ صَلاتَهُم ولا مَجَالسَهُم حَتَّى اغْتَالَهُ عُمَرُ غَدْرَاً وَهْوَ في طَرِيقِ الشَّامِ وأَلْقَى بالتُّهْمَةِ عَلَى الجَّانِ!!.

وَهَذِهِ وَاحِدَةٌ مِنْ مُخْزَيَاتِ عُمَرَ وأَتْبَاعِهِ!

فَتَبّاً لَكُم عَلَى هَذا الإمَامِ!

واللهِ لَو لَمْ تَكُنْ جَنَّةٌ ولا نارٌ ولا قِيَامَةٌ ولا حِسَابٌ الخُزيُّ والعَارِ أنْ يُدَافِعَ المرءُ عَنْ عُمَرَ ويَتْركُ عَلِيّاً. وَلكنْ هَذا هُوَ قَدرُ نُفوسِكُم وعقولِكُم، والطيورُ عَلَى أشْكَالِهَا تَقَعُ!.

فَمَنْ ذا الَّذي يَنْتَسِبُ إلى هَذِهِ النَّظَائِرِ الَّتي مَلأَتْ مخازيها كُتُبَ الأدَبِ والنَّوَادِرِ فَضْلاً عَنْ كُتُب التاريخِ فَضْلاً عَنْ شهرَتِهَا عِنْدَ أَهْلِ الحَقَائِقِ غَيْرِ الَّذينَ هُمْ مِنْ شاكِلَتِهِم؟

فَرَحِمَ اللهُ الَّذي خَاطَبَ أبا بَكْرٍ بِقَوْلِهِ:

رُوَيدَكَ إنَّ المَجْدَ حُلوٌ لطاعِمٍ   غَريبٌ فإنْ مَارَسْتَهُ ذُقْتَ مُمْقِرَا
وَمَا كُلُّ مَنْ رَامَ المَعَالي تَحَمَّلَتْ   مَنَاكِبُهُ مِنْهَا الركَامَ الكَنَهْوَرَا
تَنَحَّ عَنِ العَلْيَاءِ يَسْحَبُ ذَيلَهَا   هُمَامٌ تَرَدَّى بالعُلَى وتَأَزَّرَا
فتَى لَمْ تُعَرِّقْ فِيهِ تَيْمُ بنَ مُرَّةٍ   ولا عَبدَ اللَّاتَ الخَبيثَةَ أعْصُرَا

ولا كَــانَ مَـــعــزولاً غَـــدَاةَ بَـــرَاءَةٍ ولا عَــنْ صَـلاةٍ أَمَّ فِـيْـهَـا مُـؤَخَّــرَا

ولا كَـانَ فـي بَـعْـثِ ابنِ زَيْـدٍ مُـؤَمَّـراً عَـلَـيْـهِ فَـأَضْـحـى لابـنِ زَيْـدٍ مُـؤَمَّـرا

ولا كَـانَ يَـوْمَ الـغَـارِ يَـهْـفُـو جِـنَـانُـهُ حَـذاراً ولا يَـوْمَ الـعَـريـشِ تَـسَـتَّـرا

إمامُ هُـدًى بـالـقـرْصِ آثَـرَ فـاقْـتَـضَـى لَـهُ الـقُـرْصُ رَدَّ الـقُـرْصِ أبـيَـضَ أزْهَـرَا

يُـزَاحِـمُـهُ جـبـريـلُ تَـحْـتَ عَـبَـائِـهِ لَـهَـا قِـيْـلَ كُـلُّ الـصَّـيـدِ فـي جَـانِـبِ الـفَـرَا

حَـلَـفْـتُ بِـمَـثْـواه الـشَّـريـفِ وتُـرْبِـهِ أَحَـالَ ثَـرَاهَـا طِـيـبُ رَيَّـاهُ عَـنْـبَـرا

لأَسـتَـنـفِـدَنَّ الـعُـمْـرَ فـي مَـدحِـي لَـهُ وإنْ لامَـنِـي فِـيـهِ الـعَـذولُ فـأَكْـثَـرا

أَقُولُ: رَحِمَ الله الشَّاعِرُ ابنُ أَبي الحَديدِ.

أمَّا أَنَا فَأقولُ لا مَدْحِي ولا ذمٌّ سِوَايَ يُؤَثِّرُ. فَهْوَ نُورٌ عَلَى نُورٍ كَمَا قَالَ الآخرُ فِيهِ:

وَتَـرَكْـتُ مَـدْحِـي لـلـوصِـيِّ تَـعَـمُّـدَاً إِذْ كَـانَ نُـوراً مُـسْـتَـطـيـلاً شَـامِـلا

وإذا اسْـتَـطَـالَ الـشـيءُ قَـامَ بِـنَـفْـسِـهِ وَصُفاتُ ضَوءِ الشَّمْسِ تَذْهَبُ بَاطِلا

لا واللهِ. فَأنَا لأَقلُّ شَأْناً مِنْ أنْ أزيدَهُ فَخْراً أو أُصَغِّرَ مِنْهُ شَأْناً. إنَّمَا يَحزُّ في نَفْسِي تَسَافلُ أقوامٍ عَنْ ذُرَى هَذا النُّورِ الباذِخِ والكاهِلِ الشَّامِخِ وانتماؤُهم إلى الرجْسِ. فَأنَا مِثْلُ العاشِقِ مَا كَرَهْتُهُم إلاَّ لحُبِّي لَهُم ورَغْبتِي في تَسَاميهِم عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الأَشْبَاهِ والنَّظائِرِ. وَلَكِنَّهُم قَومٌ لا يَفْقَهون.

شرح بَعْض معاني الأبيات:

١ - يَقولُ: دَعِ المَجْدَ لأهلِهِ فطعْمُهُ حلوٌ وَلكنَّ ممارسَتَهُ تُذيقُكَ المُرَّ، والمُمْقِرُ: الشَّديدُ المَرارَةِ - والخِطَاب لأبي بَكْرٍ.

٢ - يَقولُ: ما كُلُّ مَنْ رَامَ المَعَالي تَتحمَّلُ مناكِبُهُ ثِقْلَ الحَجَرِ العَظيمِ: «الكَنَهْوَر» عَلَى زِنَةِ «شَمَرْدَل»: المُتَراكِمِ مِنَ الحَجَرِ.

٣ - يَقولُ: تَنَحَّ جانِباً عَنِ العَلياءِ لأهلِهَا، لِمَنْ لَبِسَ العُلَى كالرِّداءِ وجَعَلَهَا لَهُ إِزاراً يَأتَزِرُ بِهِ - يُريدُ عَلِيّاً عليه السلام.

٤ - فَتَى: إشارةٌ إلى قَولِ جبريلَ عليه السلام: **«لا فَتَى إلاَّ عَلِي لا سَيْفَ إلاَّ ذو الفقار»**.

في مَعْرَكَةِ أُحُد. وقولُ النَبِيِّ صلى الله عليه وآله:

«أنَا ابنُ الفَتَى أخو الفتَى!».

يُريدُ أنَا ابنُ إبراهيمَ عليه السلام لِقَولِهِ تَعالَى:

﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠].

ويريدُ بالأخِ عَلِيّاً عليه السلام لقولِ جبريل الآنِفِ.

والمُرادُ مِنَ الفَتَى عَلِيٌّ عليه السلام وَهْوَ جَوابُ «تَنَحَّ» ومُتَعَلِّقٌ بـ «هُمَامٍ». كأنَّهُ قِيلَ مَنْ هُوَ هَذا الهُمَامُ؟ فَقَالَ: فَتَى. فَتَمَّ التعريفُ بِهِ إِذْ لا فَتَى سِواهُ لِقَولِ جبريلَ عليه السلام: «لا فَتَى إلاَّ عليٌّ».

يقولُ: لَمْ يَضْرِبْ فِيهِ عِرْقٌ مِنْ لؤمِ النَّسَبِ كَمَا هُوَ ضارِبٌ في تيم بن مرَّة المشهورةِ باللؤمِ والحَسَدِ والفِتْنَةِ والتي مَنْ جَاوَرَهَا أصابَهُ الشَرُّ. وَلَيْسَ هو مِثْلَكَ حَيْثُ عَبَدْتَ اللاتَ أعْصُرَا: «جَمْعُ عَصْرٍ» لأنَّهُ دَخَلَ الإسْلامَ عَلَى كبرِ السِّنِّ وتربَّى عَلَى عِبادَةِ الخَبائِثِ ومُمَارسَةِ الكُفْرِ دَهْراً طَويلاً.

٥ - يَقولُ: وَلَمْ يعزِلْهُ النَبِيُّ صلى الله عليه وآله عَنْ تبليغِ سورةِ بَراءَةَ كَمَا فَعَلَ مَعَكَ فأرجَعَكَ وأرْسَلَهُ بَدَلاً عَنكَ وَقَالَ: «لا يُبَلِّغُ عَنِّي إلاَّ أنَا ورَجُلٌ مِنِّي». فَأَنْتَ كَافِرٌ لأنَّكَ لَو كُنْتَ مُؤمِناً لَكُنْتَ مِنْهُ لِقَولِهِ تَعالَى عَلَى لِسَانِ إبراهيمَ عليه السلام ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وَإنَّمَا أرادَ إظْهَارَ كُفْرِكَ. ويقولُ الشاعرُ أيْضاً: ولا أَخَّرَهُ في الصَّلاةِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مأموماً لقومٍ قط كَمَا فَعلَ بِكَ وَلَمْ يَكُنْ

مؤخَّراً دَوْماً. وَمَا ذَلِكَ إلاَّ لِعِلْمِهِ ﷺ بِفِسْقِكَ وعَدَمِ جَوَازِ إمَامتِكَ في الصَّلاةِ فَكَيفَ بالأُمَّةِ كُلِّهَا؟.

٦ - ولا جَعَلَهُ أي الفَتَى مَأمُوراً في بَعْثِ إسامَةَ بن زَيْدٍ وَهْوَ لَمْ يَبْلُغِ العشرينَ مِنْ عُمُرِهِ، وَهْوَ ابنُ مولاه كَمَا فَعَلَ بِكَ، فالعَجَبُ أنَّكَ تَحتَ إمْرَتِهِ وأضْحَيت وَأَنْتَ تُؤَمَّر ابن زيد وتُنْفِذَ سريَّتَهُ الَّتي امْتَنعْتَ عَنِ الذَّهَابِ بِهَا وأَظْهَرْتَ العصيَانَ.

٧ - يَقولُ: ولا كَانَ هَذا الفَتَى خَائِفَاً في الغَارِ مِثْلَكَ، بَلْ نَامَ عَلَى فِرَاشِهِ والقومُ محيطونَ بِهِ وفَدَّاهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ العَرِيشَ يَوْمَ بَدْرٍ، بَلْ تَلقَّى القَومَ وقَاتَلَ وقَتَلَ صَنَادِيدَهُم وَأَنْتَ مُسْتَتِرٌ في العَرِيشِ.

أَقُولُ: وَهَذِهِ القِصَّةُ ذَكَرَهَا المُؤرِّخونَ جميعاً. وَكَانَ الأنصارُ قَدْ بنوا للنبيِّ ﷺ عَريشاً «مَخْبَأً» خَلْفَ العَسْكَرِ ووَضَعُوا عَلَيْهِ الحَرَسَ الشَّديدَ، وقالوا للنبيِّ ﷺ: «نَفْعَلُ ذَلِكَ خشيَةَ وُقوعِ مَكْروهٍ وهَزيمَةٍ لَنَا حَتَّى لا تَقولَ الأُمَمُ والقَبَائِلُ: استَعَانَ بِهِم رسولُهُم فَتَرَكوهُ يُقْتَلُ! فإذا وَقَعَ مَكروهٌ استَنْقَذَكَ الحَرَسُ مِنَ العدوِّ وانْطَلَقوا بِكَ»، فَدَعَا لَهُمُ الرسولُ بالخَيرِ. وَلكنَّ أبا بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعَبْدَ الرَّحمنَ لَبَدوا في عريشِ الأنْصَارِ وانْتَهَتِ المَعْرَكَةُ وَلَمْ يَخْرجوا قط ولا قَاتَلوا مَعَ النَبِيِّ ﷺ الَّذي كَانَ في قَلْبِ المَعْرِكَةِ. وَهَذِهِ واحِدَةٌ مِنْ مَخازيهِم فَرَاجِعْهَا في وقَائِعِ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ.

نَعَمْ.. خَرَجَ الجُبَنَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ وأَبْدوا شَجَاعَةً عَظيمَةً عَلَى الأَسْرَى!!

وَهُنَاكَ مَخَازي أُخرَى لَهُم في تِلْكَ المَعْرَكَةِ فتأمَّلْ فِيْهَا واقْرَأْ قِراءَةَ النَّاقِدِ الفَاحِصِ ولا تَقْتَدِي بِمَنْ أضَلَّهُ الله عَلَى عِلْمٍ وخَتَمَ عَلَى قَلْبِهِ وجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غَشَاوَةً.

٨ - يَقولُ: هَذا إِمَامُ هُدَى مُقَابِلُ أئِمَّةِ الضَّلالَةِ يَكْفِي مِنْ فَضْلِهِ أنَّ قُرْصَ

الشَّعيرِ الَّذي يَعطيهِ تكونُ مكافَأتُهُ أنْ يقْدِرَ عَلَى رَدِّ قُرْصِ الشَّمْسِ مُضيئاً بَعْدَ أنِ اسْتَحالَتْ إلى المَغيبِ، إشارَةً مِنْهُ إلى نزولِ سُورَةِ الدَّهْرِ في إطْعَامِهِ قُرْصِ الشَّعيرِ وحَادِثَةِ رَدِّ قُرصِ الشَّمْسِ مَرَّتين، وكلاهُمَا مِنَ الحَوادِثِ الشَّهيرَةِ في الأُمَّةِ.

وفِيهِ تَعْريضٌ بنفاقِهِم لأنَّهُمْ أنْفقوا رِيَاءً ونِفَاقاً فَلَمْ ينزِلْ شيءٌ مِنَ القُرآنِ فِيهِم، بَلْ نَزَلَ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنفال: ٣٦-٣٧].

ومَعْلومٌ أنَّ هَؤُلاءِ هُمْ ليسوا عَبَدَةَ الأصنَامِ، بَلْ الَّذين كَفَروا داخِلِ الإسلامِ.. فافْهَمْ كَلامَ الله قَبْلَ كَلامِ المَخْلوقين.

لقَدْ تميَّزَ الخَبيثُ مِنَ الطيِّبِ في الواقِعِ التاريخيِّ وفي القُرْآنِ العَظِيمِ الَّذي نَزَلَتْ مِنْهُ سورَةٌ كاملَةٌ في عَلِيٍّ وأهْلِ بيتِهِ عَلَيْهِ وعَلَيهِم السَّلام وهي **«سورَةُ الدَّهْرِ»** لإطعَامِهِ ثَلاثَةَ أقْرَاصٍ مِنْ خُبْزِ الشَّعيرِ.

وَكَانَ لي صَديقٌ يُجَادِلُني دَوْمَاً وأنَا أتَهرَّبُ مِنْهُ لِجَهْلِهِ وفَظَاظَتِهِ لإقتدائِهِ بعُمَرَ الفَظِّ الغَليظِ القَلْبِ البَخيلِ، وَكَانَ يرى رَأيَ الوهَّابيَّةِ والصوفيَّةِ مَعَاً، وَكَان في حِيرَةٍ، فَكُلَّمَا ذَكَرْتُ لَهُ نصّاً عَنِ النَبِيِّ ﷺ مُؤَيَّداً بالأسانيدِ والمَصَادِرِ قَالَ لي: «وسيِّدُنَا عُثْمَانُ أَلَمْ يُجَهِّزْ جَيْشَ العُسْرَةِ؟»: !.

يَقولُ لي ذَلِكَ سَوَاءٌ أكانَتِ الفَضَائِلُ في شَأنِ الإنْفَاقِ أو غَيرِهِ حَتَّى غَضِبْتُ مَرَّةً مِنْ كَثْرَةِ تِكْرَارِهِ لجيشِ العُسْرَةِ، فقُلْتُ لَهُ: «والله إنَّهُ لا يُساوي عِنْدَ الله ثلاثَةَ دَرَاهِمٍ!»، فانْزَعَجَ جِدّاً مِنْ هَذا القَولِ وحِدَّتي فِيهِ، وَوَجَدَ أنَّ هَذا هُوَ خِلافُ

طَبْعِي في مُدَارَاةِ مَزَاعِمِهِ فقُلْتُ: «إنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بالقُرْآنِ ففي القُرْآنِ إثْبَاته فإنِّي لَمْ أُبَالِغْ وَلَمْ أَتَجاوَزْ».

فَقَالَ بِسُخْرِيَةٍ: «وكَيفَ ذَلِكَ؟».

فقُلْتُ: «لأنَّ سِعْرَ القُرْصِ مِنَ الشَّعيرِ لا يَزيدُ عَلَى دِرْهَم وقَدْ أعْطى عَلِيٌّ بنُ أبي طَالِبٍ عليه السلام ثَلاثَةَ أقْرَاصٍ فَنَزَلَ في هَذا سُورَةٌ عَجيبَةٌ يَدورُ فِيْهَا الكَلامُ كلُّه حَولَ العَطْفِ عَلَى فَضَائِلِ أَهْلِ البيتِ عليهم السلام وَأَنْتُم تَقرَأُونَ بآيَةٍ واحِدَةٍ فِيْهَا هي ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]. وَلكنْ انظرْ فِيْهَا فَإِنَّهُ تعالى يَصِفُ حَالَهُم في الجَنَّةِ وَمَا أعْطَاهُم مِنَ المُلْكِ ويَذْكرُ عَدُوَّهُم فَيَتَوَعَّدَهُ بالنَّارِ والعَذابِ... وقَدْ اعْتَرَفْتَ بأنَّ جَيشَ العُسْرَةِ روايَةٌ وَلَمْ تَنْزِلْ فِيهِ آيَةٌ واحِدَةٌ. فإذا صَدَّقتُ الروايَةَ مُجَامَلَةً لَكَ يَبْقَى عَمَلُهُ هَذا وقيمَتُهُ دونَ الثلاثةِ دراهِمِ عِنْدَ الله، لأنَّ القيمَةَ عِنْدَ الله تَخْتَلِفُ. فَمَنْ أنْفَقَ رِيَاءً وسُمُعَةً كانَ هذا الإنفاقُ وبالاً عَلَيْهِ بِخِلافِ مَنْ أنْفَقَ درهماً للهِ فَهْوَ باقٍ عَلَى قيمَتِهِ. فالقيمَةُ تُحَدِّدُهَا النيَّةُ والتوحيدُ لا عَدَدُ الدَّرَاهِمَ!. فالأفْضَلُ لَكَ ولعُثْمانَ أنْ لا تَذْكرَ هَذِهِ «المَنْقَبَةَ» لأنَّكَ ستؤكِّدُ للخصْمِ أنَّهُ أنْفَقَ رِيَاءً وسُمُعَة أو للتخطيطِ لأمْرٍ مَا فتكونُ آثاماً، كُلَّمَا زَادَ عَدَدُ الدَّراهِمِ ازدادَ الإثْمُ فِيْهَا. فَلَيْسَ مِنْ عَدْلِ الله أنْ يَذْكُرَ أقراصَ الشَّعيرِ ولا يَذْكُرُ جيشاً بكامِلِ سِلاحِهِ يَذْهَبُ للجهادِ»!

فَصَاحَ بي والغَضَبُ بَادٍ في عينيهِ وكُنْتُ عِنْدَ البَابِ: «اخرُجْ واغلقِ البَابَ وَرَاءَكَ!» وَلَمْ يُكَلِمْني بَعْد ذَلِكَ قط فأخْزَاهُ اللهُ!!

فاعْجَبْ إذَنْ لِهَذا الكَاتِبِ المُنَافِقِ وَهْوَ يَزْعُمُ أنَّ الاحتِجَاجَ بالإمَامَةِ كَانَ يَسْتَنِدُ إلى أحَاديثِ الفضائل المَرْوِيَّة عَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله في عَلِي وَأَهْل بيته!.

يا هَذا إنَّ الإمَامَة لَيْستْ بالفَضَائِلِ، بَلْ الفَضَائِلُ بالإمَامَةِ!

ثُمَّ يَزْعُمُ الزاعِمونَ بَعْدَ ذَلِكَ أنَّ الفَضَائِلَ مَا دَامَتْ قَدْ وَرَدَتْ عَنِ الآخرينَ أيْضاً، فَلا خُصوصَ في إمامة عَلِيٍّ دونَهُم!

فَهَذا حُمْقٌ آخرُ فوقَ الحُمْقِ الأوَّلِ.

سُبْحَانَ اللهِ!

ألا تُلاحِظونَ الفَوَارِقَ بَيْنَ الأمرينِ بِمَا يُسْقِطُ هَذا الدَّلِيْلَ عَنِ الاعتِبَارِ؟

وَهْيَ فَوَارِقٌ جَليَّةٌ ظَاهِرَةٌ مِثْلُ الشَّمْسِ. هَذِهِ بَعْضُهَا:

الفَارِقُ الأوَّلُ: إنَّ فَضَائِلَ عَلِيٍّ مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا بَيْنَ المُسلمينَ. أَقَرَّ بِهَا القائلون بالشُّورَى، بَيْنَمَا فَضَائِلُ غَيْرِهِ هِيَ مَوْضِعُ الخِلافِ والجِدَالِ.

فَأَنتُم الآنَ سَتقولونَ: نَعَمْ. . لأنَّ الشِّيْعَةَ يُفَرِّقونَ بَيْنَ الصَّحابَةِ، وَنَحْنُ عَلَى الحَقِّ لأنَّنا نَعْتَرِفُ لَهُم جَميعاً بالفَضَائِلِ ولا نُفَرِّق بَيْنَهُم.

وَهَذا مِنْكُم وَهْمٌ أَوْهَمَكُم بِهِ الشَّيْطَانُ الرَّجيمُ، لأنَّ الَّذي يُحَاسِبُكُم لَيْسَ الصَّحَابَةُ حَتَّى تَتَمَلَّقوا لَهُم، إنَّمَا هُوَ اللهُ. فَلا بُدَّ مِنَ البَحْثِ عَنْ طَرِيقَة لِبَرَاءَةِ الذمّة مَعَ الله في الاعْتِقَادِ. ولا تَبْرأُ الذمّة إلاَّ بالإجْمَاعِ لاسْتِحَالَةِ اجْتِمَاعِ أمَّتِهِ ﷺ عَلَى الضَّلالِ وَهْيَ لَمْ تَجْتَمِعْ كَلِمَتُهَا إلاَّ في عَلِيٍّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ وعَلَيهِم السَّلام لوقوعِ الخِلافِ في غَيْرِهِم.

فَأَنتُم تَعْبدون الله أَمْ تَعْبدونَ الصَّحَابَةَ؟

فَلَو سَأَلَ الله هَذَا السُّؤالَ رَجُلينِ فَقَالَ الأوَّلُ: «إنِّي آمَنْتُ بِكُلِّ الصَّحابَةِ وأَقْرَرْتُ بفضائِلِهِم جميعاً». .

فإنَّ لِلَّهِ تَعَالَى أنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ: «أَوَ لَمْ تَسْمَعْ بِوجودِ قَومٍ قَالوا بِكُفْرِ بَعْضِهِم وخَالَفوا في ذَلِكَ؟».

سَيَقولُ: «نَعَمْ».

فَيَقولُ اللهُ: «فَهؤلاءِ هُمْ عَلَى الحَقِّ وَأَنْتَ عَلَى باطِلٍ فَلِمَاذَا لَمْ تَكُنْ مَعَهُم؟».

فبماذا يجيب؟

فإذا قَالَ: «وَجَدْتُ هَؤُلاءِ أَقَلِّيَةً وَأَهْلُ مَذْهَبي أَكْثَرُ مِنْهُم، خَصَمَهُ الله لأَنَّهُ قَدْ ذَمَّ الأَكْثَرِيَّةَ في أَكْثَرَ مِنْ ثلاثينَ مَوْضِعاً مِنَ القُرْآن وَلَمْ يَمْدَحْهُم في مَوْضِعٍ واحِدٍ، ولَقَالَ لَهُ: «أَوَ لا تعْلَم أَنِّي قُلْتُ أُريدُ أَنْ أَمْلأَ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أجمَعينَ؟ وأنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ ثلَّةٌ مِنَ الأوَّلينَ وقَليلٌ مِنَ الآخرين؟»».

ولِنَفْرِضَ أنَّ الآخَرَ قَالَ: «وَجَدْتُهُم يا ربِّ قَدْ اخْتَلَفوا فَقُلْتُ: إنَّ الأُمَّةَ لا تَجْتَمِعُ عَلَى خَطَإٍ أو ضَلالٍ، فَنَظَرْتُ رَجُلاً اجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُم عَلَى فَضْلِهِ وأَقَرّوا كُلُّهَمُ لَهُ بالإيمانِ، فَقُلْتُ لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الحَقُّ مَعَهُ، ثُمَّ نَظَرْتُ وإذا شِيعَةُ هَذا الرَّجُلِ هُمْ أَقَلُّ عَدَداً، وقَدْ كُنْتَ يا رَبِّ قَدْ امْتَدَحْتَ القِلَّةَ وذَمَمْتَ الكِثْرَةَ فَكَانَ ذَلِكَ قَرينَةً كُبْرَى عَلَى صحَّةِ مَا رَأيتُ، ثُمَّ نَظَرْتُ في كَلامِ نَبِيِّكَ فَوَجَدْتُ اختلافاً بَيْنَ فَضَائِله وفَضَائِلِهِم فَعَلِمْتُ أَنَّ فَضَائِلَهُ حَقٌّ وفضَائِلَهُم إنَّمَا وُضِعَتْ لتفريقِ الأمَّةِ. ثُمَّ نَظَرْتُ في التَّاريخِ فَوَجَدْتُ هَذا الرَّجُل قَدْ قَامَ بأمْرِكَ وَلَمْ يَقدِرْ أَحَدٌ عَلَى نَبْزِهِ أو لَمْزِهِ أو هَمْزِهِ مَعَ كَثْرَةِ عَدوِّهِ، ووَجَدْتُ الآخِرين وقَدْ مَلأَتْ مخازيهم الكُتُبَ وسَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ رُغْمَ أَنَّ الدَّولَةَ دولَتُهُم والسُّلطَانَ سُلْطَانُهُم، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ أَعْطَيتَ هَؤُلاءِ الدُّنْيا، وأعْطَيتَ هَذا الرَّجُلَ الآخِرَةَ».

فَمَا تَرَى أَيُّهَا القارئ: أَيُّهُمَا يَنْجُو وأَيُّهُمَا يَهْوِي؟

هَذا كُلُّهُ عَلَى فَرْضِ أَنَّكَ لا تَعْلَمُ أيَّ قَانونٍ عَنِ الإمَامَةِ والخِلافَةِ الإلهيَّةِ.

الفَارِقُ الثَّاني: إنَّ التَّحقيقَ في فَضَائِلِ هَؤُلاءِ يُثْبِتُ أَنَّها إمَّا عَنِ النَبِيِّ ﷺ، وفيها إشارَةٌ إلى كُفْرِهِم، وَإمَّا يُثْبِتُ أَنَّها لَيسَتْ عَن النَبِيِّ ﷺ لأَنَّها مِنَ المَوْضُوعَاتِ.

أَمَّا النَّوعُ الأَوَّلُ فقَدْ رَأيتَ أمْثِلَةً لَهُ في عُمَرَ، وَهُوَ طَريقٌ جَديدٌ لَنا في تَفْسيرِ النُّصوصِ نَأْمُلُ أنْ تُطَبِّقَهُ أخي القارئ عَلَى بَقِيَّةِ النُّصوصِ الثَّابِتَةِ. وَأَمَّا النَّوعُ

الآخَرُ والذي لَمْ يَثْبُتْ فإنَّ إبْطالَهُ قَدْ تَمَّ عَلَى أيدي «العُلَمَاءِ» مِنَ السَّلَفِ السُّنَّةِ والشِّيعَةِ عَنْ طَريقِ رِجَالِهِم، وتَكَفَّلَ بإبْطَالِ هَذِهِ المَآثِرِ وانتِحَالِهَا «عُلَمَاءُ» السُّنَّةِ والشِّيعَةِ سَوَاءً.

فَلا تَبْقَى بَعْدَ التَّحْقيقِ إلاَّ فَضَائِلُ عَلِيٍّ عليه السلام والصَّحَابَةُ مِنْ شيعَةِ عَلِيٍّ. وَأَمَّا عَدُوُّهُ فَلا فَضيلَةَ لَهُ مُطْلَقاً لأنَّ النَبِيَّ صلى الله عليه وآله لا يُلْبِسُ الأمْرَ عَلَى أُمَّتِهِ ولا يَزْرَعُ بِذورَ الفِتْنَةِ.

فَمَا لَكُمْ كَيفَ تحكُمون؟

نَقولُ هَذا عَلَى سَبيلِ الاحتِجَاجِ وإلاَّ فَنَحْنُ لا نُؤْمِنُ أَصْلاً بأيَّةِ أَهَمِّيَّةٍ لِرِجَالِ السَّنَدِ: لأنَّ الحَقَّ يُعْرَفُ بِمُفْرَدِهِ مِنْ غَيْرِ رِجَالٍ مِنْ خِلالِ العَرْضِ عَلَى القُرْآنِ الكَريم. فَلا وَثَاقَةُ الرَّاوي تَجْعَلُنَا نُؤْمِنُ بالحَديثِ ولا التَشكيكُ في الراوي يَجْعَلُنَا نَرْفضُ الحَديثَ.

إنَّ مِتْنَ النصِّ هُوَ الَّذي يُقَرِّرُ صِحَّتَهُ عَلَى ضوءِ المبادئِ والعَقَائِدِ المُسْتَقِلَّةِ عَنْ أيِّ حُكْمٍ عَقْليٍّ مُسْبَقٍ. وَهَذِهِ الأحْكَامُ يَجِبُ أنْ تُؤْخَذَ مِنَ القُرْآنِ وتُعْرَفَ بِهَا السُّنَّةُ وَلَيْسَ العَكْسُ.

إنَّ مَا حَدَثَ هُوَ أنَّ المَذَاهِبَ والتَّيَّاراتِ تُقَوِّي نُصوصَاً مُعيَّنَةً ورِجَالاً مُعيَّنينَ مُقَابِلَ تَضعيفِ آخَرينَ لأجْلِ استِبْعَادِ نصوصٍ لا تَتَّفِقُ مَعَ مَرَامِيهم ثُمَّ يَقومونَ بِتأوِيلِ القُرْآنِ عَلَى ضوءِ مَا قَرَّروهُ سَلَفَاً، فأصْبَحوا كَمَا قَالَ الإمَامُ عَلِيٌّ عليه السلام في الفَقَرَةِ الماضِيَةِ: «كَأنَّهم إمَامُ القُرْآنِ وَلَيْسَ القُرْآنُ إمَامُهُم!!».

نَعَمْ. . طُرُقُهُم هَذِهِ لَيْسَتْ مِنْ دينِ الله في شيءٍ وسَيُجَازيهم وصْفَهُم إنَّهُ خَبيرٌ بِمَا يَعْمَلُون.

الفَارِقُ الثَّالِثُ: إنَّ المُقَارَنَةَ مَعَ فَضَائِلِ هَؤُلاءِ عَلَى فَرْضِ صِحَّتِهَا - وَهُوَ فَرْضٌ جَدَليٌّ لا حَقيقَةَ لَهُ ولكِنَّنا نُقَدِّمُهُ بِهَدَفِ إثْبَاتِ الحُجَّةِ - إنَّمَا تُبَيِّنُ بِجَلاءٍ هَذا الفَارِقَ الكَبيرِ الَّذي لا قِيَاسَ لَهُ بَيْنَ الإمَامِ الحَقِّ وبَيْنَ غَيْرِهِ.

فأيُّ كَلِمَةٍ لعليٍّ لا تُنْبِئُ بِكُلِّ وضُوحٍ أَنَّهُ إِمَامٌ حقٌّ مِنَ اللهِ؟.

فَمَنْ رَدَّ ذَلِكَ فقَدْ رَدَّ عَلَى النَبِيِّ ﷺ وجَزَاؤُهُ جهَنَّمُ خَالِدَاً فِيْهَا وبِئْسَ المَصير.

فَقُلْ لِهَذا الأَفَّاك: أَهَذِه مَنَاقِبٌ يُفْهَمُ مِنْهَا أَنَّهُ مُرَشَّحٌ للخِلافَةِ أَمْ يُفْهَمُ مِنْهَا أَنَّهُ الخَليفَةُ بالحَقِّ؟

وأيٌّ مِنْهَا لا تَثْبتُ بِهِ الإِمَامَةُ والوَصِيَّةُ نَصّاً لا اجْتِهَادَاً؟

أَهُوَ قَولُ النَبِيِّ ﷺ:

◀ ١ - «إنَّ الجَنَّةَ اشْتَاقَتْ إلى أَرْبَعَةٍ مِنْ أَصْحَابي فَأَمَرَني رَبِّي أنْ أُحِبَّهُم. فانْتُدِبَ صُهَيبٌ وبلالٌ وطَلْحَةُ والزبيرُ وسَعْدُ، فَقَالوا: يَا رَسولُ الله مَنْ هَؤُلاءِ الأَرْبَعَةُ حَتَّى نُحِبَّهُم؟ فَقَالَ رَسولُ الله ﷺ لِعَمَّارَ: يا عَمَّارُ عَرَّفَكَ الله المُنَافِقينَ وَأَمَّا هَؤُلاءِ الأَرْبَعَةُ فَأَحَدُهُم عَلِيٌّ بن أَبي طَالِبٍ والثاني المِقْدَادُ بنُ الأَسوَدِ الكِندي والثَّالِثُ سَلْمَانُ الفَارسيُّ والرَّابعُ أَبو ذَرٍّ الغفاري»(١).

يا هَذا أَسْأَلُكَ:

أَيْنَ أَصْحَابُ الشُّورَى وَلِماذَا لَمْ تَشْتَقِ الجَنَّةُ لَهُم أسوَةً بهؤلاءِ؟

أَوَلا تَفْهَمُ أَيُّهَا الغَبِيُّ أَنَّهُم قَدْ ذُكِروا في هَذا الحَديثِ؟

وَلكِنْ ذُكِروا في الجَمَاعَةِ الَّذينَ يَعْرِفُهُم عَمَّارُ؟

عَرَّفَهُ الله بِهِم لأَنَّ قَلْبَ عَمَّارَ قَدْ سَلِمَ مِنَ الدَّرَنِ.

فإنْ كُنْتَ تُريدُ أنْ تَعْرِفَ المُنَافِقينَ حَقّاً فَلا تَكُنْ مِنْهُم ابتِدَاءً وطَهِّرْ قَلْبَكَ مِنَ الدَّرَنِ تَعْرِفهُم كَمَا عَرَفَهُم عَمَّارُ.

---

(١) الكنز/ ج٦/ ٤٢٨، ومجمع الهيثمي/ ج ٩/ ١٥٥، الحلية/ ج ١/ ١٩٠، وكنوز الحقائق/ ٦٠/ والمستدرك للحاكم/ ٣/ ١٣٧ وصحيح الترمذي ج ٢/ ٣١٠.

◀ ٢ - أَمْ هُوَ قولُهُ ﷺ:

«ستكونُ مِنْ بَعْدي فِتْنَةٌ فإذا كَانَ ذَلِكَ فالزَموا عَلِيَّ بن أَبي طَالِبٍ فإنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يَرَانِي وأَوَّلُ مَنْ يُصَافِحُني يَوْمَ القِيَامَةِ وَهْوَ الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ وَهْوَ فَاروقُ هَذِهِ الأُمَّةِ يُفَرِّقُ بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ وَهْوَ يَعْسوبُ الدِّينِ»[1].

فَتَعالَ أَيُّهَا المِسكينُ وَأَجِبْ: أَهَذِه فَضَائِلُ عَادِيَّةٌ ومَنَاقِبُ مَعروفَةٌ لِغيرِهِ أَمْ أَنَّهَا أَوَامِرٌ وتَعَاليمٌ بِلَفْظٍ هو بصيغَةِ الأَمْرِ: إلزموا عَلِيَّ بن أَبي طَالِبٍ عَلَى أَثَرِ فِتْنَةٍ لا بُدَّ أن تَقَعَ؟

وَمَنْ هُمْ أَهْلُ الفِتْنَةِ يا تُرَى غَيْرُ أَصْحَابِ الشُّورَى؟

تَبّاً لَكَ ولِمَنْ دَعَاكَ لِتَأليفِ كِتَابٍ رَخيصٍ بِعْتَ فِيهِ نَفْسَكَ للشيطانِ بِثَمَنٍ بَخْسٍ بَعْدَ أنْ جَعَلَ الله قِيمَةَ النفْسِ الواحِدَةِ تُساوي كُلَّ النفوسِ عَلَى الأَرْضِ.

فَمَا جَزَاءُ مَنِ اسْتَرْخَصَ نَفْسَهُ؟

جزَاؤُهُ أنْ يَكُونَ بالثَّمَنِ الَّذي أَرَادَهُ. وقَدْ اشتَرَيتَ نَفْسَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَلَمْ تَشْتَرِهَا مِنَ الحيِّ القَيُّومِ.. فَسُحْقاً لَكَ وإلى جهَنَّمَ وبِئْسَ المَصير.

◀ ٣ - أَمْ هُوَ قولُهُ ﷺ:

«سَأَلْتُ الله فِيكَ يا عَلِيُّ خَمْساً فَمَنَعَني واحِدَةً وأَعْطَاني أَرْبَعاً: سَأَلْتُ الله أنْ يَجْمَعَ عَلَيْكَ أُمَّتي فَأَبَى عَلَيَّ وأَعطاني فِيكَ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ الأَرْضُ عَنْهُ يَوْمَ القِيامَةِ أَنَا وَأَنْتَ مَعِي ومَعَكَ لواءُ الحَمْدِ وَأَنْتَ تَحْمِلُهُ بَيْنَ يَدَيَّ تَسْبِقُ بِهِ الأَوَّلينَ والآخِرينَ وأَعْطَاني فِيكَ أَنَّكَ وليُّ المُؤمنينَ بَعْدِي»[2].

---

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ج ٧/ ١٦٧ - أسد الغابة ج ٥/ ٢٨٧ - مجمع الزوائد ج ٩/ ١٠٢ قَالَ: وأخرجه الطبراني وابن عبد البر في الاستيعاب.

(٢) الكنز ج ٦/ ١٥٩ والرافعي/ ٣٩٦ قَالَ: وأخرجه ابن الجوزي.

وفيه ثَلاثةٌ مَعَ غِيَابِ ذِكْرِ الرَّابِعَةِ. وَيُمْكِنُ مَعْرِفَةُ الرَّابِعَةِ مِنْ نصوصٍ أُخْرَى وَهِيَ «وَسَأَلْتُهُ أنْ يَجْعَلَكَ قائِدُ أُمَّتِي إلى الجَنَّةِ فأَعْطَانِي فالحَمْدُ للهِ الَّذي مَنَّ بِهِ عَلَيَّ». وَهَذا هُوَ آخِرُ حَديثِ شاذان الَّذي أَخْرَجَهُ في الكنز مِنْ ج ٦/ ٤٠٢ - وَلَهُ لَفظٌ آخَرٌ فِيهِ الخِصَالُ الأربَعَةُ أَخْرَجَهُ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٦/ ١٠٢.

ويَظْهَرُ في النصِّ عَدَمُ إمكَانيَةِ اجْتِمَاعِ الأُمَّةِ عَلَيْهِ. ومِنْهُ ومِنْ سِوَاهُ أنبأَ الرَّسولُ ﷺ بوقوعِ الفِتْنَةِ ويؤيِّدُهُ قَولُهُ لِعَلِيٍّ عليه السلام: «**إنَّ الأُمَّةَ سَتَغْدرُ بِكَ بَعْدِي**».

وبالمُقَابِلِ أَعْطَاهُ تَعَالَى أنْ يَكُونَ وليَّ المؤمنينَ مِنْ بَعْدِهِ وقَائِدَ أُمَّتِهِ إلى الجَنَّةِ.

فإلى أَيْنَ أَنْتَ مَاضٍ أَيُّهَا الكَاتِبُ؟!

أَرَاكَ تُريدُ المُضِيَّ إلى جَهَنَّمَ!

فَأَبْشِرْ ثُمَّ أَبْشِرْ فإنَّهَا مِنْ وَرَائِكَ.

◀ ٤ - أَمْ هُوَ قوله ﷺ:

«نَحْنُ وُلْدُ عَبْدِ المطَّلِبِ «سَبْعَةٌ» سادَاتُ أَهْلِ الجَنَّةِ أَنَا وعَلِيٌّ أَخِي وعَمِّي حَمْزَةُ وجَعْفَرُ والحَسَنُ والحُسينُ والمَهْديُّ»[1].

فَهَلْ تَرَى أنَّ السِّيَادَةَ في الجَنَّةِ بالتَّرشيحِ أَمْ أنَّهَا باصْطِفَاءِ الله وَحْده؟

وأَيْنَ أَصْحَابُ الشُّورَى الَّذينَ سَادوا في الدُّنْيَا؟

فَمَا هَذِهِ المخازي الَّتي تقولون؟

---

(١) المستدرك ج ٣/ ٢١١، الصواعق/ ٦٩، صحيح ابن ماجة ٣٠٩، تاريخ بغداد ج٩/ ٣٤٣.

أَنْتُم تَقُولُونَ أنَّ «الأَمْرَ» شُورَى لِقَولِهِ تَعَالَى «وأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُم» - ثُمَّ تَقُولُونَ: إنَّ «أُولي الأَمْرِ» بِهَذِهِ الشُّورَى.. فَكَيفَ يَكونُ وَليُّ الأَمْرِ بَيْنَهُم بالشُّورَى؟

يالِلْفَضِيحَةِ المَنْطِقيَّةِ!!

أَفَهَذا مَا تَعلَّمْتمُوهُ مِنْ أرسطو طاليس؟!!

وَمَعَ ذَلِكَ فإنَّ «أمْرَهُم» هُوَ غَيْرُ «الأَمْرِ» قَطْعاً - الأَمْرُ المُعَرَّفُ بأَلْ التَعْريفِ.

أَمْ هُنَا فَقَط تَنْسَوْنَ أصولَكُم والفَرقَ بَيْنَ المُعَرَّفِ بالإضَافَةِ والمُعَرَّفِ بأَلِفْ لام العَهْدِ؟

فَتَعَالوا إلى القُرْآنِ لِنَعْلَمَ لِمَنِ الأَمْرُ: أَهُوَ لَهُم بالشُّورَى أَمْ هُوَ للهِ؟.

فَإنَّ الله تَعَالَى يَقولُ:

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

فَهَا هُوَ يَقولُ: إنَّ الأمْرَ كُلهُ للهِ وَلَيْسَ لَهُم مِنْهُ شيءٌ. فَكَيفَ أَصْبَحَ الأَمْرُ شُورَى بَيْنَهُم؟.

لا يَجُوزُ طَبْعَاً إلاّ أنْ يَكُونَ «أمْرُهُم» شيئاً، و«الأمْرُ» شيئاً، وبالتالي فأُولو الأَمْرِ خَارجُ أمْرِهِم الَّذي هُوَ شُورَى!.

وَهَلْ استِخْرَاجُ هَذا النَّاتِجِ مِنْ مُعضَلاتِ المَسَائِلِ لَو تَدَبَّروا القُرْآنَ؟

لا واللهِ.. ولكنْ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] فاتَتْهُم هَذِهِ الآيَةُ وإلاَّ لَو عَلِمُوهَا لأَمَروا زَيدَ بنَ ثابتٍ أنْ يجْعَلَهَا «والأمْرُ شُورَى بيْنَهُم» بَدَلاً مِنْ «أمْرِهِم» وسَوفَ يَدوخُ في تَغييرِ آيَةِ «إنَّ الأَمْرَ كُلهُ للهِ»، وسَوْفَ يَضْطَرُّ لِنَقْلِهَا أو إزَالتِهَا وإحْدَاثِ إزاحَةٍ بيْنَ الآياتِ وإحْدَاثِ عَمَليَّةِ جَمْعٍ تَزيدُ عَلَى سَنَةٍ أُخْرَى فَوقَ الخَمْسِ والعشرينَ سَنَةً الَّتي قَضَاهَا حَتَّى اسْتَقَرَّ عَلَى مُصْحَفٍ مَقْبولٍ.

فَهَلْ تَدْرونَ بِقَضيَّةِ جَمْعِ القُرْآنِ وإحْرَاقِ المَصَاحِفِ وحَمْلِ الجَميعِ عَلَى إحْرَاقِ مَصَاحِفِهِم وتَوحيدِها بِمُصْحَفِ عُثْمَانَ؟

وَهَلْ تَدْرونَ أنَّ أضْلاعَ ابنِ مسعودٍ كُسِرَتْ لِرَفْضِهِ تَسليمَ مُصْحَفِهِ؟

وَهَلْ تَعْلَمُونَ إنَّهُ نَادَى في الطُرُقَاتِ قائلاً:

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

فَدَاسوهُ بالأَرْجُلِ وقَتَلوه؟

وَهَلْ تَعْلَمُونَ أنَّ أُبيّ بنَ كَعْبٍ رَفَضَ تَسْليمَ مُصْحَفِهِ ونَالَ مِنْ العِقَابِ مَا نَالَهُ؟

وَهَلْ تَعْلَمُونَ أنَّهُم أَعْلَنوا للمَلاِ أنّ مُصْحَف عُثْمَان لَيْسَ فِيهِ تَمَامُ سورَةِ الأحْزَابِ وأنَّ مَا بَقِيَ مِنْهَا هُوَ الرُّبْعُ فَقَط؟

وَهَلْ تَعْلَمُونَ أنَّهُم رَفَضوا مُصْحَف عَلِيّ وأنَّ زَيْدَ بنَ ثابِتٍ متآمِرٌ عَلَى القُرْآنِ، وأنَّهُ انفرَدَ عِدَّةَ سَنَوَاتٍ وحْدَهُ بتَرتيبِ المُصْحَفِ؟

نَعَمْ... فاتَتْهُم آياتُ «الأمْرِ» مِثْلَمَا فاتَتْهُم مئاتُ الآياتِ الأُخْرَى حَيْثُ إنَّ كَلام الله يمكنُ أنْ يَخْدِمَهُم مِنْ جِهَةٍ دونَ جِهَةٍ وَمَا عَلِموا أَنَّهُ يُفَسِّر بَعْضُهُ بَعْضاً ويُنْبِئُ بَعْضُهُ عَنْ بَعْضٍ.

فإنْ كُنتُم لا تَعْلَمُونَ ذَلِكَ فَتَعَالوا وأقرأوا هَذِهِ الشَّهَاداتِ:

● عَن زَرٍّ قَالَ: قَالَ لي أُبيّ بنُ كَعْبٍ: كَيفَ تَقْرأ سُورَةَ الأحزاب أو كَمْ تُعِدُّهَا قَالَ: قُلْتُ: ثَلاثاً وسَبْعين آيَةً، فَقَالَ أُبيّ: قَدْ رَأَيْتُهَا وإنَّها لَتُعَادِلُ سُورَةَ البَقَرةِ!!.

ذَكَرَهُ ابنُ الأنباري في المَصَاحِفِ والدارقطني في الأفراد وانْظُرْهُ في الإتْقَانِ للسيوطي ج٢/ ١٤١، والدُّرِّ المَنْثور ج٥/ ١٧٩.

● وأخْرَجَ الحَاكِمُ في المُسْتَدْرَكِ في سورَةِ التَّوْبَةِ عَن حذيفة بن اليمان قَالَ: مَا عِنْدكُم رُبْعَهَا أو مَا تقرأونَ رُبْعَهَا!

● في تَفْسيرِ الثَّعْلَبي بِسَنَدِهِ عَن الأعْمَشِ عَن أبي وائِل قَالَ: قَرَأْتُ في مُصْحَفِ عَبْدِ الله بنِ مسعودٍ:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

أَقُولُ: أَزَالوا آلَ مُحَمَّدٍ وَمَا أَفْلَحوا فإنَّ آلَ إبْراهيمَ كافيَةٌ لأنَّ آلَ مُحَمَّدٍ هُمْ آلُ إبراهيمَ. والنَّفَسُ اليهوديُّ واضِحٌ في العَمَليَّةِ لإظهارِ الأفْضَليَةِ لإسحاقَ دونَ إسماعيلَ!.

وَأَمَّا سُورَةُ بَرَاءَةِ فَلأنَّهَا «الكَاشِفَةُ» لأمْرِ المُنَافِقينَ ومن أسمَائِها الفاضِحَةُ، والكاشِفَةُ، وَهْيَ آخِرُ سُورَةٍ طَويلَةٍ نَزَلَتْ وفِيهَا خلاصَةٌ عَنِ الدِّينِ والفِئَاتِ ونَتَائِجُ لِصِرَاعٍ فَلا غَرْوَ أنْ يُزيلوا ثَلاثَةَ أرباعِ السُّورَةِ مِثْلَمَا فَعَلوا مَعَ سُورَةِ الأَحْزَابِ!!

فإنْ كَانَ هَؤُلاءِ كَاذبينَ في هَذِهِ الأخْبَارِ، ففي غَيْرِهَا هُمْ أكْذَبُ وأَبْعَدُ.

عَنْ مُصْحَفِ أُبيّ بنِ كَعْبٍ قالوا كَانَ يَقْرأُ:

﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ «إلى «أجل مسمى» فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء: ٢٤].

ذَكَرَ ذَلِكَ صَاحِبُ الكَشَّافِ والنيسابوري في تَفْسيرِ الآيَةِ.

● وأَوْرَدَ الحَاكِمُ مِثْلَهُ في بَابِ مَا نَزَلَ مِنَ القُرْآنِ عَن أبي نظرة قَالَ: أُقرأت عَلَى ابنِ عبَّاس بزيادَةِ **«إلى أَجَلٍ مُسَمَّى»** وَقَالَ: قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: واللهِ لأَنْزَلَهَا كَذَلِكَ - قَالَ الحَاكِمُ: هَذا الحَديثُ صحيحُ الإِسْنَادِ.

● أَوْرَدَ الثعلبيُّ في تَفْسيرِهِ للآيَةِ عَن حبيبِ بنِ ثابتٍ بسَنَدٍ صَحيحٍ قَالَ: أَعْطَاني ابنُ عبَّاسٍ مُصْحَفاً فَقَالَ: هَذا عَلَى قِرَاءَةِ أُبيّ بن كعب فرأيت فِيهِ «إلى أَجَلٍ مسمًى» في آيَةِ النِّكَاحِ.

وأَخْرَجَ مِثْلَهُ السيوطيُّ في «الدُّرِّ المَنْثُورِ».

● وعن السيوطيِّ قَالَ في تَفْسيرِ سُورَةِ النِسَاءِ عِنْدَ ذِكْرِ الآيَةِ: أَخْرَجَ الطبرانيُّ والبيهقيُّ في السُّنَنِ عَن ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُم كانوا يَقْرأُونَ: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ «إلى «أجل مسمى».

أَقُولُ: أَزَالَ زَيْدُ بنُ ثابتٍ فَقَرَةَ «إلى أَجَلٍ مُسَمَّى» لِتَتَّفِقَ مَعَ نَهْيِ عُمَرَ عَنِ المِتْعَةِ.

وقَدْ قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«لَولا نَهْيُ عُمَرَ عَنِ المُتْعَةِ مَا زَنَى إلاَّ شَقِيٌّ».

وفي هَذا النصِّ دَلالَةٌ عَلَى مُشَارَكَةِ عُمَرَ كُلَّ زُنَاةِ الأَرْضِ بَعْدَ البعثَةِ، لأَنَّ النصَّ يُقَرِّرَ أَنَّ الزنى لَهُ حَلٌّ وَحِيدٌ هُوَ المُتْعَةُ فَلا يَزْنِي بَعْدَهَا إلاَّ الأشقياءُ الَّذينَ يُريدونَ مُحَارَبَةَ الله ورَسولِهِ.

أَقُولُ: وَلِهَذَا يَأْتي يَوْمَ القِيامَةِ مَنْ هُوَ صَالِحٌ في الظَّاهِرِ فَيَكونُ زانِيَاً في الحِسَابِ لولائِهِ لعُمَرَ.

● وَكَانَ عُمَرُ يَبثُّ الدعَايَةَ المضَادَةَ للقُرْآن ويُشيعُ بَيْنَ المَلأِ عَنْ عَدَمِ إمْكانيَةِ جَمْعِ القُرْآنِ كُلِّهِ فَيقولُ ولَدُهُ عَبْدُ اللهِ:

«لا يَقولَنَّ أَحدُكُم قَدْ أَخَذْتُ القُرْآنَ كُلَّهُ وَمَا يُدْرِيهِ مَا كُلُّهُ؟ لقَدْ ذَهَبَ مِنْهُ قُرآنٌ كَثيرٌ».

ذَكَرَهُ السيوطيُّ في الإتْقَانِ ج٢/ ص٤١ والأنباريُّ في المَصَاحِف.

● وكَانَ عُمَرُ قَدْ انْتَدَبَ زَيْدَ بنَ ثابتٍ لِهَذِهِ المُهِمَّةِ في خِلافَتِهِ قَبْلَ عُثْمَانَ، وقَدْ اخْتَلَفَ مَعَهُ في أمْرٍ فَقَالَ عُمَرُ لِزَيْدٍ:

«إنَّ مَا جِئْتُكَ بِهِ لَيْسَ بِوَحْيٍّ تُزيدُ فِيهِ وتُنْقِصُ، إنَّمَا هُوَ شَيءٌ نَتَرءاهُ فإنْ رَأَيْتَهُ ووَافَقْتَني تبعْتُهُ والاَّ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ شيءٌ».

انظُرْ أخي القارئ: مَا أَهْونَ القُرْآن عِنْدَهُم بحَيثُ إنَّ الأَمْرَ الَّذي جَاءَ بِهِ أَعْظَمُ مِنَ القُرْآنِ الَّذي يَزيدُ فِيهِ ويَنْقصُ.. يقولُ لَهُ هَذَا والجارِيَةُ تُرَجِّلُ لزَيدٍ شَعْرَهُ!

ذَكَرَ ذَلِكَ في مُنْتَخَبِ الكَنْزِ المطبوعِ عَلَى هامِشِ مُسْنَدِ أحمد ج٢/ ١٩٦، وَهَذا هُوَ نصُّ الروايَةِ فَتَأَمَّلْ فِيهِ:

«إنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ اسْتَأْذَنَ يوماً عَلَى زَيْدِ بنِ ثابتٍ فأَذِنَ لَهُ ورَأْسُهُ في يَدِ جَاريَةٍ تُرَجِّلُهُ فَنَزَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ عُمَرُ: دَعْهَا تُرَجِّلُكَ!، فَقَالَ: يا أميرَ المؤمنينَ لَو أَرْسَلْتَ إليَّ لجِئْتُكَ. فَقَالَ عُمَرُ: لَيْسَ هُوَ بِوَحْيٍّ تُزيدُ فِيهِ وتُنْقِصُ، إنَّمَا هُوَ شَيءٌ نَتَرءاهُ فإنْ رَأَيْتَهُ ووَافَقْتَني تَبعْتُهُ والاَّ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ شيءٌ فَأَبَى عَلَيْهِ زَيْدٌ فَخَرَجَ مُغْضَباً».

تعالوا يا أُمَّةَ الإسْلامِ.. فَهَذَا النصُّ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ الجُلودُ وتَذوبُ القُلوبُ..

تعالوا وتَفَكَّروا: مَا هُوَ هَذا الأَمْرُ الَّذي جَاءَ عُمَرُ مِنْ أَجْلِهِ والذي يكونُ الوَحْيُ بالنِسْبَةِ إليه لا شيء؟!!.

وكَيفَ يَأْتي الأَميرُ لِيَسْتَأْذِنَ مِنَ المَأمورِ؟

وَلِماذَا يَأْبى عَلَيْهِ زَيْدٌ؟

ولِمَاذَا يَتَمَلَّقُ الأميرُ لواحِدٍ مِنْ رَعِيَّتِهِ مُشْرِفٍ عَلَى تَرْتيبِ الوَحي يزيدُ فِيهِ وينقِصُ؟

وَلِماذَا يَقولُ لَهُ: دَعْهَا تُرجِّلُ شَعْرَكَ فَيُكَلِّمُهُ كَمَا يُكَلِّمُ الطفْلُ والِدَهُ؟!

أفَلا يَسْتَحِقُّ أنْ يَرْفَعَ لَهُ زَيْدٌ رأسَهُ؟

مَا أَغْبَاكُم يا أمَّةَ الغفْلَةِ!

فَلَو نَظَرْتُمْ الآنَ للحُكومَاتِ والدولِ لَفَهِمْتُم الأَمْرَ.

أوَ لا تَعْلَمُونَ أنَّ الحُكَّامَ اليَومَ وَكَمَا في السَّابِقِ يَأْتَمِرونَ بِأَمْرِ «المَنْدوبِ السِّرّي» الَّذي هُوَ الحَاكِمُ الفِعْلِيُّ؟

ألا تَشْعرونَ قط أنَّ زَيْداً هَذا مُنْتَدَبٌ لِمُهمَّاتٍ مُخَابراتيةٍ وإشْرَافٍ عامٍّ عَلَى شؤونِ الوَحْي.. تَصْفِيَةُ القُرْآنِ وتَصْفِيَةُ المُعَارضينَ، وأنَّ عُمَرَ بِكُلِّ بَطْشِهِ وغلظَتِهِ وحَمَاقَاتِهِ يُريدُ رِضَاهُ ويَأْتَمِرُ بأوامِرِهِ؟

أَعْطوني تَفْسِيراً لِهَذا النصِّ يا ذُريَةَ الزُناةِ وأوْلادَ البَغَايَا!!

فَإنَّهُ عَهْدٌ مِنَ النَبِيِّ الأُمّي: مَا أَبْغَضَ عَلِيّاً إلاَّ ابْنُ زِنَى أو ابنُ حَرَامٍ، ذُكِرَ ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام في نصوصٍ مُسْتَفيضَةٍ وقَدْ عَلِمْتَ تَفْسيرَهَا أَيُّهَا القارئُ النبيهُ.

● مِنْ أجْلِ هَذا رَفَضَ ابنُ مسعودٍ الانصِيَاعَ لزيدِ بنِ ثابتٍ فَكَان يَصيحُ مُنَادِياً في الطُرُقَاتِ:

«يَا مَعَاشِر المُسلمينَ أأُعْزَلُ نَسْخَ المَصَاحِف ويَتَوَلاَّهَا رَجُلٌ؟ واللهِ لقَدْ أَسْلَمْتُ وإنَّهُ لَفي صُلْبِ رَجُلٍ كَافِرٍ» - يُريدُ بِهِ زَيْدَ بنَ ثابتٍ.

أَوْرَدَ ذَلِكَ صَاحِبُ «جامِعِ الأصولِ» ابنُ الأثير وحَاولوا تَخْفيفِ وطْأةِ كَلامِهِ فَحَذَفوا مِنْهُ فَقَرَاتٍ كَمَا في الحليَةِ ج ١/ ١٢٥ إذْ ذَكَرَ أَنَّهُ قَالَ:

«أخَذْتُ مِنْ فِي رسولِ الله سَبعينَ سُورَةً وإنَّ زَيْدَ بنَ ثَابتٍ لَصَبِيٌّ مِنَ الصبيَانِ فَهَلْ أَدَعُ مَا أَخَذْتُ مِنْ فِي رسولِ اللهِ؟».

وفي فَتْحِ البَاري مِنْ شَرْحِ صَحيحِ البخاري أَنَّهُ قَالَ:

«والله لا أَدْفَعُ مُصْحَفي فقَدْ أقْرَأني رَسولُ اللهِ».

وفيه أَيْضَاً:

«إِنِّي غَالٍ مُصْحَفِي فَمَنْ اسْتَطَاع أنْ يُغْلِلَ مُصْحَفَهُ فَلْيَفْعَلْ»

غلَّ الأمْرَ: أخْفَاهُ أو قَيَّدَهُ عَنِ الحَرَكَةِ.

وفي صحيح مسلم ٧/ ١٤٧:

«عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ تَأْمروني أنْ أقْرَأَ؟ فَلَقَدْ قَرَأْتُ بِضْعَاً وسبعينَ سُورَة عَلَى رَسولِ الله وقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسولِ الله أَنِّي أَعْلَمُهُم بِكِتَابِ اللهِ».

وبَعدْ إِصْرارِ عَبْدِ الله بنِ مسعودٍ عَلَى الاحتفاظِ بِمُصْحَفِهِ كَانَتْ نِهَايتُهُ أنْ مَاتَ مِنَ التعذيبِ فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إليه مالاً وَهْوَ يَحْتَضِرُ!!

وكُلُّ الطُّغَاةِ يَفْعلونَ ذَلِكَ يَقْتلونَ القَتيلَ ويَمْشونَ في جَنَازَتِهِ!

فَرَفَضَ المالَ ورَدَّهُ إلى عُثْمَانَ فأَرْسَلوا إليه أَنَّهُ لِبَنَاتِكَ لا لَكَ!

أَفتَدْري مَا أَجابَهُم؟

أَجَابَهُم بِمَا يَزْعِجُهُم أَيْضَاً..

أَجابَهُم بالقُرْآنِ فَقَالَ لَهُم: «تَرَكْتُ لَهُنَّ سُورَةَ الواقِعَةْ»!!

تِلْكَ صَفْحَةٌ سَودَاءٌ تَرَكْتُ الكثيرَ مِنْهَا وذَكَرْتُ نَمَاذِجَ متفرِّقَةً وإلاّ فالكَلامُ فِيْهَا طَويلٌ طَويلٌ جِدَّاً يَكْشِفُ عَن الوُجوهِ القَبيحَةِ القائِمَةِ بِعَمليَّةِ التَّحريفِ الأوَّلِ المَدْروسِ بِعِنَايَةٍ فَائِقَةٍ.

فقَدْ تَرَكْتُ علاقَةَ سالِمٍ مَولى أَبي حذيفة بالأمْرِ ومُصْحَفه السرِّي المُخَبَّأ عِنْدَ عُمَرَ، وتَرَكْتُ القَولَ في الغَايَاتِ مِنْ الأَحْرُفِ الزَّائدَةِ والأَلْفاظِ المحذوفَةِ والسُّورِ المَرْفوعَةِ مِنَ النصِّ الأَصْليِّ، وتَرَكْتُ تِلْكَ المُفَارَقَةَ الغَريبَةَ بَيْنَ رَفْضِهِم استِلام مُصْحَفِ عَلِيٍّ عليه السلام وبَيْنَ إِصْرَارِهِم عَلَى اسْتِلامَ مَصَاحِفِ الصَّحَابَةِ..!

فَأينَ الَّذينَ دَرَسوا هَذِهِ القَضيَّةَ المُتَعَلِّقَةَ بدستورِ الدِّين؟

وَلِماذَا أَسْدَلَ الكَاتِبُ الكَاذِبُ السَّتَارَ عَلَيْهَا؟

أَمْ كُلُّ هَمِّهِم وهَمِّهِ أنْ يُدَافِعوا عَنْ أَهْلِ الشُّورَى المُحَرِّفينَ والمُنْحَرِفينَ أَخْلاقيّاً قَبْلَ انْحِرَافِهِم العَقَائديِّ والفِكْري؟

بَلَى. فَهَلْ تَعْلَمُ أَيُّهَا المِسْكينُ كَيفَ وُلِدَ عُمَرُ ومَنِ الَّذي أَوْلَدَهُ؟

وَمَا دَامَ الشَّيْطَانُ نَفْسُهُ يَسْجُدُ لعُمَرَ فَلَكَ أنْ تَعْلَمَ مولدَهُ إذا شِئْتَ وَلكنَّ الشُّبْهَ يَمْنَعُ مِنَ العِلْمِ - ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۘ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨].

◀ ٥ - أَمْ هُوَ قَوْلُهُ ﷺ:

«يَا عَمَّارُ إذا رأَيْتَ عَلِيّاً سلكَ وَادِياً وسَلَكَ النَّاس وَادياً آخَرَ غَيْرَهُ فاسْلُكْ مَعَ عَلِي وَدَعِ النَّاسَ فَإِنَّهُ لَنْ يَدلَّكَ عَلَى رَدَى وَلَنْ يُخْرِجْكَ مِنْ هُدَى»(١).

نَعَمْ. . الآنَ يَقولُ الكَاتِبُ الأَفَّاكُ إِنَّنا نَسْلكُ طَريقَ عَلِيٍّ، واكْتَشَفَ العَبْقَريُّ أنَّ طَريقَ عَلِيٍّ هُوَ الشُّورَى!

تُرَى: لِماذَا اخْتَلَفَتِ الأُمَّةُ إِذَنْ؟

وَلِماذَا حَدَثَتِ الفِتْنَةُ؟

الظَّاهِرُ أَنَّهُم لَمْ يَعْمَلوا بالشُّورَى بالطَرِيقَةِ الصَّحيحَةِ!!

وَلكنَّ عَلِيَّ بنَ أَبي طَالِبٍ جَاءَ رَابعَ القَومِ فَلِمَاذَا لَمْ يُعِدْهُم إلى المَبْدَأِ الصَّحيحِ للشُّورى؟

وَلِماذَا بَقِيَتِ الأُمَّةُ مُنْقَسِمَةً والفِتْنَةُ قائِمَةً إذا كَانَ عَلِيٌّ مِنْ دُعَاةِ الشُّورَى؟

أَلا تَرَى أخي القارئُ كَيفَ يُعَرِّي هَذا الغَبيُّ نَفْسَهُ بلا حَيَاءٍ!

---

(١) أَخرَجَهُ الديلمي عن أَبي أَيوب وعمّار/ الكنز/ ج ٦/ ١٥٦.

والمُصِيبَةُ أنَّ قِسْماً مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ يُردِّدونَ هَذا القَولَ المُخْزي وَمَا يَدْرون أنَّ هَذا مَعْنَاهُ أنَّ الله لَمْ يَهْدِ بِمُحَمَّدٍ أَحَداً!

فَيكفرونَ مِنْ هَذِهِ الجُهَةِ حَتْماً لأنَّ القَائِلَ بالوَصيَّةِ أَمْرُهُ مُخْتَلِفٌ، فَهْوَ يَقولُ إنَّهَا لَمْ تُنَفَّذْ. فَهْوَ يُلقِي باللَّومِ عَلَى الخَلْقِ، بَيْنَمَا القَائِلُ بالشُّورَى يُكَفِّرُ كُلَّ الخَلْقِ مِنْ جِهَةٍ لأَنَّهُمْ عَمِلوا بِهَا في الواقِعِ وَمَعَ ذَلِكَ اخْتَلَفوا. والنَّاتِجُ أَنَّهُ يُلقِي باللَّومِ عَلَى الله مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى!!

أَدْعوكُم يا أَهْلَ السُّنَّةِ جَمِيعاً للتَّأمُلِ في هَذا الالتِبَاسِ والتَّفَكُّرِ في الأَمْرِ. فإنَّ الأَمْرَ خَطيرٌ!

إنَّهُ خَطيرٌ عَلَيْكُم جِدّاً!

يَا قَومُ: هَذا كُفْرٌ باللهِ بَوَاحٌ..

فَأَنَا شَخْصِيّاً لا يَهُمُّني قط مَنْ هُوَ الوَصيُّ أكانَ اسمُهُ عَلِيّاً أو زَيْداً أو الحَارِثَ!.

فَلو أَنَّكُم تَقُولُونَ إنَّ أبا بَكْرٍ وَصِيُّ النَبِيِّ ووَلِيُّ عَهْدِهِ بِأَمْرِ السَّمَاءِ وبنصِّ القُرْآن ولَوْ زُوراً وكَذِباً فإنِّي أَرَاه أَبْرَأُ لَكُمْ وقَدْ تَجِدونَ النَّجاة يَوْمَ القِيامَةِ، لأنَّ الأَسْمَاءَ لَيْسَتْ مُهِمَّةً.

إنَّ المُهِمَّ هُوَ الفِكْرَةُ!

يَا قَوْمُ: إنَّ الفِكْرَةَ الَّتي تَذْكرونَهَا هِيَ ذَاتُهَا جَوهَرُ الكُفْرِ. فالكُفْرُ لا مَعْنَى لَهُ غَيْرَ هَذا!

يَا قَوْمُ: لَيْسَ الكُفْرُ أنْ تَقولوا لا وجودَ للهِ، أو أنَّ مَعَهُ شَريكٌ بِأَلْسِنَتِكُم ولا التوحيدَ أنْ تقولوا بألسِنَتِكُم: لا إلَهَ إلاَّ الله!

اعْتَبِروا بِفِعْلِ إبليسَ فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ أنَّ مَعَ الله إلَهاً آخَرَ ولا شَكَّ في وجودِهِ قط، بَلْ خَاطَبَهُ مُقِرّاً بِأَنَّهُ رَبُّهُ وَمَعَ ذَلِكَ فقَدْ كَفَرَ، وَمَا كَفَرَ إلاَّ لأنَّهُ جَعَلَ رَأْيَهُ مُقَابِلَ رَأْيِ الله وحُكْمَهُ بالضِدِّ مِنْ حُكْمِ اللهِ!... فَقَالَ الله تعَالَى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

يَا قَوْمُ: لَيسَ كُلُّ فَرْدٍ في طَائِفَةِ الشِّيْعَةِ مُؤْمِنٌ ولا كُلُّ فَرْدٍ في غَيْرِهِم كَافِرٌ، إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ - فَبِهَذَا المِقياسِ يَكْفُرُ قَوْمٌ يَقُولُونَ بالولايَةِ بِأَلْسِنَتِهِمْ ويُؤْمِنُ قَوْمٌ يُنْكِرونَهَا بِأَلْسِنَتِهِمْ.

يَا قَوْمُ: إِنِّي والله لَكُمْ لَمِنَ النَّاصِحينَ فانظُروا لأَنْفُسِكُم قَبْلَ أن يأتيَ الله بِأَمْرِهِ أو يأتيَ عَذَابٌ مِنْ عِنْدِهِ فَتُصبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُم نادمين.

يَا قَوْمُ: لَنْ تقْدِروا عَلَى عِبَادَةِ الله مِثْلَ عِبَادَةِ إبليسَ عَبَدَهُ ستينَ ألف سنَةٍ سَاجِداً ومِثْلهَا رَاكِعَاً ثُمَّ ذَهَبَتْ كُلُّهَا هُبَاءً لأَنَّهُ جَعَلَ حُكْمَهُ مُقَابِلَ حُكْمِ اللهِ!

يَا قَوْمُ: لا تَحْكُموا عَلَى الأَشياءِ مِنْ خِلالِ النَّاسِ وأقْوالِ النَّاسِ ولا تَحْكُموا قَبْلَ حُكْمِ الله، بَلْ ابْحَثوا عَنْ حُكْمِ الله، وَلَن تَجِدوهُ قط حَتَّى تُطَهِّروا أَنْفُسَكُم مِنَ الكِبْرِ وتَخْضَعُوا للهِ، فإِنَّ عِبادَةَ الله هِيَ الخُضُوعُ والإِنَابَةُ لِحُكْمِهِ.

يَا قَوْمُ: افْهَمُوا مَا هُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقيمُ الَّذي تَدْعونَ قَائلينَ: إهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيم كي لا تكونُ صلاتُكم عَلَيْكُم وَبَالاً.. فقَدْ قَالَ صَاحِبُ الرِّسَالَةِ ﷺ:

«الصِّرَاطُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَادٌّ أَحَدُّ مِنَ السَّيفِ وَدَقِيقٌ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ».

وَمعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الإيمانَ دَقِيقٌ وحَادٌّ لا تَثْبتُ عَلَيْهِ إلاَّ أقْدَامٌ راسِخَةٌ لا تُزَلْزِلُهَا الفِتَنُ ولا يُحَرِّكُهَا قَولُ الزُّورِ!

يَا قَوْمُ: لقَدْ نَظَرْتُ في كِتَابِ «الكَاتِبِ» وغَيْرِهِ مِنْ قَبْلُ فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ إلاَّ مَا يُؤَكِّدُ اعتِقَادي فِيكُم وفي غَيْرِكُم.

يَا قَوْمُ: إنَّ الَّذينَ يَنْتَمونَ إلى نَبِيٍّ أو رَسولٍ بِحُكْمِهِم الخاصّ لا بِحُكْم الله فِيهِ هُمْ كالَّذينَ كَفَروا سَواءً بسواءٍ.. وإن الَّذينَ يُحِبُّون رَجُلاً لأَنَّهُمْ يُريدونَ ذَلِكَ ولا يُحِبُّونَهُ لأَنَّ الله أَمَرَ بِحُبِّهِ هُمْ كالَّذينَ يَبْغَضونَهُ سواءً بسواءٍ!

يَا قَوْمُ: هَلْ تَفْهَمونَ هَذا الكَلامَ؟ إِنَّهُ مُوَجَّهٌ للجميعِ لا لِمَذْهَبٍ مُعَيَّنٍ ولا لِفِئَةٍ مُحَدَّدَةٍ! وإذا فَهِمْتُم هَذِهِ العباراتِ فقَدْ فَهِمْتُم الدِّينَ كُلَّهُ مَرَّةً واحِدَةً!

يَا قَوْمُ: إنَّ المرْءَ إذا قَالَ: أَحْبَبْتُ مُحَمَّداً لأنَّهُ دَلَّني عَلَى الله فقَدْ كَفَرَ!

وإنَّ المرْءَ إذا قَالَ: أَحْبَبْتُ عَلِيّاً لأنَّهُ دَلَّني عَلَى الله أو مُحَمَّدٍ فقَدْ كَفَرَ!

يَا قَوْمُ: إنَّ الله هُوَ الَّذي يَدلُّ عَلَى الخَيْرِ والشَّرِّ وَهُوَ الَّذي يَأْمُرُ ويَنْهَى..

يَا قَوْمُ: مَنْ سَبَقَ الله بِحُكْمٍ فقَدْ كَفَرَ، ومَنْ عَقَّبَ عَلَى حُكْمِهِ بِحُكْمٍ فقَدْ كَفَرَ، ومَنِ ادَّعَى أَنَّهُ عَرَفَ الله بِرَجُلٍ فقَدْ كَفَرَ!

يَا قَوْمُ: إنَّ الدِّينَ الآنَ مِثْلُ الإناءِ المُنْكَفئِ عَلَى وَجْهِهِ يَرَاهُ النَّاسُ بالمَقلوبِ، ويَحْكُمونَ عَلَى الأشياءِ بِهِ بالمَقلوبِ فَيَكْفُرونَ مَرَّتين ويَزْدادونَ كُفْراً ولا يَعْلَمون!، وبَعْضُهُم يُريدُ الدِّفاعَ عَنِ الدِّينِ فَيَزْدَادُ بُعْداً عَنْهُ، وبَعْضُهُم يُدافِعُ عَنِ التوحيدِ فَيَغْرقُ في الشِّرْكِ.. فانْتَبِهوا قَبْلَ فَوَاتِ الأَوَانِ!

يَا قَوْمُ: إنَّ عِنْدكُم تَقْسيماً لِلْخَلْقِ إلى فِئاتٍ ومَذاهِبَ ومَشَارِبَ بالعشَراتِ.. وَهُوَ تَقْسيمٌ غَريبٌ عَنْ تَقْسيمِ اللهِ!، فَلَيْسَ عِنْدَ الله سِوَى مَذْهَبَيْنِ!: مَذْهَبُ أَصْحَابِ الجَنَّةِ، ومَذْهَبُ أَصْحَابِ النَّارِ **«فَرِيْقٌ في الجَنَّةِ وَفَرِيْقٌ في النَّارِ»**، وَلَيْسَ عِنْده سِوَى فَرِيقَيْنِ فابْحَثوا عَنِ الفَرْقِ بَيْنَ هَذينِ الفَريقينِ مِنْ غَيْرِ أَسْمَاءٍ أُخْرَى، وتَحَرَّروا مِنَ المَذاهِبِ والأَسْمَاءِ الَّتي سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُم وآباءُكُم والتي مَا أَنْزَلَ الله بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ!

يَا قَوْمُ: «اعرِفُوا الحَقَّ تَعرِفوا أَهْلَهُ».. وَهَذا هُوَ قَولُ عَلِيٍّ عليه السلام لأَنَّهُ ذَاقَ الأَمَرَّينِ مِنْ عِبَادَةِ الرِّجَالِ، وَمَا قَالَ: اعْرِفوني تَعْرِفُوا الحَقَّ، بَلْ قَالَ: اعرِفوا الحَقَّ مُجَرَّداً مِنَ الأسْمَاءِ فَسوفَ تَعرِفونَ أَهْلَهُ!

يَا قَوْمُ: إنَّ هَذا الكاتِبَ لا يَخْتَلِفُ بشيءٍ عَنْ كُلِّ الَّذينَ كَفَروا مِنْ قَبْلُ، وعَنْ كُلِّ الَّذينَ أَشْرَكوا. فَهُوَ يُريدُ أَنْ يَعْرِفَ الحَقَّ مِنْ أَلْسِنَةِ الرِّجَالِ..! واعْلَموا أَنَّ أَكْثَرَ الخَلْقِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلا تُغرَّنَّكُم الأَسماءُ!

يَا قَوْمُ: إنَّ القلوبَ السَّليمَةَ لا عِلاقَةَ لَهَا بِكَثْرَةِ المَعْلومَاتِ!، وإنَّ العِلْمَ عِلْمَانِ، وإنَّ القُلوبَ صِنْفانِ، وإنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ العِلْمِ عِنْدَ الله مِنْ أَهْلِ المَكْرِ ورؤوسِ الضَّلالَةِ.. وإنَّ العِلْمَ الحَقَّ عِنْدَ قوم لا تَعْرِفونَهُم لأنَّهُمْ **«في الأرْضِ مَجْهولونَ وفي السَّماءِ مَعْروفونَ»** كَمَا قَالَ الإمَامُ عَلِيٌّ عليه السلام.

يَا قَوْمُ مَا لَكُمْ عِنْدكُم كِتَابُ الله ولا تَتَدَبَّرونَهُ؟. أَلَمْ يُخْبِرْكُم نَبِيُّكُم الَّذي تَدَّعُونَ الإيمَانَ بِهِ: **«أنَّ فِيهِ خَبَرَ مَا قَبْلَكُم ونَبأ مَا بَعْدكُم وحُكْمَ مَا بَيْنَكُم»**؟ فَمَاذَا تُريدونَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ؟

يَا قَوْمُ: إذا حَقَّ عَلَيْكُم القَولُ فَلا عُذْرَ لَكُمْ بَعْدَ هَذا البَيَانِ! لأنَّهُ تَعالَى قَالَ:

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

فَلا عُذْرَ لَكُمْ بَعْد القُرْآنِ.. لأنَّهُ تَفْصيلُ كُلِّ شيءٍ وهُدًى ورَحْمَةً لِقَومٍ يُؤمنونَ.. يُؤمنونَ بِهِ ولا يَحْكُمونَ قَبْلَهُ فَيُقَدِّسونَ رِجَالاً ويَبْغَضون رِجَالا!

يَا قَوْمُ: أَنْتُم الآنَ عَبيدُ رِجَالٍ لا عِبَادَ اللهِ.. فاعْبُدوا الله واحْذَروهُ فَتَنْكَشِفُ لَكُمْ حَقيقَةُ كُلِّ الرِّجَال!

يَا قَوْمُ: دِفاعُكُم عَنِ الرِّجَالِ بِحُجَّةِ الدِّينِ أكذوبةٌ! فَأَنْتُم عَبيدٌ لَهُم شَعرْتُم أَمْ لَمْ تَشْعروا وَلَنْ يُغْنُوا لَكُمْ عَنِ الله شَيْئاً.

يَا قَوْمُ: أمّا أَنَا فَمَا أُدَافِعُ عَنْ عَلِيٍّ! ومَعَاذَ الله أنْ آمرَكُم بِمَا أُخَالِفُكُم فِيهِ أو أَفْعَلَ مَا أَنْهَاكُم عَنْهُ! ولكِنِّي بَعْدَ أنْ صَدَّقْتُ بمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم لِتَصديقِ الله تَعالَى لَهُ في القُرْآن وبَعْدَ إنْ عَلِمْتُ أنَّ هَذا هُوَ كَلامُ الله لا شَكَّ ولا رَيبَ فِيهِ، فَقَدْ آمَنْتُ بِكُلِّ مَا يَأتي بِهِ الله ورَسولُهُ، وَوَجَدْتُ نَفْسي إنْ أَنَا حَكَمْتُ عَلَى شيءٍ أو أَمْرٍ مِنْ تلقاءِ نَفْسي كَفَرْتُ. وقَدْ عَلِمْتُ أنَّ حُكْمَ الله في خَلْقِهِ واحِدٌ وأنَّ سُنَّتَهُ لا تَتَغَيَّرُ ولا تَتَبَدَّلُ ولا تَتَحَوَّلُ، وأنَّ حُجَّتَهُ قائِمَةٌ دَوْماً لا انْقِطَاعَ لَهَا!.

لقَدْ عَرَفْتُ حُجَّةَ الله مِنْ غَيْرِ اسم ولا يَهُمّني مَا يَكونُ اسمُهُ ولكِنّي وَجَدْتُ اسمُهُ: عَلِيَّ بنَ أبي طَالِبٍ، وَلَمْ أَجْدْ إسماً آخَرَ يُزَاحِمُهُ لِيكونَ حُجَّةَ الله عَلى خَلْقِهِ!

قَدْ يَخْتَلِفُ إيماني بِهِ عَنْ إيمَانِ كَثيرٍ مِنْ طَوائِفِ وأَفْرَادِ الشِّيْعَةِ، وَلكنَّ ذَلِكَ لا يَهمُّني في شَيءٍ.. إنَّ مَا يَهمُّني هُوَ إنْقَاذُ نَفْسِي أوَّلاً والنُّصْحُ لِغَيري بِمَا أَوْجَبَهُ الله مِنْ نَصيحَةِ المُؤْمِنِ للخَلْقِ.

وَلِذَلِكَ فكلُّ شيءٍ عِنْدي يُعْرَضُ عَلَى كِتَابِ الله وَعَلَى إيمَاني بِأَنَّهُ واحِدٌ لا شَريكَ لَهُ وأنْ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ولا سَابِقَ عَلَى حُكْمِهِ! وَهَذا هُوَ الشَّرْطُ. فَمَا وَجَدْتُ يَا قَوْمُ أَحَداً مِنْ هَذِهِ المِلَّةِ مُوَحِّداً لِلَّهِ بِهَذا الشَّرْطِ مِنْ بَعْدِ رَسولِ الله سِوَى هَؤُلاءِ الأَئِمَّةِ الإثني عَشَر!

وإنَّ فَهْمَ كلامِهم عَلَى ضَوءِ كَلام الله وإفهامَكُم بِهِ هُوَ مُشْكِلَتُكُم لا مُشْكِلَتي! لأَنَّكُم الآنَ بَعيدونَ عَنْ كَلامِ الله وتُخَالِفونَ الفِكْرَةَ الَّتي تَقُولُ: إنَّ عَلَيْكُم أنْ لا تَسْبِقوا الله بِحُكمٍ ولا تُعَقِّبوا عَلَى حُكْمِهِ بِحُكْمٍ آخر!

فَأَنْتُم لا تَعْرِفونَ هَذا وَلَمْ تَتَعَرَّفوا عَلَيْهِ بَعْدُ فَكَيفَ آتي إليكُم؟

لا بُدَّ أنْ تأتوا أنْتُم أوَّلاً إلى كِتَابِ الله وتَتَحَرَّروا مِنْ كُلِّ حُكْمٍ سَابِقٍ.. لا بُدَّ أنْ تَأتوا طاهرينَ نظيفينَ إلى كتَابِ الله وتَطْلبوا التَّعَرُّفَ مِنْ خِلالِهِ عَلَى حُكْمِهِ في كُلِّ أمْرٍ!

سَتَقولونَ: وكَيفَ نَعْرِفُ حُكْمَهُ في كُلِّ أمْرٍ مَا لَمْ نَقْرَأْ تفاسيرَ السَّلَفِ وآراءَ الرِّجَالِ وأقْوالَ النحويين؟!

هَا قَدْ عدتُم إذَنْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُم!

فَمِنْ هَؤُلاءِ نَشَأَ الاخْتِلافُ وعَمَّ الخِلافُ، ومِنْ هَؤُلاءِ فَهِمْتُم أنَّ كتَابَ الله لا يُغْنِي عَنِ الاخْتِلافِ!

إِذَنْ فَأَنتُمْ لَمْ تُؤْمِنوا بَعْدُ!

لأنَّهُ لا خِلافَ في الآياتِ الَّتي تُحَذِّرُكُم مِنَ الاختِلافِ ولا خِلافَ في الآياتِ الَّتي تُؤَكِّدُ أَنَّهُ تَعالَى قَدْ أَنْزَلَهُ لإزالَةِ الاختِلافِ!

أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ: أَنَّكُم لَمْ تَتَحرَّروا مِنْ عِبادَةِ الرِّجَالِ؟ أَمْ تَرونَ أَنَّ اللهَ كَذَّبَ «وحَاشَاهُ» عَلَيْكُم حِينَمَا قَالَ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [المجادلة: ٥].

أو حِينَمَا قَالَ:

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩].

ها هُوَ يَقولُ: إنَّهَا آياتٌ بَيِّناتٌ يُعْرَفُ بِهَا الحَقُّ مِنْ غَيْرِ رِجَالٍ ويُعْرَفُ بِهَا أَهْلُ الحَقِّ.

كَذَبَ الَّذينَ يَقُولُونَ: إنَّهَا آياتٌ غَيْرُ بَيِّناتٍ!

كَذَبَ الَّذينَ يَقُولُونَ: لا يَعْرِفُهَا إلاَّ أَهْلُ الاختِصَاصِ!

كَذَبَ الدَّجَّالونَ الَّذينَ يَقُولُونَ: إنَّ الاختِلافَ ناشئٌ عَنْ قصورِ اللُّغَةِ عَنْ إيصَالِ المُرَادِ!

كَذَبَ الَّذينَ يَقُولُونَ: هُنَا حَقيقةٌ وهُنَا مَجَازٌ!

كَذَبَ الَّذينَ يُفَسِّرونَ المُفْرَدَةَ بِمُفْرَدَةٍ واللَّفْظَ بِلَفْظٍ آخرَ!

كَذَبَ الَّذينَ يُقَدِّرونَ العِبَارَاتِ والألْفاظِ بِنِظَامٍ آخَرَ في العِبَارَةِ!

كَذَبَ الَّذينَ يَقُولُونَ: هُنَا مُفْرَدَةٌ زَائِدَةٌ وهُنَا حَرْفٌ مُزَيَّدٌ!

كَذَبَ الَّذينَ يُفَسِّرونَ الآياتِ بِوُجوهٍ مُتَنَاقِضَةٍ.

كَذَبَ كُلُّ قَائِلٍ لأيِّ فِكْرَةٍ فِيهَا حُكْمٌ عَقَائِديٌّ أو تاريخِيٌّ أو مُسْتَقْبَليٌّ أو شَرْعيٌّ أو فِقْهيٌّ أو بَلاغِيٌّ أو كَلاميٌّ أو فَلْسَفيٌّ لا يَدِلُّ عَلَيْهِ القُرْآنُ بوضوحٍ تامٍّ كوضوحِ المُعَادَلاتِ الرِّيَاضيَّةِ الَّتي لا تَقْبَلُ خَطأً مَا..

كَذَبوا عَلَى الله وكَفَروا وفَسَقُوا:

﴿... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

﴿... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

﴿... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

فَكَم الَّذينَ حَكَموا قَبْلَ حُكْمِ الله وحَكَمُوا بِغَيْرِ حُكْمِ الله وحَكَمُوا مُعَقِّبينَ عَلَى حُكْمِ الله في كُلِّ أمْرٍ؟!.

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٤-٨٥].

لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِ اللهِ:

﴿... وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١].

ولا سَبْقَ لِحُكْمِ اللهِ:

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤].

فَكَيفَ لي أنْ أُناقِشَ كَاتِبَاً لا يَدْري مَا التوحيدُ عَن كَلامِ قَوْمٍ اصْطَفَاهُم الله لِنَفْسِهِ لإظهَارِ كَلِمَةِ «لا إِلَهَ إلاّ الله»!

فَحَيْثُ يَسْألونَ جَعْفَرَ بنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقَ عليه السلام عَنِ الإمَامِ والإمَامَةِ وعَنِ المَهْديِّ المُنْتَظرِ فيقولُ مَرَّةً **«يَفْعَلُ الله مَا يَشَاءُ»**، ويَقولُ أُخرَى **«يَفْعَلُ الله مَا يُريدُ»**، ويَقولُ ثَالِثَةً **«إلاّ أنْ يَشَاءَ الله»**! يَرَى الكَاتِبُ الكَافِرُ أنَّ الإمَامَ لا يَدْري

مَنْ هُوَ الإمَامُ الَّذي يَليهِ! ويَخْرجُ بنَتيجَةٍ مَفَادُهَا أنَّ الإمَامَةَ قَضيَّةٌ كَلاميَّةٌ وغَيْرُ مُسْتَقِرَّةٍ في الأشْخَاصِ! ولا مُحَدَّدَةٍ في الأسْمَاءِ!

كَيفَ لي أنْ أُجيبَ عَلَيْهِ وأَنَا شَخْصياً مَا آمَنْتُ بَعْدَ أربعينَ سَنَةً مِنَ البَحْثِ في كِتَابِ اللهِ. . مَا آمَنْتُ بِأنَّهُ إمامُ حقٍّ إلاَّ لأقوالِهِ هَذِهِ؟!. إذْ لَو قَالَ: هُوَ فُلانٌ ولا يمكنُ أنْ يَكُونَ غَيْرَهُ لَكَانَ بِهَذا القولِ قَدْ كَفَرَ حَسْبَ مَا فهِمْتُهُ عَنِ التوحيدِ! وحَسْبَ مَا عَرَفْتُهُ مِنْ كُفْرِ مَنْ سَبَقَ الله بِحُكْمٍ أو عَقَّبَ على حُكْمِهِ وإنْ عَلِمَ إجْمَالاً باستمْرَارِ حُكْمِ الله كَمَا فَعَلَ الآخَرونَ.

لكِنْ مِنْ أَيْنَ لَهُ أنْ يَحْكُمَ قاطِعَاً بِهَذا الاستمرارِ؟. فاللهُ هُوَ كُلَّ يَوْمٍ في شأنٍ فإذا شَاءَ أنْ يُلغي العَالَمَ كُلَّهُ فَعلَ، وقَدْ أبْقَى هَذا الاحتِمَالَ مَفتوحَاً في آياتِ القُرْآنِ!

نَعَمْ. . إذا أتاهُ عليه السلام المَوْتُ أوصَى بأَمْرِ الله وحَدَّدَ الاسْمَ.

نَعَمْ. إنَّ هَؤُلاءِ الأئمَّةَ لَهُم بِحَقٍّ أَهْلُ لا إله إلاَّ الله!

فقَدْ لاقُوا مِنْ المَصَائِبِ ومِنْ عَنَتِ النَّاس ومِنْ جَهْلِهِم الكَثيرَ، وحافَظوا عَلَى كَلِمَةِ «لا إلَهَ إلاَّ الله» بِكُلِّ مَا تَنْطوي عَلَيْهِ مِنْ أبْعَادٍ في كِتَابِ اللهِ. فَكَثُرَ الشكُّ فيهم، وَلَكِنَّهُم أَرَادوا إِزَالَةَ الشَّكِّ في الله، وَمَا أشْرَكوا باللهِ طَرْفَةَ عَينٍ ولا نَطَقُوا بِمُفْرَدَةٍ واحِدَةٍ فِيْهَا شيءٌ مِنَ الشِّرْكِ، بَيْنَمَا أَسْئِلَةُ الشِّرْكِ والشَّكِّ تَنْصَبُّ عَلَيْهِم ليلاً ونَهَاراً مِنَ الأَتْبَاعِ والأَعْدَاءِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ.

وَصَدقوا حَيْثُ قَالوا:

«لا تَعْرِفونَ فَضْلَنَا حَتَّى يُرِيكُمُ الله ذَلِكَ يَوْمَ يَجْمَعُ الله الخَلْقَ للحِسَابِ وتَنْكَشِفُ السَّرَائِرُ».

وَهَلْ تَخْتَلِفُ اعتِرَاضَاتُ الكَاتِبِ هَذا عَن غَيْرِهِ بشيءٍ؟

إِنَّهُ يُريدُ أئِمَّةً يمْسِكُهُم ويَفْحَصُهُم عَلَى مَزاجِهِ وَعَلَى ضَوءِ أحْكَامِهِ هُوَ ولا شَأْنَ لَهُ بالقُرْآنِ ولا التَّوحِيد ولا الشِّرْكِ ولا الكُفْرِ ولا الإيمَانِ ولا الحَقِّ ولا البَاطِلِ!.

ويَنْسَى هَذا الأَبْلَهُ الجاهِلُ أنَّ هَؤُلاءِ أَئِمَّة هُدًى!

إنَّهُم مِثَالٌ للخَلْقِ لِيفْهَموا التَّوحِيدَ الخَالِصَ غَيْرَ المَشوبِ بِشَائِبَةٍ.. فإذا شَاءَ الخَلْقُ أنْ يَتَّبِعوهُم اهْتَدوا، وإذا شَاؤوا أنْ يُخَالفوهُم ضَلُّوا!

أمّا هُمْ فَلا يُفَكِّرونَ مِثْلَ «الكاَتِبِ» بِتَحْريكِ رتلِ الدروعِ والمُشَاةِ والاستيلاءِ عَلَى قَصْرِ الإمَارَةِ!

ولا يَجْرَؤونَ عَلَى الحُكْمِ بِغَيْرِ مَا أنْزَلَ اللهُ، ولا يَسْبِقونَهُ بالقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُون.. إنَّهُ اصْطَفاهُم لِهَذِهِ الغَايَةِ فَلا يَحيدونُ عَنْهَا أَبَداً ولا يَقُولُونَ غَيْرَ الحَقِّ!.

نَعَمْ.. عِنْدَهُم قَائِمَةٌ باثني عَشَرَ إمَامَاً بأسْمَائِهِم!

وَمَعَ ذَلِكَ فَلا يَقُولُونَ هُوَ فلانٌ حَتَّى يحضرَ أحَدهُم الموت!

لأنَّهُمْ لا يَسْبِقونَ الله بالقَوْلِ.

أمّا عَلِيٌّ بنُ أَبي طَالِبٍ فَلَمْ يَسْألوهُ مَنْ هُوَ الإمَامُ مِنْ بَعْدِكَ حَتَّى يَقولَ لَهُم هُوَ الحَسَنُ!

بَلْ سألوهُ: هَلْ تَسْتَخْلِف الحَسَنَ ونُبَايِعُهُ؟

أَوَ لا يَدْرونَ أنَّ واجِبَهُم الشَّرعيَّ أنْ يستخْلِفوا الحَسَنَ عليه السلام؟

فَافْهَمُوا السُّؤال والجَوابَ جيِّداً قَبْلَ الحُكْمِ!

فالأُمَّةُ كُلُّهَا تَعْلَمُ أنَّ الحَسَنَ إمَامٌ مَنْصوبٌ مِنَ الله بِنِصِّ الرَّسُولِ في أَحَاديث حَفَظوهَا مُستفيضَةٍ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى التَّشكيكِ بِهَا حَتَّى أَصْحَابُ الشُّورَى!

فَكَيفَ يَسْأَلُ شِيعَةُ عَلِيٍّ هَذا السُّؤالَ؟

وكَيفَ يُجيبُ بَدلاً عَنْهُم؟

وَهَلْ يَحِلُّ هُوَ مَحَلَّهُم في الاختيارِ؟

فَلِمَاذَا إِذَنْ بُعِثَتِ الرُّسُلِ وأُنزِلَتِ الكُتُبُ؟

أَوَ لَيْسَ بَعْثُ الرُّسُلِ هُوَ لتَحديدِ مُرَادِ اللهِ؟

والمُرَادُ الآنَ واضِحٌ والسُّؤالُ عَنْهُ إِنَّمَا هُوَ: هَلْ نُنَفِّذُ مُرَادَ الله أَمْ لا نُنَفِّذَهُ؟.

مَعْلومٌ أنَّ هَذا هُوَ سُؤَالُ قَوْمٍ حَمْقَى!

وَمَا دَامَ الأَمْرُ يَتَعلَّقُ بِوَلَدِهَ فإنْ قَالَ: «نَعَمْ»، قالوا: «يُرِيدُهَا لابْنِهِ»!، وإنْ قَالَ: «لا» كَفَرَ!

فَمَاذَا يَقولُ؟

فَلَو جَاءَكَ شَخْصٌ وَقَالَ سائلاً: «أَنَا أُصَلِّي رِيَاءَ فَهَلْ تَرَى أنْ أُصَلِّيَ عَلَى مَا أَمَرَ الله لِتَكونَ صَلاتي بإخلاصٍ؟. فَقُلْ لي بِرَبِّكَ: مَاذَا تجيبه؟. فالرِّيَاءُ والإِخْلاصُ هِيَ مِنْ شؤونِهِ الخَاصَّةِ جِدّاً ولا يسأل المرء عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ!.

أَتريدونَ أنْ تَغْلبوا عَلِيَّ بن أَبي طَالِبٍ في الجوابِ وتُخَطِّئونَ قَولَهُ وتَعْتَبِرونَهُ مُتَنَاقِضاً؟!

الوَيلُ لَكُمْ مِنَ اللهِ!!

فإِنَّكُم لَمْ تَتَدَبَّروا كِتَابَ الله وكَفَرْتُم بِهِ ونَبَذْتُمُوهُ وراءكم ظهرياً.

فَهَلْ يُعْقَلُ أَنَّكُم تَتَدَبَّرونَ كَلامَ رسولِهِ ووليِّهِ؟

وَهَلْ يُعْقَلُ أَنَّكُم تَفْهَمونَ الثِّقْلَ الأَصْغَرِ قَبْلَ فَهْمِ مَا انْطَوَى عَلَيْهِ الثِّقْلُ الأَكْبَرُ؟

تَبّاً لَكُمْ ولِحَمَاقَاتِكُم!

أَفَتَدْرونَ لِماذَا يَضْحَكُ أَهْلُ الجَنَّةِ؟!

إنَّهُم يَضحكونَ مِنْ تَناقضاتِكُم فَيُذْهِبُ الله عَنْهُم الحُزْنَ ويَكْشِفُ لَهُم عَنْ فِعالِكُم فَيَتَنَدَّرونَ بِهَا دهوراً طويلَةً، ويُعَادُ عَلَيْهِم تاريخُكُم الأَسْوَدُ فَيَضْحَكونَ مِنْ عقولِكُم، حَيْثُ سَيَنْكَشِفُ لَهُم أَنَّ انْحِرافَكُم هُوَ لانْحِرَافِ قُلوبِكُم، والعَذَابُ الَّذي تُعَذَّبونَ فِيهِ هُوَ باسْتِحقاقٍ. فَلَهُم فيكُم ثَلاثُ لَذَّاتٍ غَيْرُ لَذَّات الجَنَّة لأَنَّكُم مِنَ المُطَفِّفينَ:

﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين: ٣٤-٣٦].

تَتَغَيَّرُ طَبيعَتُهُم في الجَنَّةِ، فَلَنْ يَحْزَنوا عَلَيْكُم كَمَا هُوَ حَالُهُم الآنَ في الدُّنْيَا حَيْثُ يَتَأَلَّمونَ لِضَلالِكُم، لأَنَّ القُلوبَ غَيْرُ مَكْشوفَةٍ فَيَحْسبونَ أَنَّكُم مَساكينُ مُضلَّلونَ، ويَجْتَهِدونَ في إِفْهَامِكُم كَمَا نَفْعَلُ الآنَ!

تَتَغَيَّرُ طبيعَةُ المؤمنينَ في الجَنَّة ويَعْلَمونَ عِلْماً آخَرَ يَرونَ مِنْ خِلالِهِ حَقيقَتَكُم. وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُم يَلْتذُّونَ بِمُشَاهَدَتِكُم وَأَنْتُم تَتَعذَّبون.

قَالَ لَهُم عليٌّ عليه السلام . . قَالَ للحَمْقَى السائِلينَ:

«لا آمرُكُم ولا أَنْهاكُم أَنْتُم بِشُؤونِكُم أو «بِأُمورِكُم» أَبْصَرُ».

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة: ١٤-١٥].

فَلا أَبْصَرَ مِنَ الإنسانِ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ إلاَّ اللهَ!

ولا يَحُولُ بَيْنَ المرْءَ وقَلْبِهِ إلاَّ اللهُ!

فَمَا لَكُمْ لا تَفْهَمونَ؟

فَإِنَّهُم مَا سَأَلوهُ عَنِ الحُجَّةِ الإمَامِ مِنْ بَعْدِهِ حَتَّى يَقولُ لَهُم هُوَ فلانٌ ويُعْلِمهُم مِنْ هُوَ بَعْدَ إنْكَارٍ!

بَلْ هُمْ عَلَى عِلْمٍ تَامٍّ بالإمَامِ الحَقِّ مِنْ كَلامِ الله ورَسولِه، وَبِمَا فَعَلَهُ عَلِيٌّ طولَ فَتْرَةِ خِلافتِهِ، وَبِمَا أَشْهَدَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةَ عَلَى وُجوبِ إمَامتِهِ وإمَامَةِ الحَسَنِ والحُسَينِ مِنْ بَعْدِهِ وتِسْعَةٍ في صُلْبِ الحُسَينِ!

إنَّمَا يَسْألونَ: «هَلْ نُطيعُ هَذا الإمَامَ أَمْ نَعْصيهِ؟»!

سبُحْانَ اللهِ!!

أَوَ لا تَفْهَمونَ أَنَّهُ يُعيدُ الاختِيَارَ لَهُم!!

لأنَّ الطَّاعَةَ والمَعْصِيَةَ لا وَكيْلَ عَلَيْهَا، وَلَيْسَ فِيْهَا أَمْرٌ أو نَهْيٌ بَعْدَ أَمْرِ الله ونَهْيِهِ!

اللهُ وحْدُهُ هُوَ الَّذي يَحولُ بَيْنَ المرْءِ وقَلْبِهِ. . وَلَن يَحولَ بَيْنَ المرْءِ وقَلْبِهِ أيُّ مَخْلوقٍ أو كَائِنٍ سِوَاه!

لأنَّ هَذا هُوَ أَمْرُهُم وعَلَيْهِم الآنَ أنْ يَتَشَاوَروا فِيهِ ويَسْألوا إنْ كَانَ يمكِنُهُم النَّصْرُ أم لا؟

ولا يَسْألوا إنْ كَانَ يَتَوَجَّبُ عَلَيْهِم النَّصْرُ أم لا.

وفي هَذا وَحْده نَزَلَ النصُّ القُرْآنيُّ:

﴿... وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

فَلَيْسَ مِنْ أَمْرِهِم اخْتِيَارُ الإمامِ، لأنَّ هَذا أَصْلاً هُوَ أَمْرُ اللهِ. وَهْوَ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ كَسَائِرِ الأَحْكَامِ لا اجتِهَادَ فِيهِ، بَلْ هُوَ خَاضِعٌ للنَّصِ، وَإِنَّمَا يَتَشَاوَرونَ في كَيفيَةِ تَنْفيذِهِ، وفي أَحْسَنِ السُّبُلِ لتحقيقِهِ!

الآنَ قَلَبْتُمْ المُعَادلَةَ فَجعَلْتُم التَّشريعَ مِنْ شؤونِكُم وَعَلَى الله التَّنفيذُ. وَهْوَ المَلومُ لوقوعِ الفِتَنِ وعَدَمِ وفائِهِ بِوَعْدِهِ!

فَمَنْ مِنَ الخَلْقِ أَكْفَرُ مِنْكُم ومَنْ مِنْهُم أَظْلَمُ مِنْكُم؟

لا تَحسبوا أنَّ المُنْكرينَ لوجودِ الله والمُنظِّرينَ لعَقَائِدَ مَادِيَّةٍ أَظْلَمُ وأَكْفَرُ مِنْكُم!

بَلْ أَنْتُم واللهِ الأَظْلَمُ والأَكْفَرُ!!

وَهَذا لَيْسَ قَولي، بَلْ هُوَ قَوْلُ اللهِ. لأنَّ ذاكَ يُنَظِّرُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِهِ ويَعْتَرِفُ أَنَّهُ لا يَعْمَلُ بِشَرْعِ اللهِ!

أَمَّا أَنْتُم فَتُكذِّبونَ عَلَى الله لأَنَّكُم تَتَعامَلون مَعَ شَرْعِهِ وتَجْعَلونَ مَا يَخصُّهُ مِنْ جُمْلَةِ صَلاحِيَاتِكُم فَتُكَذِّبونَ عَلَى الله عَلاوَةً عَلَى كِذْبِكُم عَلَى الخَلْقِ.

وإني لأَعْلَمُ أَنَّكُم ظَلَمَةٌ إلى أَبْعَدِ حَدٍّ وَأَنَّكُم سَتَسْرِقونَ كُلَّ فِكْرَةٍ لِلْحَقِّ وتُلْبِسونَ بِهَا الباطِلَ. وَلكنْ مَنْ شَاءَ الله أَنْ يَهديهِ هَدَاهُ بكَلامي هَذا أو بِغَيْرِهِ ومَنْ شَاءَ أَنْ يزيدَهُ إثْماً زَادَهُ إثْماً بِهِ أو بِغَيْرِهِ.

إنَّ الَّذينَ يُدْخِلونَ آراءَهم في الشَّرْعِ هُمُ الأَظْلَمُ، لأَنَّهُمْ افْتَروا عَلَى الله كَذِباً. قَالَ تَعالَى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنعام: ٢١].

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٧].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢].

وَهَا أَنَذَا ذَكَّرْتُكُم بِهَذا فإنْ أعْرَضْتُم فَلا أَظْلَمَ مِنْكُم:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

ذَكَّرْتُكُم يَا قَوْمُ إنَّ الإسْلامَ هُوَ الإسلامُ.. فَأَسْلِموا للهِ تَدْخلوا الإسْلامَ.

وإنْ حَكَمْتُم عَلَى شَيءٍ مِنْ قِبَلِ أنْفُسِكُم مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ في حُكْمِ الله وزَعَمْتُم أَنَّكُم مِنْ أَهْلِ الإسْلامِ فَأَنتُم أَظْلَمُ الخَلْقِ:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الصف: ٧].

فَمَنْ حَكَمَ عَلَى شَيءٍ أو في شَيءٍ بِغَيْرِ حُكْمِ الله أو سَبَقَهُ في الحُكْم فقَدْ خَرَجَ مِنَ الإسْلامِ سَواء أكَانَ مِنْ طَائِفَةٍ تُدْعَى الشِّيْعَةُ أو طَائِفَةٍ تُدْعَى السُّنَّةُ أو طَائِفَةٍ تُدْعَى النَّصَارى أو طَائِفَةٍ تُدْعَى اليَهودُ أو أَيَّةِ طَائِفَةٍ ارْتَبَطَتْ بِرسولٍ وكِتَابٍ مُنَزَّلٍ.

◀ ٦ - أَمْ هُوَ قَولُهُ ﷺ:

«مَنْ أَحَبَّ أنْ يَحْيَا حَيَاتي ويَموتَ مَيْتَتِي ويَدْخُلَ الجَنَّةَ الَّتي وَعَدَني رَبِّي وَهْيَ جَنَّةُ الخُلْدِ فَلْيَتَوَلَّ عَلِيّاً مِنْ بَعْدِي وذُرِّيَّتَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَإنَّهُم لَنْ يُخْرِجوكُم مِنْ بَابِ هُدًى وَلَنْ يُدْخِلوكُم بَابَ ضَلالَةٍ»[1].

---

(١) كنز العمال ج ٦/ ١٥٥/ ج٨/ ٢٥٧ - الإصابة/ ت زياد بن مطرف/ القسم الأوّل.

وفِيهِ وفي هَذا المَضمونِ ذَاتِهِ نصوصٌ أُخْرَى[1].

أَقُولُ: بِهَذا قَامَتْ حُجَّةُ الله عَلَى الخَلْقِ!

وإنْكَارُ هَذا هُوَ إنْكَارٌ لحُجَّةِ الله عَلَى الخَلْقِ. إنَّ مَفْهُومَ حُجَّةِ الله عَلَى الخَلْقِ هُوَ لُبُّ التَّوحِيدِ كَيمَا يُنْسَبُ الاختلافُ وكلُّ شَرٍّ نَاتِجٍ إلى الخَلْقِ مِنْ حَيْثُ إنَّهُم عصَوا الأَوَامِرَ الإلهيَّةِ.

وَحِينَمَا لا يَكونُ هُنَاكَ شَخْصٌ يَحْمِلُ مُهِمَّةَ قِيَادَةِ العَالَمِ فَلا حُجَّةَ للهِ عَلَى الخَلْقِ، بَلْ سَتَكونُ الحُجَّةُ للخَلْقِ عَلَى اللهِ.

إنَّ إنْكَارَ الوَصِيَّةِ لَهُوَ أَشَدُّ كُفْراً مِنْ إنْكَارِ النبوَّةِ، وَهُوَ كالفَرقِ بَيْنَ مَنْ يُكَذِّبُ بالدّينِ كُلِّهِ وبَيْنَ الَّذي يَدْخلُ إلى الدِّينِ ويُكَذِّبُ عَلَى اللهِ. فالأخيرُ أَكْثرُ جُرْأَةً. وَلِذَلِكَ كَانَ النِّفَاقُ أَشَدَّ مِنَ الكُفْرِ المُعْلَنِ وأَكْثَر عقوبَةً.

وفي القُرْآنِ الكريم تَحْذيرٌ شَديدٌ مِنَ النِّفَاقِ!، بَيْنَمَا هُنَاكَ استِهَانَةٌ واضِحَةٌ بِقُوَّةِ الشِّرْكِ الظَّاهِرِ المُعْلَنِ. قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

وَلِذَلِكَ فالنِّفاقُ يُعْرَفُ مِنْ خِلالِ عَلِيِّ بنِ أَبي طَالِبٍ فَقَط! وبِهِ وحْده يُكْشَفُ النِّفَاقُ، فَلا يَكْشِفُهُ سِوَاهُ كَمَا في الحَديثِ الآتِي.

◀ ٧ - أَمْ هُوَ قَولُهُ ﷺ:

«عَلِيٌّ بَابُ عِلْمِي ومُبَيِّنٌ مِنْ بَعْدِي لأُمَّتِي مَا أُرْسِلْتُ بِهِ، حُبُّهُ إيمَانٌ وبُغْضُهُ نِفَاقٌ»[2].

---

(١) لاحظ المستدرك ١٢٨/ ج٣، الكنز/ح ٢٥٧٧ وح ٣٨١٩.

(٢) كنز العمال ج ٦/ ١٥٦.

أَقُولُ: إنَّ فَقَرَةَ: «أَنْتَ تُبيِّنُ لأُمَّتي مَا اخْتَلَفوا فِيهِ مِنْ بَعْدِي»[1] موجودَةٌ في أَحَاديث أُخْرَى مُسْتَقِلَّةٍ.

إنَّهَا عِبَارَةٌ تُمَثِّلُ مَرْكَزَ الثِّقْلِ في فِكْرَةِ التَّوحِيدِ!

تَأَمَّلْ فِيْهَا جيِّداً.. تَأَمَّلْ بِعُمْقٍ!

تَفَكَّرْ كَمَا أَمَرَكَ الله في السَّمَواتِ والأَرْضِ قَبْلَ هَذِهِ العِبَارَةِ!

ولتَسْأَلَ:

لِمَاذَا خَلَقَ الله العَالَمَ؟!

لِمَاذَا جعَلَ الكَونَ بِهَذِهِ السَّعَةِ؟!

مَاذَا يَفْعَلُ الله بِهَذِهِ الكَواكِبِ والمَجَرَّات؟!

«بَعْضُ «عُلَمَاءِ» المُسْلِمينَ» يَقُولُونَ: لا نَدْري!

فَلا أدراهم الله!!

ويَقولونَ: إنَّهَا سَتُطوَى طَيَّ السجلِّ للكُتُبِ يَوْمَ القِيَامَةِ!

إذَنْ.. فَهَذَا الكَونُ عَبَثٌ ولا مَعْنَى لِوجودِهِ!

إذَنْ.. فَهَذَا هُوَ عَيْنُهُ ظَنُّ الَّذينَ كَفَروا:

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

لَقَدْ قَالَ تَعَالَى:

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

---

(١) المستدرك ج٣/ ١٢٢ والكنز ج٦/ ١٥٦.

إن الغَايَة هِيَ أنْ تكُونَ هَذِهِ المساحاتُ هِيَ الجَنَّةُ الموعودَة، لأنَّهُ لَمْ يَقُلْ «عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّماءِ والأَرْضِ» فَقَط عَلَى التشبيهِ، بَلْ قَالَ أَيْضاً:

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

«وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ»، فالسَّمواتُ والأَرْضِ هِيَ عَرْضُ الجَنَّةِ. العَرْضُ «بالفَتْحِ» وَلَيْسَ العُرْضُ «بالضَّمِ» حَتَّى يكونَ للجَّاهِلِ أنْ يَسْأَلَ: فَكَمْ طولُها إِذَنْ؟.

فالعَرضُ هُوَ العَرْضُ، فَهْيَ مَعْروضَةٌ للتأهيلِ مِنْ قِبَلِ الأتقياءِ بالتَّسخيرِ مُنْذُ زَمَنٍ سَحيقٍ جِدّاً!

فَإِنَّهُ تَعالَى قَدْ سَخَّرَهَا لَنا. قَالَ تَعالَى:

﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].

إِنَّهَا مِسَاحَاتٌ مُؤَهَّلَةٌ للاستِعْمَالِ ومُسَخَّرَةٌ لِتَكونَ جَنَّةً، وَلكِنَّهَا غَيْرُ مُسْتَغَلَّةٍ للآنِ!

والكُرَةُ الأرضيَّةُ بالنِسْبَةِ لَهَا مِثْلُ هَبَاءَةٍ بالنِسْبَةِ للصَّحْراءِ.

إنَّ مِفْتَاحَ السيطَرَةِ عَلَيْهَا هُوَ القُرْآنُ!

وطَرِيقُ الوصولِ إلى هَذا المِفْتَاحِ هُوَ التَّسْلِيمُ لأوَامِرِ الله!

وطَرِيقُ التَّسْلِيمِ هُوَ إِزَالَةُ الكِبْرِ والغرورِ وتَطْهيرِ النَّفْسِ مِنَ الظُّلْمِ!

وطَرِيقُ هَذا هُوَ الإِقْرَارُ بِفَضْلِ الفَاضِلِ وحُسْنِ الحَسَنِ وقُبْحِ القَبيحِ وبِحُكْمِ الله لا بِحُكْمِ نَفْسِكَ وعَقْلِكَ عَلَى انْفِرَادٍ!.

بِحُكْمِ الله تَعْلَمُ الفَاضِلَ وبِحُكْمِ الله تَعْلَمُ القَبِيحَ وبِحُكْمِ الله تَعْمَلُ وبِهِ تَتْلو القُرْآنَ كِتَابَ الله الَّذي هُوَ ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]!

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا المَلِيءُ بالأَدْرَانِ حَتَّى يَفْتَحَ الله لَكَ مَعْرِفَةَ كُلِّ شَيءٍ!

إِنَّهُ ﴿فِي كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة: ٧٨-٧٩] مَفَاتيحُهُ عِنْدَ أَهْلِهِ.

فإذا شِئْتَ أَنْ تَكُونَ مِنْ أَهْلِهِ فَعَلَيْكَ أَوَّلاً بالاقتِدَاءِ بالمَلائِكَةِ!

وتَرْكِ الاقتِدَاءِ بإبليسَ الَّذي كَانَ مَعَ المَلائكَةِ!

الاختبارُ هُنَاكَ جَرَى!

وسَقَطَ إبليسُ في الاخْتِبَارِ!

وَأَنْتَ لَسْتَ بأَفْضَلَ مِنَ المَلائكَةِ حَتَّى تُعْفَى مِنْ هَذا الاخْتِبَارِ!

أَنْتَ تُخْتَبَر كُلَّ يَوْمٍ وكُلَّ لَحْظَةٍ بِنَفسِ الاخْتِبَارِ يَا مُغَفَّلُ!.

ثُمَّ: أَلَمْ تَسْأَلْ كَيفَ تَسْجُدُ المَلائِكَةُ لآدم؟ وَلِماذَا لا يُجْرَى عَلَيْكَ اخْتِبارٌ كَهَذَا؟!

بَلَى... لقَدْ جَرَى!

ويَجْرِي في كُلِّ لَحظَةٍ وَلَكِنَّكَ تَتَغافَلُ وتَصُمُّ أُذُنَيكَ وتَسْتَغْشي ثِيَابَكَ كي لا تَرَى المَسْجودَ لَهُ!

يَا لِحُمْقِكَ وغُرورِكَ وحُمْقِ أَسْلافِكَ الَّذينَ دَاخُوا: كَيفَ يُخَرِّجونَ السُّجودَ لآدَمَ مِنْ قِبَلِ المَلائِكَةِ؟، وَمَا عَلِموا أَنَّ مُجَرَّدَ التفكيرِ بالتَّخريجِ هُوَ اقْتِدَاءٌ بِفِعْلِ إبليسَ ومُخَالَفَةٌ لِفِعْلِ المَلائِكَةِ!

مَا يَدْرونَ أَنَّهُم كَفَروا لِمُجَرَّدِ التَّفكيرِ بالتَّخريجِ!

ذَلِكَ لأنَّ عُذْرَ إبليسَ بِقَوْلِهِ: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] لَمْ يُقْبَلْ مِنَ اللهِ. وَهُمْ الآنَ يَبْحثونَ عَن مَعْنًى آخَرَ للسُّجودِ!.

فَكَأنَّهُم يَقولُونَ: إذا عَرَفْنَا العِلَّةَ نُطيعُ!

وإذَنْ فإذا لَمْ يَعْرِفوهَا عَصَوْا!

لقَدْ أَصْبَحَ أَمْرُ الله عِنْدَهُم أَقَلَّ شَأْنَاً مِنْ أَوَامِرِ المُلوكِ الَّذينَ يَخْضَعونَ لَهُم مُرْغَمينَ ولا يَسْأَلونَهُم عَنِ العِلَّةِ ولا عَنِ المَعْنَى!!

أَصْبَحَ الله عِنْدهُمْ مُجَرَّدَ «صَديقٍ» مُزْعِجٍ وبَعْضُ أَوَامِرِهِ لا تُفْهَمُ، وَلَيْسَ إلهاً يَجِبُ أنْ يُطَاعَ دَوْماً سَواءٌ فُهِمَتْ أَوَامِرُهُ أَمْ لَمْ تُفْهَمْ!!

أَيُّهَا النَّاس:

إنَّ الدِّينَ الَّذي تَفْهَمونَ والصَّلاةَ الَّتي تُقيمونَ والعِبَاداتِ الَّتي تُؤدّونَ لا شَأْنَ لَهَا ولا عِلاقَةَ لَهَا بالدّينِ الَّذي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الله ﷺ مَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ تَحْقِيقٌ للكَلِمَةِ الَّتي جَاءَ بِهَا!

الكَلِمَةُ الَّتي جَاءَ بِهَا هِيَ «التَّسْلِيمُ»!

التَّسْلِيمُ بِأنْ لا مُشَرِّعَ مَعَ اللهِ.

والتَّسليمُ يَقودُ إلى فَهْمِ الكِتَابِ وظُهورِ حَقَائِقِ القُرْآنِ!

إنَّهُ يَقودُ إلى الاعتِرَافِ والإقْرَار بوجودِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ دَوْماً وأَكْثَرُ مِنْكَ طَاعَةً للهِ فَتَتَسَابَقُ مَعَهُ في الطَّاعَةِ ولا تَحْسدُهُ، بَلْ تأْخُذُ مِنْهُ لتَتَرَقّى وتَرْتَفِعُ!

السَّمَواتُ والأَرْضُ مَعْروضَةٌ لِلْخَلْقِ مُنْذُ زَمَنٍ سَحِيقٍ! وقَدْ تَأَخَّروا في تَأهيلِهَا لأنَّهُمْ رَفَضوا الإذْعَانَ للهِ واعْتَمَدوا عَلَى أنْفُسِهِم. فالطَّبيعَةُ تَنْتَقِمُ مِنْهُم لأنَّها مُصَمَّمَةٌ أَصْلاً بِخِلافِ هَذا التَّصميمِ، إنَّهَا مُصَمَّمَةٌ لِتُواجِهَ الَّذينَ يُحَارِبونَ اللهَ!. وَمَا مَعَاجِزُ الأنبياءِ إلاَّ إشارَةٌ لقُدْرَةِ المُطيعينَ للهِ عَلَى تَسْخيرِ الكائناتِ والسَّيطرَةِ عَلَى الموجوداتِ!

لقَدْ تَأخَّروا كَثيراً وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى:

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وَقَالَ تَعَالَى:

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

إنَّهُ كِتَابٌ إلهيٌّ تُقْطَعُ بِهِ الأَرْضُ وتُنْقَلُ بِهِ الجِّبَالُ ويُحْيَى بِهِ المَوتى..

فَمَنْ يَكْشِفُ عَنْ أبْعَادِهِ ومَنْ الَّذي يَعْمَلُ بِهِ؟

إنَّهُ الإمَامُ الَّذي يَعْلَمُ تأويلَهُ بَعْدَ النَبيِّ ﷺ.

أمَّا هَذا «الكاتِبُ» فَإنَّهُ يَزْعُمُ أنَّ المُتَكَلِّمينَ هُمُ الَّذينَ ابْتَدعوا هَذِهِ الفِكْرَةَ لإثْبَاتِ وجودِ الإمَامِ، أي فِكْرَةِ مَعْرِفَةِ الكِتَابِ!

فأَخْرِجْ لَنَا أَيُّهَا المُنَافِقُ عِلْمَكَ أَنْتَ بالكِتَابِ حَتَّى تُزيلَ بِهِ اخْتِلافَ الأُمَّةِ، وتُظْهِرَ بِهِ الرَّحْمَةَ!

فَإنَّهُ تعالى قَالَ عَنْهُ إنَّهُ هُدَى ورَحْمَةٌ للعَالَمينَ. والآنَ فإنَّ العَالَمينَ لا تَعيشُ رَحْمَةَ الكِتَابِ، بَلْ تَعيشُ في الظُّلْمِ والاضْطِهَادِ!

إنَّ إيمانَنَا بالإمَامِ يُفَسِّر لَنَا ذَلِكَ كُلَّهُ. ونَبْقَى مُؤمنينَ بالكِتَابِ لأنَّنا نُؤْمِنُ بِأنَّ اللهَ أَمَرَ باتِّبَاعِ قَوْمٍ اصْطَفَاهُم لِحَمْلِ الكِتَابِ فَعَصَاهُمُ النَّاسُ وبَدَّلوا وحَرَّفوا وكَذَّبوا عَلَيْهِم وقَتَلوهُم.

فالشَّرُّ قَدْ جَاءَ مِنْ قِبَلِ النَّاسِ ورَبُّنا بَرِيءٌ مِنْهُ، بَلْ هُوَ تَعَالَى قَائِمٌ بالقِسْطِ ونَشْهَدُ لَهُ بِذَلِكَ كَمَا أَمَرَ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

وَقَالَ تَعَالَى:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وَأَنْتَ بالتَأكيدِ لَسْتَ مِنَ المَلائِكَةِ ولا مِنْ أُولي العِلْمِ! لأَنَّك تَعْتَبِرُ الاخْتِلافَ وعَدَمَ إمْكانيةِ التأويلِ صِفَةً في النصِّ لا بِسَبَبِ انْحِرَافِ الخَلْقِ وسوءِ نَواياهُم، ولا تَشْهَدُ لِلَّهِ بالقِسْطِ مُطْلَقاً، بَلْ كُلُّ أقْوالِكَ هِيَ اتِّهامٌ لِلَّهِ. فَأَنْتَ قَدَرِيٌّ مَرْجِئِيٌّ حَروريٌّ مُنَافِقٌ كَافِرٌ!

فانْظُرْ أخي القارئ:

إنَّ عِبارَةَ النَبيِّ ﷺ **«عَلِيٌّ يُبَيِّنُ لأُمَّتي مَا اخْتَلَفوا فِيهِ بَعْدِي»** هِيَ عِبارَةٌ تُعادِلُ الشَّهادتينِ معاً!

إِذْ لَولاهَا فَلا مَعْنَى للدِّينِ، ولا مَعْنَى للتبليغِ، ولا مَعْنَى للرِّسَالَةِ! لأَنَّ الاخْتِلافَ إذا كَانَ وَاقِعاً عَمَليّاً ولا يَمْكُنُ أنْ يَزولَ نَظَرِيّاً قط فإنَّ إرْسَالَ الرُّسُلِ هُوَ عَبَثٌ في عَبَثٍ.

فَوجودُ مِنْ يُبَيِّنُ الاخْتِلافَ هُوَ حُجَّةٌ لِلَّهِ عَلَى الخَلْقِ. فَبِهِ وحْده يُدْخِلُهُم النَّارَ وَبِهِ يُدْخِلُهُم الجَنَّةَ!

المَسْأَلَةُ إِذَنْ لا تَرْتَبِطُ بعليِّ بنِ أَبي طَالِبٍ كاسمٍ لشَخْصٍ مُعيَّنٍ!، بَلْ إِنَّهَا تَرْتَبِطُ بأَمْرٍ إلهيٍّ مَنْ شَكَّ بِهِ فقَدْ كَفَرَ كَائِناً مَنْ كَانَ إِسْمُ الإمَامِ الَّذي يَعْلَمُ تأويلَهُ ويُقَاتِلُ عَلَى تأويلِهِ!

نَحْنُ نَعْبُدُ الله ونُطيعُ الله في عَلِيِّ بنِ أَبي طَالِبٍ وَأَنْتُم تُطيعونَ أشْخَاصاً آخرين في اللهِ!

فالفَرقُ بَيْنَنَا إِذَنْ هُوَ عَينُ الفَرْقِ بَيْنَ المَلائِكَةِ وإبليسَ!

نَحْنُ نَتَّبِعُ الأَمْرَ الإِلهيَّ في عَلِيٍّ، وَأَنْتُم تَتَّبِعونَ الأشخَاصَ وتَعْبدونَهُم للتَّوَصُّلِ إلى الأَمْرِ الإِلهيِّ.

أَنْتُم تُطيعونَ أشْخَاصاً لَمْ يَأمُرِ الله بِطَاعَتِهِم! بَلْ أَمَرَ بالكُفْرِ بِهِم لأَنَّهُمْ الطَّاغوتُ الَّذي يُريدُ الاستِحْوَاذَ عَلَى الأَمْرِ مِنْ دونِ بَيَانٍ شَرْعِيٍّ واضِحٍ!

فإنْ كُنْتُم صَادِقِينَ فَأْتُونَا بِحَديثٍ واحِدٍ عَنْ صَاحِبِ الرِّسَالةِ أو آيَةٍ واحِدَةٍ مِنَ القُرْآنِ أَجْمَعَ أَهْلُ الإِسْلامِ أَنَّها تَأْمُرُ بِطَاعَتِهِم!

◀ ٨ - أَمْ هُوَ قَولُهُ ﷺ:

«مَنْ أَطَاعَني فقَدْ أَطَاعَ الله ومَنْ عَصَاني فقَدْ عَصَى الله ومَنْ أَطاعَ عَلياً فقَدْ أَطاعَني ومَنْ عَصَى عَلِيّاً فقَدْ عَصَاني»[1].

الحَاكِمُ في المُستدرَكِ يَقولُ: هَذا الحَديثُ صحيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيخينِ وَلَمْ يُخرِجَاه!

فَهْوَ لا يَقولُ عَلَى شرْطِ القُرْآنِ كَمَا أَمَرَ رَسولُ الله حَيْثُ قَالَ:

«مَا جَاءَكُم عَنِّي فاعْرِضوهُ عَلَى كِتَابِ الله فَمَا وَافَقَهُ فقَدْ قُلْتُهُ وَمَا لَمْ يُوافِقْهُ فاضْرِبوا بِهِ عُرْضَ الحَائِطِ».

تُرَى: لَو ظَهَرَ الشَّيخانِ كَافِرينِ في يَوْمِ القِيَامَةِ فَمَنْ يُنْقِذُ هَذِهِ الأُمَّة مِنْ الضَّلالِ؟!

شَيْخَانِ يَأْتِيَانِ في الزَّمانِ بَعْدَ النَبيِّ بثلاثَةِ قرونٍ يَحكمَانِ في النصِّ الرِّسَاليِّ ويَضطَرُّ الحَاكِمُ لتَمْريرِ النصوصِ الَّتي لَمْ يُخرِجَاهَا إلى تَطْبيقِ شروطِهِمَا عَلَيْهَا والإذنِ لَهَا بالمُرورِ إلى الأُمَّةِ المَرْحومَةِ!

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٣/ ١٢١. وَقَالَ: صحيح عَلَى شرط الشيخين! كَذَلِكَ صرح الذهبي في التلخيص.

لَو لَمْ تَفْعَلوا إلاَّ هَذا فَأَنتُم كُفَّارُ لأَنَّكُم تَرَكْتُم القُرْآنَ ورَاءَكُم ونَبَذْتُموُه واشْتَريتُم بِهِ ثَمَناً قَليلاً فلَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالمين.

ثُمَّ أَقْرَرْتُم بشروطِكُم صِحَّةَ هَذا الحَديثِ الَّذي يَجْعَلُ طَاعَةَ عَلِيٍّ هِيَ طَاعَةَ الرَّسُولِ وَطَاعَةَ الرَّسُولِ طَاعَةَ الله وعِصيانَهُ عِصْياناً لَهُمَا، وَمَعَ ذَلِكَ تُشْرِكونَ مَعَ عَلِيٍّ أَصْنَامَكُم في أَمْرِ الدِّينِ وقِيَادَةِ الأُمَّةِ!.

فَأْتُوا بِحَديثٍ آخَرَ يَجْعَلُ طَاعَةَ الأَصْنَامِ الَّتي تَعْبدونَ كَطَاعَةِ رَسولِ الله حَتَّى تُبرِّروا شِرْكَكُم.

فَمَا لَكُمْ لا هَدَاكُمُ الله اجْتَمَعَتْ فيكُمُ الصِّفَتَانِ: العِصْيانُ والغَبَاءُ!

ثُمَّ يَأْتِي هَذا الكَاتِبُ «بَعْدَمَا رَأوا الآيَاتِ» فَيَزْعَمُ أنَّ علياً مُرشَّحُ خِلافَةٍ!!

بَلْ أَنْتَ المُرَشّحُ إلى جَهَنَّمَ مَا لَمْ تَتَدَارَكْ نَفْسَكَ بالتَّوبَةِ قَبْلَ فَوَاتِ الأَوَانِ.

◀ ٩ - أَمْ هُوَ قوله ﷺ:

«مَنْ أَحَبَّ عَلِيّاً فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيّاً فَقَدْ أَبْغَضَنِي»[١].

أَقُولُ: الكَثيرونَ لَمْ يُدْرِكوا مَرَامي هَذا النصِّ!، فإنَّ الحُبَّ أَصْلاً لِلَّهِ ولِرَسولِهِ وكُلُّ مَنْ هُوَ غَيْرُهُمَا عِرْضَةٌ للخَطَأ والمَعْصِيَةِ، فَيَكونُ البغضُ مُبرَّراً مَهْمَا كَانَتْ مَنَازِلُهُم. لَكِنَّ حُبَّ المؤمنينَ عَلَى الإجْمَالِ وَعَلَى الجَمْعِ واجِبٌ مَعْلومٌ. لَكِنَّ حُبَّ الأَفْرَادِ فَرْداً فَرْداً لا يَأْمرُ بِهِ الشَّارِعُ لأَنَّهُ فَوقَ طَاقَةِ الإِنْسَانِ إلاَّ أنْ يَكُونَ المَأْمورُ لا مُبَرِّرَ لَهُ مُطْلَقَاً للبُغْضِ كَمَا في حَالَةِ رَسولِ الله ﷺ.

فالرَّسولُ ﷺ لا يَمْكِنُ للمرْءِ أنْ يَبْغضَهُ حَتَّى لَو كَانَ عَلَى غَيْرِ دينِهِ، وبِهِ احتَجَّ الله عَلَى الخَلْقِ أجْمَعين، إِذْ يَسْتَحيلُ صُدورُ شَيءٍ مِنْهُ يُؤَدّي إلى البُغْضِ.

---

(١) صحيح مسلم ج١/ كتاب الإيمان ٤٦. وأخرجه الحاكم أَيْضاً قَالَ: وَهوَ صحيح عَلَى شرط الشيخين!!

وَمَا ذَكَرُوهُ عَنْ صدورٍ لِمِثْلِ هَذِهِ الأشياءِ كالأخطاءِ والِنْسَيانِ فَهْيَ مِنْ وَضْعِ قَوْمٍ أَعْدَاءٍ مُبْغِضينَ.

والناتِجُ أنَّ الَّذي يَبْغُضُ النَبِيَّ هُوَ شَخْصٌ مُنْحَرِفٌ أَخْلاقِياً وسُلوكيّاً. فالقَضِيَّةُ هُنَا لا علاقَةَ لَهَا بالعَقَائِدِ والأفْكَارِ، وَإنَّمَا هِيَ مَشَاعِرُ الحُبِّ والكُرْهِ.

فإنَّ الله تَعَالَى جَعَلَ نَفْسَ النَبِيّ وروحَهُ وبَدَنَهُ مِمَّا يكونُ مَحْبوباً جِدَّاً كالرَّائِحَةِ الزكيَّةِ لا يَبْغضُهَا أَحَدٌ، لأنَّ المَعْدومَ الإحساسِ لَهَا لا يُحِبُّها وَلكِنَّهُ أَيْضاً لا يَبْغُضُها لأنَّهُ لا يَشمُّ الرَّائحَةَ. فالمَجنونُ والمَريضُ في بَدَنِهِ وعَقْلِهِ لا يَبْغُضُ النَبِيَّ وإنْ كَانَ لا يُحِبُّهُ، لأنَّهُ لَيْسَتْ لَدَيْهِ مَشَاعِرُ الحُبِّ والبُغْضِ عَلَى هَذا الفَرْضِ.

أمّا الَّذي يَبْغُضُ النَبِيَّ ﷺ فَهْوَ شَخْصٌ عُدوانيٌّ مَريضُ النَّفْسِ وجَبَّارٌ مُسْتَكْبِرٌ. وَهْوَ لَيْسَ عَدُوّاً للنبيِّ وحده، بَلْ هُوَ عَدُوٌّ لَدودٌ لِكُلِّ النَّاسِ بِمَا في ذَلِكَ أَعْوانُهُ وأَصْدقاؤُه ومَنْ أَحْسَنَ إليهِ.

ألا تَرى الجَبَابِرَةَ يَغْدرونَ بإخوانِهِم وآبَاءِهِم وعَشيرَتِهِم ويَجْعَلُ الله الظَّالمين بَعْضَهُم فَوق بَعْضٍ يَأكُلُ بَعْضُهُم بَعْضاً؟ أَفَلا تُبْصِرون؟

وَمَا كَانَ ﷺ لِيُقْرِنَ حُبَّ عَلِيٍّ بِحُبِّهِ وبُغْضَهُ بِبُغْضِهِ لَولا أنَّ صفَاتِ عَلِيٍّ هِيَ نَفْسُ صِفَاتِ النَبِيِّ. وَلِذَلِكَ قَالَ لَهُ: **«أَخْصِمُكَ بالنبوَّةِ فَلا نبوَّةَ بَعْدي»**.

يَتَفَوَّقُ عَلَيْهِ إِذَنْ بِرُتْبَةِ النبوَّةِ فَلا نبوَّةَ بَعْدَهُ. أمَّا غَيْرُهَا فَقَدْ قَرَنَهُ فِيْهَا بِنَفْسِهِ في كُلِّ شَيءٍ حَتَّى جَعَلَهُ القُرْآنُ مِنْهُ كَنَفْسِهِ في آيَةِ المُبَاهَلَةِ الشَّهيرَةِ والتي تَهَرَّبَ الكَاتِبُ المُنَافِقُ الحَروريُّ القَدَريُّ مِنْهَا وَلَمْ يَذْكُرْهَا لا هِيَ ولا كُلّ الآياتِ النازِلَةِ في عَلِيٍّ والبَالِغَةِ خَمسمائَةِ آيَة!.

فَكَمْ سَتُكَذِّبُ مِنْهَا أَيُّها الأَفَّاكُ؟

كَذِّبْ إنْ شِئْتَ بأربعمائةِ وتسعةٍ وتسعين آيَةً. . فَمَاذَا تَفْعَلُ لآيَةِ الولايَةِ؟

أَمْ سَتَقولُ إنَّ أبا بَكْرٍ أَيْضاً نَزَعَ خاتِمَهُ وأَعْطاهُ حَالَ الركوعِ؟

وَمَاذَا تَفْعَلُ لآيَةِ الفاسِقِ؟

وَمَاذَا تَفْعَلُ لآيَةِ: ويُطْعمونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ. . ؟

وَمَاذَا تَفْعَلُ لآيَةِ: الَّذينَ يُنْفِقونَ أمْوالَهُم؟

وَمَاذَا تَفْعَلُ لآيَةِ المُجَاهدينَ؟

وَمَاذَا تَفْعَلُ لآيَةِ الَّذينَ أُوتوا العِلْمَ؟

مَاذَا تَفْعَلُ لِعَشْرِ آياتٍ فَقَط أَقَرَّ أَصْحَابُ الشُّورَى أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ!

لأنَّهُ إذا بَقِيَتْ آيَةٌ واحِدَةٌ فَهِيَ حُجَّةٌ عَلَيْكَ وَعَلَى كُلِّ الخَلْقِ!.

يا هَذا: إنَّ غَايَةَ الدِّينِ لَيْسَتْ أنْ يَكُونَ فلانٌ حَاكِمَاً وعِلاَّنٌ مَحْكوماً!

إنّ غَايَةَ الدِّينِ هِيَ أنْ يَتَمَيَّزَ فريقان: فَريقٌ في الجَنَّةِ، وفَريقٌ في النَّارِ لأنَّ «الآخِرَةَ هِيَ دارُ الحَيوان» لا الدُّنْيا!

وبعليٍّ وَحْده يَحْدِثُ التَّميزُ فَنروحُ بإِذْنِ اللهِ إلى الجَنَّةِ وتَذْهَبُ أَنْتَ وأَصْحَابُكَ إنْ شَاءَ اللهُ إلى جَهَنَّمَ.

◄ ١٠ - أَمْ هُوَ قوله ﷺ:

«الأئمَّة مِنْ بَعْدِي إثنا عَشَرَ أَوَّلُهُم عَلِيٌّ وآخِرُهُم القَائِمُ المَهْديُّ الَّذي يَفْتَحُ اللهُ عزَّ وجَلَّ عَلَى يَديهِ مَشَارِقَ الأَرْضِ ومَغَارِبَهَا»(١).

أَقولُ: هُنَا يَظْهَرُ مَكْرُ المَاكرينَ. .

---

(١) إكمال الدِّين/ ١٤٩.

فَهَذَا النصُّ يَتَضَمَّنُ الإشارَةَ إلى قَضِيّتينِ مُترابطتَينِ:

الأولى: إنَّ الأئمَّةَ مِنْ بَعْدِهِ ﷺ إثنا عَشَرَ.

الثانيَةُ: إنَ أوّلَهم عَلِيٌّ وآخِرَهم المَهْدِيُّ.

فالحَديثُ بِهَذِهِ الصورَةِ يُلْغِي ويُبْطِلُ خِلافَةَ أيِّ مَخْلوقٍ عدا هَؤُلاءِ.

فَماذَا يفْعَلون؟

سَيَذْكرونَ هاتينِ القضيَّتينِ، وَلكنْ كُلُّ واحِدَةٍ عَلَى انْفِرَادٍ!!

وَهَكذا كَانَ!

فقَدْ أَخْرَجَ «أَهْلُ الشُّورَى» حَديثَ الأئمَّةِ الإثني عَشَرَ وَلكنْ مِنْ غَيْرِ إشارَةٍ إلى أنَّ أَوَّلَهُم عَلِيٌّ!

وَهَذا ضَروريٌّ إذْ بدونِهِ تَسْقُطُ شَرْعيَّةُ الثَلاثَةِ: أَبو بَكْرٍ وعُمَرُ وعُثْمَانُ وتَتْبَعُهُم أوثَانُ أُميَّةَ كُلُّهَا! بَلْ تَتْبَعُهُم كُلُّ أوثَانِ الأَرْضِ، لأنَّها لَمْ تُطَهَّرْ مِنْهُم بِسَبَبِ إبْعَادِ عَلِيٍّ عَن الأَمْرِ.

وأَخْرَجوا أَحَاديثَ المَهْدي!

أَخْرَجوهَا بالمِئَاتِ وَلكنْ بَعْدَ «فَلْتَرَةٍ» و «غَرْبَلَةٍ» لَهَا بحَيثُ لا تَتَصِلُ بعليٍّ إلاَّ مِنْ نَسَبٍ بَعيدٍ مِنْ حَيْثُ إنَّهُ «مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ»!

وَمَا دَرَى هَؤُلاءِ الحَمْقَى أنَّ الموضوعَ كُلَّهُ يَدورُ عَنِ الله وعَنْ الشِّعَارِ نَفْسِهِ «لا إلهَ إلاَّ اللهَ» لأنَّهُ إذا كَانَ المَهْدِيُّ يَلِدُ في آخِرِ الزَّمانِ فوجودُ الشِّرْكِ والكُفْرِ والظُّلْمِ وسَفْكِ الدِّمَاءِ مُؤَجَّلٌ بِأَمْرٍ إلهيٍّ!

وَهَذا مَا سَمِعْتُهُ بأُذُني - وإلاَّ صُمَّتَا - في دولةٍ أجنبيةٍ في مُنَاقَشَةٍ مَعَ «فيلسوفٍ ماركسيٍّ» حَيْثُ قَالَ:

«حَتَّى لَو اعْتَقَدْنا بوجودِ الله فَهْوَ إلهٌ ظَالِمٌ يَرَى الخَلْقَ يُعَذَّبونَ فَلا يَفْعَلُ شيئاً»!!

ولا يَمكِنُ الردُّ عَلَى هَذا الاعتراضِ إلاَّ بالشهادَةِ لِلَّهِ بالقِسْطِ مِنْ خِلالِ وجودِ الحُجَّةِ. وَمَا سَمَّاهُ أَهْلُ البَيْتِ بالحُجَّةِ إلاَّ للرَبْطِ مَعَ الأَصْلِ الدِّيني أي العَدْلِ.

فالزَّعْمُ بِأَنَّ أَهْلَ القبلَةِ - المُعْتزِلة والسُنَّةِ والشِّيعَةِ - يَجْمَعُهُم إسمٌ واحِدٌ هُوَ «العَدْلِيَّةُ» إنَّمَا هُوَ أكْذوبةٌ!.

ولا يُوجَد في الواقِعِ أَكْثَرُ ضَرَراً عَلَى مبادئِ أَهْلِ البَيْتِ عليهم السلام مِنْ كَلِمَاتِ وشُروحِ بَعْضِ «عُلَماءِ» طائِفَةِ الشِّيْعَةِ!

إِنَّهُم يَتَحَدَّثونَ كَمَا يَحْلو لَهُم ويُسَمُّون المُعْتَزِلَةَ عَدْلَيَّةَ!

عَنْ أيِّ عَدْلٍ تَتَحَدَّثونَ؟

إنَّ المُنْكِرَ للتَّسَلْسُلِ المُترابِطِ بَيْنَ الحُجَجِ مُنْكِرٌ للعَدْلِ الإلهيِّ!

وإلاَّ لِماذَا يُقَرِّرُ الله أنْ يَخْلُقَ كَائِنَاً إسْمُهُ المَهْدِيُّ بَعْدَ إنْ تَمْتَلِئَ الأَرْضُ ظُلْمَاً وَجَوْرَاً؟ أَلَيْسَ هَذا هُوَ قَوْلَ العَدْلِيَّةِ؟

أَصْبَحَ الله - وحَاشَاهُ - عِنْدكُم جَلاَّداً مِنْ جَلادي دَوَائِرِ الأَمْنِ!

فَبَعْدَ أنْ يَرَى الخَلْقَ مُعَذَّبينَ وقَدْ بَلَغُوا حَالَ اليَأْسِ وهُم يَتَوَسَّلونَ إليهِ في إنْقَاذِهِم يُنْقِذْهُم!

أَلَيْسَ هَذا هُوَ الكُفْرَ بِعَينِهِ ولَحْمِهِ ودَمِهِ؟!!

لا بُدَّ أنْ يَكونَ الحُجَّةُ مَوجوداً دَوْمَاً والخَلْقُ مُعْرِضونَ دَوْمَاً!

لا بُدَّ أنْ يَكونَ الله رَحِيمَاً دَوْمَاً والخَلْقُ هُمُ الظَّلَمَةُ!

لا بُدَّ أنْ تَكونَ حُجَّةُ الله قائِمَةً دَوْمَاً، وَهْوَ يَنْتَظِرُ رجوعَ الخَلْقِ إلى طَاعَةِ الله وَلَيْسَ الخَلْقُ هُمُ الَّذينَ يَنْتَظِرونَ مِنْهُ أنْ يُنْقِذَهُم!

وَحِينَمَا يَأْمُرُ الإمَامُ المَهْدِيُّ الخَلْقَ أنْ يَدْعو لَهُ بالفَرَجِ فَهْوَ يُعْلِمْهُم مِنْ خِلالِ الدُّعَاءِ أنَّ السَّبَبَ رَاجِعٌ إليهِم لأنَّ هَذا المَطْلَبَ يَتِمُّ دَوْمَاً بَعْد أنْ يَشْهَدَ العَبْدُ عَلَى نَفْسِهِ بالظُّلْمِ.

أَلِهَذَا خَتَمْتَ صَحَائِفَكَ السَّوداءَ بالتَّشكيكِ بِدُعَاءِ الافْتِتَاحِ؟

طَبْعَاً أيُّهَا المُنَافِق لا يُعْجِبُكَ دُعَاءُ الافْتِتَاحِ لأنَّك لا تُقِرُّ بوجودِ ذَنْبٍ لَكَ!!

وكَيفَ يُقِرُّ المُنَافِقُ بالذَّنْبِ والدُّعَاءُ مَلِيءٌ بِمِثْلِ هَذا الإقْرَارِ والتَّنْزيهِ للْخَالِقِ تَعَالَى؟

مَا دَرَى أشْيَاخُكَ حَيْثُ فَصَلوا النصَّ النبويَّ الشريفَ إلى نِصْفينِ أنَّهُم كَفَروا بِهَذا الفَصْلِ!

لأنَّ حُجَّةَ الله في النصِّ هِيَ في أَلْفَاظِ: «بَعْدِي - أوَّلُهُم - آخِرهُم»، والتَّسَلْسُلُ الزَّمَنيُّ هُوَ الَّذي يَجْعَلُ الخَلْقَ ظَالمينَ، والله بَرِيءٌ مِنْ ظُلْمِهِم.

وأيَّةُ مُعَادَلَةٍ أُخرَى أو تَغْييرٍ لِهَذا التَرْتيبِ يُفْضي إلى الشِّرْكِ ثُمَّ إلى الكُفْرِ.

فَهَلْ فَهْمُ هَذا مِنْ مُعْضَلاتِ المَسَائِلِ الفَلْسَفيَّةِ؟

لَقَدْ أكَّدَ أَهْلُ البيتِ عليهم السلام عَلَى مَوضوعِ الاحْتِجَاجِ الإلهيِّ عَلَى الخَلْقِ لأنَّهُ جَوْهَرُ الاعتِقَادِ بالعَدْلِ الإلهيِّ. فكلُّ هَذِهِ الفئاتُ المُدَّعِيَةُ للإيمَانِ بالعَدْلِ الإلهيِّ كَاذِبَةٌ والفِكْرَةُ الوَحيدَةُ الَّتي تُجَسِّدُ العَدْلَ الإلهيَّ هِيَ فِكْرَةُ دَوَامِ حُجَّةِ للهِ!

لَقَدْ دَعَوا عليهم السلام النَّاسَ إلى الإيمانِ بالفِكْرَةِ.. فإذا آمَنوا بِهَا وعَرَفوا الحَقَّ عَرَفوا مَنْ هُوَ الحُجَّةُ!

أمَّا رَفْضُ الفِكْرَةِ أَسَاسَاً فَلَيْسَ مِنْ بَعْدِهِ ضَرورَةٌ لأيِّ بُرْهَانٍ عَلَى إمَامَتِهِم.

وَهَلْ يُثْبِتُ العَاقِلُ الإمَامَةَ لِشَخْصٍ كَافِرٍ أَصْلاً باللهِ؟

هَذِهِ جُمْلَةٌ مِنْ أقْوالِهِم عليهم السلام في اسْتِمْرارِ وجودِ الحُجَّةِ:

الأوَّلُ: عَنْ كميلِ بنِ زيادٍ النَّخَعِي قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيّاً عليه السلام يقولُ في كَلامٍ طَويلٍ: «اللَّهُمَّ إنَّكَ لا تُخْلي الأَرْضَ مِنْ قَائِمٍ بِحجةٍ إمَّا ظَاهِرٌ أو خائِفٌ مَغْمورٌ لِئَلاَّ تَبْطُلَ حُجَجُكَ وبَيَانَاتُكَ».

قَالَ الصدُّوقُ: لِهَذا الحَديثِ طُرقٌ كثيرةٌ. وَذَكَرَ مِنْ نَحْوِ ثلاثَةِ نصوصٍ أُخرَى مِثْله./ عَن البِحَارِ ج٢٣/ ٤٤.

الثاني: عَنْ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام قَالَ لكُميلٍ وقَدْ خَرجَ بِهِ إلى ظَهْرِ الكوفَةِ: «يَا كُميلُ إنَّ هَذِهِ القُلوبَ أوعيةٌ فَخيْرُهَا أوْعَاهَا. إحْفِظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ: النَّاسُ ثَلاثَةٌ: عَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، ومُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبيلِ نَجاةٍ وهَمَجٌ رُعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَميلونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ لَمْ يَسْتَضيئوا بِنُوْرِ العِلْمِ فَيَهْتَدوا وَلَمْ يَلْجَؤوا إلى رُكْنٍ وَثِيقٍ فَيَنْجوا. يَا كمَيلُ العِلْمُ خَيْرٌ مِنَ المَالِ، العِلْمُ يَحْرِسُكَ وَأَنْتَ تَحرِسُ المَالَ..».

إلى أنْ يَقولَ:

كَذَلِكَ يَمُوتُ العِلْمُ بِموتِ حَامِليهِ، اللَّهُمَّ بَلَى لا تَخْلو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ للهِ بحُجَجِهِ إمَّا ظَاهراً مَشْهوراً أو خَائِفاً مَغموراً لِئَلاَّ تَبطلُ حُجَجُ الله وبيِّناتُهُ، وَكَمْ ذَا وأَيْنَ أُولَئِكَ؟ أُولئِكَ واللهِ الأقلّونَ عَدَداً والأعْظمون قَدراً»[1].

أَقُولُ: قَولُهُ عليه السلام: **«الأقلّونَ عَدداً»** مُرْتَبِطٌ بِقَوْلِهِ تَعالَى:

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

وَبِقَوْلِهِ تَعالَى:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: ١٠-١١].

---

(١) إكمال الدِّين.

إلى قوله:

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلۡآخِرِينَ ۝١٤﴾ [الواقعة: ١٣-١٤].

وَلَمَّا كَانَ قَدْ استَعْمَلَ الصِّيغَةَ الكُبرىَ «الأقلّون عَدَداً»، فالمَعْنِيُّ بِهِم هُنَا السَّابِقونَ.

فَقُلْ لِهَذا الكاَتِبِ الأَحْمَقِ: يَا هَذا إنَّ أَصْحَابَ الشُّورَى بِحدودِ المَلْيَارِ في كُلِّ عامٍ مُنْذُ رَحَلَ النَبِيُّ ﷺ.. أَفَتَحْسَبُ أنَّ هَؤُلاءِ يَدْخلونَ الجَنَّةَ وتُكَذِّبُ الله وَهْوَ يَقولُ ثُلَّة وقِلَّة؟!

مَعْلومٌ إنَّكَ مِنْ الكِثْرَةِ لا مِنَ القِلَّةِ فَأَنْتَ مِنْ أَصْحَابِ الجَحيمِ. وَهَذِهِ قضيَّةٌ واضِحَةٌ الآنَ بَيْنَ قُرْآنٍ وواقِعٍ لا تَحْتَاجُ إلى مُتَكلِّمينَ ولا مُفَسِّرِينَ ولا عُلومِ رِجَالٍ!

فَعَجَباً لَكَ وَأَنْتَ تَنْصَحُ شِيعَةَ عَلِيٍّ عليه السلام بالتَّخَلّي عَنْ صِفَةِ العَدْلِ الإلهيِّ وتَأْمُرُهم أنْ يَتَّبِعوكَ!

وَمَاذَا يُخَفِّفُ هَذا مِنْ عَذَابِكَ إنِ اتَّبَعوكَ!

أَنْتَ مِثْلُ إبليسَ مُولعٌ بِزِيَادِة أتْبَاعِهِ مَعَ أنَّهُم لا يَنْفَعونَهُ شَيْئاً مِنْ عَذَابِ اللهِ.

الثَّالِثُ: في نِهَايَةِ هَذا الحَديثِ وبَعْدَ أنْ وَصَفَ هَؤُلاءِ الأَقَلُّونَ عَدَداً قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام:

«يَا كُمَيلُ أُولَئِكَ خُلَفاءُ الله في أَرْضِهِ والدُّعَاةُ إلى دِينِهِ».

أَقُولُ: أَخْرَجَهُ أَيْضاً صَاحِبُ الإكْمَالِ والبِحَارِ بِطُرُقٍ أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ»[1].

الرَّابعُ: قَولُ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام عَلَى منْبَرِ الكوفَةِ:

«اللَّهُمَّ إنَّهُ لا بُدَّ لأَرْضِكَ مِنْ حُجَّةٍ لَكَ عَلَى خَلْقِكَ يَهْديهِمْ إلى دِينِكَ

---

(١) انظر البحار من ح ٩١ إلى حديث ٩٣/ ج ٢٣.

ويُعَلِّمُهم عِلْمَكَ لِئَلاَّ تُبْطَل حُجَّتُكَ ولا يَضِل تُبَّعُ أَوْلِيَائِكَ إمّا ظَاهِر لَيْسَ بالمُطَاعِ أو مُكْتتِم أو مُتَرَقّب إنْ غَابَ»[1].

الخَامِسُ: عَنِ النَبِيِّ ﷺ قَالَ:

«إنَّمَا مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُم كَمَثَلِ نُجومِ السَّمَاءِ كُلَّما غَابَ نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ».

أَوْرَدَهُ في إكْمَالِ الدِّينِ وَلَهُ طُرُقٌ كَثيرةُ عَنِ السُّنَّةِ أَيْضاً مَعْلومَةٌ في الكُتُبِ المُتَخَصِّصَةِ.

وتَشْبيهُ الحُجَجِ بالنُّجومِ مُطَّرِدٌ في حَدِيثِهِ ﷺ، وَكَذَلِكَ بالكَواكِبِ والشَّمْسِ والقَمَرِ، وَلَهُ صِلَةٌ بألْفَاظِ القُرْآنِ.

والاهْتِدَاءُ يكونُ بالنُّجومِ في الظُلُمَاتِ لأنَّ النُّجومَ مُنيرَةٌ بِذَاتِهَا.

كَذَلِكَ الأئَمَّةُ لا يَحْتَاجونَ إلى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ في عِلْمٍ.

ومن هُنَا يَحْتَجُّ الله بِهِم عَلَى الخَلْقِ. وَلِذَلِكَ يُنَبِّهُ القُرْآنُ دَوْماً إلى التَأَمُّلِ في السَّمَاءِ والنُّجوم والشَّمْسِ والقَمَرِ ويَأْمُرُ بالتَّفَكُّرِ في اللَّيلِ والنَّهَارِ والظِلِّ والحَرُورِ والظُّلُمَاتِ والنُّورِ للاعتبارِ بِهَذا النظام. فالذي فَعَلَ ذَلِكَ لِهِدَايَةِ المُسَافِرِ في اللَّيلِ وأَعْطَاهُ عَيْنينِ ولِسَاناً وشَفَتينِ لَهو أحْرَصُ عَلَى سَفَرِهِ إلى عَالَمِ المَلَكوتِ حَيْثُ الحِسَاب والجَزَاء، ولا يَتْرِكُهُ مِنْ غَيْرِ هِدَايَةٍ!

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].

فالرَّسولُ مُنْذِرٌ لِكُلِّ الأقوامِ في كُلِّ الأزْمانِ بِكِتَابِهِ وسُنَّتِهِ. والهِدايَةُ والتَّطبيقُ

---

(١) البحار ج٢٣/ ح٦/٩٤.

عَلَى الهُدَاةِ مِنَ الأَئمَّةِ. وَلِذَلِكَ لا بُدَّ لِكُلِّ جِيْلٍ مِنْ إِمَامٍ. فإمَّا يَكونُ إِمَامَ ضَلالَةٍ يَدْعو إلى النَّارِ:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١].

وَإمَّا إمام هدى:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

وَلِذَلِكَ قَالَ عليٌّ عليه السلام عَلَى المِنْبَرِ:

«مَا مِنْ أَحَدٍ إلاَّ ونَزَلَ فِيهِ شَيءٌ مِنْ القُرْآنِ! فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: فَمَا نَزَلَ فيك؟ قَالَ: أَتَقْرَأُ هُودَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ»، رَسولُ اللهِ هُوَ المُنْذِرُ وَأَنَا الهَادي.

أَقُولُ: أَخْرَجَهُ الكَثيرُ مِنْ الإماميةِ فَرَاجِعْهُ في مَصَادِرِهِ المُخَصَّصَةِ[1]، وبَعْضُهَا مَرْفوعٌ إلى النَبيِّ صلى الله عليه وآله.

بَلْ البَعْثُ نَفْسُهُ لا يَكونُ إلاَّ بإِمَامٍ. قَالَ تَعَالَى:

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١].

وَلكنَّ الكَاتِبَ يُشَكِّكُ بِحَديثٍ:

«مَنْ لَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانه مَاتَ مِيْتَةً جَاهِلِيَّةً».

أَنْتَ إِذَنْ تَحْلمُ بِهَذا لأَنَّك لَنْ تَموتَ مِيْتَةً جاهليَّةٍ. فَهَذَا فِيمَنْ لا يَعْرِفُ إِمَامَ زَمَانَهُ. أمَّا الَّذي يَعْرِفُ أَنَّهُ الطَّاغوتُ وَيَعْبدُهُ فالحَديثُ لَيْسَ فِيهِ قَطْعاً.. فَلَيْسَ

(١) الاختصاص/ ٢٤٨ والكافي ١/ ١٧٧ ومجمع البيان ٢/ ٢٧٨ وبصائر الدرجات/ ١٠.

لَدَيهِ وَقْتٌ لِيُفكِّرَ في ميتَتِهِ ولا حِسَابَ عَلَيْهِ إذْ لا دِينَ لَهُ في الإسلام حَتَّى يُحَاسَبَ. وعَابِدُ الطَّاغوتِ لا وَقْتَ ولا فُرْصَةَ يُعْطاهَا يَوْم مَوتِهِ، بَلْ هُوَ مِنَ الدُّنْيَا إلى النَّارِ فوراً.

أَوَلَيْسَ الله هُوَ الَّذي يَقولُ إنَّهُ يَدْعو كُلَّ أُناسٍ بإمامِهِم؟

فَأَنْتَ تَكْذِبُ حَيْثُ تُريدُهَا شُورَى!! لأنَّكَ قَبْلَ الانتخابِ تُرَشِّحُ شَخْصَاً فَأَنْتَ تَعبُدُ إذَنْ الطَّاغوتَ لأنَّكَ تَابِعٌ لإمَامٍ مُحَدَّدٍ قَبْلَ الشُّورَى. وإذا زَعَمْتَ بأَنَّكَ بِغَيْرِ إمَامٍ فَإِنَّكَ تَردُّ عَلَى اللهِ. فَهَلْ تَبْقَى وحْدَكَ لا يَدْعوكَ الله أَمْ أَنَّكَ غَيْرُ مَشْمولٍ بِلَفْظِ «أُنَاس»؟.

نَعَمْ.. إنَّ الله يَبْعَثُ الخَلْقَ كُلاً بِإمَامِهِ الَّذي اتَّبَعَهُ وَهَذا يَعْنِي أنَّ مَعْرِفَةَ الإمَامَ بَعْدَ الشُّورَى هِيَ مُجَرَّد أُكْذوبَةٍ لتمريرِ الاختيارِ الذَّاتي المُحَدَّدِ سَلَفاً.

السَّادِسُ: قُرْبُ الإسنادِ عَنِ الصَّادِق عليه السلام عن آبائِهِ عَنِ النبيِّ صلى الله عليه وآله **قَالَ**:

«في كُلِّ خَلْفٍ مِنْ أُمَّتي عدلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَنْفِي عَنْ هَذا الدِّينِ تَحْريفَ الغَالِينَ وانْتِحَالَ المُبْطِلينَ وتَأويلَ الجُهَّالِ، وإنَّ أَئِمَّتَكُم وفْدُكُم إلى الله فانْظُروا مَنْ تُوفِدُون في دينِكُم وصَلاتِكُم»[1].

أَقولُ: قَوْلُهُ صلى الله عليه وآله **«وإنَّ أَئِمَّتَكُم وفْدُكُم»** هُوَ إشَارَةٌ إلى مَا مَضَى مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١].

أَمَّا نَحْنُ فَوَفْدُنَا إنْ شَاءَ الله عَلِيٌّ أَبو الحَسَنَيْنِ والزَّهْرَاءُ فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ العَالَمِينَ والحَسَنُ سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ وحَمْزَةُ أَسَدُ الله وأَسَدُ رَسُولِهِ وجَعْفَرُ ذو الجَنَاحَينِ والحُسَيْنُ سِبْطُ الأسْبَاطِ الَّذي دَمُهُ دَمُ النبيِّ ولَحْمُهُ لَحْمُهُ وَزَيْنُ

---

(١) قرب الإسناد/ ب الحجّة. بحار الأنوار ج٢٣/ ٣٠/ ح٤٦.

السَّاجِدينَ العَابدينَ عَلِيٌّ بنُ الحُسَيْنِ وهلمَّ جرّا إلى المَهْديِّ طاوُسِ أَهْلِ الجَنَّةِ! سُلالَةٌ مُطَهَّرَةٌ طاهِرَةٌ زَكِيَّةٌ وذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ واللهُ سَمِيعٌ عَلِيم.

وَأمَّا أَنْتَ فَوَفْدُكَ إلى الله هُمْ أَهْلُ الشُّورَى: أبو بَكْرٍ أَحْسَدُ قُرَيْشٍ، وصَاحِبُ الرَّسُولِ في آيَةِ الغَارِ الَّذي لَمْ يُؤَيَّدْ بالجُنْدِ ولا كَانَ مِنَ الجُنْدِ ولا نَزَلَتْ عَلَيْهِ السَّكينَةُ ولا النَّصْرُ أُسوَةً بِصَاحِبِهِ والهَارِبُ يَوْمَ حُنَين وخَيْبَر والفَاتِكُ بمَالِكِ بنِ نويرَةَ والمُسْرِعُ إلى السَّقيفَةِ. . وَكَذلِكَ عُمَرُ بنَ صهَاك وحَنْتَمَة - وَحَسْبُكَ بِهِنَّ شُهْرَةً في قُرَيْشَ - الَّذي أَفْقَهُ مِنْهُ يَرْفَأُ غُلامُهُ وعَجَائِزُ العِرَاقِ، والَّذي فِيهِ كُلُّ المَآثِرِ النَّبَوِيَّةِ في عِلاقَتِهِ العَجيبَةِ بالشَّيْطانِ الَّذي مَا رآه إلاَّ خَرَّ لِوَجْهِهِ سَاجِداً. . وَكَذَلِكَ عُثْمَانُ مَفْخَرَةُ المَفَاخِرِ في الهَرَبِ مِنَ الحَرْبِ، ومُعَاوِيَةُ وعَبْدُ الرَّحْمَنِ الَّذي كَسَروا الذَّهَبَ والَّذي خَلَّفَهُ وَرَاءَهُ «بالفؤوسِ حَتَّى مَجَّتِ أي الرِّجَال» حَسَبَ تَعْبيرِ المؤرِّخين تَغْلَبُ الشُّورَى المَاكِرُ وراءَ الكواليسِ.

فَهَنيئاً لَكَ هَذا الوَفْدُ: : !!

فواللهِ لَو قَرَأْتَ التَّاريخَ ولا أَحْسَبُك لَمْ تَقْرَأْهُ لَمَا وَجَدْتَ فَرقَاً كَبيراً بَيْنَ هَذِهِ الزُّمْرَةِ وبَيْنَ أَقْطابِ أيِّ دائرَةٍ مِنْ دَوَائِرِ المُخَابَرَاتِ في العَصْرِ الحَديثِ سِوَى أنَّ هَؤُلاءِ الأَقْطَابَ يَتَآمَرونَ عَلَى أُمَمٍ ضَالَّةٍ وشُعوبٍ مُضَلَّلَةٍ، وأولئِكَ كانوا يَتَآمَرونَ عَلَى خَيْرِ أُمَّةٍ فِيهَا خَيْرُ خَلْقِ الله فَبَاؤوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ.

السَّابع: عَنِ الصَّادِق عليه السلام قَالَ في قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٥١].

قَالَ: **إمَامٌ بَعْدَ إمَامٍ.**

وفي لَفْظٍ آخرِ قَالَ: إمَامٌ إلى إمَامٍ فإنَّ الأَرْض لا تَبْقَى بِغَيْرِ إمَامٍ[1].

---

(١) البحار ج٢٣/ ٤٧ - ٥١/ ح ٥٨.

أيْ وربِّكَ هَذا هُوَ تَفْسيرُهَا الحَقُّ، وألاّ فَلَيْسَ هُنَاكَ حِسَابٌ بالحَقِّ.

الثَّامِن: عَنِ الحُسَينِ سَيِّدِ الشَّهَداءِ عليه السلام:

«لَولا منْ عَلَى الأَرْضِ مِنْ حُجَجِ الله لَنَفَضَتِ الأَرْضُ مَا فِيْهَا وَأَلْقَتْ مَا عَلَيْهَا، إنَّ الأَرْضَ لا تَخْلُو سَاعَةً مِنَ الحُجَّةِ»[1].

أَقُولُ: فِيهِ إِشَارَةٌ إلى قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾ [الانشقاق: ٣-٥].

فهذِهِ الوقَائِعُ إنَّمَا تَحدثُ بَعْدَ خِلُوِّ الأَرْضِ مِنَ الحُجَّةِ وأَتْبَاعِهِ المُتَّقينَ في أواخِرِ مَرْحَلَةِ الاسْتِخْلافِ حَيْثُ يَخرجونَ مِنْهَا إلى المَلَكوتِ، وتَقومُ أحْدَاثُ القِيَامَةِ عَلَى مَنْ بَقِيَ فِيْهَا وهُمْ شِرَارُ الخَلْقِ كَمَا قَالَ رَسولُ الله صلى الله عليه وآله:

«تَقومُ السَّاعَةُ عَلَى شِرَارِ الخَلْقِ».

ذَكَرَهُ في التَّاجِ الجَامِعِ للأصولِ/ ج٥/ بَابُ عَلامَاتِ السَّاعَةِ.

التَّاسِع: في الإكمَالِ بِسَنَدِهِ إلى الصَّادِقِ عليه السلام **قَالَ**:

«إنَّ الأَرْضَ لا تَخْلو مِنْ أنْ يَكُونَ فِيْهَا حُجَّةٌ عالِمٌ إنَّ الأَرْضَ لا يُصْلِحُهَا إلاَّ ذَلِكَ ولا يُصْلِحُ النَّاسَ إلاَّ ذَلِكَ»[2]

العَاشِر: عَنْ أَبي عَبْدِ الله الصَّادِق عليه السلام **قَالَ**:

«لَو لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ إلاَّ اثنانِ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الحجَّةَ»[3].

الحَادي عَشَر: عَنِ البَاقِرِ عليه السلام **قَالَ**:

---

(١) البحار ج ٢٣/ ح ٥٧.

(٢) البحار ج٢٣/ ح ٦٠.

(٣) البحار ج ٣٢/ ح ٦١.

«لَو لَمْ يَكُنْ في الأَرْضِ إلاَّ اثنانِ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الحجَّة ولَو ذَهَبَ أَحَدُهُمَا لَبَقِيَ الحُجَّةُ»(١).

أَقُولُ: فِيهِ إِشَارَةٌ إلى أَوَّلِ الخَلْقِ وَهُوَ سَيِّدُنَا عليه السلام. فَإِنَّهُ تَعَالَى لا يؤهِّلُ الأَرْضَ إبتَدَاءً بِفَاسِقٍ ولو بَقِيَ الفاسِقُ وحْده فَلا ضرورَةَ لِدَوَامِ الحَيَاةِ، لأنَّ الأَرْزَاقَ والخَلْقَ واستِمْرارَهُ إنَّمَا هُوَ للخَليفَةِ الإلهيِّ. قَالَ تَعَالَى في قصَّةِ خَلْقِ المَلائِكَة:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وَعَلَى هَذا جَرَى الاعتِرَاضُ بالفَسَادِ وسَفْكِ الدِّماءِ. وَعَلَى هَذا سُمِّيَ المَهْديُّ خَليفَةَ الله كَمَا أَخْرَجَهُ الحُفَّاظُ عَنِ النبيِّ صلى الله عليه وآله:

«يَخْرجُ المَهْديُّ وَعَلَى رَأْسِهِ غَمَامَةٌ فِيْهَا مَلِكٌ يُنَادي هَذا خَليفَةُ الله فاتَّبِعوهُ».

وَهُوَ حَديثٌ مَشْهورٌ في كُلّ الكُتُبِ والمَصَادِرِ الخَاصَّة بِهِ عليه السلام.

وقَالَ في لَفْظٍ آخَرٍ:

«يسْمعُ مَنْ بالمشرِقِ والمغرِبِ كُلّ قَومٍ بِلِسَانِهِم»

أَقُولُ: إنَّ فَهْمَ قِصَّةِ الخَلْقِ والسُّجودِ لآدمَ أَسَاسٌ هامٌّ لِفَهْمِ موضوعِ الحُجَّةِ!.

إنَّ القصَّةَ قَدْ شُوِّهَتْ بأيدي المُحَرِّفينَ. وَلكنْ قَدْ أَظْهَرَ الله هَذِهِ الأيامَ مَنْ أَمَاطَ اللِّثَامَ عَنْهَا.

---

(١) البحار ج ٣٢/ ح ٨٥.

الثاني عشر: عَن البَاقِرِ عليه السلام قَالَ:

«يَا أَبَا خَالِدٍ لَيسَ تَبقَى الأَرْضُ يَومَاً وَاحِدَاً بِغَيْرِ حُجَّةٍ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى النَّاسِ وَلَمْ يَبْقَ «تَبقَ» مُنْذُ خَلَقَ الله آدمَ وأَسْكَنَهُ الأرضَ»[1].

الثَّالِث عَشَر: عَنِ البَاقِرِ عليه السلام في حَديثٍ جَاءَ فِيهِ:

«. . . وإذا أَرَاد الله أنْ يُهْلِكَهُم ولا يُمْهِلَهُم ولا يُنْظِرَهُم ذَهَبَ بِنَا مِنْ بَيْنِهِم ورَفَعَنَا اللهُ ثُمَّ يَفْعَلُ الله مَا يَشَاءُ وأَحَبَّ»[2].

أَقُولُ: فِيهِ تَأكيدٌ عَلَى عَدَدٍ مِنْ آياتِ القُرْآنِ وتَرْكِ المَشِيئةِ للهِ وعَدَمِ سَبْقِهِ بأيِّ حُكْمٍ. وَهَذا الكَلامُ يَسْتَحيلُ حصولُهُ مِنْ مُتَكلِّمٍ أو فَيْلَسوفٍ أو صوفيٍّ أو عرفانيٍّ أو فقيهٍ أو فاضلٍ في الدِّينِ، بَلْ لا يَصْدُرُ إلاَّ عَنْ عَارِفٍ بالسُّنَنِ الإلهيَّةِ جَامِعٍ لِعِلْمِ الكِتَابِ كلِّه. فَهَذَا الكَلام يَجْعَلُ الفَضَائِلَ تَابِعَةً لقانونِ الحُجَّةِ، وَلَيْسَ العَكْسُ كَمَا يَزْعُم النَّاسُ.

الرَّابع عَشَر: عَنِ المُعلى قَالَ سَأَلْتُ الصَّادِق عليه السلام: **هَلْ كَانَ لِلنَّاسِ إلاَّ وفيهم مَنْ أُمِروا بِطَاعَتِهِ مُنْذُ كَانَ نُوح؟ قَالَ:**

«لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ وَلكنَّ أكْثَرَهُم لا يُؤْمِنون»[3].

الخَامِس عَشَر: عَن أَبي صدقة قَالَ: سَمِعْتُ أبا عَبدِ الله يقول:

«لَنْ تَخلو الأَرْضُ مِنْ حُجَّةٍ عَالِمٍ يُحْيي فِيْهَا مَا يُمِيتونَ مِنَ الحَقِّ»[4].

ثُمَّ تلا هَذِهِ الآية:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

---

(١) البحار ج٢٣/ ح ٨٦.

(٢) البحار ج٢٣/ ح ٨٤.

(٣) البحار ج٢٣/ ح ٦٤.

(٤) البحار ج٢٣/ ح ١٠٦ عن البصائر والآية في سورة الصف/٨.

أَقُولُ: نُوْرُ الله مُخْتَلِفٌ عَنِ الكِتَاب. فقَدْ قَالَ تَعالَى عَنِ النبيِّ ﷺ:

﴿... وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

بَيْنَمَا الكِتَابُ أُنزِلَ عَلَيْهِ وبَعْضُهُ أُنْزِلَ إليه. وَكَذَلِكَ لِقَولِهِ تَعالَى:

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

فالنور هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، والكِتَابُ المُبينُ هُوَ الَّذي آتاهُ الله مِنْ كُتُبِهِ وَمِنْهَا القُرْآنُ المُبينُ، وَذَلِكَ للتَّغايُرِ والتَّعاطُفِ بَيْنَ الكِتابِ والنُّورِ.

والنَّورُ الَّذي أُنزِلَ مَعَهُ هُوَ الوَصِيُّ. فافْهَمْ جيِّداً وَتَدَبَّرْ فإنِّي أَعْطَيْتُكَ الآنَ مَفَاتيحَ كَثِيرَةً تَتَدَبَّرُ بِهَا كِتَابَ اللهِ. فأتْلو كِتَابَ الله وذَرِ الَّذينَ يَعْبِدونَ مِنْ دُونِهِ واهْجُرِ المُفْتَرينَ الكَاذبينَ، فَإِنَّهُم يَفْتَرونَ عَلَى الله الكَذِبَ فَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهم بَعْدَ الَّذي جَاءَكَ مِنْ العِلْمِ، وانْتَبِهْ لِقَولِهِ تَعالَى:

﴿الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

فَلا تَتَوَهَّم أَنَّهُ يَخرجُ بالكِتَابِ إلى الكِتَابِ، بَلْ الكِتَابُ يَهْدِي إلى النُّورِ وبِهِ يَتمُّ الإخرَاجُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ. واعلم أنَّ النُّورَ هُوَ الإمَامُ الَّذي يَنْطِقُ بالحَقِّ بِدْءاً مِنْ رَسُول الله ﷺ إلى المَهْدي عليه السلام. والظُلُمَات هِيَ الطَّاغوتُ:

﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وَلِذَلِكَ فَهُمْ ثلاثَةٌ بالفِعْلِ لأنَّهُمْ مُخْتَلِفونَ، بَيْنَمَا الأنْوَارُ واحِدَةٌ وإنْ تَعَدَّدَتْ، لأنَّ مَصْدَرَهَا المِشْكَاةُ مِشْكَاةُ النُّورِ.

وقَدْ ظَهَرَ الثَّلاثَةُ في طَبَقَاتٍ مِنَ الظُّلُمَات:

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وفي تَفْسيرِ أَهْلِ البَيْتِ: الظُّلُمَاتُ هُمُ الثَّلاثَةُ أَصْنَامٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَهْيَ عِنْدَهُم بَديلٌ لا بُدَّ مِنْهُ للثَّلاثَةِ الكِبَارِ «اللاَّتِ والعُزَّى ومُنَاة الثَالِثَة الأُخْرَى».

فالمَوْجُ الأوَّلُ: أبو بَكْرٍ، والمَوْجُ الثَّاني: عُمَرُ، والمَوْجُ الثَّالِثُ: عُثْمَانُ. وَلِذَلِكَ تَشَابَهَ أبو بَكْرٍ وعُمَرُ في كُلِّ شيءٍ حَتَّى جَمَعُوهُمَا في الاسمِ فَقَالوا: «الشَّيْخَينِ والعُمَرَينِ» - «انظر القاموس وتاج العروس/ باب عُمَر».

فَسُبْحَانَ رَبِّكَ الَّذي يَصْدُقُ كلامُهُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِم وَمَا خَلْفَهُم.

إعْلَمْ أنَّكَ لا بُدَّ أنْ تُجاهِدَ نَفْسَكَ وهَوَاكَ وتَتَدَبَّرَ كِتَابَ الله حَتَّى تَحْصلَ عَلَى رِضَاهُ وهُدَاهُ، فإنْ لَمْ تَفْعَلْ فإنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ كَمَا قَالَ الله تَعَالَى:

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

أَفَتَحْسَبُ أَنَّكَ تَدْخِلُ الجَنَّةَ وَأَنتَ تَأْخُذُ بِكَلامِ مَنْ هَبَّ ودَبَّ وتَتْرُكُ كِتَابَ اللهِ؟

هيهات!!

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

السادس عَشَر: في قَوْلِهِ تَعالَى:

﴿... إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].

عَن أَبي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ:

«كُلُّ إمَامٍ هَادٍ لِلْقَرْنِ الَّذي هُوَ فِيهِم»(١).

السَّابِعُ عَشَر: عَنْ جَمعٍ مِنَ الأَتْبَاعِ عَنْ أميرِ المؤمنينَ عَلِيٍّ عليه السلام في خِطَابٍ طَويلٍ جَاءَ فِيهِ:

«اللَّهُمَّ وإنِّي لأَعْلَمُ أنَّ العِلْمَ لا يأْرَزُ كُلهُ ولا تَنْقَطِعُ مَوادُهُ فَإِنَّكَ لا تُخْلِي أَرْضَكَ مِنْ حُجَّةٍ عَلَى خَلْقِكَ»(٢).

الثَّامِنُ عَشَر: عَن البَاقِرِ عَن الحَارِثِ بنِ نوفلَ قَالَ: **قَالَ عَلِيٌّ لرَسولِ الله صلى الله عليه وآله: يَا رَسُولَ الله أَمِنَّا الهُدَاةُ أَمْ مِنْ غَيْرِنَا؟، قَالَ: لا بَلْ مِنَّا الهُدَاةُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ بِنَا اسْتَنْقَذَهُمُ الله مِنْ ضَلالَةِ الشِّرْكِ وبِنَا يَسْتَنْقِذُهم مِنْ ضَلالَةِ الفِتْنَةِ وبِنَا يُصْبِحونَ إِخْوَاناً بَعْدَ الضَّلالَةِ»**(٣).

التَّاسِعُ عَشَر: في قَوْلِهِ تَعالَى:

﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص: ٦٨-٧٠].

عَنِ النبيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ:

«... إنَّ الله اخْتَارَني وَأَهْلَ بَيْتي عَلَى جَمِيعِ الخَلْقِ فانْتَجَبَنا فَجَعَلَني الرَّسُولَ

---

(١) غيبة النعماني والبحار ج ٢٣/ ح ١١٥.

(٢) البحار ج٢٣/ ح ١١٦.

(٣) إكمال الدِّين. وللحديث طرق أُخرَى في أخبار المهدي أخرجها السنّة كَمَا في البرهان.

وجَعَلَ عَلِيَّ بنَ أَبي طَالِبٍ الوصيَّ وَقَالَ سُبْحَانَهُ «مَا كَانَ لَهُمُ الخَيْرَةُ» يَعْنِي مَا جَعَلْتُ لِلْعِبَادِ أَنْ يَخْتَاروا ولَكِنِّي أَخْتَارُ مَنْ أَشَاءُ. فَأَنَا وَأَهْلُ بَيْتِي صَفْوَةُ الله مِنَ الخَلْقِ وخَيْرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ ثُمَّ قَالَ «سُبْحَانَ اللهِ» تَنْزِيهاً عَمَّا يُشْرِكون بِهِ ثُمَّ قَالَ: وربُّكَ يَا مُحَمَّدُ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صدورُهُم مِنَ البُغْضِ لَكَ ولأَهْلِ بَيْتِكَ وَمَا يُعْلِنونَ بأَلْسِنَتِهِم مِنَ الحُبِّ لَكَ ولأَهْلِ بَيْتِكَ».

أَقُولُ: هَذِهِ الآيَاتُ الثَّلاثَةُ وَحْدهَا كَافيَةٌ وللهِ الحَمْدُ في كَشْفِ المُنَافِقينَ مِنْ أَمْثَالِ هَذا الكاَتِبِ المُدَّعِي.

فَلاحِظْ أخي القارئ ارْتِبَاطَ هَذا الأَمْرِ بالتَّوحيدِ. وَلكنْ لَهُ تعالى الحَمْدُ في كُلِّ الأَحْوَالِ في الأولى والآخِرَةِ لأَنَّهُ عدلٌ لا يَجُورُ.

فالشَّهَادَةُ لَهُ بالحَمْدِ في الأولى والآخِرَةِ لا تَتَحَقَّقُ ومُحَالٌ أَنْ تَتَحَقَّقَ إلاَّ بالحُجَّةِ حَتَّى يَكونَ الخَلْقُ هُمُ السَّبَبَ في عَدَمِ حصولِهِم عَلَى الرَّحْمَةِ وبَرَكَاتِ الدِّينِ.

وفي الآياتِ كَشْفٌ صَارِخٌ للمُدَّعينَ حُبَّ النَبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ كَذِباً وزُوراً. فَمَثَلُهُم كَمَثَلِ الَّذينَ قَالوا: «نَحْنُ أَودَّاءُ الله وأحِبَّاؤهُ مِنَ اليَهودِ وهُمْ أَعْدَاءُ اللهِ»، ذَلِكَ أَنَّهُم حُمِّلوا التَّوْرَاةَ - بالبِنَاءِ للمَجْهولِ - وَلَمْ يَحْمِلوهَا، فَمَثَلُهُم كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

لقَدْ تَصَدَّوا لِلْكِتَابِ مَعَ أَنَّهُم ليْسوا مِنْ حَمَلَتِهِ، وعَصَوا حَمَلَتَهُ الفِعْلِيينَ فَلا حَصَلوا عَلَى الدُّنْيَا ولا الآخِرَةِ، ولا حَصَلوا عَلَى العِلْمِ فَهُمْ حَمِيرٌ.

إنَّ الله يُعْطي عِلْمَهُ لِمَنْ يَشَاءُ ولا يُعْطيهِ إلاَّ لِمَنْ أَذْعَنَ لَهُ وَهُوَ تَعَالَى يُفْتِنُ الخَلْقَ بِهَذا الاخْتِيَارِ.

وَكَانَ في مَقْدُورِهِ أنْ يَهْدِي شَخْصاً آخرَ غَيرَ عَلِيٍّ عليه السلام مِنَ الغُرَبَاءِ ويَجْعَلَهُ وَصِيّاً وإمَاماً، وَلكِنَّهُ اخْتارَ كَمَا يَشَاءُ. فَهْوَ يُريدُ مِنَ النَّاسِ أَصْلاً أنْ يَكْشِفوا عَنْ نَوَايَاهُم ويَقولوا: «هَا هُوَ مُحَمَّدٌ يُعْطي الولايَةَ لابنِ عمِّهِ»!

وفي هَذا الاخْتِبَارِ فائِدَتَانِ كَمَا رَأيتَ:

الأولى: الكَشْفُ عَنِ المُنَافِقِينَ، **والثانيةُ**: إكمَالُ الحُجَّةِ! لأنَّ قِيَمَ الجَّاهِلِيَّةِ هِيَ مَرْجِعُهُم. ويَعْلَمُ الله أَنَّهُم سَيَرْجِعونَ إلى تِلْكَ القِيَمِ ويَتَحَدَّثونَ عَن الأنْسَابِ والأحْسَابِ!. ولا يمكنُ أنْ يَكُونَ الادِّعَاءُ إلاَّ بِنَسَبِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله صَاحِبِ الرِّسَالَةِ. فَجَعَلَ الوَصِيَّ والخُلَفَاءَ مِنْ نَسَبِهِ وأَقْرَبِ الخَلْقِ إليه رحماً لِقَطْعِ الطريقِ عَلَيْهم!.

فإذا احْتَجُّوا بالنَّسَبِ وَلَمْ يُوَلُّوا عَلِيّاً كَفروا، وإذا احْتَجُّوا بأيِّ صِفَةٍ أُخْرَى كَانَ فوقَهُم فِيْهَا وَلَمْ يُوَلُّوهُ فقَدْ كَفروا أَيْضاً.

لِمَ لا تكونوا واقعيينَ وتَعْتَرِفونَ أَنَّكُم تَحْقِدُونَ عَلَى عَلِيٍّ لأنَّ قُلوبَكُم لا تُطاوعُكُم عَلَى طَاعَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله؟

فَبَعْضُهُم قَالَ ذَلِكَ فَأَرَاحَ واسْتَرَاحَ وأَقَرَّ بِهَذا الأَمْرِ مِثْلُ إمَامكُم معاوية!

وإلاَّ فَهَلْ يُعْقَلُ أَنَّكُم أَفْضَلُ مِنْ أَسْبَاطِ يَعْقوبَ عليه السلام إذْ حقَدُوا عَلَى أَخيهِم يُوسُفَ وأَرَادوا قَتْلَهُ وأَلْقَوْهُ في غَيَابَةِ الجُبِّ؟

لَكِنِّي أَسْأَلُكُم سُؤَالاً آخَرَ: لِماذَا قَصَّ الله هَذِهِ القصَّةَ الطويلَةَ؟

إِنَّمَا: مَا الفَائِدَةُ مِنْ السُّؤالِ إذا كَانَ إمَامُكُم الجُرجَاني وتِلْميذاه الزملكاني والسكاكي يَقُولُونَ في بلاغَتِهِم: إِنَّهُ جَاءَ بالقَصَصِ للتنويعِ الأَدَبيِّ ليكونَ القُرْآنُ شَامِلاً لِكُلِّ أَنواعِ الأَدَبِ؟!!!

أَلا لَعْنَةُ الله عَلَى بَلاغَتِكُم!!

فَهَلْ أَقَامَ - حَاشَاهُ ربُّ العَالَمين - لَكُمْ حفلَةً مَسَائيَّةً أو مُطَارَدَةً أَدبيَّةً حَتَّى يُنَوِّعَ لَكُمْ أَلْوَاناً مُخْتَلِفَةً في بَرْنامَجِ الحَفْلَةِ؟!!

وَهَلْ يَدْعو الرَّحْمَنُ إلى مائدَتِهِ هَذِهِ الوُجوهَ الكَالِحَةَ والقُلوبَ المُرْتَابَةَ؟!!

أَمْ أَنْزَلَ إليكُمْ «كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُم أَفَلا تَعْقِلون»؟

فَمَاذَا تَقولُ أَيُّهَا الأَفَّاكُ الكَذوبُ في هَذِهِ الآيَات الثَّلاثِ مِنْ سُورَةِ القَصَصِ؟

فإنَّ فِيْهَا: إنَّ الخَلْقَ والاخْتيارَ للهِ لا لَكُمْ

وفِيْهَا: «وَلَهُ الحُكْمُ» وَلَيْسَ الحُكْمُ لَكُمْ. وقَدْ آتى الحُكْمَ لِعِبَادِ اصْطَفَاهُم.

فإذا أَرْسَلَ الله رَسولاً ثُمَّ اخْتَارَ المَخْلوقُ حَاكِماً بَعْدَ الرَّسُولِ.. فَمَا الفَرْقُ بَيْنَ المَخْلوقِ والخَالِقِ؟ وَمَا فَائِدَةُ الرَّسُولِ؟

كَانَ أُخوةُ يُوسُفَ قَدْ وَقَعوا في حَبَائِلِ الشَّيْطَانِ حِينَمَا ظَنُّوا أَنَّ يَعْقوبَ أَحَبَّ يُوسُفَ لأَجْلِ أُمِّهِ، وأنَّ بِنْيَامينَ أَحَبَّ يُوسُفَ لأَنَّهُ شَقيقُهُ لأُمِّهِ!

هَكذا يَكْشِفُ الله مَكْنونَ الصُّدورِ. فَهَلْ كَانَ يُوسُفُ مُتَحَيِّزاً لأخيهِ حِينَمَا اسْتَبْقَاهُ مَعَهُ وأَنْكَروهُ فقالوا بَعْدَ التَعَرُّفِ: «أَنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ» فَقَالَ:

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

لا.. طَبْعاً فَمَنْ ظَنَّ ذَلِكَ أَشْرَكَ. فإنَّ يُوسُفَ مَا جَعَلَ أَخَاهُ في ضَميرِ «المَنِّ» فَقَالَ «مَنَّ الله عَلَيْنَا» مِنْ تِلقاءِ نَفْسِهِ ولأَجْلِ أُمِّهِ، ولا كَانَ يَعْقوبُ قَدْ أَحَبَّهُ لِغَايَةٍ عَاطِفيَّةٍ. وَهَذا مَا لا زَالَ يَتَصَوَّرُهُ قَومٌ مُسْلِمونَ يقرأونَ القُرْآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُم ولا يَعْقِلون.

إنَّمَا قَصَّ القُرْآنُ هَذا كُلَّهُ لأَجْلِ أَنْ تُفْهَمَ هَذِهِ المَسْأَلَةُ وَهِيَ:

إنَّهُ تَعَالَى يَبْتَلي الخَلْقَ بِنَفسِ عَواطِفِهِم وبِنَفْسِ أَحْكَامِهِم المُسْبَقَةِ.

وهُنَا تَكْمنُ المُشْكِلَةُ!!

فَمَنْ هُوَ الَّذي يُفَرِّقُ جيِّداً بَيْنَ الأَمْرينِ بحَيثُ يَعْتَقِدُ أَنَّ يَعْقوبَ أو يُوسُفَ أَحَبَّا للهِ وَكَرِهَا في الله فَقَط وَلِذَلِكَ مَنَّ الله عَلَيْهِم بالرُّغم مِنْ أنَّ عَلاقاتِ الرحمِ هِيَ نَفْسُهَا العلاقاتُ الَّتي يُحِبُّ فِيْهَا النَّاسُ ويَكْرَهونَ عَلَى العَادَةِ المَطْبوعَةِ فيهم حِينَمَا يَكونونَ بَعيدينَ عَنْ حُكْمِ اللهِ؟.

وَلَمْ يَغْفِرِ الله لَهُم إلاَّ بَعْدَ الإِقْرَارِ بِهَذا الأَمْرِ والقَسَم عَلَى أَنَّهُم فَهِمُوا مُرَادَ الله، وأَنَّ يُوسُفَ أَفْضَلُ مِنْهُم عِنْدَ الله لا عِنْدَ يَعْقوبَ، وأَنَّ يَعْقوبَ إِنَّمَا يَتَحَسَّسُ مَحَبَّةَ الله فَيُحِبُّ لِلَّهِ ويَكْرَهُ للهِ. وَلِذَلِكَ فَاقَ حُبُّهُ ليوسُفَ عَلَى حُبِّهِ لَهُم. وكَيفَ يَمكنُهُ أَنْ يُحِبَّ مَنْ هُوَ قَادِرٌ عَلَى قَتْلِ أَخيهِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ أَذْنَبَهُ إلاَّ بِسَبَبِ أَنَّ الله أَحَبَّهُ؟، بَلْ كَانَ يَظْهَرُ مِنْهُ البُغْضُ لَهُم وَهُم عَلَى هَذِهِ الحَالِ. وَلكِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ فيهِم بَذْرَةَ خَيْرٍ، وأَنَّهُم سَيَرْجِعُونَ للحَقِّ، فَلَمْ يَكُنْ مَوْقفُهُ مَعَهُم مَوْقِفَ العَدوِّ، بَل النَّاصِحِ الشَّفيقِ.

لا تَأْخُذوا الحُبَّ بالإِكْرَاهِ، فَلَيْسَ هُنَاكَ حُبٌّ بالإِكْرَاهِ، ولا يَجْلِبُ الحُبَّ إلاَّ الحُبُّ!

تُريدونَ حُبَّاً فَأَعْطوا حُباً!

أَمَّا أَنْ تُريدوا حُبَّاً وتُعْطوا بُغْضَاً فهذِهِ مُعَامَلَةٌ غَريبَةٌ في سُوقِ البَضَائِعِ فَضْلاً عَنْ سُوقِ العَوَاطِفِ والأَفْكَارِ.

لقَدْ كَانَتْ مُلابَسَاتُ القصَّةِ كُلِّهَا مَوَاعِظَ وعِبَراً لإِيصَالِ الأُخوَةِ إِلى هَذا الإِقْرَارِ. فَلَمَّا قَدَحَتِ الفِكْرَةُ في أَذْهَانِهِم بِمُسَاعَدَةِ الضُّرِّ الَّذي أَصَابَهُم والجُوعِ الَّذي أَطَاحَ بِهِم والقُحْطِ الَّذي أَلَمَّ بِهِم قالوا بَعْدَ مَعْرِفَةِ هَذِهِ الحَقيقَةِ:

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٩١].

والآنَ فَقط أمْكَنَ أنْ تَأتيهُمُ المَغْفِرَةُ الإلهيَّةُ:

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

اليَوْمَ فَقط لا تَثْريبَ عَلَيْكُم بَعْدَ هَذا الإقْرارِ.

وتُعَادُ قِصَّةُ السُّجودِ لآدمَ عليه السلام لِيكونوا في مَصافِ المَلائِكَة ويُخْرِجُوا مِنْ قُلوبِهِم كَيْدَ الشَّيْطانِ والأَبالِسَةِ.. تُعَادُ نَفْسُ القِصَّةِ فَيَسْجدونَ لِخَليفَةِ الله في الأَرْضِ ويُقِرُّونَ بإمَامَتِهِ عَلَيْهِم وإنْ كَانَ أَصْغَرَهُم سِناً:

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

فَيَا قَوْمُ إنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ الله حَقّاً فاتَّعِظوا بِمَا قَصَّ في كِتَابِهِ فَإنَّهُ «أَحْسَنُ القَصَصِ»، وأَعيدوا سُجودَكُم لِخَليفَةِ الله، ولا تَقُولوا مَا لا تَعْلَمُون، فَإنَّهُ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيهِ رَقِيبٌ عَتِيد.

وإنَّ مَقْتَلَكُم هُوَ الأنانيَّةُ وَحُبُّ الذَّاتِ ونُكْرانُ فَضْلِ الفَاضِلِ. فَمَنْ أَنْكَرَ المَخْلوقَ المُلاحَظَ المُبايَنَ المُعايَنَ أنْكَرَ فَضْلَ الله وكَفَرَ لا شَكَّ في ذَلِكَ:

﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

أكتفي بِهَذِهِ النَّمَاذِجِ التي هِيَ غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ. فَقَدْ ذَكَرَ صَاحِبُ البِحَارِ وَحْده في بَابِ الاضطِرَارِ إلى الحُجَّةِ وانْتِفَاءِ الخَلْقِ بانْتِفَاءِ وجودِهِ مِنْ نَحْوِ مائة وثمانية عَشَر حَديثاً عَنِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وَأَهْلِ بَيْتِهِ. وَذَكَرَ في بَابِ اتِّصَالِ الحُجَجِ

والأئِمَّةِ واسْتِحَالَةِ وجود زَمَانٍ يُعْدَمُ فِيهِ الحُجَّةُ مِنْ نَحْوِ أربعينَ حَديثاً. وذُكِرَتِ الوَصِيَّةُ والإمَامَةُ عُموماً في أكْثَر مِنْ أَرْبَعَةِ آلاف نصٍّ نَبَوِيٍّ أو مِنْ كَلامِ أميرِ المؤمنينَ وَأَهْلِ البَيْتِ عَلَيهِ وعَلَيهم السَّلام. وذُكِرَتِ الدَّلائِلُ عَلى الإمَامَةِ في أكْثَر مِنْ سَبعينَ مَوْرِداً في نَهْجِ البَلاغَةِ مُعْظَمُهَا خَافٍ عَنِ النَّاسِ ذَكَرْتُ لَكَ نَمَاذِجَ مِنهَا سَابِقاً.

وذُكِرَتِ الإمَامَةُ في كُلِّ قَصَصٍ ومَواعِظِ القُرْآنِ وأَغْلَبِ آيَاتِ التهديدِ والوَعيدِ، بَلْ رُوِيَ عَن أميرِ المؤمنينَ أنَّ رُبعَ القُرْآنِ في الأئمَّةِ، ورُبْعاً في عَدوِّهِم وَهَذا يَعْنِي أنَّهُ يَتَحدَّثُ عَنِ الإمَامَةِ أيْضاً، ورُبْعاً أحْكَامٌ، والأَحْكَامُ لا يَقومُ بِهَا إلاَّ إمَامٌ كَمَا هُوَ مَعْلومٌ لأنَّهُ رَأسُ الحُكومَةِ ومُعَيِّنُ القُضَاةِ، فإذا صَلَحَ صَلُحوا وإذا فَسَدَ فَسَدوا، ورُبْعاً قصَصٌ ومَواعِظُ وأَمْثَالٌ، وَإنَّمَا هِيَ في الإمَامَة أيْضاً.

والنَّاتِجُ أنَّ كِتَابَ اللهِ كُلَّهُ في الإمَامَةِ. وَهْيَ مَوضُوعُهُ الأسَاسِيُّ وعَلَيْهَا يَدورُ الإيمَانُ والكُفْرُ والجَنَّةُ والنَّارُ.

أَقُولُ: أكتفي بِهَذِهِ الأَمْثِلَةِ وأَرْجِعُ إلى أقوالِهِ عليه السلام في الإمَامَةِ رَدّاً عَلَى الأَفَّاكِ الكَذوبِ الَّذي زَعَمَ أنَّ أَهْلَ البَيْتِ يُؤْمِنونَ بالشُّورَى ولا يَرونَ الإمَامَةَ لأنفُسِهِم!.

ص - وَمِنْهَا قوله عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ إنِّي قَدْ بثثْتُ لَكُمْ المَواعُظ الَّتي وَعَظَ الأنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُم. وأَدَّيْتُ إلَيْكُم مَا أَدَّتِ الأَوْصِيَاءُ إلى مَنْ بَعْدَهُمْ، وأدَّبْتكُم بِسَوطي فَلَمْ تَسْتَقيمُوا، وَحَدَوْتُكُم بالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوسِقُوا! للهِ أَنْتُم! أتَتوقَّعُونَ إمَاماً غَيْرِي يَطأُ بِكُم الطَّرِيقَ ويُرْشِدُكُم السَّبِيلَ..

نهج البلاغة/ ١٨١

أَشَارَ الإمَامُ عليه السلام في هَذا الخِطَابِ إلى عَمَلِهِ فيهم الَّذي هُوَ عَمَلُ الأنْبِيَاءِ والأوصِيَاءِ.

ثُمَّ تَسَاءلَ عَلَى سَبيلِ الإنْكَارِ عَنْ وجودِ إمَام غَيْرِهِ يَطَأُ بِهِم الطَريقَ ويُرْشِدُهُم السَّبيلَ. فأنْكَرَ وجودِ غَيْرِهِ في حَيَاتِهِ وَلَمْ يُنكِرْ وجودَ إمَامٍ بَعْدَهُ فافْهَمْ.

وَهَذا نصٌ كافٍ جِدَّاً للدَّلالَةِ عَلَى عَدَمِ وجودِ إمَامٍ سِوَاه. وَمَا كَانَ يَجوزُ لَهُ أنْ يَدَّعي هَذا المُدَّعى لَولا أَنَّهُ الإمَامُ الحَقُّ وغَيْرُهُ إمَامٌ بَاطِلٌ.

لِذَلِكَ أكْثَرَ مِنْ إخْبَارِهِم بِمَا يَؤولُ إليه حَالُهُم بَعْدَهُ لِعِلْمِهِ بالكِتَابِ وسُنَنِ الكَونِ مِنْ جِهَةٍ، ولِعِلْمِهِ بِهِم مِنْ جِهَةٍ أُخرَى.

ق - وَمِنْهَا قوله عليه السلام:

إنَّ الله تَبَارَكَ وتَعَالَى طَهَّرَنَا وعَصَمَنَا وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ وَحُجَجاً عَلَى عِبَادِهِ وَجَعَلَنَا مَعَ القُرْآنِ وَجَعَلَ القُرْآنَ مَعَنَا لا نُفَارِقُهُ ولا يُفَارِقُنَا

مستدرك النهج/ ص ١٨٣ - وتصنيف النهج/ ص ١٦٨

أَقُولُ: في هَذا النصِّ ثَمَانِيَةُ خَصَائِص خَصَّ الله بِهَا أَهْلَ البَيْتِ عليهم السلام كَذَّبَ بِهَا كُلَّهَا هَذا الكَاتِبُ، وادَّعَى أنَّ الأئمَةَ وأوَّلُهُم عَلِيٌّ عليه السلام لَمْ يُصَرِّحوا بِهَا وَلَمْ يَذْكروا لأنْفُسِهِم مِيزَةً مِنْهَا!

وَهَذِهِ المِيزاتُ هِيَ: التَّطْهيرُ والعِصْمَةُ والشَّهَادَةُ والحُجَّةُ عَلَى العِبَادِ ومَعِيَّةُ القُرْآنِ وإنَّهُم لا يُفَارقونَهُ ولا يُفَارِقُهُم.

وفي كُلِّ واحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الميزاتِ مَبْحثٌ كامِلٌ مُرْتَبِطٌ بالقُرْآنِ والسُّنَّةِ المُقَدَّسَةِ.

فَأمَّا الطَّهارَةُ: فالمفتاحُ في آيَاتِ التَّطْهير وَمِنْهَا آيَةُ التَّطْهِيرِ الشَّهيرَةُ الَّتي نَزَلَتْ فيهم. فَزَعَمَ الكَاتِبُ الكَاذِبُ مُهَرْوِلاً وَرَاءَ المُنَافِقينَ أَنَّها في نِسَاءِ النَبِيِّ!

وَأَيْمُ الله لقَدْ صَدَقْ!

لَكِنِّي أَسْتَغْرِبُ مِنْ «عُلَمَاءِ» الشِّيْعَةِ وهُمْ يُرِيدونَ صَرْفَهَا عَنْ نِسَاءِ النَبِيِّ ﷺ مَعَ أنَّ السِّيَاقَ كلَّهُ يَتَحدَّثُ عَنْ نِسَاءِ النَبِيِّ ﷺ!

أَلا تَرونَ أنَّ الآيَةَ تُهَدِّدُ نِسَاءَ النَبِيِّ بِصِيغَةِ جَمْعِ المُؤَنَّثِ المُخَاطَبِ ثُمَّ تَلْتَفِتُ إلى أَهْلِ الدَّارِ فَتَقولُ لَهُم:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

أَهْلُ بَيْتٍ طَاهِرٍ دَخَل مَعَهُم رِجْسٌ وَهْوَ تَعَالَى يُرِيدُ إِذْهَابَ الرِّجْسِ عَنْهُم لا مِنْهُم!

فالآن أَيُّهَا القَوْمُ الأَمْرُ واضِحٌ..

فإذا كَانَتِ النِّسَاءُ هُنَّ أَهْلُ الدَّارِ والزَّوجَاتُ هُنَّ مَالِكَاتُ الدَّارِ فَمَاذَا يَمْلِكُ مُحَمَّدٌ إِذَنْ؟!

أَمْ أَنَّكُم مُتَأَثِّرونَ جِدّاً بِقَانونِ «قراقوش» الَّذي يَقولُ: إذا طَلَّقَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ خَرَجَ هُوَ مِنَ الدَّارِ لأنَّ البَيْتَ بَيْتُهَا!

أَمَّا أَنَا شَخْصِيّاً فَلَسْتُ مُتَحَيِّزاً ضِدَّ أَحَدٍ، ونِسَاءُ النَبِيِّ ﷺ أُمَّهَاتي رُغْمَ أَنْفي وأَنْفِ والِدَيَّ. وإِنْ لَمْ أَكُنْ أَحْتَرِمُهُنَّ كَمَا أَمَرَ الله كَفَرْتُ ودَخَلْتُ النَّارَ.

وَلَكِنْ مِنْ غَيْرِ المَعْقولِ رُغْمَ ذَلِكَ أَنْ أُؤْمِنَ بالتَّفسيرِ القراقوشي!!

إنّ عَلَيَّ أنْ أَتَبَيَّنَ الأَمْرَ فَلا أُوَالي الكَافِرَ ولا أُعَادي المُؤْمِنَ.

وإنِّي لأَسْأَلُ: أَفَلا يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ واحِدَةٌ أو أَكْثَرُ مِنْ زَوجَاتِ النَبِيِّ ﷺ قَدْ كَفَرَتْ؟

فإنَّ كُفْرَ الأمِّ لَيْسَ مُحالاً في كُلِّ الأحْوالِ؟. فالله تَعالَى يَميزُ الخَبيثَ مِنَ الطَّيبِ ويُخْرِجُ الحيَّ مِنَ المَيِّتِ. وَكَانَتِ امْرَأةُ فرعونَ مُؤْمِنَةً وامْرَأةُ نُوحٍ كافِرَةً.

فَهَلْ يُعْقَلُ أنْ يَكُونَ المُخَاطَبُ «أَهْلُ البَيْت» هُنَّ النِّساءُ؟ فَلِمَاذَا يطهّرن بَعْدَ التَّهديدِ؟، ومَنْ هُوَ الرِّجْسُ الَّذي مَعَهُنَّ حَتَّى يُذْهِبَ بِهِ عَنْهُنَّ؟، وكَيفَ يَكونُ المُخَاطَبُ والمُلْتَفَتُ إليه وَاحِداً في اللُّغَةِ؟.

الظَّاهِرُ أنَّ هَذا هُوَ تَفسيرُ الرِّجْسِ نَفْسِهِ حَيْثُ يُريدُ إلقَاءَ رِجْسِهِ عَلَى الطَّاهِرِ، لِذَلِكَ فإنِّي أعتقِدُ أنَّ النصَّ وحْدَهُ يُشيرُ بوضوحٍ تامٍّ إلى المَعْنِيِّ بالطَّاهِرِ والمَعْنِيِّ بالرِّجْسِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إلى مُرَاجعَةِ الأحاديثِ وعِلْمِ الرِّجَالِ!

أَوَ لَيْسَ القُرْآنُ كِتَاباً مُبيناً ونُوراً بَيِّناً وآيَاتٍ بيِّنات؟

فَمَا الحَاجَةُ إلى النصوصِ الأُخْرَى؟

نَعَمْ.. لَكِنْ مَا الَّذي جَاءَ في تِلْكَ النصوصِ التَّاريخيَّةِ؟

أَهُوَ مُزاحَمَةُ جبْريلَ عليه السلام للخَمْسَةِ تَحْتَ الكِساءِ اليَمَانيِّ حِينَما جاءَ بالوَحْيِ وتَلا الآيَةَ؟

أَمْ هُوَ مُحَاوَلَةُ أُمِّ سلمة أمِّ المؤمنينَ أنْ تَدْخُلَ مَعَهُم وقَوْلُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله: «مَكانكِ.. أنتَ إلى خَيْرٍ»؟!

أَمْ هُوَ مَجيءُ النَبيِّ صلى الله عليه وآله إلى بَيْتِ عَلِيٍّ عليه السلام كُلَّ فَجْرٍ لِمُدَّةِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ فَيَقِفُ عَلَى البَابِ ويَقولُ:

«الصَّلاةُ يَا أَهْلَ البَيْتِ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا».

فَأَخْرِجوا لَنَا عِلْمَكُم أَيُّها المُكَذِّبونَ وقُولوا مَا يُقنعُ أَهْلَ اللُّغَةِ والعُرْفِ: عَنْ

سَبَبِ انْتِقَالِ الخِطَابِ مِنَ المُؤَنَّثِ إلى جَمْعِ المُذكَّرِ، وعَنْ سَبَبِ قَولِهِ «عَنْكُم» لا «مِنْكُم» في الآيَةِ!!

أَخْرِجُوا لَنَا عِلْمَكُم فإنَّكُم تُكَذِّبون بالآيَةِ مُنْذُ أربعة عَشَر قرناً وأَبْقَيتُمُوهَا بِلا حَلٍّ لغويٍّ يُقْنِعُ الخَلْقَ سِوَى إنَّهَا تُريدُ تَطْهيرَ النِّسوانِ دونَ مُحَمَّدٍ وعليٍّ والحَسَنِ والحُسَينِ!!.

تُعْساً لَكُمْ عَلَى هَذا التَّفْسيرِ!!

فَهَلْ هُوَ بَيْتُ آبائِكُم حَتَّى تَقولوا في أهْلِهِ مَا شِئْتُم أمْ هُوَ بَيتُ الله وأهْلُهِ هُمْ ذُرِّيَّةُ إبْرَاهيمَ لا ذُرِّيَّةُ تَيْمٍ ولا عديٍّ.

تُعْساً لَكُمْ وَأَنْتُم تُحَرِّفونَ الآيَةَ لا لشيءٍ إلاَّ دِفَاعاً عَنْ عَائِشَةَ وحَفْصَةَ دونَ نِسَاءِ النَبِيِّ الأُخرَيَاتِ والتي لا تَعْلَمُ الأُمَّةُ أسماءَهن لكَثْرَةِ مَا تُرَدِّدون اسْمَي حَفْصَةَ وعائِشَةَ! مَعَ أنَّهُنّ الأمَّهاتُ حَقّاً حَقّاً.

وَلَو عَلِمَتْ نِسَاءُ النَبِيِّ البَاقياتُ أنَّ دخولَ الجَنَّةَ يَتِمُّ بِرُكوبِ الجِّمالِ وقِيَادَةِ الجيوش ضِدَّ عَلِيٍّ عليه السلام لكان ذَلِكَ أيْسَرَ لَهُنَّ مِنْ أنْ يَقِرْنَ في بِيُوتِهِنَّ!.

لَكِنْ عَلِمنَ العَكْس تَمَاماً وَهْوَ أنَّ الزَّوجَةَ لا تكونُ مِنْ أهْلِ البَيْتِ إلاَّ إذا أَطَاعَتْ رَبَّ البَيْتِ!

فَتُعْساً لَكُمْ مَرَّةً أُخرَى عَلَى هَذا التَّفْسِيرِ. . التَّفسِيرِ الغَريبِ عَنْ أعْرَافِكُم الَّذي تَتَبَجَّحونَ بِهَا وتَطْردونَ عَلَيْهَا النِّسْوانَ مِنَ البيوتِ لأدْنى مُشْكِلَةٍ تَحْصُلُ بَيْنَكُم ولا تَقُولُونَ إنَّ «أَهْلَ البَيْتِ» - أيَّ بَيْتٍ - هُمُ النِّسَاءُ دونَ الرِّجَالِ!!

وَدَوماً عِنْدكُم صَاعَانِ تَكْتَالون بِهِمَا!

فإذا كِلْتُم لِغيرِكُم كِلْتُم بِصَاعِ الشَّيْطَانِ، وإذا كِلْتُم لأَنْفُسِكُم كِلتم بِصَاعِ الرَّحْمَنِ لأنَّهُ أعْدَلُ وأقْوَمُ!!

فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَيْكُم يَا شُذَّاذُ الآفَاقِ ومَسْخَرَةَ الأُمَمِ يَوْمَ القِيَامَةِ: !

﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النور: ٤٩-٥٠].

وَأَمَّا الخَصَائِصُ الأُخْرَى فَكُلُّهَا مُرْتَبِطَةٌ بالقُرْآنِ فَتَدَبَّرْ أَلفَاظَهَا في كِتَابِ الله حَتَّى تَجِدَهَا لا تُشيرُ إلاَّ إليهم ولا تُنَوِّهُ إلاَّ بِهِم.

ر - **وَمِنْهَا قوله** عليه السلام:

انْظُروا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُم فَالْزَموا سِمْتَهُم واتَّبِعُوا أَثَرَهُم فَلَنْ يُخْرِجوكُم مِنْ هُدًى وَلَنْ يُعيدوكُم في رَدًى فَإنْ لَبَدوا فالبِدُوا وإنْ نَهَضُوا فانْهَضوا ولا تَتَأَخَّروا عَنْهُم فَتَهْلكوا..

نهج البلاغة/ ٩٢

أَقُولُ: هَذِهِ أَوَامِرٌ واضحَةٌ جليةٌ في وجوب إتِّبَاعِ أَهْلِ البَيْتِ، وأَنَّ الانْحِرَافَ عَنْهُم وإتِّبَاعَ سِوَاهُم لا يُفْضِي إلاَّ إلى نَتِيجَتَينِ: إمَّا الضَّلالُ أو الهَلاكُ.

ومُحَالٌ أنْ يَقولَ هَذا الكَلامَ ويَكونُ احْتِمَالُ الهُدَى والنَّجَاةِ في غَيْرِهِم أو إتِّبَاعِ سِواهُم سَوَاءً بِسَواءٍ، بَلْ النصُّ واضِحٌ في مَا هُوَ عَكْس هَذا المَطْلوبِ تَمَاماً.

فَمَنْ قَالَ هَذا؟

أَقَالَهُ المُتَكلِّمونَ أَمْ قَالَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله قَبْلَ ذَلِكَ والنصُّ يُشيرُ إليه حَيْثُ قَالَ صلى الله عليه وآله:

«مِثْلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُم كَمِثْلِ سَفينَةِ نوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ وهَوى»(١).

---

(١) المستدرك للحاكم/ ج ٣/ ١٥١.

وحَيْثُ قَالَ ﷺ في حَدِيثِ الثَّقلينِ:

«فَلا تُقَدِّموهُمَا فتَهْلَكوا ولا تَقْصِروا عَنْهُمَا فتَهْلَكوا ولا تُعَلِّموهُم فَإِنَّهُم أَعْلَمُ مِنْكُم»[1].

أَقُولُ: وحَديثُ الثّقلين بِهَذا المَنْطوقِ رَوَاهُ أَكْثَرُ مِنْ مائةٍ وعشرين مِنَ الصَّحَابَةِ حَتَّى لا يَكَادُ يَخْلو مِنْهُ كِتَابٌ في فَضَائِلِ القُرْآنِ أو أَهْلِ البَيْتِ عليهم السلام أو كُتُبِ التاريخِ. وَهْوَ نصٌّ رَوَاهُ أَصْحَابُ الحَديثِ السُّنَّةِ قَبْلَ تكَوُّنِ عِلْمِ الكَلامِ حَيْثُ كَانَ الفِقْهُ مَقْصوَراً عَلَى الرِّوَاياتِ.. وقَبْلَ حصولِ المَعْرَكَةِ بَيْنَ أَصْحَابِ الحَديثِ والفُقَهَاءِ.

وَمَعَ ذَلِكَ فإنَّ هَذا النصَّ يُحَدِّدُ بَعْدَ دراسَتِهِ مَعَ غَيْرِهِ العَمَلَ السِّيَاسيَّ في نَظَرِيَّةِ الإمَامَةِ. فَهْوَ يَقْرِنُ هَذا العَمَلَ كَمَا هُوَ واضِحٌ بأَمْرِ القائِدِ الإلهيِّ بِسَبَبِ استِمْرَارِ وجودِهِ واستِحَالَةِ خُلو الأَرْضِ مِنْهُ كَمَا تَقَدَّمَ في الأحاديثِ السَّابِقَةِ.

أَمَّا مَزَاعِمُ الكاَتِبِ مِنْ أنَّ الشِّيْعَة تَطَوَّرَتْ نَظَريتُهُم السِّيَاسيَّةُ تَبْعَاً للظروفِ، وأَنَّهُم احْتَالوا عَلَى الفِكْرَةِ برمَّتِهَا خِلالَ مَراحِلِ البَحْثِ فَهْيَ مُغَالَطَةٌ أُخْرَى فَاحِشَةٌ. إِذْ لَيْسَ كُلُّ الشِّيْعَةِ قَدْ تَابعوا هَذِهِ التَّحَوُّلاتِ أَوَّلاً، وثانياً: فَلنفرِضَ أَنَّ الجميعَ تَحَوَّلوا واحْتَالوا عَلَى الفِكْرَةِ فَمَا هِيَ العلاقَةُ بَيْنَ صِحَّةِ الفِكْرَة نفسها وعَدَدِ المؤمنينَ بِهَا؟

أَمْ تَزْعمُ أنَّ المرءَ إذا تَبَيَّنَ لَهُ عَدَمُ إيمانِ قَوْمٍ مَا بِفِكْرَةٍ مَا وزَيْفُ ادِّعَائِهِم بِهَا فإِنَّ ذَلِكَ يُسَوِّغُ لَهُ الاعتِقَادَ بِفَسَادِ الفِكْرَةِ؟.

بالطَّبْعِ فإِنَّ الطَّوَائِفَ الَّتي يُطْلَقُ عَلَيْهَا الشِّيْعَةَ هُمْ جُمُوعٌ مِنَ الخَلْقِ جَمَعَهُم حُبُّ أَهْلِ البَيْتِ لَيْسَ إلاَّ.

---

(١) الصواعق لابن حجر - باب الوصية.

فالمُلْتَزِمونَ بِشروطِ الحُبِّ هُمْ دَوْماً الأقَلُّ عَدَداً فيهم. والَّذينَ يَفْهَمونَ فِكْرَ أَهْلِ البَيْتِ هُمْ الأقَلُّ عَدَداً ضِمْنَ هَذِهِ الأَقَلِيَّةِ، والَّذينَ يُطَبِّقونَ فِعْلاً التَوَلّي والتَبَرّي ويُنَفِّذونَ شروطَ النّهوضِ والسُّكونِ في هَذا النصِّ هُمْ الأقَلُّ عَدَداً دَوْماً.

المُغالَطاتُ هُنا مُرَكَّبَةٌ.

فَنَحْنُ إذا قُلْنَا لَهُ: إنَّ طَوائِفَ الشِّيْعَةِ أَخَلَّتْ بِهَذا الشَّرْطِ ولا عِلاقَةَ لَهَا بالفِكْرَةِ وصِحَّتِهَا وفَسادِهَا سَيَقولُ: نَعَمْ وَمَا كَانَ ذَلِكَ إلاَّ بِسَبَبِ اليَأْسِ مِنْ حصولِ التَّغْييرِ.

لَكِنَّكَ أَيُّهَا الكاتِبُ قَدْ أَنْكَرْتَ في أَكْثَرِ مَواضِعِ كِتابِكَ أيَّ دَوْرٍ «إيجابيٍّ» للشِّيعَةِ في السِّيَاسَةِ وأنَّ نَظَرِيَّةَ الإمَامَةِ سَلَبَتْ مِنْهُم القُدْرَةَ عَلَى الحَرَكَةِ عَلَى حدِّ زَعْمِكَ.

إِذَنْ فَأَنْتَ تُفْسِدُ المُنَاقَشَةَ مِنَ الجِّهَتينِ لأنَّ مَا تَدَّعيهِ هُنَا تنقضُهُ في مَوْضِعٍ آخرٍ. هَذا مِنْ جِهَةٍ، ومن جِهَةٍ أُخرَى فإنَّ مَا تَزْعمُ أَنَّهُ الصَّحيحُ إِنَّما هُوَ المُحَرَّمُ في الشَّرْعِ والخَاطِئُ في نَظَرِ أَهْلِ البَيْتِ.

فإنَّ فِكْرَةَ الإمَامَةِ نَفْسَهَا يَسْتَحيلُ مَعَهَا تَبريرُ أيِّ عَمَلٍ سِياسيٍّ بِغَيْرِ أمْرٍ مِنَ الإمَامِ وقِيَادَتِهِ.

فَلِمَاذَا هُوَ إمَامٌ إِذَنْ إذا كَانَ يَجوزُ أَنْ يَحْكُمَ بِغَيْرِ إمَامٍ أو بإمامٍ آخرٍ؟

فالآخَرُ هَذا حَتّى لَو ادَّعَى الفِكْرَ الإماميَّ فَهُوَ خَارِجٌ عَنْهُ.

وَمَعَ ذَلِكَ فإنَّ الثَّوْراتِ الَّتي وَقَعَتْ في الأُمَّةِ عَلَى حُكَّامِ الجَّورِ إِنَّما كَانَتْ تَنْطَلِقُ مِنْ قَوَاعِدِ الشِّيْعَةِ عصياناً لأوامِرِ المَعْصُوم عليه السلام.

وإذنْ.. فإنَّ فَشَلَ هَذِهِ الثوراتِ والحُكوماتِ وعَدَمَ قُدْرَتِهَا عَلَى نَشْرِ علومِ

الكِتَابِ لِيكونَ رَحْمَةً للعالمينَ لَهُوَ دليلٌ عَمَلِيٌّ صَارِخٌ عَلَى بُطْلانِ قِيادَتِهَا وعَدَمِ شَرْعِيَّتِهَا.

وَلَيْسَ لِهَذا أيُّ مَعْنَى في الحَرَكَةِ الاجتماعيَّةِ والسياسيَّةِ إلاَّ أَنَّهُ الشَّاهِدُ العَمَلِيُّ عَلَى سَرَيَانِ السُّنَنِ الإلهيَّةِ وصِحَّةِ مَا جَاءَ في القُرْآنِ مِنْ شَرْحٍ تَفْصيليٍّ لِهَذِهِ السُّنَنِ.

وخِلاصَةُ هَذِهِ السُّنَنِ:

إنَّ الشَّرْعَ الإلهيَّ مَنُوطٌ تَنْفيذُهُ بالاختيارِ الإلهيِّ نَفْسِهِ. فالحَاكِمُ بالشَّرْعِ يجب أنْ يَكُونَ حاكماً بِنَفسِ الشَّرْعِ لا بِشَرْعٍ آخَرَ بَشَرِيِّ المنشأ. فإذا اخْتَارَ النَّاسُ حَاكِمَاً آخَرَ مَعَ وجودِ الإمَامِ فقَدْ كَفَروا وأَشْرَكوا. ومُحَالٌ أنْ يُحَقِّقَ الشَّرْعَ كَافِرٌ أو مُشْرِكٌ، ومُحَالٌ أنْ يَتَحَقَّقَ للكُفَّارِ والمُشْرِكين المَأمولُ مِنْ نَتَائِجِ الاستِخْلافِ الإلهيِّ، لأنَّ هَذا الحَاكِمَ هُوَ خليفتُهُم لا خَليفَةُ اللهِ.

فإذا لَمْ يخْرُجِ الإمَامُ بالسَّيفِ وَلَمْ يُحَاوِلِ اسْتلامَ الحُكْمِ فَهُنَاكَ إِذَنْ خَلَلٌ في القَوَاعِدِ نَفْسِهَا. فَهْيَ لا تَسْتَحِقُّ الخِلافَةَ الإلهيَّةَ وعَلَيْهَا تَصْحيحُ مَسَارِهَا وَطَاعَةُ الإمَامِ حَتَّى يَقومَ بالمُهِمَّةِ.

أمَّا أنْ تقولَ القواعِدُ: نُؤمِنُ بالإمَامِ ونخْتَارُ إمَامَاً آخرَ، فَهَذا القولُ هُوَ احتيالٌ عَلَى الفِكْرَةِ. فَهُوَ علاوَةً عَلَى فَسَادِهِ تُنْكِرُ هَذِهِ القواعِدُ أَنَّهُ فَاسِدٌ ولا تَعْتَرِفُ لِرَبِّها بِذنوبِهَا. وفي هَذا مِنَ الاسْتِكْبَارِ عَلَى الإمَامِ وَعَلَى اللهِ مَا فِيهِ. فَلَنْ تُوفَّقَ في تَحقيقِ أيِّ جُزْءٍ مِنَ الشَّرْعِ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخياط. وإنْ بدا لَهَا أنَّهَا تُحقِّقُ في جَانِبٍ انْفتَقَ عِنْدَهَا جانِبٌ آخرُ. ولا تَزَالُ تَرْتَقُ حَتَّى تأتيَ مَرْحلةٌ أُخرَى تَقومُ فِيْهَا بتبريرِ أفْعَالِهَا والكَذِبِ والتَّمويهِ وتَحْريفِ النصوصِ وإخْفَاءِ نصوصٍ أُخرَى إلى أنْ تَتَسَاوى مَعَ أشباهِهَا مِنْ حُكَّامِ الطَّاغوتِ.

وفي هَذِهِ المَرَاحِلِ التطوُّريَّةِ تُوجَدُ نصوصٌ كَثِيرَةٌ عَنْ أئمَّةِ أَهْلِ البَيْتِ عليهم السلام كَانَ المُرَادُ مِنْهَا تَثْقِيفَ القَوَاعِدَ وإيصالَهَا إلى الوَعي الكَامِلِ لمَبدَأ الإمَامَةِ الَّذي هُوَ ذاته التَّوحِيد بلا زيادةٍ أو نقصانٍ وَلكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمون.

إذَنْ.. التَّأخِيرُ الحَاصِلُ في قِيَامِ الإمَامِ المَعْصُومِ بِمُهِمَّتِهِ مهمَا كَانَ تَرْتِيبُهُ في سُلالَةِ الأَئمَّةِ الإثني عَشَر هُوَ بِسَبَبِ القَوَاعِدِ.

أمّا تَبْريرُ «عُلَمَاءِ» الشِّيْعَة للتَّأخيرِ عَلَى أَنَّهُ بِسَبَبِ الظَّلَمَةِ مِنْ حُكَّامِ الجَوْرِ فَهُوَ عَلَى العَكْسِ تَمَاماً مِنْ نَظَرِيَّة الإمَامَةِ.

فَهُمْ يُريدونَ إلقَاءَ اللائِمَة عَلَى العَدوِّ خَلاصَاً مِنَ المسؤوليَّةِ. فالإمَامُ خَلِيفَةُ الله عَلَى المُؤمنِينَ وَهوَ لَهُم خَاصَّةً وَلَيْسَ للظَّلَمَةِ والطَّواغيتِ وَأَهْلِ الكُفْرِ الصَّريحِ. فإن وُجِدَ هَؤُلاءِ المؤمنون قَامَ بِوَاجِبِهِ وإنْ لَمْ يُوجَدوا فَعَلامَ القِيَامُ؟

إذَنْ.. فالكَاتِبُ يَسْتَعْمِلُ كَلامَ «عُلَمَاء» الشِّيْعَةِ لإبْطَالِ الإمَامَةِ!

نَعَمْ.. أَنَا أَعْتَرِفُ لَهُ أَنَّ أَكْثَرَ كَلام «عُلَمَاء» الشِّيْعَة هُوَ بِخِلافِ نَظَرِيَّةِ الإمَامَةِ الَّتي يَدَّعونَ الإيمَانَ بِهَا. وَلكنَّ النَّاتِجَ ورُغْمَ أَنْفِهِ هُوَ بالمَقْلوبِ.

فالنَّاتِجُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ: إنَّ نَظَرِيَّةَ الإمَامَةِ تُبْطِلُ كَلامَ «عُلَمَاءِ» الشِّيْعَةِ، وَلَيْسَ كَلامُ «عُلَمَاء» الشِّيْعَةِ هُوَ الَّذي يُبْطِلُ الإمَامَةَ!

وإذن.. فَأَنْتَ تَعْبُدُ الأَشْخَاصَ وقَدْ قُلْتُ لَكَ مُنْذُ البِدَايَةِ: إنَّكَ تَعْبُدُ الأَشْخَاصَ ولا يَهمُّكَ كَلامُ الله ورَسولِهِ ولا تُريد أنْ تَعْرِفَ الحَقَّ مُجَرَّداً عَنْ آراءِ الرِّجَالِ.

فَهَلْ غَابَتْ عَنكَ أَيُّهَا المُحْتَالُ الكَذوبُ عَشَرَاتُ النصوصِ الَّتي تُؤَكِّدُ أنَّ الفِتَنَ إنَّمَا هِيَ عَامَّةٌ وخاصَّةٌ، وأنَّ الخَاصَّةَ هِيَ لِتَمييزِ الشِّيْعَةِ دونَ سِواهم، وأن الشِّيْعَةَ لا بُدَّ أنْ يُمَيَّزوا ويُغَرْبَلوا ويُقْلَبَ أعْلاهُم أسفلهم «ويَخرجُ مِنَ الغربَالِ خَلْقٌ كَثيرٌ» حَسبَ تَعبيرِ الصَّادِق عليه السلام؟

وَهَلْ فَاتَتْكَ النصوصُ الَّتي تَقُولُ إنَّ أَكْثَرَ الشِّيْعَةِ والقَائلينَ بالمَهْدِيِّ عليه السلام سَيُنْكِرونَ وجودَهَ وإنَّ الخَلْقَ كُلَّهُم يُغَرْبَلون، وإنَّ أَقْوَاماً مِنْ غَيْرِ الشِّيْعَةِ يُبَدِّلُهُم اللهُ بالضَّالينَ والكُفَّارِ مِنَ الشِّيْعَةِ فَيُؤمنونَ بالمَهْدِيِّ عليه السلام ويَنْتَظرونَ ظُهورَهُ ثُمَّ يَنْصرونَهُ ضِدَّ أَقْوَامٍ مِنْ طَوَائِفِ الشِّيْعَةِ نَفْسِهَا؟

وَهَلْ فَاتَتْكَ النصوصُ الَّتي تَقولُ إنَّ مائةَ وخمسين ألفَ كَافِرٍ ومُشْرِكٍ يَخْرجونَ مِنْ مَعْقِلِ الشِّيْعَةِ «مِنَ الكوفَةِ تَحْديداً» فَيُقَاتِلون المَهْديَّ حينَ ظُهورِهِ؟

مَا نَفَعَتْكَ النصوصُ إِذَنْ في فَهْمِ المُرَادِ وإتِّبَاعِ الحَقِّ، وَلكِنَّهَا أَفَادَتْكَ في أَنْ تَكُونَ مِنْ أَوَائِلِ المُرْتَدِّينَ والمُشَكِّكينَ بالمَهْدِي..

فَهَذِهِ إِذَنْ بِشَارَةٌ لَنَا بالخَيْرِ وبِشَارَةٌ لَكَ بالشَّرِ لأنَّها تَدلُّ عَلَى اقْتِرَابِ الوَعْدِ.

والآن سَأَذْكُرُ للقارِئِ الكَريمِ الَّذي قَدْ لا يَعْلَمُ هَذِهِ النصوصَ فَقَرَاتٍ مِنْهَا وأُعلِّقُ عَلَى بَعْضِهَا بِمَا يَنْفَعُهُ في إيضَاحِ السُّنَنِ الإلهيَّةِ العَامِلَةِ:

الحَديثُ الأوَّل: عَنْ أميرِ المؤمنين عَلِيٍّ عليه السلام **قَالَ في حَدِيثٍ جَاءَ فِيهِ:**

«خَالِطُوا النَّاسَ بِأَلْسِنَتِكُم وأَبْدَانِكُم وَزَايلُوا بِقلوبِكُم وأَعْمَالِكُم فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا تَرونَ مَا تُحِبُّونَ حَتَّى يَتْفِلَ بَعْضُكُم في وُجوهِ بَعْضٍ وَحَتَّى يُسَمِّي بَعْضُكُم بَعْضاً كَذَّابينَ وَحَتَّى لا يَبْقَى مِنْ شِيعَتَي «إلاَّ» كالكُحْلِ في العَيْنِ أو المِلْحِ في الطَّعَامِ وسَأَضْرِبُ لَكُمْ مَثَلاً وَهْوَ مَثَلُ رَجُلٍ كَانَ لَهُ طَعَامٌ فَنَقَّاهُ وطَيَّبَهُ ثُمَّ أَدْخَلَهُ بَيْتَاً وتَرَكَهُ فِيهِ مَا شَاءَ الله ثُمَّ عَادَ إليهِ فإذا هُوَ قَدْ أَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهُ السوسُ فَأَخْرَجَهُ ونَقَّاهُ وطَيَّبَهُ وأَعَادَهُ وَلَمْ يزَلْ يَفْعَلُ كَذَلِكَ حَتَّى بَقِيَتْ مِنْهُ رُزْمَةٌ كَرُزْمَةِ الأَنْدَرِ فالأَنْدَرِ لا يَضُرُّهُ السوسُ شَيئاً وَكَذَلِكَ أَنْتُم تُميَّزُونَ حَتَّى لا يَبْقَى مِنْكُم إلاَّ عِصَابَةٌ لا تَضُرُّهَا الفِتْنَةُ شَيئاً»[1].

---

(١) غيبة النعماني/ نقلته عن خاتمة الدروع ج٢/ ٣٣١.

فانْظُرْ في هَذا الكَلام وَهَذا المِثَالِ: أَهُوَ مِنْ كَلام المُتَكَلِّمينَ والفُقَهاءِ وَأَهْلِ الجَّدَلِ عَنْ مَذاهِبِهِم الَّتي يُدَافعونَ عَنْهَا أَمْ هُوَ كَلامُ وَلِيٍّ يَتَحَدَّثُ فِيهِ عَنِ القَوانينِ الإِلهيَّةِ غَيْرَ آبِهٍ بِنُقْصَانِ عَدَدِ شِيعَتِهِ إلى حدٍّ أنْ يَكُونُوا كالمِلْحِ في الطَّعَامِ؟

أَلا تَرَاهُ يُعَلِّقُ عَمَليَّةَ الاستِخْلافِ عَلَى الخَيَارِ الإنْسَانيِّ مِنْ جِهَةِ طَاعَةِ الله لا مِنْ جِهَةِ اخْتِيَارِ الإمَامِ؟

فَلَو كَانَتْ الشِّيْعَةُ تَسْتَحِقُّ الخِلافَة الإلهيَّةَ لَمَا تَأَخَّرَ المَدَدُ الإلهيُّ لَحْظَةً واحِدَةً وَلكنَّ الله يَعْلَمُ أنَّ هَذا العَدَدَ مَغْشوشٌ ولا بُدَّ مِنَ الغَرْبَلَةِ والتَّمييزِ بالفِتَنِ.

أَقُولُ أَيْضاً: إنَّ المَثَلَ المَضْرُوبَ تَكَرَّرَ كَثيراً في أَحَاديثِ أئمَّتِنَا الصَّادِقِ والبَاقِرِ والرِّضَا ومُوسى بنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِم السَّلام وبِصُوَرٍ مُتَعَدِّدَةٍ. وَهْوَ في الأَصْلِ مَثَلٌ ضَرَبَهُ السيِّدُ المَسيحُ عليه السلام لتلاميذِهِ حِينَ سَأَلوهُ عَنْ يَوْمِ الرَّبِّ أو يَوْم المَلَكوتِ. وَهْوَ بالطَبْعِ نَفْسُهُ يَوْمُ المَهْدي عليه السلام، لأنَّ المَسيحَ عليه السلام يَنْزِلُ والمَهْدِي عليه السلام يُقيمُ الصَّلاةَ في أَوَائِلِ ظُهورِهِ فَيُصَلِّي خَلْفَهُ كَمَا في النصِّ النبويِّ الَّذي أَخْرَجَهُ الحُفَّاظُ مُسْتَفيضاً جِدَّاً وبَلَغَ حَدَّ الاشْتِهَارِ.

إِذَنْ فاحْتيَالُ رِجَالِ الشِّيْعَةِ عَلَى مَوضوعِ الإِمَامَةِ والانْتِظَارِ هُوَ قَانونٌ ذَكَرَهُ أَهْلُ البَيْتِ عليهم السلام ونُبُوءَةٌ سَابقَةٌ أَخْبَروا عَنْهَا. فَهْيَ تُصَدِّقُ كَلامَهُم وتُؤَكِّدُ صِحَّةَ المَثَلِ المَضْروبِ، وَلَيْسَ مَعْنَاهَا بُطْلانَ الإِمَامَةِ كَمَا يَزْعمُ هَذا الكَذَّابُ.

فانْظُرْ في النصوصِ المُشَابِهَةِ لِهَذا الكَلامِ في «بِشَارَةِ الإِسْلامِ» وفي «مُنْتَخَبِ الأَثَرِ» وفي «إلزَامِ النَّاصِبِ» وكِتَابِ «الغَيبَةِ» ومُجْمَلِ كُتُبِ أَهْلِ الأَخْبَارِ.

الحَديثُ الثَّاني: عَنْ سُلَيمَانَ بنِ صَالِحٍ عَنِ البَاقِرِ عليه السلام قَالَ في حَدِيثٍ جَاءَ فِيهِ:

«إِنَّهُ لا بُدَّ أَنْ تَكُونَ فِتْنَةٌ يَسْقُطُ فِيْهَا كُلُّ بَطَانَةٍ وَوَلِيجَةٍ حَتَّى يَسْقُطَ فِيْهَا مِنْ يَشقُّ الشَّعْرَةَ بِشَعرَتينِ حَتَّى لا يَبْقَى إِلاَّ نَحْنُ وشِيعَتُنَا».

والمقصود هُنَا بِشِيعَتِهِم المَعْنَى الفِعْلي لا الاصْطِلاحي إِذْ لَيْسَ كُلُّ مُنْتَمٍ لِطَائِفَةِ الشِّيْعَةِ هُوَ مِنَ الشِّيْعَةِ فافْهَمْ هَذا.

وَلِذَلِكَ رَدَّ الإِمَامُ زَيْنُ العَابِدِينَ عليه السلام قَوْماً مِنَ العِرَاقِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَهُم بالدخولِ عَلَيْهِ ثلاثَةَ أيَّام حِيْنَ قالوا: نَحْنُ مِنَ الشِّيْعَةِ!، فَقَالَ الإِمَامُ: إِنَّمَا الشِّيْعَةُ مَنْ هُوَ مِثْلُ سَلْمَانَ وعَمَّارَ وأبي ذَرٍّ والمِقْدَادَ فَهَلْ أَنْتُم مِثْلُ هَؤُلاءِ؟ قالوا: مَعَاذَ الله أَنْ نَقولَ ذَلِكَ! فَقَالَ: قُولوا نَحْنُ مِنْ مُحِبِّيكُم ومُوَاليكُم.

وعَنْ أبي الحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ:

«لَيْسَ كُلُّ مَنْ قَالَ بولايَتِنَا مُؤْمِناً وَلَكِنَّهُم جُعِلوا أُنْساً للمُؤمنينَ».

الحَديثُ الثَّالِثُ: عَنْ أميرِ المؤمنينَ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ لمَالِكَ بنِ ضَمْرَةَ:

يَا مَالِكُ بنُ ضَمْرَةَ كَيفَ أَنْتَ إذا اخْتَلَفَتِ الشِّيْعَةُ هَكذا وشَبَكَ أَصَابِعهُ وأَدْخَلَ بَعْضَهَا في بَعْضٍ قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أميرَ المؤمنينَ مَا عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ خَيْرٍ. قَالَ: الخَيْرُ كُلُّهُ عِنْدَ ذَلِكَ يَا مَالِكُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقومُ قَائِمُنَا فَيُقَدِّمَ سبعينَ رَجُلاً يُكَذِّبونَ عَلَى الله ورَسولِهِ فَيَقْتُلُهُم ثُمَّ يَجْمَعُ الله «النَّاسَ» عَلَى أَمْرٍ واحِدٍ»[1].

ومِثْلُ هَذا النصِّ وَرَدَ عَنِ الصَّادِقِ أَيْضاً فَرَاجِعْ الغَيبَةَ والبِشَارَةَ. كَمَا رُوِيَ مِثْلُهُ عَنِ الإِمَامِ الحَسَنِ عليه السلام قَالَ:

«لا يَكونُ الأَمْرُ الَّذي تَنْتَظِرونَ حَتَّى يَبْرَأَ بَعْضُكُم مِنْ بَعْضٍ ويَتْفِلَ بَعْضُكُم في وُجوهِ بَعْضٍ وَحَتَّى يلْعنَ بَعْضُكُم بَعْضاً وَحَتَّى يُسَمِّي بَعْضُكُم بَعْضاً كَذَّابينَ»[2].

---

(١) الخاتمة/ ج ٢/ ٣٣٠.

(٢) غيبة النعماني/ باب مَا روي عن الحسن.

أَقُولُ: هَذا الاخْتِلافُ ضروريٌّ للتنبيهِ إلى الحَقَائِقِ المَطْموسَةِ في ركامِ أَهْلِ الكَلامِ والعُلَمَاءِ الَّذينَ يَقُولُونَ حَسَبَ أَهْوَائِهِم سَوَاء كانوا شِيعَةً أَمْ سُنَّةً.

وَمَا لَمْ يَتَحدَّدُ موضوعُ الكُفْرِ والإيْمَانِ وتَتَوَضَّحُ مَعَالِمُهُ فَلَنْ يَتَرَاجَعَ النَّاسُ عَنِ المُغَالَطَةِ في التَّفكيرِ.. وقَدْ أَوْضَحْتُ جَانِباً مِنَ المُغَالَطَاتِ وسوف أُبَيِّنُ بَعْضَهَا الآخَرَ في مواضِعِهَا.

الحديث الرابع: عَن الرضا عليه السلام قَالَ:

«والله مَا يَكونُ مَا تَمدُّونَ أَعْيُنَكُم إليه حَتَّى تُمَحَّصُوا وتُمَيَّزوا وَحَتَّى لا يَبْقَى مِنْكُم إلاَّ الأَنْدَرُ فالأَنْدَرُ»[1].

إِذَنْ فالغَيبَةُ - غَيبَةُ الإمَامِ الثاني عَشَر - لَهَا نَفْسُ العِلَّةِ والسَّبَبِ في عَدَمِ قِيَامِ مَنْ سَبَقَهُ مِنَ الأَئمَّةِ!

فَلَيْسَتْ هُنَاكَ أَسْبَابٌ مُخْتَلِفَةٌ أو مُبررَاتٌ مُتَبَايِنَةٌ كَمَا يَزْعَمُ هَذا الكذَّابُ الأَشِرِ، بَيْدَ أَنَّ التَّعبيرَ عَنِ العِلَّةِ يَأْخُذُ صُوَراً مُخْتَلِفَةً بِحَسَبِ المُتَلَقِّي وقُدُرَاتِهِ العقليَّةِ. وَلِذَلِكَ وَصَلَتْ إلينا الأحاديثُ وَهْيَ تُبَيِّنُ عِلَلاً كَثيرةً للغيبةِ.

وإذا انْكَشَفَتِ العِلَّةُ ظَهَرَتْ تلقائياً كافَّةُ المُغَالَطَاتِ في الموضوعِ. فهذِهِ العِلَلُ المُخْتَلِفَةُ إِنَّمَا تُنَوِّهُ عَنِ العِلَّةِ الرئيسيَّةِ الأُمِّ.

عجباً لِقَوْمٍ يَتَسَاءلونَ عَنْ سَبَبِ الغَيْبَةِ!

عَجَباً لِعُلَمَاءَ مِنَ الشِّيْعَةِ أَبوا إلاَّ أَنْ يَكُونُوا تَبَعاً للشَّيطانِ!

إِنَّ الكَاتِبَ الكاذِبَ شَيْطانٌ أَيْضاً وَلكنْ للشياطينِ فوائِدُ عَظيمةٌ خَافيَةٌ عَنْ أَكْثَرِ النَّاسِ!

فالشَّيْطَانُ يَكْشِفُ المَسْتورَ وبِهِ يَتِمُّ التَّمييز وَالغَرْبَلَةُ!

---

(١) البشارة/ باب مَا روي عن الرضا.

عَجَباً لِقَوْمٍ يَتَسَاءلونَ عَنْ أَسْبابِ غيبَةِ الإمَامِ وكأَنَّهم غَيْرُ مَعْنيينَ بالغَيْبَةِ ولا مَسؤولينَ عَنِ التَّأخِيرِ. إنَّ هَذا العَمَلَ نَفْسَهُ خدَاعٌ، وإنَّ هَذا العَمَلَ نَفْسَهُ هُوَ سَبَبُ طولِ الغَيْبَةِ!

وَلِذَلِكَ فَقولُ الكاَتِبِ في المَبْحَثِ السَّادسِ مِنَ الجُزْءِ الثَّاني/ ١٦٣ :

«فَبَعْدَ تقَدْيمِ كافَّةِ الأدلَةِ عَلَى وجودِ مُحَمَّدٍ بنِ الحَسَنِ العَسْكَري فإنَّ غَيبَتَهُ عَنِ الأنْظَارِ وعَدَمَ خُروجِهِ وتَصَدِّيهِ لقيادَةِ الأُمَّةِ والاضْطِلاعِ بِمَهَامِ الإمَامَةِ يُشَكِّلُ تَحَدِّياً كَبيراً للقَائلينَ بوجودِهِ ويُوجِبُ عَلَيْهِم تَفْسيرَ «سرِّ الغَيْبَةِ» وقَدْ قَدَّموا عِدَّةَ نظرياتٍ في تَفْسيرِ ظَاهِرَةِ الغَيبَةِ المُحَيِّرَةِ!».

أَقُولُ: هَذا كَلامٌ يُشْبِهُ كَلامَ الخَوارِجِ فَهوَ كَلامُ حَقٍّ يُرَادُ بِهِ البَاطِلُ. وَذَلِكَ لِسَبَبَيْنِ رَئِيسيينِ هما:

الأَوَّل: إنَّ هَذا التَحَدِّي ذاتِيٌّ. فإنَّ كانوا مؤمنين بِهِ حَقّاً فإنَّ اللَّومَ يقَعُ عَلَيْهِم لأنَّ التَّفسيرَ الوَحيدَ للغَيبَةِ هُوَ عَدَمُ صَلاحيَّتِهِم لظُهورِ الإمَامِ والقِيَامِ بالمُهِمَّةِ.

فَشَأنُهُ في هَذا لا يَخْتَلِفُ عَن شَأنِ الرِّضَا عليه السلام الَّذي رَفَضَ ولايَةَ المأمون، وكَذلك شَأنِ جَميعِ آبائِهِ كالصَّادِقِ عليه السلام الَّذي رَفَضَ الدَّعوة الهاشميَّةَ لبني العَبَّاسِ مَعَ أنَّ جَيشَ العبَّاسيَّةَ البالِغَ عشرين ألفاً قَدْ دَخَلَ العِرَاقَ وغايَتُهُ أنْ يَكُونَ تَحْتَ تَصَرُّفِهِ.

وإنْ كانوا لا يُؤمنونَ ويَتَساءلونَ فَقط فَإنَّهُم كَذَبَةٌ ومَاكرونَ. وقَدْ ذَكَرَهُمُ القُرْآنُ لأنَّ يَوْمَ المَهْدي عليه السلام هُوَ يَوْمُ الدِّينِ وتَحقيقِ المُرَادِ الإلهِيِّ مِنْ الشَّرْعِ كَمَا في آلافِ النصوصِ النَبويَّةِ الَّتي ذَكَرَهَا الحُفَّاظُ. حَيْثُ وَرَدَ تَكْذيبُهُم بِيَومِ الدِّينِ مِنْ نَحْوِ مِنْ إثني عَشَر مَرَّةً في القُرْآنِ، وهُمْ شِرَارُ خَلْقِ اللهِ.

الثاني: إنَّ النَّظَرياتِ المَوضوعَةَ لتَفْسيرِ الغَيبَةِ لَيْسَتْ نَظَرياتٍ عَلَى الجَمْعِ، وإنَّمَا هِيَ نَظَرِيَّةٌ واحِدَةٌ فَقَط صِيغَتْ صِيَغَاً مُخْتَلِفَةً بِحَسَبِ نَتَائِجِهَا لا لاخْتِلافِ الأَسْبَابِ كَمَا زَعَمَ هَذا الجَاهِلُ. وَهَذا مَا سَوفَ نُوَضِّحُهُ الآنَ مُخْتَصَراً:

أ - الحِكْمَةُ المجْهولَة:

وَهَذِهِ فِكْرَةٌ مُبْتَدَعَةٌ لا عِلاقَةَ لَهَا بالإمَامَةِ وإنْ قَالَ بِهَا أَساطينُ الفِكْرِ الشِّيعيِّ!

فَلا تَخْدَعْكُمُ الشهْرَةُ!

إِذْ كَيفَ تكونُ مَجْهولَةً وفي عينِ الوَقْتِ يَطْلبُ الحُجَّةُ نَفْسُهُ أنْ يُدْعَى لَهُ بالفَرَجِ ويؤَكِّدُ عَلَى مَكَارِمِ الأخلاقِ والعِبَادَةِ؟

فَمَاذَا يَقولُ الدَّاعي؟

وأيُّ سبيلٍ يَسْلكُ لأَجْلِ تَقْريبِ الموعِدِ إذا كَانَ يَجْهَلُ السِّرَّ في الغَيْبَةِ؟

أَقولُ أَيْضاً: إنَّ فِكْرَة الحِكْمَة المَجهولَة لَمْ تُؤْثَرْ قط عَنْ أحَدٍ مِنَ الأئمَّة الإثني عَشَر، فَهْيَ مِنْ أَقْوَالِ «العُلَمَاءِ» ومَزَاعِمِهِم لا غَيْر. بَلِ الحِكْمَةُ واضِحَةٌ جِدّاً حَتَّى في أَجوبَةِ الإمَامِ الثاني عَشَر عليه السلام نَفْسِهِ حَوْلَ السُّؤالِ عَنْ سَبَبِ الغَيبَةِ والذي لَمْ يَرِدْ فِيهِ تَبْكيتُ السَّائِلِ وإهَانَتِهِ. فَبَدَلاً مِنْ أنْ يَقولَ لَهُ: «أَنْتُم سَبَبُ الغَيبَةِ» قَالَ في الجَّوَابِ مَا ذَكَرَهُ تَعَالَى في كتابِهِ الكَريم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ [المائدة: ١٠١].

وَهَذا جوَابٌ كَافٍ جِدّاً يُوَضِّحُ السَّبَبَ مِنَ الغَيبَةِ، فَفِيهِ أَشْيَاء تُسِيءُ إلى سُمْعَةِ السَّائلينَ، لأنَّ العِلَّةَ في الأَتْبَاعِ لأنَّهُمْ لَمْ يَصِلوا بَعْدُ إلى دَرَجَةِ الوعَي والتَّسْليمِ لِلحُكْمِ الشَّرْعيِّ حَتَّى يَسْتَحِقُّوا الخِلافَةَ الإلهيَّةَ.

أَمَّا المُعَادَلَةُ القائِلَةُ إنَّ الحُكْمَ هُوَ الَّذي يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى الإيمانِ، وإنَّ النَّاسَ في ضَلالٍ مَا دَامَ هُنَاكَ حُكَّامُ جُوْرٍ فَهْيَ مُعَادَلَةٌ مَقلوبَةٌ مُخَالِفَةٌ للتَّشريعِ الإلهيِّ، وَهْيَ مِنْ تَشْريعاتِ الَّذينَ كَفَروا.

فالحَرَكَةُ الاجتِمَاعيَّةُ هِيَ دَوْماً سَابِقَةٌ عَلَى أيِّ تَكْوينٍ سِيَاسيٍّ. وقَدْ جَمَعَ

النَبِيُّ ﷺ العَلاقَةَ بَيْنَ الحَاكِمِ والمَحْكومِ في عِبارَةٍ مُوجَزَةٍ عَظيمَةِ الأَهَميةِ حِينَمَا قَالَ:

«كَيفَ مَا تكونونَ يَكونُ أُمَراؤُكُم».

وفي نصوصٍ أُخرَى عَنِ السُّنَّةِ قَالَ:

«كَيفَمَا تكونونَ يُؤَمَّرُ عَلَيْكُم».

وَلَو كَانَ الحُكْمُ هُوَ المُؤَثِّرُ عَلَى عَقَائِدِ النَّاسِ لَقَالَ عَكْسَ هَذِهِ العِبَارَة: «كَيفَمَا يَكونُ أُمَراؤُكم تَكونونَ».

وَلكنَّ هَذِهِ العِبَارَةَ الأخيرَةَ خَاطِئَةٌ واقِعِيّاً لأنَّ الأُمَرَاءَ يأتونَ دَوْمَاً نَتيجَةَ صِرَاعِ قِوَى اجتماعيَّةٍ وفكريَّةٍ موجودَةٍ قَبْلَهُم وهُمْ نَاتِجٌ لَهَا.

فإذا وُجِدَ في السَّاحَةِ قَوْمٌ يُؤمنونَ بالخِلافَةِ الإلهِيَّةِ تَحَقَّقَتْ، وإنْ لَمْ يُوجَدوا فالفِتَنُ وأُمَرَاءُ السُّوءِ وحُكَّامُ الشَّرِّ هُمْ مَحْصولُهُم الوَحيدُ.

فَطَبيعَةُ الحُكْمِ هُوَ أَمْرٌ مُعَلَّقٌ عَلَى الاختِيَارِ البَشَريِّ إزاءَ قَضِيَّةِ التَّوحِيدِ والتزاماتِهَا العَقَائديَّةِ وَمِنْ ثُمَّ الأخلاقيَّةِ. فَمَتَى وَقَعَ هَذا الاختيارُ عَلَى المَفهُومِ الصَّحيحِ لِهَذِهِ القَضِيَّة فإنَّ مَسيرَةَ النَّوعِ البَشَريِّ سَتُفضي إلى الحُكْمِ الإلهيِّ حَتْماً. وَأمَّا إذا تُرِكَ هَذا الاختيارُ سَائِبَاً أو وَقَعَ هُوَ عَلَى المَفَاهيمِ الخَاطِئَةِ للقَضيَّةِ هَذِهِ، فإنَّ الخَرَابَ الدَّاخليَّ لا بُدَّ أنْ يَطَال كُلَّ إنْسَانٍ، وبالتَّالي عَدَم اسْتِحْقَاقِ النَّوعِ البَشَريِّ إلاَّ لِحُكْمٍ مِنْ نَوعِ هَذا الخَرَابِ.

ومن هُنَا فإنَّ مُجَرَّدَ الاعْتِقَادِ بالخليفَةِ والحُجَّةِ لَنْ يَكونَ كَافياً للظُّهورِ مِثْلَمَا أنَّ مُجَرَّدَ القَولِ بِهَذا الاعتِقَادِ لَنْ يَكونَ هُوَ المناطَ.

فإنَّ الَّذينَ يَقولُونَ ذَلِكَ هُمْ كَثْرَةٌ وأَكْثَرُهم كَاذِبون ومُراؤونَ وَأَهْلُ دُنْيَا ويَطْلبونَ المَهْديَّ لأغراضٍ شَخْصيَّةٍ. فَهُمْ يَرونَ فِيهِ حَاكِمَاً عَادِلاً يُخَلِّصُهُم مِنَ الظُّلمِ لا غَيْر!.

وَهَذا التَّصَوُّرُ لَيسَ قَصْراً عَلَى أَهْلِ الأَدْيَانِ وَأَهْلِ الإِسْلامِ. . فَكُلُّ الشُّعوبِ تُريدُ التَّحَرُّرَ مِنَ الظُّلْمِ وتُحَاوِلُ إيجَادَ قِيَادَةٍ عَادِلَةٍ!.

كَلاَّ. . إنَّ الإِمَامَةَ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ هَذا التَّصَوُّرِ في نَتَائِجِهَا. والخِلافَةُ الإلهِيَّةُ هِيَ فَقَط لِقَومٍ يُؤمِنونَ ويُسَلِّمونَ بالحُكْمِ الشَّرْعِيِّ وَلَيْسَتْ لَدَيهِم أَحْكَامٌ مُسْبَقَةٌ ولا تَعْقيبٌ عَلَى الحُكْمِ الشَّرْعِيِّ. فَهَذَا هُوَ جَوْهَرُ الإيمانِ وَهْوَ مُرْتَبِطٌ بِعَمَليَّةٍ سلوكٍ معقَدَةٍ جِدّاً، إِذْ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ حاجَتُهُم الأُولى لِلَّهِ وَحْده ولِطَاعَتِهِ لا للدُّنْيَا ولا حَتَّى للآخِرَةِ والعَاقِبَةِ السَّعيدَةِ في الجَنَّةِ!.

هَذا الوَعْدُ بالخِلافَةِ هُوَ تحديداً للَّذينَ آمَنوا بِعِصْمَةِ الإمَامِ عليه السلام وَلَمْ يَرِدُّوا عَلَى اللهِ في شيءٍ، وَكَانَ هَمُّهُم الأَوَّلُ والأَخيرُ هُوَ رِضَاه تَعَالَى، وكانوا هُمْ في عَمَلٍ مُسْتَمِرٍّ مَحْموم للصَّالحَاتِ الَّتي رَضِيَهَا الله تَعَالَى لَهُم. قَالَ تَعَالَى:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

والخِطَابُ للَّذينَ آمنوا كَمَجْموعٍ، وهُمْ مُخْتَلفي الدَّرَجَاتِ.

إِذَنْ لا تُوجَدُ حِكْمَةٌ مَجْهولَةٌ كَمَا زَعَمَ الكَاتِبُ الكَاذِبُ وإنْ قَالَ بِهَا بَعْضُ «عُلَمَاءِ» الشِّيْعَةِ كالصّدوقِ والطُوسيِّ وكاشفِ الغطَاءِ وغَيْرِهِم.

فالمَعْصومُ عليه السلام أَوْضَحَ بِجَلاءٍ وفي نصوصٍ عَديدَةٍ عِلَّةَ الغَيْبَةِ. وقَولُهُ عليه السلام: ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ...﴾ [المائدة: ١٠١] لَيسَ هُوَ مَنْعاً مِنَ السُّؤالِ لأنَّ الحِكْمَةَ مَجْهولَةٌ، بَلْ لا يَقولُ ذَلِكَ إلاَّ جَاهِلٌ. إِنَّمَا الآيَةُ صَريحَةٌ في إلقاءِ التَّبِعَةِ عَلَى السَّائِلِ. فَهِيَ جَوابٌ للسُّؤالِ، بَلْ هِيَ جَوَابٌ عَنِيفٌ لَو كَانوا يَعْلَمُون.

ب - نَظَرِيَّة التمحيص:

قَالَ الكاَتِب الكاذب:

«وَهُنَاكَ نَظَرِيَّةٌ أُخْرَى لتفسيرِ الغَيبَةِ هِيَ نَظَرِيَّةُ التَّمحيصِ وقَدْ رَوَى الصدّوق والطوسي رواياتٍ عديدَةٍ في هَذا المَضْمونِ عَن الإمامينِ البَاقِرِ والصَّادِقِ وتَعْني تَمْحيصَ الشِّيْعَةِ وغَرْبَلَتَهُم وظهورَ حقيقَةِ إيمانِهِم بالمهْدِيِّ وصَبْرَهُم عَلَى البَلاءِ.

وتَتَحدَّثُ بَعْضُ الرواياتِ: إنَّهُ لا بُدَّ لِصَاحِبِ الأَمْرِ مِنْ غَيْبَةٍ يَغيبُهَا حَتَّى يَرْجِعُ عَنْ هَذا الأَمْرِ مَنْ كَانَ يَقولُ بِهِ: وَإِنَّمَا هِيَ مِحْنَةٌ إمْتَحَنَ الله بِهِا خَلْقَهُ».

ثُمَّ ذَكَرَ تَشَابُهَ غَيبتِهِ وإبطاءَهُ مَعَ إبطاءِ نوحٍ عليه السلام حَتَّى أَخَذَتْ طَوَائِفُ مِنَ المؤمنينَ بِهِ تَرْتَدُّ طائفةً بَعْدَ أُخْرَى.

وَقَالَ: «وَلكِنْ لَمْ يَأخُذْ بِهَذِهِ النَّظَرِيَّةِ سِوَى الصدّوق وأَهْمَلَهَا المُفيدُ والمُرتَضَى والطوسيُ وفَسَّرَ الطوسيُّ الرواياتِ الوارِدَة في امْتِحَانِ الشِّيْعَةِ حَالَ الغَيبَةِ أَنَّهَا تَعْنِي الاتِّفَاقَ في ذَلِكَ في أَثْنَائِهَا لا إِنَّهَا سَبَبٌ لَهَا».. انتهى الشاهد/ ١٦٤.

والكَاتِبُ كَعادَتِهِ في الكَذِبِ والتزويرِ لَمْ يَأْتِ بأغْلَبِ النصوصِ الهامّة في فِكْرَةِ التَّمحيصِ وَبتْرِ النصِّ الخاصّ بتشبيهِ الإبطاءِ بنوحٍ عليه السلام كَمَا أَهْمَلَ كافَّةَ النصوصِ الَّتي تُشَبِّهُ غَيْبَةَ الإمَامِ عليه السلام بِغيبَةِ الرُّسُلِ عليهم السلام كيونُسَ ويوسُفَ وإبراهيمَ وموسى حَيْثُ كَانَ لِكُلٍّ مِنْهُم غيبةٌ طويلةٌ أو قصيرةٌ وافتراقٌ عَن قواعِدِهم.

وفي نَفْسِ الوَقْتِ أوحى للمُتَلقي عَنْ إهْمَالِ الأساطينِ لَهَا وكأَنَّنَا نُدينُ بدينِنَا للطوسيِّ والمُرْتَضى والمُفيدِ؟

السُّؤال هُوَ: أَنْتَ أَيُّهَا الكَاتِبُ مَا تَقولُ في هَذا؟

أَتقولُ مَا يَقُولُهُ الله في كِتَابِهِ وَمَا يَقولُهُ رَسولُهُ؟

تُرَى لَو أنَّ الله قَدْ عَيَّنَ حُجَجاً عَلَى خَلْقِهِ وآتاهُم عِلْمَ الكِتَابِ وَلكنَّ الخَلْقَ عَصوهم فَمَاذَا يَفْعَلُ أُولَئِكَ الحُجَجُ؟

أَتُرِيدُ مِنْهُ أنْ يَأْمُرَهُم بِتَحريكِ الدَّبَابَاتِ في مُؤَامَرَةٍ حَقيرَةٍ ويَقومونَ بانْقِلابٍ عَسْكَرِيٍّ حَتَّى يَأْتيَ المَهْديُّ الحُجَّةُ لِيَحْكُمَ؟

أَمْ تُرِيدُ مِنْهُ أنْ يَسْتَبْدِلَ القَومَ بخَلْقٍ آخرينَ كَمَا هَدَّدَ مِرَاراً في القُرْآنِ؟

أَمْ يَكيدَ العَدوَّ ويَفْتِنَ المُوالي بتَمديدِ عُمرِ الحُجَّةِ الأخيرِ مِنْهُم ويَحْلُمَ عَلَيْهِم حَتَّى يَعودوا إلى الحَقِّ فَيُحَقِّقَ بِذَلِكَ وَعْدَهُ الَّذي قَطَعَهُ لَهُم ولِرَسولِهِ في القُرْآنِ؟

وفي كُلِّ الأحوالِ فإنَّ الله تَعَالَى فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ لا يُعْجِزُهُ شَيءٌ عَنْ شَيءٍ!

وَمَا هُوَ الأَنْسَبُ والأَلْيَقُ لجلالِ الله وعَظَمَتِهِ ولُطْفِهِ وعِلْمِهِ؟

وَمَا أَدْرَاكَ أنْ يَكُونَ في عِلْمِهِ أنَّ الخَلْقَ لا بُدَّ أنْ يَرْجِعوا إلى دِينِهِ طوعاً لا كرهاً كَمَا عَلِمَ مِنْ رجوعِ قَوْمِ يونسَ عليه السلام؟.

وَمَا عِلْمُكَ عَنْ طَريقَتِهِ في الحِسَابِ بحَيثُ إنَّ كُلَّ امرئٍ يَنَالُ جَزَاءَهُ العَادِلَ ولا يَخْسَرُ مؤمِنٌ مُنْتَظِرٌ صَابِرٌ عَامِلٌ بِمَا أَمَرَ الله مِثْلَمَا لا يَرْبَحُ أُولَئِكَ الَّذينَ أَمْهَلَهُم؟

وَهَلْ أيَّامُكَ مِثْلُ أيَّامِهِ؟

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

أَفَلا يَصْبِرُ يَوماً أو يومين؟

وَلِماذَا قَصَّ عَلَيْكَ قِصَّةَ يُونُسَ؟

فإنَّ يُونسَ اعتَقَدَ أنَّ القَوْمَ لا يُؤمنونَ واسْتَعْجَلَ العَذَابَ عَلَيْهِم فَأَخَذَهُ

الغَضَبُ لِبطئ الوَعْدِ بالعَذَابِ. وفي عِلْمِ الله أَنَّهم لَنْ يُعَذّبوا فَهْوَ يَعْلَمُ أَنَّهم سَيُؤمنونَ، ولكنَّ يُونُسَ لا يَعْلَمُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَترِكِ المَشيئةَ لِلَّهِ. فَهْوَ مِثْلُ رَجُلٍ يَأْتَمِرُ بأوامِرِ المَلِكِ وَلكِنَّهُ يَقُولُ للمَلِكِ: لا بُدَّ أنْ أنفِّذَ الأمْرَ الآنَ!.

صَحيحٌ إنَّهَا طَاعَةٌ للمَلِكِ وَلكِنَّهَا تَتَضَمَّنُ عصياناً مِنْ جِهَةٍ أُخرَى. فَمَا أدْرَاهُ أنَّ المَلِكَ يُريدُ العدولَ عَن هَذا الأَمْرِ لتغيّرٍ في حَالِ الرعيَّةِ وإصْدَارَ أمْرٍ آخَر؟

إنَّ العَلاقَةَ مَعَ الله لَهَا صُورَةٌ واحِدَةٌ فَقَط هِيَ «التَّسْلِيمُ» وكلُّ مَا عَدَاهَا فَهْوَ شِرْكٌ أو كُفْرٌ.

وَهَلْ تَفْهَمُ سِرَّ العقوبَةِ الغَريبَةِ الَّتي طَالَتْ يُونُسَ؟

مَا أَدْرَاكَ أَيُّهَا المُتَغَافِلُ أنَّ الله يَعْلَمُ أنَّ الخَلْقَ رَاجِعونَ إلى دِينِهِ حَتْماً وَلِذَلِكَ فَهْوَ يُمَحِّصُهُم بالبَلاءِ ولا يُعَجِّلُ عَلَيْهِم بالعِقَابِ؟!

مَعَ أنَّ البَلاءَ يَعْمَلُ كعِقَابٍ أيْضاً وَلكنْ دونَ الإهْلاكِ. وفي كُلِّ الأحْوالِ تَبْقَى الاحتمالاتُ كُلُّهَا مَفْتوحَةً، فَلا أَحَدٌ في السَّمَواتِ والأَرْضِ قَادِرٌ عَلَى الحُكْمِ بمصَيرِ الخَلْقِ!

وكلُّ مَا نَعْلَمُهُ أَنَّهُ لحَدِّ هَذِهِ اللَّحْظَةِ قَدْ وَفَى بِوَعْدِهِ ونَصَرَ جُنْدَهُ وأمَدَّ بِعُمْرِ حُجَّتِهِ إمْهَالاً لِلْعِبَادِ لِيَرجِعوا إلى دِينِهِ الحَقِّ، فإنْ فَعَلَ فَهْوَ جَديرٌ بالرَّحْمَةِ وإنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهْوَ الجَديرُ بالعَدْلِ. وَلِذَلِكَ قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام:

«لا بُدَّ أنْ يُوَلَّى كُلُّ قَوْمٍ قَبْلَ القَائِمِ حَتَّى لا يَقُولوا لَو وُلِّينَا لَفَعَلْنَا وفَعَلْنَا».

والمَعْنَى: إنَّ كُلَّ النَّظرياتِ تَسْقطُ تباعَاً فإذا أَحسَّ الخَلْقُ ذَلِكَ رَجَعوا إلى كِتَابِ الله يَبْحثون فِيهِ عَنْ سَبَبِ اخْتِلافِهِم وغِيَابِ الرَّحْمَةِ عَنْهُم.. وأَوَّلُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ إنْ شَاءَ الله هُمْ المُحبّون للهِ ولرَسولِهِ مِنَ الشِّيْعَةِ فَتَنْكَشِفُ النَّوَايَا ويُكَفِّرُ بَعْضُهُم بَعْضاً جِهَاراً. وَهَذا يَسْتَدعي مِنَ الثُّلَّةِ المُؤمِنَةِ أنْ تُعْلِنَ عَنْ كُفْرِهِم.

فَأُعْلِنُ الآنَ مِنْ هَذِهِ الوَرَقَةِ المُبارَكَةِ أنَّكَ أَوَّلُ مُرْتَدٍّ وكَافِرٍ بالمهْدِيِّ لِتَبْدَأَ الفِتْنَةُ الَّتي هِيَ «خَيْرٌ».

أَلَم تَرْوِ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام قَولَهُ:

«وَكَذَلِكَ القَائِمُ تَمْتَدُّ أيَّامُ غَيْبَتِهِ لِيُصْرِحَ الحَقّ عَنْ مَحْضِهِ ويَصْفُوَ الكَدَرُ بارْتِدَادِ كُلِّ مَنْ كَانَتْ طِينَتُهُ خَبِيثَةً مِنَ الشِّيْعَةِ».

لَقَدْ حَكَمْتَ عَلَى نَفْسِكَ بِهَذا النصِّ. فَأَنْتَ تَزْعُمُ أنَّ المَهْدِيَّ أكذوبةٌ وَنَحْنُ نُعلِنُ عَنْ صِدْقِ الصَّادِقِ عليه السلام وأَنَّكَ أَوَّلُ مُرْتَدٍّ طِينَتُهُ خبيثةٌ.

اسْأَلْ أَهْلَكَ فَإِنَّهم ذَكَروا مَا هُوَ شرٌّ مِنْ ذَلِكَ، ذَكَروا أَنَّ المُبْغِضَ لَهُم عليهم السلام هُوَ ابنُ زِنَى أو حَرَامٍ عَهْدٌ مَعْهودٌ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله الأُميِّ الصَّادِقِ الأمينِ عَلَى الوَحْيِّ.

فَلا تَحْسَبْ أنَّ أُمَمَ الأَرْضِ كُلَّهُم زُناةٌ ولو كانوا عَلَى غَيْر دينِ الإسلامِ لأنَّ الله تَعَالَى يَقولُ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

سَيَنْجُو الكَثيرُ الكَثيرُ مِنَ الأُمَمِ وسَيَهْلِكُ الكَثيرُ الكَثيرُ جِدّاً مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، ذَلِكَ أنَّ حُكْمَكُم عَلَى النَّاسِ مُخْتَلِفٌ عَنْ حُكْمِ الله الَّذي يَعْلَمُ بِذَاتِ الصُّدورِ.

ج - نَظَرِيَّةُ الخَوْفِ:

سَمَّاهَا الكَاتِبُ المُغَفَّلُ نَظَرِيَّةَ الخَوفِ لأنَّ ثَلاثَةً مِنْ عُلَمَاءِ الإماميَّةِ قالوا بِهَا!

ومَفَادُهَا أنَّ غَيْبَةَ المَهديِّ عليه السلام هِيَ بِسَبَبِ خَوْفِهِ مِنَ الظَّالمينَ.

وهؤلاءِ العُلَمَاءُ هُمْ المُفيدُ في الإرشادِ والمُرْتَضى في الشَّافي والكَرَاجكي في كَنْزِ الفَوائِدِ.

أمّا الرَّابعُ وَهُوَ الطوسيُّ فَكلامُهُ مُخْتَلِفٌ وإنْ أدْرَجَهُ المُغفَّلُ مَعَ كَلامِهِم.

ذَلِكَ أنَّ الثَّلاثَةَ قالوا: «خوفُهُ مِنَ الظَّالمينَ ومِنَ السُّلطانِ وأعْوَانِهِ وشِدَّةِ طَلْبِهِم لَهُ هِيَ المَانِعُ مِنْ الظُّهورِ والعِلَّةُ في الغَيْبَةِ.

فَتَعَالوا أَيُّهَا القُرَّاءُ الكِرَامُ لِنَفْهَمَ: مَا هُوَ الفَرْقُ بَيْنَ الحِكْمَةِ المَجْهولَةِ والتَّمحيصِ والخَوْفِ الَّتي سمَّاهَا المُغَفَّلُ نَظرياتٍ ثَلاثاً؟!

أَوَ لَيْسَتْ إجابَةُ المَهْديِّ عليه السلام نَفْسِهِ عَنْ سَبَبِ الغَيْبَةِ قَدْ تكرَّرتْ ذَاتُهَا حَيْثُ أنَّهُ أَجَابَ بِنَفسِ الآيَةِ الكَريمَةِ:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١].

مَعْلومٌ أنَّ الإمَامَ قَدْ أَجَابَ الإجابَةَ الحَقِيقِيَّةَ عَنِ السُّؤالِ وَحَدَّدَ العِلَّةَ في الغَيْبَةِ وإنْ كَانَتْ صيغَةُ الآيَةِ النَّهْيَ عَنِ السُّؤالِ - إنَّمَا يَفْهَمُ أَنَّهُ لَمْ يُجِبْ عَن السُّؤالِ وأنَّ الحِكْمَةَ فِيهَا مَجْهُولةٌ إمَّا مُغَفَّلٌ لا يَفْهَمُ، وَأمَّا مُقْتَدٍ بالإمَامِ عليه السلام لا يُجيبُ إلاَّ بِمَا يُسَاوِقُ جَوابَهُ وإنْ كَانَ فِيهِ إيْهَامٌ أو إبْهَامٌ للسَّامِعِ الَّذي لا يَتَدَبَّرُ ولا يَشكُّ في نَفْسِهِ لِغُرورِهِ. ذَلِكَ أنَّ الآيَةَ الكَريمَةَ إنَّما تُلْقِي باللَّومِ عَلَى نَفْسِ السَّائِلِ كَمَنْ يقولُ لَكَ: لِماذَا لَمْ تَأْتِ لزِيَارتي؟. فإذا تَلَوْتَ لَهُ الآيَةَ فَمَعْناه أنَّكَ تَجْعَلُ الوِزْرَ عَلَيْهِ والعِلَّةَ فِيهِ بحَيثُ لَو سَمِعَ الجَوابَ بِشَكْلٍ صَريحٍ أساءَهَ. فَأَنْتَ بِذِكْرِكَ الآيَةَ تكونُ قَدْ أَجَبْتَ عَلَى السُّؤالِ بِلُطْفٍ. وَلكِنْ أنْ يَذْكَرَ الإمَامُ هَذا الجَوَابَ فَهُوَ أمْرٌ لا لُطْفَ فِيهِ لأنَّ الموضوعَ هُوَ مَوضوعٌ يَتَعلَّقُ باللهِ تَعَالَى نَفْسِهِ.. إذْ هُنَاكَ تَقْصيرٌ مِنْ جَانِبِ السَّائِلِ هُوَ سَبَبُ التَّأخِيرِ والغَيْبَة.

فالإمَامُ واضِحٌ جِدّاً في مُرادِهِ. ومُرَادُهُ هُوَ:

أَنْتُم أَيُّهَا الشِّيْعَةُ المُنْتَظِرونَ لأمْرِي لا تَسْألوا عَنْ غَيْبَتِي فالجَّوابُ يَسُوؤكُم لأنَّكُم سَبَبُ غَيبَتِي فَأنَا أَنْتَظِرُ قَوْماً وأَعْوَاناً مُسَلِّمينَ لأمْرِي غَيْرَ شاكِّينَ ولا

رَادِّينَ عَلَيَّ وَعَلَى الكِتَابِ وَعَلَى السُّنَّةِ وَعَلَى آبائي ولَسْتُم كَذَلِكَ وإنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ ظُهوري، لأنَّ هَذا الحُبَّ مَشوبٌ بِمَطَامِعَ أُخرَى وضَلالاتٍ وأَهْواء، ولا زَالَ الَّذينَ أسْتَعينُ بِهِم عَلَى الأَمْرِ ويأذَنَ الله بِظهوري لأَجْلِهِم قِلَّةً - ولهؤلاءِ أَجْرُهُم وإنْ تَأَخَّرَ - أمّا المُسْتَعْجلونَ فَهُمْ هَالِكون كَمَا قَالَ جَدِّي الصَّادِقُ وجَدِّي البَاقِرُ تَنفيذاً لِمَا جَاءَ في القُرْآنِ في ستَّةِ مَوَاضِع نَهى فِيْهَا عَنِ الاسْتِعْجَال.

فالمُسْتَعْجِلُ شَاكٌّ والسَّائِلُ نَفْسُهُ شَاكٌّ، فالجَّوَابُ الواضِحُ يُسِيءُ إليه. وَهَذا هُوَ نَفْسُهُ كَلامٌ في مُنْتَهى الوضوحِ.

إذَنْ لَمْ يَقُلْ عِبارَةَ «الحِكْمَةِ المَجْهولَةِ» أَحَدٌ مِنَ الأَئِمَّةِ الإثني عَشَر عليهم السلام، وَإنَّمَا قَالَهَا بَعْضُ «العُلَمَاءِ» شَرْحَاً لكَلامِهِ عليه السلام وفيها إبْهَامٌ وإيهامٌ.

لذا نسأَلُكَ يا كاتِبُ:

مَا عَلاقَةُ أَقْوَالِ الرِّجَالِ و«العُلَمَاءِ» بالفِكْرَةِ الواضِحَةِ والجَّوَابِ الَّذي يَقولُهُ الإمَامُ عليه السلام عَلَى فَرْضِ أنَّ هَؤُلاءِ العُلَمَاءَ أَخْطَأوا أو حَتَّى تَحَايلوا عَلَى الأَمْرِ؟

ثُمَّ تَعَالَ فانْظُرْ. أوَ لَيْسَ مَعْنَى هَذا أنَّ الظُّهورَ لَو حَصَلَ قَبْلَ حينِهِ وبِغَيْرِ قانونِهِ فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ يَخْرُجُ بِغَيْرِ إِذْنٍ إلهيٍّ؟ وَهْوَ مُمْتَنِعٌ إذْ لا مَعْنَى للمعصومِ سِوَى أَنَّهُ المُنَفِّذُ لأمْرِ اللهِ.

فَكَيفَ يَخْرُجُ بِغَيْرِ أَمْرٍ مِنَ اللهِ؟

أَتَراهُ عَابِدَ كُرْسِيٍّ كالطُّغَاةِ حَتَّى يَفْعَلَ ذَلِكَ؟

فَكَيفَ يُصْبِحُ انتظارُهُ لأَمْرِ اللهِ المُرْتَبِطِ بعودَةِ الخَلْقِ إلى الطَّاعَةِ والتَّسليمِ سُبَّةً عَلَيْهِ؟

لَكِنْ لا عَجَبَ. فالخَلْقُ ما دَاموا حَمْقَى في عَدَمِ الطَّاعَةِ أَصْلاً فَمِنَ المؤكَّدِ

أَنَّهُم يُوَجِّهون اتِّهَامَهُم إلى المَهْديِّ عليه السلام لأَنَّهُمْ حَمْقَى ويَأتي اتِّهَامُهُم مُصادَرَةً مِنْ مُصَادَرَاتِ الحَمْقَى. وبالنِّسبَةِ لي لا أعْجَبُ مِنْ هَذا مُطْلَقَاً لأنَّ هَذا هُوَ المُتَّفِقُ مَعَ ضَحَالَةِ عُقولِهِم وسُقمِ تَفْكيرِهِم. فَقَبْلَ ذَلِكَ نَسَبُوا الظُّلْمَ إلى الله تَعالَى كَمَا رَأَيْنا.

فلْنَفْرِضَ أَنَّهُ خَرَجَ بِغَيْرِ إِذَنٍ أو بِإِذْنٍ إلهيٍّ وَلكِنْ قَبْلَ تَحَقُّقِ تِلْكَ الشُّروطِ فَمَا مَعْنَى ذَلِكَ؟

أَوَ لَيْسَ مَعْنَاهُ فَشَلَ هَذا الخروجِ وعَدَمَ تَحَقُّقِ العَدْلِ المَوعودِ - فَمَا دَامَ لا يُوجَدُ أنْصَارٌ فالقائِدُ مَقْتولٌ حَتْمَاً!.

فَهَلْ هُنَاكَ قائِدٌ يَقومُ بِثَورَةٍ مَحْكومٍ عَلَيْهَا بالفَشَلِ وقَتْلِ قائِدِهَا مُسْبَقَاً حَتَّى لَو افْتَرَضْنَا أنَّ مَا يَفْعَلُهُ هُوَ «ثورةٌ» بالمَعْنَى المُتَعَارَفِ عَلَيْهِ الَّذي يَغيبُ فِيهِ حَقُّ الاختيارِ وحُرِّيَّةُ الإنسانِ والمُضَادِ أَصْلاً للطَّرْحِ الدِّيني؟.

تاللهِ مَا أَعْظَمَ حلمَ الأئمَّةِ عليهم السلام عَلَى الخَلْقِ!

وَمَا أَعْظَمَ أخْلاقهَم ولُطْفَهم مَعَ النَّاسِ حَيْثُ يُوضِّحُونَ العِلَّة نَفْسَهَا بـ: إيَّاكِ أعْنِي واسْمَعِي يَا جارَة!

فَهْوَ يَقولُ تارَةً أُخْرَى: كَيفَ لي أنْ أَخْرجَ؟. فالإمَامُ واحِدٌ فإذا قُتِلَ فَلا إمَامَةَ فَتَنْتَهي الحَيَاةُ، إذْ لا مَعْنَى للحَيَاةِ بِغَيْرِ الحُجَّةِ.. فَكَيفَ لي أنْ أَخْرُجَ ولا أنْصَارَ يَنْصرونَني مِنَ العَدوِّ؟!

بالطَّبْعِ فإنَّ السَّامِعَ لا بُدَّ أنْ يَنْدَهِشَ، بَلْ لا يَمْكُنُ أنْ يُفَكِّرَ المرءُ بِهَذا الجَّوابِ الغَريبِ جِدَّاً!

ذَلِكَ لأنَّ المَهْديَّ عليه السلام هُوَ أَمْرٌ أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الأُمَّةُ الإسلاميَّةُ كُلُّها، بَلِ الأَدْيَانُ، بَلِ المِلَلُ كُلُّهَا. وَهْوَ قَضيَّةٌ معلومَةٌ بِصُوَرٍ مُخْتَلِفَةٍ عِنْدَ كُلِّ الشُّعوبِ، إذْ لا نَبِيَّ ولا رَسُولَ إلاَّ ويُبَشِّرُ بوصولِ الخَلْقِ إلى مَرْحَلَةِ الاسْتِخْلافِ الإلهيِّ

ووِرَاثَةِ الأَرْضِ مِنْ قِبَلِ المُتَّقينَ - فَهْوَ يُعيدُ بِهَذا الكَلامِ.. التُّهَمَةَ إلى الخَلْقِ كُلِّهِم.

فلنترُكَ هَذا كُلَّهُ فإنَّ إجْمَاعَ المُسْلِمينَ حَاصِلٌ في المَهْديِّ عليه السلام وَلَمْ يكَذِّبْ أَحَدٌ بوجودِهِ حَتَّى الكَاتِبَ نَفْسَهُ لأنَّهُ لا يَنْفِي مَجِيءَ المَهْديِّ بَلْ يُريدُ إبْطَالَ كَونِهِ الثَّاني عَشَر مِنْ ذُرِيَّةِ النَبِيِّ صلى الله عليه وسلم لا غَيْر!

فَتَعَالَ الآنَ واَعْرِف الفَرقَ بَيْنَ كَونِهِ موجودَاً أو يُولَدُ في آخرِ الزَّمَان!.

إذا كَانَ مَوجوداً فالعِلَّةُ في الخَلْقِ، وَذَلِكَ بِتَنَكُّبِهِم عَنِ الحَقِّ. وإنْ كَانَ غَيْرَ موجودٍ الآنَ فَلا عِلَّةَ في الخَلْق طَبْعَاً! لأنَّ الرَّسُولَ قَالَ: لا بُدَّ أنْ تَمْتَلىء ظُلْمَاً وجَوْرَاً فيأتيَ المَهْديُّ ويَمْلأُها قِسْطَاً وعَدْلاً فَيَرْجِعُ سَبَبُ الظُّلْمِ والجَّوْرِ واستِمْرَاره إلى اللهِ!!.

وإذا لَمْ يخَلْقِ الله المَهْديَّ للآنَ.. فاللهُ هُوَ الَّذي يُريدُ أنْ يملأَهَا ظُلْمَاً وجَوراً - تَعَالَى الله عَمَّا يَقولُ الظَّالِمونَ عُلُوَّاً كَبيرَا -.

وَلكِنْ رُبَّمَا تكونُ أَيُّهَا القارئُ مِنَ المُولعينَ بالفَلْسَفَةِ فتقولُ: وَلَمَ لا نَجْمَعُ بَيْنَ القَولينِ فَنَقولُ إنَّ الله لَمْ يَخْلقْهُ للآنَ لِبُعْدِ الخَلْقِ عَنِ الحَقِّ فإذا رَجعوا إلى الحَقِّ خَلَقَ لَهُم المَهْديَّ؟!.

أَقولُ: إذَنْ لا بُدَّ أنْ يَخْلقَهُ بتوقيتٍ دَقيقٍ جِدَّاً بحَيثُ أنَّ عُمْرَهُ يَحْتَمِلُ للخروجِ في نَفْسِ الوَقْتِ الَّذي يَكونونَ فِيهِ قَدْ رَجَعوا إلى الحَقِّ بالعَدَدِ المَطْلوبِ فَلا يَنْقُصُ ثانيَةً ولا يَزيدُ ثانيةً! لأنَّهُ لَو حَصَلَ فَرَقُ ثانيةٍ واحِدَةٍ يَكونُ الله قَدْ شَارَكَ في الظُّلْمِ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ!

سُبْحَانَ الله العَظيم مَا أَطْوَلَ أناتِهِ! فَهَذَا واللهِ هُوَ الجَبْرُ بعينِهِ، وَلِذَلِكَ لَعَنَ الأئمَّةُ كُلُّهُم بدءاً مِنَ النَبِيِّ صلى الله عليه وسلم إلى المَهْدِي عليه السلام القَدَريَّةَ والجَبريَّةَ وسَمَّوْهُم الكُفَّار.

إِذْ كَيفَ يُحقِّقُ الله هَذِهِ المُعَادَلَةَ؟ فإنَّهَا لا تَتَحقَّقُ إلاَّ بالجَبْرِ ومُصَادَرَةِ الاختيارِ الإنسانيِّ، : وهو نقيضٌ تامٌّ لِحَالَةِ الوُجودِ الدَّائِمِ للحُجَّةِ[1].

ورُبَّمَا لا زلتَ مُولعاً بالفَلْسَفَةِ فَتقولُ: أَوَ لَيْسَ هَذا الحالُ هُوَ نَفْسُهُ في بِعْثَةِ النَبِيِّ ﷺ؟ فَيُقَالُ أَيْضاً: إنَّ الله تَعَالَى خَلَقَهُ وبَعَثَهُ في لَحْظَةٍ مُعيَّنَةٍ وإلاّ فَلِمَاذَا لَمْ يَبْعَثْهُ قَبْلَ الوَقْتِ أو بَعْدَه؟!

سُبْحَانَ الله مرَّةً أُخْرَى عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ!

أَوَ لا تدْري أنَّ هَذا هُوَ السَّبَبُ في قَوْلِهِم عليهم السلام:

«كفرَ مَنِ ادَّعَى أنَّ الأَرْضَ تَبْقَى بِغَيْرِ حُجَّةٍ ساعَةً واحِدَةً».

لأنَّ بِعْثَةَ أيِّ رَسُولٍ لا تَعْنِي أَنَّهُ يُبْعَثُ بَعْدَ فتورٍ عَنِ الحُجَّةِ، بَلْ بَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ فَيَخْتارُ الله حُجَّةً مِنَ الحُجَجِ في زَمَانٍ فَيُجدِّدُ عَلَى لِسانِهِ العَهْدَ والميثاقَ وتذكيرَ الخَلْقِ لا غَيْرَ ويُعَزِّزُ لَهُ بكلامِهِ ورسالاتِهِ فيزيدُهُم مِنْ رَحْمَتِهِ ويُحِلُّ لَهُم مَا حَرَّمَ عَلَيْهِم مِنْ قَبْل.

ستقول: إِذَنْ فَلا أَدْيَانَ مُتَعَدِّدَةً وأنَّ الدِّينَ في هَذِهِ الحَالَةِ واحِدٌ؟

أَقُولُ: ومن قَالَ لَكَ أنَّ الدِّينَ مُتَعَدِّدٌ؟

إنَّ الدِّينَ واحِدٌ وَهُوَ ذاتُهُ دِينُ آدَمَ ونوحٍ وإبراهيمَ وموسى وعيسى عليهم السلام . . إلى رَسُولِ اللهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

فإنَّمَا هُوَ دِينٌ واحِدٌ وكُلُّهُم عَلَى مِلَّةٍ واحِدَةٍ والنَّاسُ هُمُ المختلفون ؛ لأَنَّهُمْ بَهائِمُ لا يَفْهَمونَ ولا يَعْقلون:

---

(١) وهاهم كتّاب مصر فاروق عمر فوزي ومحمد عمارة الَّذينَ يزعمون أن الوصية لعليٍّ **«هي خلاف الحرّية. وإني لأتحدّاهم أن يردّوا عليّ بكلامٍ يقنع الخلق، ذلك أَنَّهُم مَا عَلِموا للآن مَا الحرية ومن أين يعلمون مَا هي وهم ينكرون حكم الله؟ فإن حكم الله هو الحرية الإنسانية لا سواها.**

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

يَا هَذا إنَّ الدِّينَ عِنْدَ الله واحِدٌ هُوَ الإسلامُ المُشْتَقُّ اسمُهُ مِنَ التَّسْلِيم:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

أَتفْهَمُ مَعْنَى هَذِهِ الآيَةِ أَيُّها الكَاتِبُ المُغَفَّلُ؟.

إنَّ مَعْناهَا: إنَّ الله لا يَقْبَلُ مِنْكَ مَا هُوَ أقلّ مِنَ التَّسْلِيمِ!

ثُمَّ أَتفْهَمُ مَا مَعْنَى هَذا؟

مَعْنَاهُ أَنَّكَ مَعْدومُ الرأيِّ وَلَكِنَّكَ كَامِلُ الاختيارِ!

فَهَلْ فَهِمْتَ؟

واللهِ مَا أَراكَ فَهِمْتَ للآنِ!

يَا هَذا أَنْتَ حُرٌّ فيما تَخْتَارُ فَلا أَحَدَ يُجْبِرُكَ عَلَى شَيءٍ فاخْتَرْ مِنَ الأَدْيَانِ مَا شِئْتَ! دِينَ الله أو دِينَ الشَّيْطَانِ.

لَكِنْ إذا اخْتَرْتَ دِينَ الله فَلا يُقْبَلُ مِنْكَ في هَذِهِ الحَالةِ إلاَّ إلغاءُ كافَّةِ خياراتِكَ دَاخِلَ هَذا الدِّينِ!

فَلَيْسَ عِنْدَكَ بَعْد هَذا أيُّ رأيٍّ في أيِّ موضوعٍ!.

سَيَكونُ رَأيُكَ في أيِّ موضوعٍ هُوَ مُرَادَ اللهِ.

فإذا اخْتَرْتَ مَليارَ موضوعٍ وحكَمْتَ فِيهَا كُلّهَا بِحُكْمِ اللهِ وألغيتَ رأيَكَ الخاصَّ وَلَكِنَّكَ وَضَعْتَ رأيَكَ الخاصَّ في موضوعٍ واحدٍ فَقَط مَعَ هَذا المليارِ وقُلْتَ هَذا هُوَ مُرَادُ الله وَأَنْتَ غَيْرُ متأكِّدٍ مِنْ ذَلِكَ ولا تَعْلَمُ بِهِ فَأَنْتَ كَافِرٌ!

أَتَدْرِي لِماذَا؟..

لَكَ هَذِهِ الآيَةُ فَتَأَمَّلْ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

وإنَّ هَذا الاختيارَ بَيْنَ دِينِ الله ودِينِ الشَّيْطانِ هُوَ أَسْهَلُ الخيَارَاتِ كُلِّهَا وَلَيْسَ أَصْعَبَهَا.

فإذا اخترْتَ الله دَلَّكَ الله عَلَى مُرَادِهِ!

وإذا اخترْتَ الشَّيْطَانَ وَلَو دَاخِلَ دِينِ الإسْلامِ دَلَّكَ الله عَلَى مُرَادِ الشَّيْطَانِ!

إِذْ مَا مَعْنَى أَنْ تَخْتَارَ دِينَ الإسْلامِ؟

مَعْنَاهُ هُوَ أَنْ تُسَلِّمَ بالحُكْمِ الإلهيِّ في كُلِّ مَوضوعٍ وتُلْغِي رأيَكَ المُسْبَقَ وَتَبْحَثَ عَنْ حُكْمِ الله فِيهِ. فإذا قُلْتَ برأيِكَ في أيِّ موضوعٍ مَا شِئْتَ فَلستَ مِنْ الإسْلامِ في شِيءٍ!

والآنَ هَلْ أَنتَ مُتَأَكِّدٌ فِعْلاً يَا كَذَّابُ مِنْ عَدَمِ وجودِ المَهْديِّ؟

فَأَنَا أَسْأَلُكَ: أَتَنفِي وجودَهُ أو تُثْبِتُهُ مِنْ خِلالِ أَقْوَالِ المُفيدِ والطوسيِّ أَمْ مِنْ خِلالِ حُكْمِ اللهِ؟!

إذا آمَنْتَ بِهِ مِنْ خِلالِ حُكْمِ هَؤُلاءِ كَفَرْتَ، وإنْ كَفَرْتَ بِهِ مِنْ خِلالِ حُكْمِ غيرهم مِنْ أعْدائِهِ فقَدْ كَفَرْتَ أَيْضاً!!

فَهَلْ فَهِمْتَ الإسْلامَ أَيُّهَا المُغَفَّلُ أَمْ لَمْ تَفْهَمْ للآنَ؟!.

فَتَعَالَ أخي القارئُ - وبالرُّغم مِنْ كُلِّ هَذا - إلى أَحَاديثِ أَهْلِ البَيْتِ عليهم السلام الَّتي ذَكَرَتْ عِلَّةَ الغَيْبَةِ ولتَنْظُرَ: أَهِيَ نَظَرياتٌ مُتَعَدِّدَةٌ أَمْ أَنَّهَا سَبَبٌ واحِدٌ عَبَّروا عَنْهُ بصِيَغٍ وصُوَرٍ مُخْتَلِفَةٍ؟

أَوَ لَيْسَ الخَوْفُ مِنَ الظَّالمينَ مَعْنَاهُ عَدَمُ وجودِ أنْصَارٍ مُؤمنينَ فِعْلاً؟

أَوَ لَيْسَ التَّمحِيصُ مَعْنَاهُ أَيْضاً عَدَمُ وجودِ مُؤمنينَ حَقيقيينَ بحَيثُ يَحْتَاجُ الأَمْرُ إلى تَمْديدٍ وإمْهَالٍ وفِتَنٍ حَتَّى تَظْهرَ فِئَةٌ مُؤمنةٌ؟

أَوَ لَيْسَ هَذا كُلُّهُ لومٌ وإلْقاءٌ بالتَّبِعَةِ عَلَى كُلِّ الأطْرَافِ مِنْ الشِّيْعَةِ أولاً والسُّنَّةِ ثانياً وَأهْلِ الكِتَاب ثَالِثَاً والأُمَم كافَّةً لأنَّهُمْ انحَرفوا عَنِ اختيارِ الله وزَعَموا أنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَهُم مَنْ لَهُ القُدْرَةُ عَلَى المَعْرِفَةِ الكامِلَةِ بكتابِهِ الَّذي أَنْزَلَه؟.

وبالطَبْعِ كُلُّ فَريقٍ يَأْخُذُ حصَّتَهُ مِنَ التَّبِعَةِ واللَّوْمِ.

وكَيفَ يخْرِجُ المهْدِيُّ عليه السلام ويُعْلِنُ عَن نَفْسِهِ ويَقولُ: ها أنذا.. وقَدْ مَرَّ مِنْ قَبْلِهِ أحَد عَشَر مَهْدِيّاً كَذَّبوهم جَمِيعاً؟

فَهَلْ يُوجَدُ عاقِلٌ يُعْلِنُ عَن نَفْسِهِ حَاكِماً عَلَى العَالَمِ كُلِّهِ والعَالَمُ كُلُّهُ لا يُريدُ حُكْمهُ ويُشَكِّكُ فِيهِ؟

وكَيفَ يَجعَلُكَ المَهْديُّ تُصَدِّقُ بوجودِهِ؟

هَلْ يَأْتيكَ وَأَنْتَ تُكَذِّبُ بوجودِهِ؟!.

إنَّكُم يَا قَوْمُ لتَقْلِبونَ المُعَادَلَةَ مَعَ اللهِ. والموضوعُ هُوَ العَلاقَةُ مَعَ الله لا مَعَ المَهْدي. فالمَهْدِيُّ عَبْدٌ مَأمورٌ لا حَوْلَ لَهُ ولا قُوَّةَ!.. المُعَادَلَةَ الَّتي ذَكَرَهَا النَبِيُّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ:

«مَا يَزَالُ الله في حَاجَةِ العَبْدِ مَا دَامَ العَبْدُ في حَاجَةِ الله تَعَالَى».

وعن الصَّادِقِ والكَاظِمِ عليهما السلام:

«إنْ كُنْتَ في حَاجَةِ الله فاللهُ في حَاجَتِكَ».

أَنْتَ الَّذي تَبْدأُ الإيْمَانَ بوجودِ المَهْديِّ فيتَأَكَّدُ لديك الإيمانُ بِهِ لأنَّك لَو رَأيتَ المَهْديَّ فَلَنْ تَجِدَهُ مُخْتَلِفاً عَنِ البشر! فَكَيفَ تُصَدِّقُ أَنَّهُ هُوَ؟

تَقْلبونَ المُعَادَلَةَ وتقولونَ: هُوَ مُحْتَاجٌ إلينا فَلِمَاذَا لا يَظْهَرُ ويُعَرِّفُ نَفْسَهُ؟!

لَقَدْ ظَهَرَ قَبْلَهُ أَحد عَشر إمَاماً فَكَذَّبْتُم وكَفَرْتُم. . فادّخَرَهُ الله للقلَّةِ الأتقياءِ ليُعيدَ عَلَى يديهِ الكَرَّةَ عَلَيْكُم ويذيقَكُم ألوانَ العَذَابِ. وَهَذِهِ هِيَ كُلُّ القصَّةِ:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

أَوَ لَيْسَتْ هَذِهِ الآيَةُ تُغْنِي عَنْ كُلِّ الكُتُبِ المُؤَلَّفَةِ حَوْلَ المَهْديِّ وتُجيبُ عَلَى كافَّةِ الأَسئِلَةِ!

فَفِيهَا: حَقيقَةُ الوَعْدِ، وقانونُ الاستِخْلافِ، والإيمانُ واختلافُهُ عَنِ العَمَلِ الصَّالِحِ، والدِّينُ المَرْضيُّ والتَّمكينُ وإزالَةُ الخَوْفِ وتَطهيرُ الأَرْضِ مِنَ الشِّرْكِ لأَنَّهُ يَقولُ «في الأَرْضِ» وعمومُهُ يَدلُّ عَلَى عمومِ الأَرْضِ لا عَلَى بُقْعَةٍ مُعَيَّنَةٍ فِيْهَا!

ثُمَّ رَاحَ الكاَتِبُ الكاذِبُ يسأَلُ أسئلتَهُ الغَيْبيَّةَ عَلَى هَذا المنوالِ:

١ - أَيْنَ مَكانُ الغَيْبَةِ؟

٢ - أَيْنَ مَوْضِعُ المَهْديِّ الآنَ؟

٣ - كَمْ هِيَ مُدَّةُ الغَيْبَةِ؟

٤ - كَيفَ التَأَكُّدُ مِنْ هُوِيَّةِ المَهْديِّ؟!

تَطوُّر الفكر الشيعي/ ج ٢/ ١٦٦

أَأَنْتَ مُحَقِّقٌ مُخَابَرَاتيٌّ أَمْ بَاحِثٌ عَنِ الحَقِّ؟

هَذِهِ. . هِيَ أَسْئِلَةُ شَخْصٍ يُريدُ الإِمْسَاكَ بالمهْدِيِّ وقَتْلَهُ!!

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ أَنْ يأتِيْكَ. .إِذْ لا أَنْتَ ولا كُلُّ قوى العَالَمِ سَتَجِدونَ مَا يَشْفِي غَيْظَكُم!!

فَمُتْ وَأَنْتَ لا تَعْلَمُ تِلْكَ الأجوبَةَ.

وَهْوَ الَّذي سَيُمْسِكُ بِكُم وَاحِداً وَاحِداً ويُلْقِي بِكُم في النَّارِ بِغَيْرِ حَاجَةٍ إلى رِجَالِ مُخَابَراتٍ وأَمْنٍ وسيَّارَاتٍ سَريعَةٍ وخَرَائِطَ للدُّورِ والمَساكِنِ والأقبيَةِ وتَأكُّدٍ مِنَ الهَويَّاتِ والبطاقاتِ.

فَيَا لِغَبَاءِكَ المُنْقَطِعِ النَّظيرِ وَأَنْتَ تَسْأَلُ هَذِهِ الأسْئِلَةَ وتَرِدُّ فِيْهَا عَلَى نَفْسِكَ وتَكْشِفُ بِهَا المَسْتورَ.

أَلا تَرَى أخي القارئ أنَّ هَذا الكاذِبَ قَدْ تَرَكَ ذِكْرَ صيغَةٍ أُخْرَى هَامّة للصَّادِقِ عليه السلام في عِلَّةِ الغَيْبَةِ عَامِداً لأنَّها أَوْضَحُ الصِّيَغِ وأجْلاهَا فَعَمَدَ إلى إغْفَالِهَا لكي لا يَنْتَبِهَ القارِئُ إلى أنَّ النَّظرياتِ المَزْعومةَ مَا هِيَ إلاَّ فِكْرَةٌ واحِدَةٌ. وَهَذِهِ الصيغَةُ هِيَ قَولُهُ عليه السلام:

«إنَّهُ مَا مِنْ إمَامٍ سَبَقَ القَائِمَ إلاَّ وَلَهُ بيْعَةٌ في عُنُقِهِ لِطَاغيَةِ زَمَانِهِ وإنَّ قائِمَنَا أَهْل البَيْتِ إذا خَرَجَ فَإنَّهُ يَخْرُجُ ولا بَيْعَةَ في عُنُقِهِ لأَحَدٍ مِنْهُم».

أَقُولُ: وَحَتَّى أنَّ عُلَمَاءَ مِنَ الشِّيْعَةِ لا يَفْهَمونَ مَعْنَى هَذا النصِّ عَلَى التَّفصيلِ، فَكَيفَ بالَّذينَ أَضَلَّهُم اللهُ وأَغْوَاهُمُ الشَّيْطَانُ؟

الحَمْقَى.. يَحْسبونَ أنَّ البيعَةَ المَذْكورَةَ في النصِّ هِيَ بَيْعَةٌ حقيقيَّةٌ! وَلِذَلِكَ يَتَشَبَّثونَ ببيعَةِ عَلِيٍّ عليه السلام لأبي بَكْرٍ وعُمَرَ، ويَزعمونَ أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ خلافَتِهِم!

مَعْلومٌ أنَّ الطُّغَاةَ قَدْ عَملوا لَكُمْ غَسيلَ دماغٍ فانْحَرَفَت عقولُكُم فَلَمْ تعودوا تُمَيِّزونَ بَيْنَ الواضحاتِ، لأنَّ مِنْ أفْعالِهِم الحديثَةِ في هَذا العَصْرِ هُوَ موضوعُ «التبرُّعِ الإجباريِّ»!! أو التَطَوُّعِ القَسْريِّ.

فالتَبَرُّعُ أَصْلاً هُوَ أنْ يُشارِكَ المرءُ بِمَحْضِ حُرِّيَتِهِ وأنْ يَتَطَوَّعَ كَيْفَمَا أَرَادَ وأنْ يَفْعَلَ أو لا يَفْعَلَ. لَكِنَّ الطُّغاةَ «طُغَاةَ الفِكرِ» أفْسَدوا لُغَتَكُم قَبْلَ عقولِكُم،

فَأَصْبَحَ فَسَادُ العقولِ هُوَ تَحْصيلَ حَاصِلٍ لا بُدَّ مِنْهُ لِفَسَادِ اللُّغَةِ. وإلاَّ كَيفَ يمكنُ الجَمعُ بَيْنَ التَطوّعِ والإجْبَارِ!.

إنَّ اللُّغَةَ هِيَ الفِكْرُ فإذا فَسَدَتِ اللُّغَةُ فَسَدَتِ الأفكارُ.

وَهَا أَنْتُم تَحْسبونَ المُكْرَهَ عَلَى الفِعْلِ فَاعِلاً بَيْنَمَا هُوَ عِنْدَ الله لَيْسَ بِفَاعِلٍ لأنَّهُ اسْتَثْنَاهُ مِنَ الفِعْلِ فَقَالَ:

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل: ١٠٦].

إنَّ عَلِيَّ بنَ أَبي طَالِبٍ لَمْ يُبَايِعْ الطُّغَاةَ!

هَذا هُوَ حُكْمُهُ وحُكْمُ عَمَلِهِ عِنْدَ الله لأنَّ الأَصْلَ في البَيْعَةِ أنْ تَكُونَ باخْتِيَارٍ لا إِجْبَارٍ.

وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إنَّهُ بَايَعَ وتَرِدُّونَ عَلَى الله قَولَهُ وتُعَاندونَهُ.. فَلَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمين.

وَإنَّمَا أجْبَرَهُ طُغَاةُ زَمَانِهِ عَلَى البَيْعَةِ لِعِلْمِهِم أَنَّهُ إنْ بَايَعَ كُرْهَاً فَلا يَنْكثُ لأنَّهُ حُرٌّ بَيْنَ اخْتِيَارينِ فَقَط: أنْ يُبَايِعَ أو يَموتَ. ذَلِكَ أنَّ أَهْلَ البَيْتِ عليهم السلام أَوْفِيَاءُ لا غَدَّارونَ مِثْلُهم ومِثْلكُم.

فَأَنْتم المُبَايعونَ لأَنَّكُم رَضِيتُم هَذِهِ البَيْعَةَ وشَرَحْتُم بِهَا صَدْراً فَكَفَرْتُم.

وعَلِيٌّ لَمْ يَكْفُرْ قط.

أَنْتم المُبَايعونَ وإنْ جِئْتُم بَعْد ألفِ عام وَلَمْ تُصَفِّقُوا بِيَدٍ!:

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل: ١٠٦].

وَلِذَلِكَ قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام:

«كَفَرَ النَّاسُ كُلُّهُم إلاَّ ثلاثَةً ثُمَّ رَجَعَ النَّاسُ بَعْدَمَا عَرَفوا».

[١] وَقَالَ في قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٣٧].

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام:

«نَزَلَتْ في فُلانٍ وفُلانٍ وفُلانٍ «يَعْنِي الثَّلاثَةَ» آمَنوا بالنبيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ في أَوَّلِ الأَمْرِ وكَفَروا حَيْثُ عُرِضَتْ عَلَيْهِم الولايَةُ حِيْنَ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: مَنْ كُنْتُ مَولاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَولاهُ ثُمَّ آمَنوا بالبَيْعَةِ لأميرِ المؤمنينَ ثُمَّ كَفَروا حَيْثُ مَضَى رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله فَلَمْ يُقِرُّوا بالبَيْعَةِ ثُمَّ ازدَادوا كُفْراً بأَخْذِهِم مَنْ بَايَعَهُ بالبَيْعَةِ لَهُم فهؤلاءِ لَمْ يَبْقَ فيهم مِنْ الإيمانِ شَيءٌ»[1].

فَتَعَالَ أَيُّهَا الكَاتِبُ فإنِّي سَأَسْأَلُكَ: هَلْ تَدْري بِنَفْسِكَ؟ وَهَلْ تَعْلَمُ إنْ كُنْتَ الآنَ قَدْ كَفَرْتَ وازدَدْتَ كُفْراً أَمْ لا؟

الإدّعاءُ شَيءٌ والحَقيقَةُ شَيءٌ آخرُ. فَكَثيرٌ مِنَ النَّاسِ الَّذينَ يَحْسَبُهُم المُغَفَّلونَ مؤمنينَ سَيَظْهَرُ كُفرُهُم يَوْمَ الحِسَابِ وإلاَّ فَلِمَاذَا يَشْهَدونَ هُنَاكَ فَقَط أَنَّهُم كافرون؟

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

فَكَمْ مِنْ آيَةٍ في القُرْآنِ تُكَفِّرُ هَؤُلاءِ؟ أَتَعْلَمون؟

---

(١) الكافي/ كتاب الحجّة/ ح ١١٣٤/ ٤٢.

واللهِ إنَّ كُلَّ آيَةٍ في القُرْآنِ لتُكَفِّرُهُم هُمْ وأَئِمَّتهُم بِمَا في ذَلِكَ آيَاتُ الأحْكَامِ والقَصَصِ والأَمْثَالِ. . وَلَكِنْ رَانَ عَلَى قُلوبِهِم النِّفَاقُ فَلا يَفْقَهون.

هَذِهِ جُمْلَةٌ مِنَ الآيَاتِ الَّتي فَسَّرَهَا البَاقِرُ والصَّادِقُ عليهما السلام في عَهْدٍ سَابِقٍ جِدَّاً عَلَى عِلْمِ الكَلامِ، ورَووا فِيْهَا أحاديثَ عَنْ صَاحِبِ الرِّسَالَةِ أو أَميرِ المؤمنينَ لأنَّ الصَّادِقَ عليه السلام قَالَ:

«مَا حَدَّثْنَاكُم بِشَيءٍ إلاَّ وَهْوَ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ».

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٦].

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام:

«نَزَلَتْ واللهِ فيهِمَا وفي أَتْبَاعِهِمَا وَهْوَ قَولُ الله عَزَّ وجَلَّ الَّذي نَزَلَ بِهِ جَبْرائيلُ عليه السلام عَلَى مُحمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ - أَيْ في عَلِيٍّ عليه السلام - سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ».

قَالَ:

«دَعُوا بَنِي أُميَّةَ إلى مِيثَاقٍ بَيْنَهُم ألاَّ يَصيرَ الأَمْرُ فِينَا بَعْدَ النَبِيِّ وأنْ لا يُعْطونَا مِنَ الخُمْسِ شَيئَاً وقَالُوا: إنْ أَعطيناهُم إيَّاهُ لَمْ يَحْتَاجوا إلى شَيءٍ وَلَمْ يُبَالوا أنْ يَكُونَ الأَمْرُ فيهم فقالوا نُطيعُكُم في بَعْضِ الأَمْرِ أَي الخُمْسِ «دُونَ الخِلافَةِ»، وَلَكِنْ يَكونُ مِنْهُم ولاةٌ»(١).

أَقُولُ: وَهَذا هُوَ المُطَابِقُ للوَاقِعِ التَّاريخيِّ فقَدْ مَنَعَ هَؤُلاءِ الخُمْسَ عَنْهُم حَسَبَ الاتِّفَاقِ وعَيَّنوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ الولاة وغَيَّر عُمَرُ كُلَّ الولاةِ إلاَّ مَعَاوِيَةَ لَمْ يُغَيِّرْهُ، فَبَقِيَ مُعاويَةُ في الشَّامِ أَميراً للثَّلاثَةِ: أَبو بَكْرٍ وَعُمَرُ وعُثْمَانُ.

---

(١) الكافي/ ح ١١٣٥/ ٤٣.

أَوَ لَيْسَ هَذا اتِّفاقٌ واضِحٌ؟

وَلِذَلِكَ اخْتارَ الحُكّامُ في موضوعِ الخُمْسِ حيرَةً عَظيمَةً رُغْمَ مُحاولاتِ التأويلِ والتَّفسيرِ المُخالِفِ لِلُّغَةِ!

وخالَفَهم عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزيزِ فَأَعادَ الخُمْسَ إلى ذريَّةِ الحَسَنِ والحُسَينِ يَحْكمون فِيهِ! وجَاء هِشَامُ بنُ عَبْدِ الملكِ فَأَلْغَى مَا فَعَلَهُ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزيزِ وأَعَادَهُ إليه. وَكَانَ عُثْمَانُ قَدْ اقْتَطَعَ جُزْءاً مِنْهُ «مَا يَخُصُّ شمَالَ أفريقيا» إلى أَوْلادِ عَمِّهِ!

وأَعَادَهُ المَهْديُّ العبّاسيُّ لأَهْلِ البَيْتِ عليهم السلام فَتْرَةً ثُمَّ قَطَعَهُ، وأَرْجَعَهُ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ إلى الحُكّامِ وأَعادَهُ المأمون إليهِم في عَهْدِ الرِّضا عليه السلام زَمَاناً ثُمَّ قَطَعَهُ!

فَتَبّاً لَكُمْ إذ أَنتُم للآنَ لا تَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلونَ بِحُكْمٍ شَرْعيٍّ واحِدٍ، فَكَيفَ تُريدونَ أنْ تَحْكمُوا أُمَمَ العَالَمِ كُلَّهَا بِكافَّةِ أَحْكَامِ القُرْآنِ؟

أمّا قَوْلُهُ تَعالَى ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ [محمد: ٢٦] فَهَذَا الَّذي قَالَهُ الصَّادِقُ عليه السلام هُوَ التَّفسِيرُ الصَّحيحُ لأَنَّنا رَأَيْنا أنَّ «الأَمْر» المُعَرَّفَ بأل التَّعريفِ هُوَ الإمَامَةُ والخِلافَةُ وَهُوَ يَخْتَلِفُ عَنْ «أَمْرِهِم» الَّذي جَاءَ في سُورَةِ الشُّورَى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]. وَمَا يَدلُّ عَلَى ذَلِكَ أنَّ قبائِلَ مِنَ العَرَبِ عَرَضَ عَلَيْهَا النَبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم دِينَهُ أَوَّلَ الدَّعوَةِ فاشْتَرَطوا عَلَيْهِ أنْ يَكُونَ لَهُم «الأَمْرُ» مِنْ بَعْدِهِ فَرَفَضَ أنْ يَقْبَلَ إسلامَهُم بِشروطٍ!

تَصَوَّرْ.. أنَّ المَخلوقَ يَشْتَرِطُ عَلَى الخَالِقِ قَبُولَ نِعْمَتِهِ بِشَرْطِ المَعْصِيَةِ!

هَذِهِ لَيْسَتْ أُمَّةٌ مُتَخَلِّفَةٌ مَنْطقياً وفِكْرِيّاً حَتّى تَنْتَظِرَ مِنْهَا أنْ تَتَطَوَّرَ وتَتَرَقّى! بَلْ هِيَ أَقْوَامٌ جُهلاءُ يُشَكِّلُ الجَهْلُ عِنْدَهُم عَقيدَةً لا حَالَةً طارِئَةً ولَهَا صِلَةٌ بالمَسَائِلِ الوِرَاثيةِ أَيْضاً.

فَلَيْسَ فيهم قَوْمٌ عُقَلاءُ سِوَى ذُرِّيَة إبْرَاهِيمَ عليه السلام الَّذي دَعَا:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

فاسْتَجَابَ الله لَهُ دُعَاءَهُ.

ومِثْلُهُم «أي ذُرِّية إبْرَاهِيمَ» أَفْرَادٌ مُتَفَرِّقونَ في اليَمَنِ والقَبَائِلِ البعيدَةِ عَنْ جَهَالاتِ قُرَيْشٍ ومُكَابَرَاتِهَا الفَارِغَةِ.

فَنزَلَ قَولُهُ تَعَالَى مُجِيباً عَلَى هَذا الشَّرْطِ:

﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ثُمَّ دخلوا الإسلام نفاقاً وأخفوا خطّتهم في سلب الأَمْر عَن أهله فَقَالَ:

﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقَدْ أكَّدَتْ كُلُّ آيَاتِ القُرْآنِ أنَّ «الأَمْرَ» المُعَرَّفَ بأل التَّعريفِ والَّذي يَعْتَرِفُ المُحَرِّفونَ أَنَّهُ في اللُّغَةِ هُوَ للعَهْدِ لأنَّهُ مُعَرَّفٌ بالعهديَّةِ، والمعلومُ بَيْنَ السَّامِعِ والمُتَكَلِّمِ والذي لا يَمكنُ أنْ تَتَغَيَّرَ دلالتُهُ - أكَّدَت كُلَّ الآيَاتِ أَنَّهُ لِلَّهِ وحْده، وَمَعَ ذَلِكَ يَنْسونَ قواعدَهُم اللّغويَّةَ ويستمرُّونَ في التَّحْريفِ والتَّزويرِ:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٨].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١].

ذَلِكَ لأنَّهُمَا سَألا يُوسُفَ عليه السلام عَنِ الإمَامِ في ذَلِكَ الزَّمَانِ فَلَمَّا ذَكَرَ لَهُمَا أَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيءٍ سَألاهُ عَنْ تَعبيرِ الرُّؤيَا. ولهذا تَقَدَّمَتْ مِنْهُ قَبْلَ الإجَابَةِ عَلَى تَعبيرِ الرُّؤيَا مُحَاضَرَةٌ كامِلَةٌ في التَّوحِيدِ بلا إمَامٍ فَلَمَّا أخبرَهُمَا بِتأوِيلِ الأحْلام قَالَ «**قُضِيَ الأَمْرُ الَّذي فِيهِ تَسْتَفْتِيَان**» - ضرورَةَ أنَّ تَعبيرَ الأحْلامِ لَيْسَ فَتْوى لأنَّهُ تقدْيرٌ وَلكِنَّهُ أَصْبَحَ مَعَ كلامِهِ السَّابِقِ فَتْوى لأنَّهُ حُكْمٌ واحِدٌ.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١].

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٦٧].

﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ٤].

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥].

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

والآنَ يَقُولُونَ: كُلُّ الأَمْرِ لَنا!!

فَكَمْ هُوَ العَنَتُ إِذَنْ؟

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

جَعَلَ رَسولَهُ وَلَمْ يَجْعَلْكُم أَنْتُم فإذا أَرَدْتُم أنْ تكُونَوا عَلَى تِلْكَ الشَّرِيعَةِ لا بُدَّ لَكُمْ مِنْ طَاعَةِ الرَّسُولِ وأَمْرِهِ.

[٣] وفي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥].

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام:

«هُمْ فُلانٌ وفُلانٌ وفُلانٌ، ارْتَدُّوا عَنِ الإِيْمَانِ في تَرْكِ ولايَةِ أميرِ المُؤمنينَ عَلَيْهِ السلامُ»(١).

أَقُولُ: الآيَةُ تُثْبِتُ وجودَ الرِّدَّةِ حَالَ حَيَاةِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله كَمَا ذَكَرْنَاهُ لا بَعْدَهُ كَمَا يَقولُ المُحَرِّفونَ والكَاتِبُ الكَاذِبُ.

[٤] قَولُهُ تَعَالَى:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام:

«أو بَدِّلْ عَلِيّاً بِغَيْرِهِ»(٢).

---

(١) الكافي/ ح ٢١٢٩/ ٣٧.

(٢) الكافي/ ح ٢١٢٩/ ٣٧.

أَقولُ: هَذا هُوَ التَّفسِيرُ الصَّحيحُ، فَلَعْنَةُ الله عَلَى المُحَرِّفينَ لأَنَّهُ إذا جاءَهُم بقرآنٍ غَيرِ هَذا القُرْآنِ فقَدْ تَمَّ التَّبديلُ ولا تَبْديلَ لأنَّ كَلامَ الله واحِدٌ. وإذَنْ فَ«بَدِّلْهُ» لا بُدَّ أن يعودَ عَلَى القَرينِ حَيْثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«عَلِيٌّ مَعَ القُرْآنِ والقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ لا يَفْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلِيَّ الحَوْضَ».

فهم يُريدونَ قرآناً لَيْسَ فِيهِ الولايَةُ! أو تَبْديلُ الرَّجُلِ المَقْصودِ بالولايَةِ والنَّاتِجُ واحِدٌ.

وَلِذَلِكَ فالتَّبديلُ خاصٌّ بالخَلْقِ الَّذينَ هُمْ كَلِمَاتُ الله لا كَلامَ الله، وَلِذَلِكَ قَالَ:

﴿... لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ...﴾ [يونس: ٦٤].

﴿... لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

وكلُّ ذَلِكَ مَعْنَاهُ لا تَبْديلَ لعَلِيِّ بنِ أَبي طَالِبٍ عليه السلام.

أَلا تَرَاهُ سَمَّى المسيحَ عليه السلام كَلِمَةَ اللهِ، وسَمَّى النَّبِيَّ ﷺ كَلِمَةَ الله العُلْيَا في آيَةِ الغارِ؟

فانْظُرْ كَيفَ يُؤَيِّدُ كَلامُ الله بَعْضَهُ بَعْضاً، وانْظُرْ أَيْنَ يَرْتَكِسُ المُبْطِلون؟.

فامْنَعِ القَلَمَ ولا تَتَمَادَى ولا تُخْبِرْهم بأكْثَر مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُم لا يَسْتَحِقُّونَ أن يَطَّلِعوا عَلَى كِتَابِ اللهِ.

ثُمَّ هَلْ هَذا هُوَ مِنْ كشوفات المُتَكَلِّمينَ؟

ومِنْ أَيْنَ للمتكلِّمينَ مِنْ فطنةٍ في مَعْنَى «بَدِّلْهُ»[1]؟

---

(١) أخي القارىء الكريم: قَدْ فصَّلَ السيِّدُ النيليُّ رحِمَهُ الله تَعالَى تفسيرَ هذه الآيَة في كتابه الآخر المسمّى «نجوم القرآن الكريم في ولاية أمير المؤمنين» الذي حالت المنيَّةُ دون إتمامه وسيصدر على شكلِ كرّاسٍ صَغيرٍ إن شاء الله تعالى.

[٥] قَولُهُ تَعَالَى:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: ١٠-١١]

قَالَ الصَّادِق عليه السلام:

«هُمْ عَلِيٌّ والأَئِمَّةُ مِنْ بَعْدِهِ»[١].

أَقُولُ: الأَقْسَامُ في سُورَةِ الواقِعَةِ ثَلاثَةٌ. وَهَذا هُوَ تفسيرُ الآيَةِ، وَلِذَلِكَ قَالَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وآله:

«سُبَّاقُ الأُمَمِ ثَلاثَةٌ حَزْقيلُ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعونَ وحَبيبُ النَّجَارُ سَابِقُ ياسينَ وعَلِيٌّ بنُ أَبي طَالِبِ السَّابِقُ إلَيَّ وَهْوَ أَفْضَلُهُم».

[٦] قَولُهُ تَعَالَى:

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن: ١٦].

قَالَ البَاقِرُ عليه السلام:

«الطَّرِيقَةُ هِيَ ولايَةُ عَلِيٍّ والأوصياءِ مِنْ بَعْدِهِ».

أَقُولُ: ومُحَالٌ تَفْسيرُهَا بِغَيْرِهِم إِذْ يُؤَدِّي ذَلِكَ إلى تَنَاقُضِ القُرْآنِ فَتَدَبَّرْ.

[٧] قوله تَعَالَى:

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ [النبأ: ١-٤].

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام:

«النَّبَأُ العَظيمُ: الولايَةُ»[٢].

أَقُولُ: هَذا عَامٌّ أي مُخْتَلِفونَ في الولايَةِ فَبَعْضُهُم يُوالي الطَّاغوتَ،

---

(١) الكافي/ ح ١١٣٠/ ٣١.

(٢) الكافي/ ح ١١٢٥/ ٣٣.

وبَعْضُهم يُوَالي أَولياءَ الله، لأنَّ تَحديدَ المَوقِفِ مِنْ الولايَةِ هُوَ ذاتُهُ تَحديدُ المَوقِفِ مِنَ التَّوحِيدِ.

[٨] قوله تَعالَى:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

عَن الرِّضا عليه السلام قَالَ:

«المُشْرِكينَ بولايَةِ عَلِيٍّ والأئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ»[١].

أَقُولُ: وَهَذا هُوَ الشِّرْكُ لأنَّ عِبادَةَ الأصنامِ عِنْدَهُم مَعَ اللهِ لا مَعَ إنْكارِ اللهِ، إذْ لا أَحَدَ يُنْكِرُ اللهَ مُطْلَقاً. وَلِذَلِكَ قَالَ تَعالَى:

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ...﴾ [الأحزاب: ٤].

أي لا يَقْدِر المرءُ عَلَى الجَمْعِ بَيْنَ حُبِّ أوليَاءِ الله وأعْدَاءِ الله فَهْوَ كاذِبٌ، وَإنَّما يُريدُ خَلْطَ الحَقِّ بالبَاطِلِ!

فَهَذَا الكَاتِبُ يَكْذِبُ إذْ يَزْعمُ أَنَّهُ يُحِبُّ عَلِيّاً وفُلاناً وفُلاناً وفُلاناً، لأنَّ غايَتَهُ الثَّلاثَةُ لا عَلِيٌّ.

وَهَذا بحثٌ دقيقٌ جِدّاً، فإنَّ الشَّرَّ لا يَقْدِرُ عَلَى الحَرَكَةِ إلاَّ مِنْ خِلالِ تَبَنِّي طُروحاتِ الخَيْرِ.

فالشَّرُّ المَحْضُ مُكَبَّلٌ لا يَقْدِرُ عَلَى الإعلانِ عَنْ نَفْسِهِ، وَلِذَلِكَ لا نَجِدُ في المِلَّةِ أَحَداً لا يَدَّعي حُبَّ عَلِيٍّ خِلافاً لِغَيرِهِ، وَحَتَّى النواصب وَجَدوا بَديلاً هُوَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله!

---

(١) الكافي/ ح ١١٢٤/ ٣٢.

وَحَتَّى الوهابيَّة الَّذينَ هُمْ عَبَدَةُ أَوْثَانٍ وجَدوا بديلاً هُوَ الله سُبْحَانَهُ وحُجَّتُهُم هِيَ التَّوحِيدُ!

نَعَمْ. . إِنَّهُ تَوْحيدٌ يُشْبِهُ تَوحيدَ إبليسَ المَلْعونَ لأَنَّهُ قَالَ: لا أَسْجُدُ إلاَّ للهِ ولا أَسْجُدُ لآدمَ!

وَمَا عَلِمَ الأَحْمَقُ أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا في نَفْسِهِ، فَهُوَ مُسْتَكْبِرٌ عَلَى اللهِ لا عَلَى آدَمَ. وَرَفْضُ السُّجودِ هُوَ مُجَرَّدُ حُجَّةٍ.

فَمَنْ أَرَادَ التَّوَصُّلَ إلى رِضَا اللهِ لا بُدَّ أَنْ يُطيعَ اللهَ!

فإذا قَالَ الله لَهُ: «أُسْجُدْ لآدمَ».

فالتَّوحيدُ هُوَ في تَنفيذِ الأَمْرِ لا العصْيَانِ. لأنَّ مَعْنَى كَلامِهِ أَنَّهُ يُطيعُ الله في بَعْضِ الأوامِرِ دونَ بَعْضٍ. فإذا أَعْجَبَهُ الأَمْرُ أَطَاعَهُ وإذا لَمْ يُعْجِبْهُ لَمْ يُطِعْهُ. وَهَذا مَا يَفْعَلُهُ المَخلوقُ مَعَ المَخْلوقِ. فَأَنْزَلَ هَذا المَلْعونُ الخَالِقَ بِمَنْزِلَةِ المَخْلوقِ فَكَفَرَ. . فافْهَمْ ذَلِكَ.

فالوهَّابيَّةُ يَدَّعُونَ التَّوحِيدَ وهُمْ عَبَدَةُ أوثانٍ، لأَنَّهُمْ يَتَوَصَّلونَ إلى مَفْهُومٍ للتوحيدِ حَسبَ رَأْيِهِم لا حَسبَ الأَمْرِ الإلهيِّ. فَهُمْ وعَبَدَةُ اللاَّتَ والعُزَّى سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ، بَلْ هُمْ شَرٌّ مِنْهُم، لأنَّ الصَّنَمَ رَمْزٌ لِلَّهِ عِنْدَ بَعْضِ المُشْرِكين.

[٩] قوله تَعَالَى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

عَنِ البَاقِرِ عليه السلام قَالَ:

«ادْخلوا في ولايَةِ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ»[1].

---

(١) الكافي/ ح ١١٢١/ ٢٩.

أَقُولُ: ومُحَالٌ تَفْسيرُ الآيَةِ بأيِّ وَجْهٍ آخَرَ، لأنَّ الاخْتِلافَ لا بُدَّ أنْ يَحْصُلَ إذا أَوْكَلَ «الأَمْرَ» إلى النَّاسِ، فَأَمَرَهُم الله تَعَالَى أن يَدْخلوا في الطَّاعَةِ، لأنَّهُ البرُّ الرَّحيمُ بِهِم والعَالِمُ بِكُلِّ شَيءٍ والذي يُعْطِي مِنْ فَضْلِهِ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَتَظْهَرُ كُنوزُ الأَرْضِ ويَعمُّ الرَّخَاءُ ويَسودُ السَّلامُ وتُطَهَّرُ الأَرْضُ مِنَ الشِّرْكِ، وَلَكِنَّهُم لَمْ يَفْعَلوا.

وأقول أَيْضاً: هَذا يَدلُّ عَلَى صِحَّةِ تَفسيرِنَا المَارِّ سَابِقَاً لأحاديثِ الرَّسُولِ ﷺ في فَضَائِلِ الثاني حَيْثُ أَثْبَتْنَا أَنَّهُ رَئيسُ الشَّيَاطِينِ وَهُوَ المَقْصودُ بِلَفظِ الشَّيْطَان في القُرْآنِ كَمَا مَرَّ عَلَيْكَ.

والمعنى: لا تَتَّبِعوا خُطُواتِ عُمَرَ. الخُطوَةُ الأولى أنْ يَكُونَ أبو بَكْرٍ الخَليفَةَ وعُمَرُ يُصَافِحُهُ، والخُطوَةُ الثَّانِيَةُ أنْ يُوصيَ لَهُ أبو بَكْرٍ بالإمَامَةِ!، والخُطوَةُ الثَّالِثَةُ أنْ يَجْعَلَهَا بحَيثُ تُفْضِي إلى بَنِي أُمَيَّةَ حَسبَ المِيثَاقِ والاتِّفَاقِ مَعَهُم!

وَهَذِهِ هِيَ خُطُوَاتُ الشَّيْطَانِ، وَلِذَلِكَ كَانَ عُمَرُ إبَانَ خِلافَتِهِ إذا رَأى عَلِيّاً يَضْحَكُ ويُنْزِلُ رَأْسَهُ في صَدْرِهِ وعَلِيٌّ عليه السلام يَبْتَسِمُ أو يَضْحَكُ هُوَ الآخَرُ، لأنَّ كُلاًّ مِنْهُمَا يَعْرِفُ حقيقَةَ الآخَرِ. فَكَأَنَّ عُمَرَ يَقولُ لَهُ: «أَصْبَحْتُ إمَامَ المُسْلمينَ فَهَلْ هُنَاكَ انْتِصَارٌ أَكْبَرُ مِنْ هَذا؟». وَإنَّمَا يَضْحَكُ عَلِيٌّ عليه السلام لأنَّهُ لَمْ يَخْسَرْ شَيْئَاً قط. فالخاسِرونَ هُمْ الَّذينَ خَسِروا أَنْفُسَهُم وأَهْليهُم يَوْمَ القِيَامَةِ. وَهَذا مُفيدٌ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ فَرْزٌ لِلْخَلْقِ وفِتْنَةٌ للنَّاسِ!

وَلِذَلِكَ فَعُمَرُ يُعَدُّ بالفِعْلِ فاروقَ الأُمَّة، فَإنَّ أميرَ المؤمنينَ لَمْ ينكِرْ أنَّ هَذا اللقبَ لَهُ وَلكِنَّهُ قَالَ:

«أَنَا الفَارُوقُ الأَكْبَرُ لا يَقُولُها بَعْدي إلاَّ كَذَّابٌ».

وَهَذا مَعْنَاهُ أنَّ عُمَرَ فاروقٌ أَصْغَرٌ. فالَّشيطانُ والوَليُّ كِلاهُمَا يَقومُ بالتَّفريقِ بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ، وَلكنَّ عَلِيّاً أَكْبَرُ بالتَّفريقِ لأنَّهُ أَقْدَمُ وأَدْوَمُ لأنَّ الخَيرَ قَبْلَ

الشَّرِّ والنَّورَ قَبْلَ الظَّلامِ كَمَا قَالَ مَولانَا الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في أَزْمَانِ الخَلْقِ الأَوَّلِ.

[١٠] **قوله تعالَى:**

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦].

عَنِ البَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

«لَو فَعَلوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ في ولايَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ»[١].

أَقُولُ: لَو تَدَبَّرْتَ لَفْظَ «الوَعْظِ» في القُرْآنِ لتبيَّنَ لَكَ أَنَّ هَذا هُوَ التَّفسِيرُ الوَحيدُ، لأَنَّ اتِّبَاعَ الخَيْرِ نَاتِجُهُ خَيْرٌ، واتِّبَاعَ الشَّرِّ ناتِجُهُ شَرٌّ.

فَكُلُّ شَرٍّ أَصَابَكَ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ الأَوَّل، وَكُلُّ خَيْرٍ جَاءَكَ فَإِنَّمَا هُوَ بِفَضْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ثُمَّ إِنَّ الأَمْرَ هُنَا عَامٌّ فَلَو قُلْتَ هِيَ في عُمَرَ فَإِنَّهُ يَصِحُّ قَطْعاً لأَنَّهُمْ لَو فَعَلوا مَا يُوعَظونَ بِهِ وَهْوَ عَدَمُ إِتِّبَاعِ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ لَكَانَ خَيْراً لَهُم. فالوَعْظُ واحِدٌ: ينهي عَنْ اتِّبَاعِ الشَّيْطَانِ. ومَعْنَاهُ أَمْرٌ بإتِّبَاعِ الوَليِّ أو العَكْسِ والنَّاتِجُ واحِدٌ.

وَهَذا يُفَسِّرُ لَكَ التَّنَاقُضَ في أَسْبَابِ النزولِ فانْتَبِهْ للإشارَةِ، لأَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ قالوا نَزَلَتْ في عُمَرَ. فَهْوَ قَولٌ صحيح.

[١١] **قوله تعالَى:**

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ [النساء: ١٦٨-١٦٩].

---

(١) الكافي/ ح ١١١٩/ ٢٧.

عَنِ البَاقِرِ عليه السلام قَالَ:

«إنَّ الَّذينَ كَفَروا بالولايَةِ وظَلَموا آلَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله حَقَّهُم لَمْ يَكُنِ الله لِيَغْفِرَ لَهُم ولا ليهديَهُم طَرِيقاً إلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالدِين فِيْهَا أَبَداً»[1].

أَقُولُ: ولا يَمْكُنُ تَفْسِيرُ الآيَةِ بِغَيْرِ هَذا لأنَّهُ لا حَديثَ عَنِ المَغْفِرَةِ بالنِسْبَةِ لِعَبَدَةِ الأَصْنَامِ المنحوتَةِ، لأنَّهُ شركٌ ظَاهِرٌ، وَإنَّمَا الحَدِيثُ عَن قَوْمٍ مُسْلمين ظاهِرُهُم الإيمانُ والصَّلاحُ وَلَكِنَّهُم كُفَّارٌ عَلَى الحَقيقَةِ. وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ١٦٩]، لأنَّ بَعْضَهُم لا يَعْمَلُ مِنَ المُوبِقَاتِ شَيئَاً قط، فَهْوَ يُقِيمُ الصَّلاةَ ويُؤتي الزَّكاةَ ويَحِجُّ ويُنْفِقُ في سَبيلِ الله فَيُقالُ ولا بُدَّ أنْ يُقَالَ: «كَيفَ يُدْخِلُهُم جهنَّم إذَنْ؟»، فَيأْتي الجَّوابَ هُنَا: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾.

فَمَا دام قَدِ اتَّبَعَ إمَامَاً بَاطِلاً فَكُلُّ عَمَلِهِ بَاطِلٌ لأنَّهُ لِغيرِ الله، فَهْوَ يُريدُ أنْ يُمْلي عَلَى الله شُروطه ويَحْسبُ إنَّ الله يَقْبَلُ مِنْهُ.

إنَّ الله لا يَقْبَلُ إلاَّ مَا يَكونُ خَالِصَاً لَهُ وَحْده بحَيثُ لا مَوقِعَ لهوى النَّفْسِ فِيهِ، وهؤلاءِ يَعْبدونَ عُمَرَ مَعَ اللهِ!

فَمِنْ أَيْنَ يَدْخلونَ الجَنَّةَ؟

ومِثْلُهُم الَّذينَ يَوالونَ عَلِيّاً بألسِنَتِهِم اتِّبَاعَاً لأهوائِهِم لا لأَمْرِ اللهِ.

فالأَمْرُ مع هَذَينِ سَيَّانٌ!

الكُلُّ منهما مُشْرِكونَ!

لكِنَّ عَلِيّاً عليه السلام مُحَاطٌ بِعِنَايَةٍ إلهيَّةٍ، ولا يُواليهِ غَالِبَاً صَاحِبُ هوًى أو رَاغِبٌ في الدُّنْيَا لأنَّهُ لا تَأتيهِ مِنْ ولايَتِهِ غَيْرُ المَصَائِبِ والابْتِلاءاتِ.

---

(١) الكافي/ ح ١١٥١/ ٥٩.

فَأَغْلَبُ الَّذينَ يَقُولُونَ بولايتِهِ عَلَى وَجْهِهَا يَقُولُونَ ذَلِكَ تَنفيذاً للأَمْرِ الإلهيِّ وَمَعَ ذَلِكَ فقَدْ قَالَ الرضا عليه السلام:

«لَيْسَ كُلُّ مَنْ قَالَ بولايتِنَا مُؤمِناً وَلَكِنَّهُم جُعِلُوا أنساً للمؤمنينَ».

فَلا يَخْلو القائلونَ بالولايَةِ مِنَ النفاقِ أو الشِّرْكِ أو الضَّلالِ، بَلْ والكُفْرِ.

[١٢] قَولُهُ تَعَالَى:

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣].

قَالَ البَاقِرُ عليه السلام:

«لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥] **اجْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ في مَسْجِدِ المَدينَةِ فَقَالَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ: مَا تَقولونَ في هَذِهِ الآيَةِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُم: إنْ كَفَرْنَا بِهَذِهِ الآيَةِ نَكْفُرُ بِسَائِرِهَا وإنْ آمَنَّا بِهَا فَهَذَا الذُّلُّ حِيْنَ يُسَلَّطُ عَلَيْنَا عَلِيُّ بنُ أبي طَالِبٍ. فَقَالوا: قَدْ عَلِمْنَا أنَّ مُحَمَّداً صَادِقٌ فيمَا يَقولُ ولكنَّنا نَتَوَلَّاهُ ولا نُطيعُ عَلِيَّاً في مَا أَمَرَنَا فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ وَهْيَ قَولُهُ تَعَالَى** ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣] - والنِعْمَةُ هِيَ الولايَةُ - وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ»(١).

أَقُولُ: هَذا مُرْتَبِطٌ بالنَّعيمِ والنِعْمَةِ في كُلِّ القُرْآنِ فتذكَّر مَا قُلْنَاهُ مِنْ أنَّ الصِّرَاطَ المُستقيمَ هُوَ صِرَاطُ قَوْمٍ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم والكُلُّ يَعْرِفُهُم بالطَّبْعِ وَلَكِنَّهُم يُنْكِرونَ هَذِهِ النِعْمَةَ:

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

فَمَاذَا أَنْعَمَ عَلَى أبي بَكْرٍ وعُمَرَ؟

---

(١) بحار الأنوار ج٢٤ ص٦٣.

أَهُوَ الجُبْنُ والفِرَارُ مِنَ الحَرْبِ وتَولِيَةِ الأَدْبَارِ؟

أَمْ هُوَ البُخْلُ الشَّدِيدُ إذ لَمْ يَعْمَلُوا بآيَةِ النَّجْوَى وَلَمْ يَصْرِفوا دِرْهَماً وَاحِداً لِمُدَّةِ عَشْرَةِ أيَّامٍ؟

أَمْ هُوَ العِلْمُ الجَمُّ حَتَّى يَقولَ عُمَرُ: «حَتَّى العَجَائِزَ أَفْقَهُ مِنْ عُمَر»؟!

أَمِ الذريَّةُ الطَّاهِرَةُ المُطَهَّرَةُ مِنَ الدَّنَسِ؟

وأَيْنَ صَهَاكَ وحَنْتَمَةَ مِنَ الطَهَارَةِ؟

أَمِ الحَسَبُ الضَّارِبُ في صُلْبِ إبْرَاهِيمَ الخَليل؟

وأَيْنَ تَيْمٌ وعَدِيٌّ مِنَ الأَحْسَابِ والأَنْسَابِ؟

يَا قَوْمُ مَا لَكُمْ؟

أَلا تَرَونَ الآنَ الدولَ المُسَيطِرَةَ عَلَى العِلْمِ كَيفَ تَخْتَارُ الحُكَّامَ الطُغَاةَ منْ بَينِكُم؟

أَلا تَرَونَهَا تَخْتَارُهُم بحَيثُ يكونون فاقِدِينَ لِكُلِّ القِيَمِ ومِنْ أَسْوَأ الخَلْقِ لا يَحْلُمُ أَحَدُهُم بِحُكْمِ عَائِلَةٍ مُحْتَرَمَةٍ فَضْلاً عَنْ أمَّةٍ بِكَامِلِها لكي يُنَفِّذوا أَوَامرَهَا بالتَّفصيلِ ويمْكُنُ تَبْديلُهُم في أيِّ وَقْتٍ!

إنَّ أبا بَكْرٍ وعُمَرَ هما مِنْ هَذِهِ الشَّاكِلَةِ!

لكنَّهُم طُغَاةٌ مِنْ صُنْعِ خَطَاياكُم. وَحَتَّى أنَّ أبا قحافَةَ قَدْ تَعَجَّبَ مِنِ استلامِ إبْنِهِ أبي بَكْرٍ لِمَنْصِبِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الله خَيْرِ الخَلْقِ وسَيِّدِ البَشَرِ! فَقَالَ لأبي بَكْرٍ: «مَاذَا وَجَدوا فيك؟!»، فَقَالَ أَبو بَكْرٍ: «وَجَدُوني أَكْبَرُهُم سِنّاً!!»، فَقَالَ أَبو قحافَةَ: «تَبّاً لَكَ أَلا قُلْتَ لَهُم إنَّ أَباكَ أَكْبَرُ مِنْكَ سِنّاً؟»!

واللهِ إنَّ أبا قحافةَ هَذا لَمُحِقٌّ جِدّاً، لأنَّهُ أَيْضاً وحَسب قانونِ أَهْلِ الشُّورَى: «دَخَلَ الإسلامَ وحَسُنَ إسْلامُهُ»!

مَا أَدْرَاكُم بِأَنَّ كُلَّ هَؤُلاءِ قَدْ حَسُنَ إسلامُهُم أَيُّهَا المُنَافِقون؟

أَعِنْدُكُم قَائِمَةٌ بأَسْمَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ مُسْتَنْسَخَةٌ عَلَى قَائِمَةِ رضوانَ خازِنِ الجِّنَانِ عليه السلام؟

أَمْ تَعْلَمُونَ بِمَا في ذَاتِ الصُّدورِ مِثْلُ اللهِ؟

أَلا يَنْبَغِي عَلَيْكُم تَقْييم وَوَزْنِ الخَلْقِ عَلَى ضَوءِ الكِتَاب والسُّنَّةِ؟

[١٣] قَولُهُ تَعَالَى:

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: ٧٥]

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام:

«خُروجُ القَائِمِ وَهْوَ السَّاعَةُ فَسَيَعْلَمونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَاناً وأَضْعَفُ جُنْدا».

أَقُولُ: ولا يُمْكُنُ تفسيرُ الآيَةِ بأيِّ نَحْوٍ آخَرَ لأنَّ هُنَاكَ أَمْرَين: إمَّا العَذَابُ الآتي، وَإمَّا السَّاعَةُ. فالعَذَابُ قَدْ يأتي إذا اسْتَمَرَّ الخَلْقُ في العِصْيَانِ، وإذا وُجِدَ أَنْصارٌ مِنْهُم للقائِمِ كَانَتْ السَّاعَةُ ولله المَشيئَةُ والأَمْرُ. والسَّاعَةُ غَيْرُ القيامَةِ وَلكنَّ الَّذينَ كَفَروا خَلَطوا الألفاظَ للتَّمويهِ عَلَى المُسْلمينَ وتَغْميَةِ الأَمْرِ عَلَيْهِم.

والوَعْدُ مُرْتَبِطٌ بالعَذَابِ والسَّاعَةِ فَقَط لأنَّ القِيامَةَ أَجَلٌ لا وَعْدٌ ولا سَاعَةٌ فَتَدَبَّرْ هَذِهِ الأمورَ في القُرْآنِ تَنْكَشِفُ لَكَ جَليَةُ الحَالِ.

قَالَ تَعَالَى في أَهْلِ الكَهْفِ:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

وَذَلِكَ أنَّ بقاءَ أَهْلِ الكَهْفِ أحْيَاءً وهم ليسوا بِنِيَامٍ ولا مَوتى كُلَّ هَذِهِ الدهورِ، إنَّمَا هُوَ للدَّلالَةِ عَلَى غَيْبَةِ المَهْديِّ عليه السلام وطُولِ حَيَاتِهِ، فَمَا مِنْ آيَةٍ فِي القُرْآنِ وفِيْهَا لَفْظُ «الوَعْدِ» إلاَّ وَهْيَ فِيهِ عليه السلام. وَسَتَجِدُهَا تَفْتَحُ لَكَ أبواباً مِنَ المَعْرِفَةِ بِأمْرِهِ، وإنِّي لا أُريدُ أنْ أُبَيِّنَ كُلَّ مَا أعْلَمُ خشْيَةَ وقوعِهِ في أيدي المُنَافِقينَ فافْهَمْ وتَدَبَّرْ بِنَفْسِكَ كِتَابَ الله فَإنَّهُ يُغْنِيكَ عَنِ الكثيرِ، وأيُّ شيءٍ تُرِيدُهُ فَهْوَ مَوجودٌ فِيهِ - ألا تَرَاهُ يَقولُ **«أعثرنا عَلَيْهِم ليعلموا أن وعد الله حقٌّ وأن الساعة آتيةٌ لا ريب فِيْهَا»** حَيْثُ يَقولُ المُكَذِّبُ بيوم الدِّينِ وتَحقُّقِ الخِلافَةِ الإلهِيَّةِ فِيهِ عَلَى يَدِ المَهْديِّ عليه السلام: «كَيفَ يَكونُ هَذا؟ وَلِماذَا لا يَموتُ؟». أو يكذِّبُ بمولِدِهِ فَيقولُ: «مَا وُلِدَ وَلَيْسَ للحادي عَشَر مِنْ عُقْبٍ».. إلى آخِرِ المِرَاءِ.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨].

فَأَعْثَرَ الله عَلَى أَهْلِ الكَهْفِ بَعْدَ ثلاثمائة سنة وتسع سنينَ لِيَعْلَموا أنَّ وعْدَهُ حَقٌّ وأنَّ السَّاعَةَ لا ريبَ فِيهَا!، ثُمَّ إنَّكَ تَعْلَمُ أنَّ الفِتْيَةَ رَقَدُوا مُجَدَّداً في كَهْفِهِم وإنَّهُم لَنْ يُبْعَثوا مَرَّةً أُخْرَى إلاَّ عِنْدَ ظهورِ المَهْدي عليه السلام، فهم مِنْ جُنْدِهِ وأَمْرُهُم مُرْتَبِطٌ بِأمْرِهِ وهُمْ عَلامَةٌ لَهُ وَهْوَ عَلامَةٌ لَهُم كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ أَكْثَرُ مِنْ حَدِيثٍ شَرِيفٍ.

أَقُولُ: هَذِهِ النَّمَاذِجُ الإثني عَشر الَّتي ذَكَرْتُهَا مِنْ آياتِ القُرْآنِ هِيَ غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ. فَكُلُّ القُرْآنِ في حَقيقَةِ الأمْرِ إنَّمَا يَتَحَدَّثُ عَنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مُقابِلَ عَدُوِّهِم الشَّيْطان الرَّجِيم وأعْوَانِهِ وأتْبَاعِهِم.

ش - وَمِنْهَا قوله عليه السلام:

اللَّهُمَّ إنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ فَإنَّهُم أضْمَروا لِرَسولِكَ صلى الله عليه وآله **ضُروباً مِنَ الشَّرِّ والغَدْرِ فَعَجَزوا عَنْهَا وحِلْتَ بَيْنَهُم وَبَيْنَهُ فَكَانَتِ الوَجْبَةُ بِي والدَّائِرَةُ عَلَيَّ.**

اللَّهُمَّ احْفِظْ حَسَناً وحُسَيْناً ولا تُمَكِّنْ فَجَرَةَ قُرَيْشٍ مِنْهُمَا مَا دُمْتُ حيّاً فإذا تَوَفَّيْتَنِي فَأَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِم وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهيد.

نهج البلاغة/ ٤١٣ - في شرح ابن أبي الحديد، تصنيف النهج/ ١٦٤

مَاذَا أَقُولُ؟: !

فَهَذَا كَلامٌ واضِحٌ وفي مُنْتَهَى الوُضوحِ!

نَبِيٌّ وإِمَامٌ.. فإذا مَضَى النَبِيُّ دَارَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى الإمَامِ. والفَاعلونَ أَهْلُ غَدْرٍ وشَرٍّ وفُجورٍ!.

فَلَو كَانَ عَلِيٌّ مُرَشَّحاً للخِلافَةِ فَحَسْب، ويُؤْمِنُ بالشُّورَى ولا يُنَافِسُهُم إلاَّ في انتخاباتٍ نزيهةٍ وَهْوَ النَّزِيهُ كُلُّ النَّزِيهِ.. فَلِمَاذَا الدَّائِرَةُ؟ وَلِماذَا ضُروبُ الشَّرِّ؟ وَلِماذَا الغَدْرُ؟ وَمَا الَّذي يَجْعَلُهُ يَدْعو الله بإلحَاحٍ لِحفْظِ الحَسَنِ والحُسَيْنِ عليهما السلام مِنْ فَجَرَةِ قُرَيْشٍ الَّتي حَالَ الله بَيْنَهَا وبَيْنَ النَبِيِّ صلى الله عليه وآله فَعَجَزَتْ عَنْ تَنْفيذِ خُطَّتِهَا فَتَحَوَّلَتْ إلى إبَادَةِ الذريَّةِ والنَّسْلِ والأَصْهَارِ والأَقَارِبِ؟

إِذَنْ.. فَكَرْبَلاءُ قَدْ بَدَأَتْ هُنَاكَ في السَّقيفَةِ!

والخطَّةُ لِقَتْلِ الأَطْفَالِ الرُّضَّعِ مَوضوعَةٌ مُسْبَقاً حَتَّى إذا بَلَغَ الحَسَنُ والحُسَينُ أَكْثَرَ مِنْ خَمسينَ سَنَةً فَلا يَمْنَعُ هَذا مِنْ قَتْلِ عَبْدِ الله الرَّضيعِ قبلَ قَتْلِ الحُسَينِ نَفْسِهِ! لأنَّ الوَاجِبَ الأَسَاسِيَّ هُوَ قَطْعُ نَسْلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله..

وَمَا زَالَتْ قُرَيْشٌ مُنْزَعِجَةً مِنَ الوَحْيِ حَيْثُ يَقُولُ:

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].

أَلا تَرَى هَذا النصَّ كَيفَ يُؤَكِّدُ حُلولَ التَّالي مَحَلَّ السَّابِقِ فإذا مَضَى مُحَمَّدٌ فالدَّائِرَةُ عَلَى عَلِيٍّ في الحَسَنِ والحُسَيْنِ!، كَمَا كَانَتْ عَلَى مُحَمَّدٍ في عَلِيٍّ!، فإذا مَضَى عَلِيٌّ أَصْبَحَتْ الدَّائِرَةُ عَلَى الحَسَنِ والحُسَينِ في القاسِمِ وعَلِيٍّ وعَبْدِ اللهِ!

إِنَّهُ لَيَبْدو لي أنَّ الله سُبْحانَهُ وتَعالى قَدْ عَمِلَ مَعَهُم مُناوَرَةً في الحَسَنِ والحُسَيْنِ عليهما السلام لإخفاءِ فَرْعِ الإمامَةِ فَيَفْلِتا مِنَ القَتْلِ! بَلِ الصِّراعُ داخِلَ أَتْباعِ الأئمَّةِ فِيمَنْ تكونُ الإمامَةُ فِيهِ هُوَ مِنَ المَنافِعِ الَّتي تَظْهَرُ ذاتياً في كُلِّ حَلَبَةِ صِراعٍ، وإنَّ ادِّعاءَ بَعْضِ بَني هاشِمٍ للإمامَةِ لَهُ مَنافِعُ خَفِيَّةٌ أَيْضاً.. ذَلِكَ أنَّ العَدُوَّ يَتَرَبَّصُ والمُناصِرُ ضَعِيفٌ والمُؤَيِّدُ جَبانٌ والمُحِبُّ شَكَّاكٌ والقَريبُ مدَّعٍ والرَّحْمُ حَسُودٌ!

وكلُّ ذَلِكَ حَصَلَ للمَسِيحِ عليه السلام حِينَما دَخَلَ الهَيْكَلَ! إِذْ كُلُّ إسرائيلَ قَدْ وَقَفَتْ بِوَجْهِهِ.. كُلُّهُم رَفَضُوهُ.. وآمَنَ بِهِ الأَعْرابُ فَقط فَقالَ:

«الخُبْزُ الَّذي لا يَأْكُلُهُ أَهْلُ الدَّارِ فَلَيْسَتْ جَدِيرَةٌ بِأَكْلِهِ سِوَى الكِلاب»

آمَنَ بالمَسِيحِ شُبَّانٌ مِنَ الرُّومانِ المُحْتَلِّينَ لِفَلَسطينَ وكَفَرَ بِهِ تِسعونَ أَلفاً مِنْ عُلَماءِ الهَيْكَلِ مِنْ إسرائيلَ وأربعمائَةَ ألفٍ كَفَروا بِهِ مِنْ غَيْرِ العُلَماءِ.

لَقَدْ بُعِثَ المَسِيحُ عليه السلام لِبَني إسرائيلَ خصوصاً وأُنْزِلَ إليهِمُ الإنجيلُ!. وَلكنَّ المَسِيحَ عليه السلام لَمَّا رَآهُمْ كَفَروا أَرْسَلَ التَّلاميذَ مِنَ الرُّومانِ لِيَدْعُو الأُمَمَ فَقالَ لَهُم:

«اذْهَبُوا فَادْعُوا الأُمَمَ ولْيَكُنِ خُبْزُ الله للغُرَباءِ».

وعَلِيٌّ في الأُمَّةِ يُشْبِهُ المَسِيحَ عليه السلام في أُمَّةِ إسرائيلَ، وَهَذا هُوَ وَصْفُ النَّبِيِّ لَهُ في الحَديثِ المَشْهورِ وَهوَ قَوْلُهُ صلى الله عليه وآله:

«لَولا أن تَقُولَ فِيكَ يا عَلِيُّ طَوائِف مِنْ أُمَّتي ما قَالَتِ النَّصارَى في عِيسَى بنِ مَرْيَمَ لَقُلْتُ فِيكَ قَولاً ما تَمُرُّ بِملأٍ مِنَ النَّاس إلاَّ أَخَذوا التُّرابَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْكَ يَلْتَمِسُون بِذَلِكَ البَرَكَةَ».

ذَكَرَ ذَلِكَ صَاحِبُ البُرْهَانِ بِطُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ عَنِ ابنِ عَبَّاس/ج٤/ ١٥٠.

بَلْ تَشَابَهَ يَومُهُ مَعَ يَوْمِ المَسِيحِ فَقُتِلَ عليه السلام في نَفْسِ اليَوْمِ الَّذي عُرِجَ فِيهِ

بِعِيسَى عليه السلام. ذَكَرَ ذَلِكَ الهيثمي في مجمع الزوائد/ج٩/ ١٤٦، وابنُ سَعْدٍ في الطَّبَقات/ج٣/ ١/ ٢٦، وكَنْز العُمَّالِ/ ج٦/ ٤١٢.

وَلَمْ يُعْجِبْ المُنَافِقينَ تَشْبيهُ النَبِيِّ صلى الله عليه وآله لِعَلِيٍّ بالمَسِيح عليه السلام فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُم للمُسْلِمينَ يُحَرِّضُونَهُم عَلَى الاعتراضِ: «مَا رَضِيَ مُحَمَّدٌ أَنْ يَضْرِبَ لابْنِ عَمِّهِ مَثَلاً إلاَّ عيسَى بنُ مَرْيَم»!

وفي حَدِيثِ عَلِيِّ بنِ إبْرَاهِيمَ عَن أبيه عَن وكيعٍ عَنِ الأعْمَشِ بِسَنَدِهِ إلى سَلْمَانَ أَنَّهُم قَالُوا: «والله إنَّ آلهتَنَا الَّتي نَعْبُدُهَا في الجَاهِلِيَّةِ أفْضَلُ»!، أو أَنَّهُم قَالوا/ كَمَا في الحديث ٤/: «والله لَعِبَادَةِ اللاَّتِ والعُزَّى أَهْوَنُ مِنْ هَذا»: !

فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى:

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف: ٥٧-٥٨].

انظُرِ الأَحَاديثَ في البُرْهَانِ مِنْ «١ - ٩» في تَفْسيرِ الآيَة.

لِنَكُنْ واقعيينَ: مَا الَّذي يَدْعُوني لِتَصْديقِ أَقْوَالِ أَهْلِ السُّنَّةِ اللامنطقيَّةِ في تَفْسيرِ الآيَةِ وتَرْكِ هَذا التَّفْسِيرِ الوَاقِعِيِّ؟

لِنَكُنْ واقعيينَ: فإنَّ الحَسَدَ هُوَ مَنْشَأُ كُلِّ الشُّرورِ ومَبْدأُهَا وَهْوَ حَسَدُ إبليسَ لآدمَ. ومِنَ الصَّعْبِ جِدّاً عَلَى قَوْم مِثْلِ قُرَيْشٍ أنْ يُؤْمِنوا بأفْضَليَّةِ شَابٍّ مِنْهُم! لَقَدْ رَفَضوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَكَذَّبُوهُ بَعْدَ أنْ آمَنُوا ظَاهِرِيّاً. ولا بُدَّ مِنْ كَشْفِهِم بأمْرٍ آخرَ أَصْعَبَ عَلَى النُّفوسِ.

إنَّ الولايَةَ هِيَ غربيلُ الخَلْقِ وَهْيَ الكاشِفَةُ عَن حقيقَةِ الإيمانِ، وإنَّ الجِّدَالَ فِيْهَا هُوَ مُصَادَرَةٌ عَلَى المَطْلوبِ أَصْلاً! وَلِذَلِكَ قَالَ الله تَعَالَى:

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾ [الزخرف: ٥٨].

الغَايَةُ هِيَ الجدالُ فَقَط وإلاّ فَإِنَّهُم يَعْلَمون جيّداً أَنَّهُم أُمِرُوا أنْ يَسْجدوا لحَجَرٍ أَسْوَدَ رُغْمَ أنوفِهِم إنْ أرادوا أنْ يَكُونَوا مُؤمنينَ! وَمَا مِيلادُ عَلِيٍّ في الكَعْبَةِ إلاّ إِشَارَةٌ أُخْرَى.. إنَّهُ خَليفَةُ اللهِ. ولَسْتُم بأَفْضَلَ مِنَ المَلائِكَةِ الَّذينَ سَجَدوا لآدمَ، وَلَيْسَ الحَجَرُ بأَفْضَل مِنَ الرَّسُولِ والوَليِّ!

بالحَجَرِ الأَسوَدِ تَنْكَشِفُ الأكاذيبُ والمِرَاءُ.. فقَدْ وُضِعَ الحَجَرُ الأسودُ للابْتِلاءِ وَأَنْتُم تَسْجدونَ لَهُ رُغْمَ أنوفِكُم وألاّ فلَسْتُم مِنَ الإيمانِ في شَيءٍ، لأنَّ مَنْ لَمْ يُصَلِّ إلى الكعْبَةِ فَلا صَلاةَ لَهُ، ومَنْ لا صَلاةَ لَهُ فَلا دِينَ لَهُ!

هَذِهِ بَديهيَّةٌ واضِحَةٌ فَكَيفَ يُحَدِّدُ الله لَكَ اتِّجَاهاً وَاحِداً في العِبَادَةِ ويَتْرُكُكَ حُرّاً مُخْتَاراً في العُبوديَّةِ؟

فَلا تأْمَنُوا مَكْرَ الله وانْظُروا جيّداً:

فإنَّ مَنْ يَأْمَنُ مَكْرَ الله فَهوَ فاسِقٌ.. لأنَّ مَكْرَ الله مَوجودٌ في كُلِّ حُكْمٍ شَرْعيٍّ صَغِيرٍ أم كَبيرٍ، وبِهِ تُسْتَخْرَجُ حقيقَةُ الأعمالِ والنَّوَايَا بحَيثُ يَشْهَدُ العَبْدُ عَلَى نَفْسِهِ مُضْطَرّاً.

إنَّ الله هُوَ خَيْرُ المَاكِرينَ.. وهُنَا في الولايَةِ مليونُ مَكْرٍ ومَكْرٍ ولَكِنَّكُم قَوْمٌ لا تَفْقَهون. ولا يأتيكُمُ الفِقْهُ في الدِّينِ مِنَ الدراسَةِ والتَّعلُّمِ!

يَا قَوْمُ إنَّكُم بِمَا لَدَيكُم مِنْ مَفَاهيمَ بعيدَةٍ عَنْ مفاهيم الله ضَالُّون مُضَلِّلونَ، ذَلِكَ أنْ لا عَلاقَةَ بَيْنَ العِلْمِ والفِقْهِ! ولا كَمَا هُوَ قَارٌّ في بديهياتِكُم الَّتي يَسْتَصْرِخُكُم أَنْبِيَاءُ الله لِتُرَاجِعُوهَا.

إنَّ الفَقَاهَةَ هِيَ في القُلوبِ لا في العقولِ! لأنَّ القُلوبَ إذا فَسَدَتْ فَلا فَائِدَةَ مِنَ العقولِ مَهْمَا عَظُمَتْ، بَلْ سَتَكونُ فاسِدَةً هِيَ الأُخْرَى وإنْ أَعْجَبَتْكُم أقوالُهَا وتَخْريجاتُهَا وحَذْلَقَتُهَا. فبقليلٍ مِنَ التأَمُّلِ الواعي وبقليلٍ مِنْ فَقَاهَةِ القُلوبِ سَتُدْرِكونَ فَسَادَ هَذِهِ العقولِ.

وكُلُّ هَذا هُوَ كَلامٌ مِنَ القُرْآنِ وفي القُرْآنِ الَّذي مَلَّ مِنْ كَثْرَةِ تلاوتِكُم العَقيمَةِ لَهُ، فَمَا جَزَاءُكُم مِنْهُ إلاَّ ضَلالٌ في ضَلال. .

يَا هَؤُلاءِ ألا تَرونَ أنَّ الفَقاهَةَ قَدْ اقْتَرَنَتْ في كِتَابِ الله بالقُلوبِ وبالقُلوبِ فَقَط. . بالقُلوبِ دونَ العقولِ، وَذَلِكَ في سَائِرِ آياتِهِ وأنَّها لَمْ تَرْتَبِطْ مُطْلَقاً بالعقولِ. . انظُروا:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣].

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦].

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧].

يَا قَوْمُ. . نَدْري أنَّ العقولَ الكَبيرَةَ المُقَدَّسَةَ عِنْدَكُم قَدْ تَلاعَبَتْ وسَتَتَلاعَبُ بألفاظِ الآيَةِ لِصَرْفِهَا وصَرْفِكُم عَنْ مُرادِهَا الحَقِّ الَّذي يَجْعَلُ المناطَ هُوَ

القُلوبَ.. ورُبَّمَا قَالوا لَكُمْ إنَّ القُلوبَ والعقولَ في اللغَةِ سَيَّان.. خالِفوا وِجْدانَكُم وقُلوبَكُم إِذَنْ! وصَدِّقُوا قَدَاسَتَهُم ولتَذْهَبوا مَعَهُم وَئيداً إلى.. النَّار!

وعذْرُنَا مَعَكُم حِينَهَا هُوَ عذْرُ يُونسَ عليه السلام، فَلَو جَاءَ إلى الله بِشَأْنِكُم عَجِلاً لعَذَابِكُم مَا كَانَ واللهِ ليمضيَ إلى بَطْنِ الحوتِ.. بَلْ سَيَسْتَجيبُ المولى عزّ وجلّ لَهُ لأنْ قَدْ جَاءَكُم مِنَ النُّذُرِ مَا لَمْ يُؤتَ أَحَدٌ مِنَ العَالَمِين. والمَشيئَةُ كُلُّهَا مَعَ ذَلِكَ لِلَّهِ الوَاحِدِ القَّهارِ.

ت - وَمِنْهَا قوله عليه السلام:

مِنْ خِطَابِ يَوْمِ الجُمُعَةِ المُبْتَدِإ بالحَمْدِ والصَّلاةِ عَلَى النَبِيِّ وآلِهِ:

... اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ الَّذينَ أَمَرْتَ بِطاعَتِهِم وأَذْهَبْتَ عَنْهُم الرِّجْسَ وَطَهَّرْتَهُم تَطْهيرا. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ الَّذينَ أَلْهَمْتَهُم عِلْمَكَ واسْتَحفَظْتَهُم كُتُبَكَ واسْتَرْعَيتَهُم عِبادَكَ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ ورَسولِكَ ونَبِيِّكَ وحَبيبِكَ وخَليلِكَ وسَيِّدِ الأَوَّلينَ والآخَرينَ مِنَ الأَنْبِياءِ والمُرْسَلينَ والخَلْقِ أجْمَعينَ وَعَلَى آلِهِ الطيِّبينَ الطَّاهرينَ الَّذينَ أَمَرْتَ بِطَاعَتِهِم وأَوْجَبْتَ عَلَيْنَا حقَّهُم ومَوَدَّتَهُم..

نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة/ ج ٣ - باب الدعاء/ ١/ ١٢

أَقُولُ: في هَذِهِ الصَّلَواتِ تِسْعُ صِفَاتٍ لآلِ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ذُكِرَتْ في النصِّ وَهْيَ حَسب التَّسَلْسُلِ:

١ - إنَّ الله تَعالَى أَمَرَ بِطاعَتِهِم.

٢ - أَذْهَبَ عَنْهُم الرِّجْسَ.

٣ - طَهَّرَهُم تَطهيرا.

٤ - أَلْهَمَهُم عِلْمَهُ.

٥ - اسْتَحْفَظَهُم كُتُبَهُ.

٦ - اسْتَرْعَاهُم عِبادَهُ.

٧ - جَعَلَهُم طَيِّبينَ.

٨ - أَوْجَبَ عَلَى النَّاسِ حَقَّهُم.

٩ - أَوْجَبَ مَوَدَّتَهُم.

ونُلاحِظُ في هَذا الخِطَابِ أُموراً أَرْبَعَةً أُخْرَى:

الأَمْرُ الأَوَّلُ: إِنَّهُ عليه السلام بَنَى كَافَّةَ الصِّفَاتِ والخَصَائِصِ عَلَى المَفْعوليةِ ونَسَبَهَا إلى الله، فَلَمْ تَشُذْ مِنهَا أَيَّةُ صِفَةٍ مِثْلُ: أَمَرَ - أَذْهَبَ - طَهَّرَ - أَلْهَمَ - اسْتَحْفَظَ - اسْتَرْعَى.. فالأفعالُ كُلُّهَا تَعودُ إلى الله.

الأَمْرُ الثَّاني: إِنَّهُ عليه السلام كَرَّرَ صِفَتَينِ مِنهَا فَقَطْ وهُمَا: إِنَّهُ تَعالَى أَمَرَ بِطَاعَتِهِم وطَهَّرَهُم. وَجَعَلَ هاتينِ الصِّفَتينِ مُبْتَدأَ الكَلامِ ومُنْتَهَاه في فَقَرَةِ الصَّلاةِ. لأنَّهُ بَعْدَ هَذِهِ الفَقَرَةِ يُشْرِعُ بالدُّعَاءِ فَيَقولُ:

«اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ سُؤَالَ وَجِلٍ مِنْ عِقَابِكَ، حَذِرٍ مِنْ نَقْمَتِكَ، فَزِعٍ إليكَ مِنْكَ... الخ».

الأَمْرُ الثَّالِثُ: إِنَّهُ عليه السلام أَفْرَدَ للنَبيِّ الأَكْرَمِ تِسْعَ صِفَاتٍ أُخْرَى مُنفَرِدَةٍ خَاصَّةٍ بِهِ بأسلوبِ الخِطَابِ المُبَاشِرِ مَعَ الله وَنَسَبَهَا إلى الله تَعَالَى أَيْضاً وَهِيَ: عَبْدِكَ، رَسولِكَ، حَبيبِكَ، خَليلِكَ. فهذِهِ خَمْسُ صُفاتٍ باللَّفْظِ المُنْفَرِدِ وَهِيَ تُشيرُ إلى الخَمْسَةِ أَصْحَابِ الكِسَاءِ بحَيثُ إذا أُضيفَتْ إلى التِّسْعَةِ الآنِفَةِ أَصْبَحَ المَجموعُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ صِفَةً، وَهِيَ بِعَدَدِ الصِّفَاتِ في آيَةِ المشكاةِ وبِعَدَدِ المَعْصومين عَلَيْهِم السَّلام. ثُمَّ أَتْبَعَهَا بأَرْبَعَةِ صِفاتٍ مُرْتَبِطَةٍ بِلَفظِ السَيِّدِ لإتمام تِسْعِ صِفاتٍ خاصَّةٍ بالرَّسولِ الأَكْرَمِ وَحْدِهِ وَهِيَ: سَيِّدُ الأَوَّلينَ والآخِرينَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ والمُرْسَلينَ والخَلْقِ أَجْمَعين. وجَعَلَ هَذِهِ الصِّفَاتِ بمَجْموعِهَا في وَسَطِ ذِكْرِ الآلِ فَكَأَنَّهُ أَحَاطَ مُحَمَّداً بالآلِ بحَيثُ لا يَمكنُ بلوغُ طَاعَتِهِ إلاَّ بِطَاعَتِهِم.

الأَمْرُ الرَّابِعُ: إِنَّهُ عليه السلام تَكَلَّمَ بصيغَةِ المُفْرَدِ حَالَ الدُّعَاءِ وجَعَلَ نَفْسَهُ وَاحِداً مِنَ النَّاسِ فَقَالَ: أَوْجَبْتَ علينا حَقَّهُم.. وأَوْجَبْتَ عَلَيْنَا مَوَدَّتَهُم. وقَدْ سَبَّبَ هَذا الأسلوبُ إِشْكَالاً لَدَى البَعْضِ ظَهَرَ مِنْ خِلالِ وضْعِ هَوَامِش مِثْل هامِشِ المحمودي الَّذي قَالَ فِيهِ: «هَذا لا يُنَافي كَونَ الدُّعَاءِ مِنْ أميرِ المؤمنينَ، إِذْ أَغْلَبُ دَعَوَاتِهِ تَعْليميةٌ».

وَهَذا جَوَابٌ سيءٌ جِدًّا لإشكالٍ موهومٍ لا وجودَ لَهُ. وَلِذَلِكَ فَسوفَ أُوضِّحُ هَذِهِ المَسْأَلَةَ الخَطيرَةَ قَبْلَ الشُّروعِ بِشَرْحِ الصفاتِ المَذكورَةِ للآلِ عليهم السلام.

لقَدْ ذَكَرْتُ سابقاً أَنَّ أولياءَ الله تَعَالَى مَا وَصَلوا إلى الدَّرَجَةِ العُلْيَا إلاَّ بطاعَةِ الله وتَنْفيذِ الأَمْرِ الإلهيِّ وانعِدَامِ الحُكْمِ الذَّاتي لديهم.

إنَّ مُحَمَّداً العَبْدَ المُطيعَ هُوَ أَكْثَرُ الخَلْقِ طَاعَةً للهِ ولِمُحَمَّدٍ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله. وَهَذا الكَلامُ الَّذي يَصْدُرُ عَنْهُم لَيسَ مُجَرَّدَ تَعْليمٍ يَقُولونَهُ لِغَيرِهِم.

وإلاَّ فَمَا مَعْنَى قَولِ الرَّسُولِ في التَّشَهُّدِ: «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلاَّ الله وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورسولُهُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ»؟

وَهَلْ يمكُنُ أَنْ نُفَسِّرَ هَذا القولَ عَلَى أَنَّهُ مُجَرَّدُ تعليمٍ لا يَصِحُّ في الأَصْلِ أَنْ يقولَهُ الرَّسُولُ صلى الله عليه وآله عَن نَفْسِهِ؟

كلاَّ.. إِنَّهُ يشْهدُ حِيْنَ يَشْهدُ بِحَقٍّ، ويطيعُ الله ورسولَهُ في ذَلِكَ، ويُنَفِّذُ أَمْرَ الله الَّذي نَزَلَ فِيهِ وعَلَيْهِ.

والواقِعُ أَنَّ هَذِهِ الطَّاعَةَ بِهَذِهِ الصُّورَةِ هِيَ البُرْهَانُ الأكيدُ والأَكْبَرُ عَلَى العِصْمَةِ، لإنَّ الله تَعَالَى حَيْثُ أَمَرَ مُحَمَّداً العَبْدَ بِطَاعَةِ مُحَمَّدٍ الرَّسُولِ وانْطَبَقَ مُرَادُ مُحَمَّدٍ العَبْدِ مَعَ مُرَادِ مُحَمَّدٍ الرَّسُولِ فإنَّ ذَلِكَ لَمْ يَحْصَلْ إلاَّ بَعْدَ فَنَاءٍ تَامٍّ لِهَوَى الذَّاتِ وتَسْليمٍ تَامٍّ بِأَمْرِ الله تَعَالَى.

وَلِذَلِكَ فإنَّ المعصومَ عليه السلام حَيْثُ يُصَلِّي عَلَى نَفْسِهِ ويَشْهدُ لنَفْسِهِ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ طَاعَةً للهِ لا طَاعَةً لِهَوَى النَّفْسِ لانْعِدَامِ هَذا الهَوَى مِنَ الأصلِ فِيهِ. فيؤكِّدُ هَذا الانْعِدَامُ دَوْماً بالطَّاعَةِ.

فإنْ قُلْتَ: «يَدْخُلُ في قَولِ أميرِ المؤمنينَ في هَذِهِ الحَالِ بَعْضُ أولادِهِ المَعْصومينَ فَكَيفَ يَقولُ بصيغَةِ الجَمَاعَةِ فَرَضَ عَلَيْنَا كذا وكذا.. حَيْثُ أَصْبَحَ مُطيعاً للأَدْنَى مِنْهُ رُتْبَةً فإذا صَحَّ ذَلِكَ مَعَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله إِذْ هُوَ الأَوَّلُ فيهِمْ وصَحَّتْ طَاعَتُهُ لنَفْسِهِ باعتِبَارِهِ عَبْداً يطيعُ أمرَ الله في مَقامِ نَفْسِهِ، فَكَيفَ يَصِحُّ أنْ يَكُونَ مُطيعاً للحَسَنِ والحُسينِ وعَلِيِّ بنِ الحُسَينِ إلى آخِرِ الأئمَّةِ الإثني عَشَر وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْهُم جَميعاً؟».

فالجَّوَابُ: كلاَّ.. أَنْتَ المُتَوَهِّمُ.. لأنَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ. فَلَو رَجَعْتَ إلى كَلامِهِ لَمَا وَجَدْتَهُ يَذْكُرُ مَعَ صِيغَةِ جماعَةِ المُتَكلِّمينَ وجوبَ الطَّاعَةِ، بَلْ وُجوبَ الحَقِّ والمَوَدَّةِ فَقَط. بَيْنَمَا اسْتَعْمَلَ للطاعَةِ صيغَةً أُخرَى ظَهَرَ فِيْهَا الوجوبُ عَلَى النَّاسِ هَكذا:

- **الَّذينَ أَمَرْتَ بِطَاعَتِهِم** - في أَوَّلِ الفَقَرَةِ وَلَمْ يَقُلْ «أَمَرْتَنا».
- **الَّذينَ أَمَرْتَ بِطَاعَتِهِم** - في آخِرِ الفَقَرَةِ.
- **وأَوْجَبْتَ عَلَيْنَا حَقَّهُم** - في آخِرِ الفَقَرَةِ.
- **ومَوَدَّتَهُم** - في آخِرِ الفَقَرَةِ.

وَمعْنَى ذَلِكَ أنَّ وجوبَ الطَّاعَةِ يكونُ عَلَى الغَيْرِ.

فَهُوَ عليه السلام غَيْرُ مَشْمولٍ بِهَذا الوجوبِ، بَلْ مَشْمولٌ بوجوبِ أنْ يُطَاعَ مِنْ قِبَلِ الغَيْرِ. وَلكِنَّهُ يَشْتَرِكُ مَعَ الغَيْرِ في وجوبِ مَعْرِفَةِ حَقِّهِم ومَوَدَّتِهِم!!.

فَهَلْ أَدْرَكْتَ الآنَ مِنْ هَذا التَّحليلِ للنصِّ أَنَّهُ رَجُلٌ مَعْصُومٌ لا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى وإنْ هُوَ إلاَّ وَحْيٌ يُوحَى.. فمن هَذا الَّذي يَأْتي بِكَلامٍ دَقيقٍ لا تَجِدُ فِيهِ تَنَاقُضاً سِوَى حُجَّةِ الله عَلَى خَلْقِهِ؟.

وإنّي لأتَحدّى كُلَّ الخَلْقِ أنْ يأتوني بِكَلام لِغيرِ حُجَجِ الله ولو مِنْ سَطْرٍ واحِدٍ لَيْسَ فِيهِ جَوَانِبُ مِنَ الخَطَإِ والتَّهافُتِ. وَلِذَلِكَ قُلْنا مِراراً إنَّ تحليلَ النصِّ هُوَ الدَّليلُ الوحيدُ عَلَى صِحَّةِ صدورِهِ مِنَ المَعْصُومِ أو مِنْ سِواه، فَلا يمكنُ تضعيفُ نصٍّ أو تقويتُهُ تبعاً لوثاقَةِ الرِّجَالِ. فَكَمْ مِنْ موثوقٍ وَهْوَ عِنْدَ الله فاسِقٌ؟ وَكَمْ مِنْ شرّيرٍ وَهْوَ عِنْدَ الله مِنَ الأخيارِ؟. بَلْ كَمْ مِنْ شرّيرٍ يَجْعَلُ الله عَلَى لِسَانِهِ الحَقَّ؟ وَكَمْ مِنْ عَالِمٍ نِحريرٍ نَسَى اللَّفْظَ فَيَنْقُل المَعْنَى بِألفَاظِهِ هُوَ فَيَقَعُ في التباسٍ ويُوقِعُ الخَلْقَ مَعَهُ.

وقَدْ اعْتَمَدَ الكَاتِبُ الكاذِبُ عَلَى تَضْعِيفِ الرُّوَاةِ فَقَط للخلاصِ مِنَ النُّصوصِ الدَّامِغَةِ لباطِلِهِ وكأنَّنا مُغَفَّلونَ لا نَدْرِي أنَّ عِلْمَ الرِّجَالِ ظَهَرَ أَصْلاً مِنْ جِهَةِ أعْدَاءِ الدِّينِ وخصومِ الأئمَّةِ الأطْهَارِ وإنْ عَمَلَ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ طَوَائِفِ الشِّيْعَةِ. قَالَ تَعالَى:

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٤].

إذَنْ.. الواجِبُ عَلَيْهِ «عليه السلام» أنْ يَعْرِفَ حَقَّ الأئمَّةِ مِنْ ذُرِّيَتِهِ وأنْ ينفِّذَ التعاليمَ في مَوَدَّتِهِم لإنَّ الله أَمَرَ بطاعَةِ هَؤُلاءِ الَّذينَ هُوَ الثَّاني فيهِم.

والآن نَرْجِعُ إلى مَا تَضَمَّنَهُ الخِطَابُ مِنَ الصفاتِ:

الصفةُ الأولى:

أمّا قَولُهُ «عليه السلام»: «أَمَرْتَ بِطاعَتِهِم». فإنَّ الأَمْرَ بِطَاعَتِهِم جَاءَ في القُرْآنِ في عَشَرَاتِ المَوَاضِعِ. فَحَيْثُ أَمَرَ الله بطَاعَةِ الرَّسُولِ «صلى الله عليه وآله» فإنَّ الرَّسُولَ أَمَرَ بِطاعَتِهِم فَأَصْبَحَتْ طاعَتُهُم مِنْ طَاعَةِ الرَّسُولِ. ثُمَّ أَفْرَدَ طاعَتَهم بِقَوْلِهِ تَعالَى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

ومعلومٌ أَنَّهُ لا يَعْطِفُ شَخْصاً نَجساً عَلَى مُطَهَّرٍ. . فَلا يَعْطِفُ خَطَّاءً عَلَى ذاتِهِ المُقَدَّسَةِ وَعَلَى رسولِهِ. فَلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أُولوا الأَمْرِ مُطَهَّرين، وَلِذَلِكَ عَطَفَ عَلِيٌّ عليه السلام في نَفْسِ الخِطَابِ هَذِهِ الصِّفَةَ فَقَالَ: «**وأَذْهَبْتَ عَنْهُم الرِّجْسَ**».

مِنْ جِهَةٍ أُخرَى لَو كَانَ أولوا الأَمْرِ هُمْ مِثْلَ أَبي بَكْرٍ وعُمَرَ وكُلِّ طاغيةٍ آخرَ لَحَدَثَ تَنَاقُضٌ مُشينٌ في أوامِرِ الله تَعَالَى. لأَنَّكُم تَقولونَ: «هَؤُلاءِ غَيْرُ معصومينَ عَنِ الخَطأ» فَكَيفَ يَأْمُرُ بِطاعَتِهِم مُطْلَقَاً ويَعْطِفُ طاعَتَهُم عَلَى طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسولِهِ؟!

فَمَاذَا تَفْعَلونَ فيما لَو أَخْطَأوا ولا نَقولُ تَعَمَّدوا الخَطأَ مَعَ أَنَّ غَيْرَ المَعْصُومِ لا مَعْنَى لَهُ إلاَّ أَنَّهُ يَتَعَمَّدُ الخَطأَ أَحْيَاناً وأَلاَّ فَمِنْ أَيْنَ يَأتيهِ الذَّنْبُ والخَطيئَةُ؟!

فَلَو عَصَى الله في أَمْرٍ مَا جَهْلاً أو عَمْداً فَمَاذَا تَفْعَلون؟ هَلْ تُطيعونَهُ في مَا أَخْطَأ؟

إنْ أَطَعْتموهُ فقَدْ عَصيتُمُ الخالِقَ إِذْ لا طَاعَةَ لِمَخلوقٍ في مَعصيَةِ الخالِقِ، وإِنْ عَصيتُمُوهُ عصيتُمُ الأَمْرَ في الآيَةِ بوجوبِ طَاعَتِهِ!

فيَا لَكُمْ مِنْ حَمْقَى!

يَا لَكُمْ مِنْ مُغَفَّلين!

إِنَّمَا ذَكَرَ الله هَذِهِ الآيَةَ لِتَفْهَموا اسْتِحَالَةَ رِضَاه بِطَاعَةِ غَيْرِ المَعْصُومِ لأنَّ الآيَةَ مُرَكَّبَةٌ بطَرِيقَةٍ يَستحيلُ مَعَهَا افْتِرَاضُ وجودِ وليٍّ للأمرِ مِنِ اختيارِكُم!.

فلكي يَتَخَلَّصَ المِرْءُ مِنْ هَذِهِ المِحْنَةِ لا بُدَّ أَنْ يَسْأَلَ الله مُتَوسِّلاً إليه: «يَا رَبِّ خَلِّصْنَا مِنْ هَذِهِ الآيَةِ الَّتي هِيَ أَشَقُّ آيَةٍ في القُرْآنِ كُلِّهِ وهي أَعْظَمُ تَبِعَةً مِنْ كُلِّ التشريعاتِ مجتمِعَةً لأنَّها صورَةُ التَّوحِيدِ العَمَلِيَّةِ»!

أَنْتُم قَوْمٌ لا تَفْقَهونَ. . وَلِذَلِكَ لَمْ تسألوا الله مُتَوسِّلين: «ربِّ خَلِّصْنَا مِنْ هَذِهِ

الآيَةِ بِلُطْفِكَ وحَنَانِكَ ورَحْمَتِكَ..»، بَلْ سَأَلْتُم: «مَنْ هَؤُلاءِ يَا تُرَى؟»، فلَمَّا قِيلَ لَكُمْ عَلَى لِسَانِ الرَّسُولِ ﷺ: «هُمْ عترتي أَهْلُ بَيْتِي»، قُلْتُم:

﴿... ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وَهْيَ الآيَةُ الَّتي نَزَلَت في السَّائِلِ الَّذي سَأَلَ بِعَذَابٍ واقِعٍ والذي كَرِهَ ولايَةَ عَلِيٍّ عليه السلام كَمَا مَرَّ سابِقاً.

فَأَبْشِروا فقَدْ استجِيبَتْ دَعْوَتُكُم:

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨]..

﴿... وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣].

واعْلَموا أنَّ البِشَارَةَ لَمْ تَرْتَبِطْ في كُلِّ القُرْآن بنوعِ العَذَابِ سِوَى «الأليم» بالرُّغْم مِنْ وجودِ ثمانية وثلاثين نَوْعَاً مِنَ العَذَابِ استِجَابَةً لمَطَالِبِكُم وتَنفيذاً لدُعَائِكُم فسبحانَ اللهِ المُجيبِ لدعوَةِ الدَّاعين.

هَذا هُوَ كِتَابُ الله العَجِيبِ الَّذي لا تَنْتَهِي غَرَائِبُهُ وٱلَّذي أَنْتُم عَنْهُ مُعْرِضون. وَأَمَّا الحِجَارَةُ فأبشروا فَإِنَّهُ تَعَالَى رحيمٌ ويُعْطي الخَلْقَ مَا طَلَبُوهُ حَتْماً والحِجَارَةُ قَريبَةٌ مِنْكُم جِدّاً:

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: ٨٢-٨٣].

فَمَاذَا تُريدون؟!

طَلَبَاتُكُم كُلُّهَا مُجابَةٌ ولا يُحْزِنُكُم سِوَى تَأَخُّرِ تنفيذِهَا فَلا تَسْتَعْجِلوا فإنَّ لَكُمْ مَا طَلَبْتُم أسوَةً بأصْحَابِكُم مِنَ الأُمَمِ السَّالِفَةِ:

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الذاريات: ٥٩].

أَنْتُم مُسْتَعْجِلون دَوْماً - ونَأْسَفُ جِدّاً للتأخيرِ! - لأنَّ التَّأخِيرَ هُوَ بِسَبَبِ وجودِنَا بَيْنَكُم فَقَط..

لَكِن احذَروا فَلا تَقولوا يومَهَا: «آمَنَّا بِعَلِيِّ بنِ أَبي طَالِبٍ هُوَ مَولانا ونِعْمَ الأمير..»!

نَصيحَةٌ لَكُمْ هَذِهِ مِنَّا لأنَّ قولَكُم هَذا بَعْدَ فَوَاتِ الأَوَانِ لا يعودُ عَلَيْكُم إلاَّ بِمَزيدٍ مِنَ العَذَابِ الأَليم:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يونس: ٥٠-٥١].

والآن تُريدونَ أَنْ تُصَدِّقوا هَذا الكَلامَ فَلا تَقْدِرونَ عَلَى التَّصديقِ وتَتَمَنَّوْنَ لَو أَنَّ أَحَدَ المتَنَبِّئينَ أو أَهْلَ الفألِ يُخْبِرُكُم أَحَقٌّ هُوَ أَمْ لا؟:

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣].

الصّفَةُ الثَّانِيَةُ:

أَمَّا قَولُهُ عليه السلام: «**وَأَذْهَبَ عَنْهُم الرِّجْسَ**»: فقَدْ أَذْهَبَ عَنْهُم الرِّجْسَ بآيَةِ التَّطْهيرِ حَيْثُ قَالَ تَعالَى:

﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقَدْ قُلْنَا إنَّ أَهْلَ البَيْتِ هُمْ أَهْلُهُ. فالنِّسَاءُ لَسْنَ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ، لأنَّ أَهْلَ البَيْتِ هُمْ مُلاَّكُ للبيتِ فَلا يَخرجونَ مِنْهُ كَمَا لَو طَلَّقَ أَحَدُهُم امْرَأَتَهُ فإنَّهَا تَخْرِجُ إلاَّ أَنْ تكُونَ المَرْأَةُ مِنْ أَهْلِهِ بِلَفْظِ الآلِ أو الأَهْلِ وَلَيْسَ ذَلِكَ إلاَّ لِفَاطِمَةَ الزَّهْراءِ عليها السلام دونَ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ.

نَقولُ هَذا رَدّاً عَلَى مَزَاعِمِهِم وإلاَّ فالمُنَاقَشَةُ خاطِئَةٌ مِنَ الأَصْلِ لأنَّ البَيْتَ لُغَةً ليسَ هُوَ الدَّارَ أو المَسْكَنَ حَتَّى يَحْتَاجَ إلى مَعْرِفَةِ أَهْلِهِ. فأَهْلُ الدَّارِ شَيءٌ وَأَهْلُ الرَّجُلِ شَيءٌ وَأَهْلُ المَسْكَنِ شَيْءٌ وَأَهْلُ البَيْتِ شَيءٌ فَهِيَ مُخْتَلِفَة قَطْعاً.

فالزَّوجَاتُ مِنْ أَهْلِ الرَّجُلِ لِقَولِهِ تَعَالَى في لوط عليه السلام:

﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٣].

وَهَذا عَلَى فَرْضِ الإصْرَارِ عَلَى أَنَّ المُسْتَثْنَى لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ جنسِ المُسْتَثْنَى مِنْهُ وَلَيْسَ هَذا بصحيحٍ دَوْماً، بَلْ هُوَ مُنْقَطِعٌ أحياناً كَمَا هُوَ مَعْلومٌ، وَكَمَا في قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

وَمَعَ ذَلِكَ فَأَهْلُ الرَّجُلِ هُمْ غَيْرُ أَهْلِ البَيْتِ، لأنَّ البَيْتَ هُوَ إسمٌ لِجَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ لَهُم نَسَبٌ مُحَدَّدٌ ورحمٌ مُتَّصِلَةٌ لا تَنْفَكُّ حَتَّى بالكُفْرِ مثل إبن نوح عليه السلام، فَإِنَّهُ إبنُهُ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ نوحٌ: «**ربِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي**» فَلَمْ يَقُلْ لَهُ تَعالَى: «لَيْسَ ابْنَكَ». وَلكِنْ قَالَ تَعالَى: «**أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ**» فَنَفَى أَنْ يَكُونَ مِنْ أهلِهِ ونوحٌ يَفْهَمُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِهِ. فَجَعَلَ الله الإيمانَ مُوصِلاً للأَهْلِيّةِ كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام بَعْد ذَلِكَ:

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

وَلَمْ يَقُلْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ولو مَعَ الإتّباعِ وَبِهَذا الشرط، ذَلِكَ لأنَّ البَيْتَ هُوَ تكوينٌ خصوصيٌّ. فالتحريمُ بالزوجيَّةِ فقهيَّاً هُوَ تحريمٌ سَبَبيٌّ لا أَبَديٌّ، فَلَو طُلِّقَتِ المرْأةُ حُلَّتْ عَلَى غَيْرِ الزَّوجِ. وَلكنَّ الله أكْرَمَ رسولَهُ باستثناءٍ مِنْ هَذِهِ القاعِدَةِ وجَعَلَ زوجاتِهُ أُمَّهاتٍ للمُؤْمنينَ ولو عِنْدَ التَّطليقِ.

وَأَنْتُم لا تَفْهَمونَ هَذا لأنَّ هَذا الأَمْرَ هُوَ إكرامٌ لَهُ وحْده، وفيه مِنَ التَّذليلِ لَهُنَّ مَا لا مَزيدَ عَلَيْهِ لأنَّ مُطَلَّقَتَهُ لا يَحِلُّ لَهَا الزَّواج مِنْ غَيْرِهِ.

فَتَأَمَّلْ في مَعْنَاهُ: هَلْ تَجِدُهُ إكْرَاماً لَهُنَّ أَمْ وبالاً عليهنَّ؟

بَلْ فِيهِ تَشْكيكٌ فِيهِنَّ وفي سُلوكِهِنَّ مَعَهُ وَلكِنَّهُ أَعْطَى التعليماتِ للكلِّ، لأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ فَضيحَةَ البَعْضِ، وجاءَتْ الخِطَاباتُ عَلَى المجموعِ مِنْ غَيْرِ تَحْديدٍ. ثُمَّ حَدَّدَ اثنتينِ مِنْهُنَّ في سُورَةِ التَّحريمِ كانتا تَتَظَاهَرَانِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وتَعْصِيَانَهُ وَضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلاً مِنَ الَّذينَ كَفَروا وهُما حَفْصَةَ وعائشَةَ بإجماعِ المُفَسِّرين. فَرَاجِعْ تفسيرَ التهديدِ الإلهيِّ في السُّورَةِ مِنْ أيِّ المَرَاجِعِ شِئْتَ سُنِّيَّةً أو شيعيَّةً تَجِدُ أَنَّهُ أَفْرَدَهُمَا بِمِثَالِ الكُفْرِ وهَدَّدَهُمَا بِأَكْثَر مِمَّا هَدَّدَ كُلَّ قوى الكُفْرِ مُجْتَمِعَةً وَذَلِكَ في قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

فانظروا: هَلْ هَدَّدَ الأُمَمَ والدولَ الكَافِرَةَ بشَيءٍ كَهَذَا التَّهديدِ؟. بَلْ العَكْس أَمَرَ المؤمنينَ بالثَّباتِ أَمَامَ الزَّحْفِ وأَنَّهُم إذا احتَاجوا أَمَدَّهُم بثلاثةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَة فَقَط.. وَقَالَ:

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤].

وقَدْ قُلْتُ في مَوْضِعٍ آخرٍ: إنَّ هَذِهِ المؤامَرَةَ والتَّظاهُرَ مِنْ عائشَةَ وحفصَةَ مُرْتَبِطَانِ بِكُلِّ قوى الكُفْرِ ويدورانِ حَولَ مَسْكَنِ الرَّسُولِ، وَلِذَلِكَ فَهْيَ مُؤامرةٌ ضَيِّقَةُ المساحَةِ وَلكِنَّهَا واسعَةُ الأطرَافِ وأَخْطَرُ مِنَ القوى العَسْكَرِيَّةِ المُحَشَّدَةِ في الخَارِجِ والمَنْظورَةِ للنَّاسِ.

فَلِمَاذَا أَصَرَّ أَبو بَكْرٍ وعُمَرَ عَلَى تَزويجِ ابنتيهِمَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَمَا يَئِسَا مِنَ التزوِّجِ بفاطمَةَ عليها السلام؟

لَقَدْ كَانَتْ الخطَّةُ موضوعَةً سَلَفَاً.

فَهُمَا جاسوستانِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مُدَرَّبَتَانِ كأَحْسَنِ مَا يكونُ التَّدريبُ وقَامَتَا

بالدَّورِ الموكولِ لَهُمَا بِكُلِّ أَمَانَةٍ وجَاءَ تحريمُ الزَّواجِ عَليهِنَّ مِنْ بَعْدِ الرَّسُول ﷺ ضَرْبَةً مُوجِعَةً.

إنَّ الخطَّةَ كَانَتْ تَرْمِي إلى الانتِهَاءِ مِنْ موضوعِ النَّبِيِّ بسرعَةٍ ومِنْ ثُمَّ يَأخُذْنَ حُرِّيتَهُنَّ في الزَّواجِ مِنْ بَعْدِهِ أو بالطَّلاقِ خصوصَاً وإنَّهُنَّ شابَّاتٍ دونَ سائِرِ نِسَائِهِ العَجَائِزِ.

مِنْ هُنَا أُصيبَتْ عائشَةُ بخيبَةِ أَمَلٍ وحَصَلَ عِنْدَهَا مَا يُسَمَّى اليومَ بازدِوَاجِ الشَّخصيَّةِ وأُصيبَتْ بِمَرَضٍ نَفسِيٍّ، وَهَذا المَرَضُ واضِحٌ جِدَّاً في كُلِّ سلوكِهَا اللاحِقِ وخاصَّةً في مَا يَتَّصِلُ بالعِلاقَةِ الجنسيةِ. ذَلِكَ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يطأها قط فَهِيَ رجسٌ وَكَانَ شَرْطُهُ للوطءِ هُوَ أنْ تؤمِنَ باللهِ ورسولِهِ وتَكْفُرَ بأبيها وتُؤمِنَ بوليِّهَا. وَكَانَ ﷺ يَنْصَحُهَا ويُرْشِدُهَا وَلكنَّ الكُفْرَ المُتَأَصِّلَ فِيْهَا أَبى عَلَيْهَا الإيمانَ.

ومن هُنَا قَامَتْ بمحاوَلاتٍ عَديدَةٍ بَعْدَمَا فَشَلَتْ المؤامرَةُ الأولى وأُسْقِطَ في يَدِهَا وَلَمْ تقْدِرْ عَلَى نَقْلِ الأَخْبَارِ بأَمانَةٍ إلى اللَّجنَةِ المُخَصَّصَةِ. وَكَانَت حفْصَةُ تُتَابِعُهَا مَرَّةً وتَعْصيهَا أُخْرَى مُتَذَبذِبَةً بَيْنَهَا وبَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ.

لقَدْ قَامَتْ عَائشَةُ بدورٍ آخر هُوَ الحَرْبُ النفسيَّةُ مَعَ النَبِيِّ ﷺ فَكَانَتْ تُحَاوِلُ إيذاءَهُ بِشَتَّى السُّبلِ.

وَلِذَلِكَ فإنَّ تبريرَ أعمالِهِمَا مِنْ قِبَلِ السُّنَّةِ والأمويينَ وأَعْداءِ الرَّسُولِ إنَّمَا يُرَادُ مِنْهُ خَلْطُ الأوراَقِ والإساءَةُ إلى شخصيَّةِ الرَّسُولِ ﷺ. ومِنَ المُستحيلِ الجَمْعُ بَيْنَ عصمَةِ الرَّسُولِ والإيمانِ بِعَظَمَةِ شخصيَّتِهِ مَعَ تبريرِ أعمَالِ عائشَةَ وحفصَةَ

نَعَمْ.. فهذِهِ الأُمَّةُ تَعْبُدُ الأَصْنَامَ ولا شَأْنَ لَهَا بالرَّسولِ ﷺ، بَلْ استَهْوَاهَا الشَّيْطَانُ وأَضَلَّهَا عَلَى عِلْمٍ وجَعَلَهَا تَقولُ مَا لا تَفْعَلُ وتَفْعَلُ مَا لا تَقولُ.

إنَّ التَّحليلَ النَّفسيَّ والتاريخيَّ لشخصيَّةِ عائشَةَ وحفصَةَ ضروريٌّ جِدَّاً وَهْوَ أَحَدُ الأبْوَابِ الهامَّةِ لمعرِفَةِ خصائِصِ النبوَّةِ والولايَةِ وبدونِهِ يَبْقَى الإيمانُ ناقِصَاً إنْ لَمْ يَكُنْ غائِبَاً أَصْلاً.

لكن مَعَ مَنْ نتكلَّمُ؟

إنَّنا نتكَلَّمُ مَعَ أقوامٍ سَرَى في قُلوبِهِم حُبُّ أَبي بَكْرٍ وعُمَرَ وعائشَةَ حَتَّى أَنَّهُم لا يَهمُّهُم مَعَ هَذا كُلِّهِ أنْ تَكُونَ الإساءَةَ إلى الرَّسُولِ بِشَرْطِ سَلامَةِ هَؤُلاءِ مِنَ النَّقْدِ!.

هَذِهِ إِذَنْ هِيَ عُبوديَّةٌ للأَصْنَامِ بصورَةٍ أُخْرَى.

فالأُمَّةُ مُصَابَةٌ هِيَ الأُخْرَى بِعِلَلٍ وأَمْراضٍ نَفْسيَّةٍ مُستَدِيمةٍ لا عِلاجَ لَهَا إلاَّ نُزولَ العَذَابِ المَوعودِ.

هَذِهِ جُمْلَةٌ مِنْ أَعْمَالِ عَائِشَةَ:

أ - قَامَتْ بِحَادِثَةٍ تُسمَّى عِنْدَ المُفَسِّرينَ حادِثَةَ الإفْكِ، وَهْيَ حَادِثَةٌ مُلفَّقةٌ. فإنَّ تأخُّرَهَا عَنِ الرَّكْبِ لَمْ يَكُنْ مِنْ الإفْكِ وَإنَّمَا هو حقيقةٌ تاريخيَّةٌ ونَفَّذَتْ فِيْهَا وَصَايَا وأَوَامِرَ خاصَّةً آتيَةً مِنْ القيادَةِ العُلْيَا. فَحَاوَلَتْ الإساءَةَ إلى الرَّسُولِ ولو عَلَى حِسَابِ سمْعَتِهَا!.

وقَدْ جَعَلَهَا هَذا وبِحَسَبِ دِرَاستي لِنَفْسيَّتِهَا، جَعَلَهَا تَكْرَهُ الطَّرَفَينِ في آنٍ واحَدٍ:

مُحَمَّداً الرَّسُولَ وأعداءَهُ عَلَى حدٍّ سواءٍ. وَلِذَلِكَ قَامَتْ بالسِّلْسِلَةِ الطويلَةِ مِنَ الأعْمَالِ اللاحِقَةِ بَعْدَمَا رَجَعَتِ الفَضيحَةُ إلَيْهَا.

ب - حادِثَةُ الإفكِ الحَقِيقِيَّةِ والوارِدَةِ في القُرْآن خُلاصَتُها: إنَّهَا اتَّهَمَتْ «مارِيَةَ» أُمَّ المُؤمنينَ بالزِّنى مَعَ ابنِ خَالتِهَا بَعْدَمَا أَنْجَبَتْ مارِيةُ «إبْرَاهِيمَ» ابنَ

رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَتْ: إنَّهُ يُشْبِهُ فُلاناً. ونَشَرَتْ وسائلُ الإعلامِ النِّفَاقِيَّةُ الخَبَرَ وَنَزَلَ قولُهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

إلى قوله تَعالَى:

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [النور: ١٦-١٧].

وَذَلِكَ إنَّ بَعْضَ المُسلمينَ رَدَّدوا شائعةَ المُنَافِقينَ وَذَكَرُوها في مَجالِسِهِم. وَكَانَ هَذا هُوَ المَقْصودُ مِنْهَا أَصْلاً، فَجاءَ القُرْآنُ لإحْبَاطِ المؤامَرَةِ الَّتي قَامَتْ بِهَا عَائِشَةَ. لِذَلِكَ نَسَبَ الأَمْرَ إلى أَنْفُسِهِم وإنْ كَانَ عَنِ النبيِّ ﷺ وزَوجَتِهِ لأَنَّهُ كَانَ قَدْ قَالَ: «جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُم»، فَقَالَ في حَادِثَةِ الإفْكِ:

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢].

مَاذَا فَعَلَتْ عائشَةُ؟

هَذِهِ الآياتُ وَجَدَتْها عائشَةُ تُنَزِّهُ ماريَا عَنِ الفاحِشَةِ وتَردُّ المؤامَرَةَ إليها وتَتَحَدَّثُ عَنِ الإفْكِ، فَوَجَدَتْ فِيْهَا الفرصَةَ لضَرْبِ عصفورين بَحَجَرٍ واحِدٍ: الخلاصُ مِنْ تُهْمَةِ تَأَخُّرِهَا عَنِ الرَّكْبِ وتُهْمَةُ الإفْكِ الَّذي ادَّعَتْهُ عَلَى ماريَةَ فَزَعَمَتْ أنَّ الآياتِ نَزَلَتْ بِشَأْنِ تَأَخُّرِهَا عَنِ الرَّكْبِ! وتَابَعَهَا عَلَى ذَلِكَ القَوْمُ الأَغْبياءُ.

وَفَاتَهَا أنَّ تأَخُّرَها عَنِ الرَّكبِ ومَجِيءَ الأنصاريِّ مَعَهَا وكلَّ تِلْكَ الوَقَائِعِ لَمْ تَكُنْ مِنْ الإفْكِ، بَلْ كَانَتْ حقيقَةً واقِعَةً وانْتَظَرَهَا المُسْلِمُونَ ومَعَهُم رَسُولُ الله يوماً كاملاً حَتَّى عَادَ بِهَا الرَّجُلُ الأنصاريُّ!

فَمَنْ هُوَ الَّذي تَوَلَّى كِبْرَ هَذِهِ الواقِعَةِ وَلَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ حَسبَ الآيَةِ؟

فإنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ غَضَباً عَلَيْهَا هُوَ الرَّسُولُ ﷺ زَوجُهَا أَمَامَ النَّاسِ ووفْقَ الشَّرْعِ وإنْ لَمْ يَدْخُلْ بِهَا ولا يَعْلَمُ ذَلِكَ قط سِوَى أَهْل البَيْت عليهم السلام ومَنْ آتاهُ الله الإِلْهَامَ العِلْميَّ.

لِذَلِكَ كَذَّبَ أَهْلُ البَيْتِ دَعْوَى عائِشَةَ وأَكَّدوا أنَّ الإفْكَ والآياتِ النازِلَةَ فِيهِ هِيَ في عائشَةَ ومارِيَةَ لا في عَائشَةَ والرَّكبِ!

لقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ جميعاً يَعْلَمونَ هَذا وَإنَّمَا حَدَثَ التغيُّرُ في التَّفسِيرِ بَعْدَ اسْتِلامِ الثَّلاثَةِ الحُكْمَ. فأصبَحَتْ عائشَةُ المُفسِّرَ الوحيدَ والمُحَدِّثَ الوحيدَ للأُمَّةِ المَرحومَةِ! وَهَذا وَحْده دَليلٌ آخِرُ عَلَى المؤامرَةِ.

ج - قَامَتْ بإيذاءِ الرَّسُولِ في دَارِهِ بشَتَّى السُّبُلِ. فإذا ذَكَرَ زوجَةً سابقَةً مِثْلَ خديجَةَ عليها السلام اعْتَرَضَتْ وقَالَتْ: «عَجوزٌ شَمْطاءُ أَبْدَلَكَ الله بِخَيرٍ مِنْهَا»!، فَيَقولُ الرَّسُولُ ﷺ:

«والله مَا أَبْدَلَني الله بِخَيرٍ مِنْهَا آمَنَتْ بي حِيْنَ كَفَرَ النَّاسُ وصَدَّقَتْني حِيْنَ كَذَّبَنِي النَّاسُ وَكَانَ لي مِنْهَا الوَلَدُ وَمَا رَزَقَني الله مِنْ غَيْرِهَا».

وفي كلامِهِ ﷺ دَلالَةٌ عَلَى أَنَّهَا مُكَذِّبَةٌ بِهِ غَيْرُ مُصَدِّقَةٍ بِمَا جَاءَ بِهِ وإلاَّ فَلا مُقَارَنَةَ بَيْنَهُما لأنَّ الموضوع هُوَ: هَلْ أَبْدَلَهُ الله بِخَيرٍ مِنْهَا أَمْ لا؟. فَلَمْ يَقُلْ: لِكُلٍّ مِنْكُمَا فَضْلُهَا مَثَلاً، بَلْ أَنْكَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ بالقَسَمِ: «لا واللهِ مَا أَبْدَلَني الله بِخَيرٍ مِنْهَا» - لأنَّها تَقْصِدُ نَفْسَهَا.

وَهيَ بِهَذا الكَلامِ تُحَاوِلُ حَمْلَهُ عَلَى الدخولِ بِهَا فَأَبَى وَكَانَ يَعْرِضُ عَلَيْهَا الطلاقَ، وَكَانَتِ القِيادَةُ العُليَا للَّذينَ كَفَروا تُؤَجِّلُ البَتَّ بالأَمْرِ دَوْماً وتَأْمُرُهَا بالصَّبْرِ والانتظارِ، فَوَقَعَت بَيْنَ نارينِ. وَلِذَلِكَ حقَدَتْ عَلَى الجميعِ، وَكَانَتْ

تبتهجُ لقَتْلِ الجميعِ وتؤَجّجُ الحروبَ بَعْد ذَلِكَ لا انتِمَاءَ لأعْداءِ عَلِيّ عليه السلام كَمَا يَعْتَقِدُ بَعْضُ الشِّيْعَةِ، بَلْ للمَرَضِ النَّفسيِّ الذي أَصَابَهَا.

وَلِذَلِكَ كَانَتْ تُؤَلِّبُ عَلَى عُثْمَانَ فإذا قُتِلَ طَالَبَتْ بِدَمِهِ، وَكَانَتْ مسرورَةً جِدّاً لإبادَةِ جيشِهَا الخَاصِّ في مَعْرَكَةِ الجمَلِ وَلَمْ تَكُنْ في وَضعٍ يُشبِهُ وَضعَ القائِدِ المهزومِ، بَلْ كَانَ حالُهَا حَالَ المُنْتَصِرِ تَمَاماً. وَكَانَ عَلِيٌّ عليه السلام يَعْلَمُ هَذِهِ الحقيقَةَ ويُعَامِلُهَا عَلَى أَنَّهَا مُصَابَةٌ بِمَرَضٍ نفسِيٍّ.

وفي كُلِّ الأَحْوَالِ فالنَّاسُ يخرجونَ عَلَى عَلِيٍّ عليه السلام ويُحَارِبونَهُ سَوَاءٌ باسمِ عائشَةَ أو غَيْرِهَا. وَلِذَلِكَ فَهْوَ يَعْتَبِرُهَا مغناطيساً يَجمَعُ أعداءَهُ ويفرِزُهُم، ويَنْظرُ إليها عَلَى أَنَّهَا نافعَةٌ مِنْ هَذِهِ الجِّهَةِ، لأنَّ الحَرَكَةَ الاجتماعيَّةَ والفكريَّة لَهَا قَوَاعدُهَا الخَاصَّةُ وَهْيَ تفرزُ قياداتِهَا وَلَيْسَتْ القياداتُ هِيَ سَبَبَ الفِتْنَةِ، أي إنَّ الأَمْر هُوَ عَكْسُ مَا نَتَصوَّرُ تَمَاماً.

ومن ذَلِكَ أيضاً: إِنَّهَا كَانَتْ تَمدُّ رِجْلَهَا في قِبْلَةِ النَبِيِّ صلى الله عليه وآله حَالَ صَلاتِهِ ولا تَسْحَبُ رِجْلَهَا حَتَّى يَدْفعَهَا فَتَمُدَّهَا مرَّةً أُخْرَى. وَهْوَ مَا أَخْرَجَهُ البِخَارِيُّ في صحيحِهِ في بابِ مَا يجوزُ مِنَ العَمَلِ في الصَّلاةِ. ج ١/ ١٤٣.

د - حدَّثَتْ عائشَةُ بَعْدَ ذَلِكَ بأحاديثَ تُبرزُ عُقْدَتَهَا الجنسيَّةَ خصوصاً بِسَبَبِ عَدَمِ الدخولِ بِهَا. فَكَانَتْ تُكثِرُ مِنْ ذِكْرِ المَشَاهِدِ الجنسيَّةِ مَعَ النَبِيِّ صلى الله عليه وآله وتتحدَّثُ عَنْ أحلامِهَا «بِصَوتٍ عَالٍ» حَسبَ تعبيرِ عُلَمَاءِ النَّفْسِ. ومِنْ ذَلِكَ مَثَلاً: زَعْمُهَا إِنَّهَا كَانَتْ تَفْرِكُ المِنِيَ مِنْ ثوبِهِ وَهْوَ يُصَلِّي!، أو أَنَّ الوحيَ نَزَلَ في غُرْفَتِهَا وَهْيَ والنبيُّ تَحْتَ لِحَافٍ واحِدٍ!، أو إِنَّهَا كَانَتْ تَتَسابَقُ مَعَ النَبِيِّ! أو أَنَّ الصَّحَابَةَ كانوا يأتونَ ليرْضَعوا مِنْ ثَدْيهَا لِتَكونَ أُمَّهُم بِحَقٍّ وحَقيقَةٍ!.

وَكَانَتْ عائشَةُ خَرِفَةً بِمَعْنَى الكَلِمَةِ ومُصَابَةً بانفِصَامِ الشخصيَّةِ في أواخِرِ حياتِهَا ولا تَدْري لِمَنْ تَنْتَمي. فَكَانَتْ تَكْرَهُ الرَّسُولَ وأَبا بَكْرٍ وعُمَرَ وعثمانَ

والصَّحابَةَ والخَلْقَ أجمعين! بِمَا في ذَلِكَ جبريل عليه السلام والملائكة وحَمَلَة العَرْشِ!

كَانَتْ تَكْرَهُ الجميعَ وتَمْقُتُ كُلَّ الخَلْقِ.

وَلكِنَّهَا كَانَتْ تَتَظَاهَرُ بالانتماءِ إلى النَبِيِّ ﷺ وإلاَّ فَمَاذَا تَفْعَلُ في أمَّةٍ كاملةٍ تعتقِدُ كُلهَا أنَّ عائشَةَ أمَّها وَهْيَ لا زالت شابَّةً في مُقْتَبَلِ العُمْرِ؟.

لَكِنْ لِمَن نقَدِّمُ هَذِهِ المعلوماتِ؟

فالباحثونَ يتجرّؤنَ عَلَى الله ولا يتجرّؤونَ عَلَى خَلْقِ اللهِ.

إنِّي أُنَبِّهُ السَّادَةَ عُلَمَاءَ النَّفْسِ إلى ضَرورَةِ تَخصيصِ دراسَةٍ كاملَةٍ عَنْ أَثَرِ الحِرْمَانِ الجنسيِّ عَلَى سلوكِ عائشَةَ!

فهناك عَشَرَاتُ النصوصِ ذاتِ العلاقَةِ بِهَذا الموضوعِ.

وَكَمَا حَدَثَ أنْ رَوَتْ عائشَةُ الأحداثَ حَسبَ أحلامِهَا لا حَسبَ الواقِعِ قَلَبَتْ العلاقاتِ الأساسيَّةَ بَيْنَ الأفرادِ في أحاديثِهَا وأصبحَ الطلاقُ مِنْ النَبِيِّ ﷺ حُلْمَهَا الَّذي لَمْ يَتحقَّقْ وَهْوَ وسيلَةُ الوحي للتهديدِ، فانْقَلَبَتْ المُعادلَةُ وأَصْبَحَتْ هِيَ الَّتي تَتَشَبَّثُ بالرَّسولِ ﷺ كي لا يُطلِّقها لأنَّ تحريمَ الزَّواجِ مِنْ غَيْرِهِ بَعْدَ الطلاقِ أفْقَدَهَا مَا كَانَتْ تَسْتَنِدُ إليه فَلَمْ تعُدْ لَهَا رَغْبَةٌ في الطلاقِ. واسْتَخْدَمَ الوحيُ هَذِهِ الورقَةَ لِمَزيدٍ مِنَ الضغْطِ:

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥].

وَهَذا يَعْنِي أنَّ كُلَّ هَذِهِ الصفاتِ غائبَةٌ عَنْ عائشَةَ وحفصَةَ موضوعَ الآيَةِ، لأنَّ الآيَةَ جاءَتْ بَعْدَ محاولاتِهِنَّ في قضيَّةِ العَسَلِ. فَلَو قُلْتُ لَكَ بشأنِ دارِ سكَنٍ: «عَسَى ربُّك إنْ تَرَكْتَ هَذِهِ الدَّارَ أنْ يبدِّلَكَ الله خيراً مِنْهَا داراً واسعَةً عاليَةً قريبَةً مِنَ الماءِ بعيدَةً عَنِ الضوضاءِ!».

فَهَذَا يَعْنِي أنَّ هَذِهِ الصفاتِ غَيْرُ موجودَةٍ في الدَّارِ الأولى لوجودِ «خيراً مِنْهَا وعَسَى». فَهْيَ إذن دَارٌ ضيِّقَةٌ مُنْخَفِضَةٌ بعيدَةٌ عَنِ الماءِ قريبَةٌ مِنَ الضوضاءِ عَكْسُ الَّتي تتمنَّاهَا.

إن الآيَةَ تدلُّ دَلالَةً واضحَةً عَلَى أنَّ عائشَةَ وحفصَةَ ليسَتَا مِنَ المسلِّماتِ المؤمناتِ القانتاتِ التائباتِ العابداتِ السائحاتِ!

فهذِهِ الصفاتُ صفاتٌ عاليَةٌ جِدَّاً وَهْيَ تَدلُّ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى «وَهَذا هُوَ الأَمْرُ المُهِمُ الآنَ» أنَ هَذِهِ الصفاتِ موجودةٌ في غَيْرِ أزواجِ النَبِيِّ ﷺ! وألاَّ فَمْنْ أَيْنَ يُبَدِلَّهُ خيراً مِنْهُنَّ؟. أليسَ مِنْ هَذا الخَلْقِ ومِنْ نِسَاءِ العَالَمِ؟.

إِذَنْ لَيْسَتْ عائشَةُ وحفصَةُ أفضَلَ النِّساءِ في الأُمَّةِ في أقلِّ تَقْدِيرٍ..:!!

فَمَا لِعُقولِكُم جَامِدَة وقلوبِكُم مُتَحجِّرَة؟!

ألا تَفْهَمونَ هَذِهِ اللُّغَةَ حتّى تَزْعَموا أنَّ عائشَةَ هِيَ أحَبُّ نِسَاءِ النَبِيِّ إلى قَلْبِهِ وأَفْضَلُ زوجاتِهِ؟

هـ - وخَرَجَتْ عائشَةُ في النهايَةِ عَلَى الشَّرْعِ كُلِّهِ بِسَبَبِ انغمارِهَا بالكُفْرِ وعَدَمِ تَخلّيها عَنْ موالاةِ القيادَةِ العامَّةِ للذينَ كَفَروا، فَخَرَجَتْ تشارِكُ في الأحداثِ العسكريَّةِ وتقودُ الجيوشَ وتَبْعَثُ بالرسائِلِ إلى الرِّجَالِ ليجتَمِعوا عِنْدها!، وتَرَكَتْ الأَمْرَ القُرْآنيَّ في قَوْلِهِ تَعالَى:

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [الأحزاب: ٣٢]

إلى قولِهِ تَعالَى:

﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ...﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وَقَدْ فَسَّروا التَبَرُّجَ بالزِّينَةِ. وَهَذا تحديدٌ لا مسوغَ لَهُ، بَلِ التبرُّجُ هُوَ الظهورُ في الأبراجِ بحَيثُ يُلاحَظُ المرءُ مِنْ قِبَلِ الآخرين. والزِّينَةُ هِيَ جزءٌ يسيرٌ مِنْ مَعْنَى التبرُّجِ وأَعْلَى مَعْنَى لَهُ هُوَ أَبْراجُ الاستطلاعِ والأَمْر والنَّهي. فَكَانَتْ عائشَةُ أكبَرَ متبرِّجَة في التاريخِ البشريِّ لأنَّنا لا نَعْلَمُ أيَّ واحِدَةٍ مِنَ المَلِكاتِ مثل ملكَةِ سَبَأ أو تدمرَ أو غيرهَا خَرجَتْ بنفسِهَا عَلَى رأسِ الجيشِ ووَقَفَتْ بَيْنَ الصفوفِ بالرُّغمِ مِنْ أنَّهُنَّ مَلِكاتٌ بِنِظَامِ حُكْمٍ وَضعِيٍّ يُبيحُ لَهُنَّ ذَلِكَ ولا شَأْنَ لهنَّ بالتشريعِ الإلهيِّ.

عائشَةُ هِيَ أكبَرُ متبرِّجَةٍ في تاريخِ النِّسَاءِ ولَهَا السَّبْقُ في هَذا المِضْمَارِ.

ومَنْ هِيَ؟

إِنَّهَا بِنْتُ أبيها كَلِمَةِ الَّذينَ كَفَروا في الغارِ فَلا تَسْتَهِنْ بقُدِرَاتِهَا الفائقَةِ ومَكْرِهَا وحِيَلِهَا الغريبَةِ. فَهِيَ أَبْرَعُ امرأةٍ في التاريخِ في التَّحريفِ والتَّزويرِ والتَّبرُّجِ ولا غَرابَةَ مَا دَامَ مُحمَّد أعظم الخَلْقِ «فالضِدُّ إِنَّما يُظْهِرُ فَضْلَهُ الضِدُّ».

لقَدْ جاءَتْ آيَةُ التَّطْهِيرِ ضِمْنَ هَذا السياقِ:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

يُطَهِّرُكُم مِنْ كُلِّ دَنَسٍ ورِجْسٍ ولو مِنْ جَراءِ زوجاتِكُم. وَلِذَلِكَ شَدَّدَ بالحُكْمِ وَقَالَ «عَنْكُم» وَلَمْ يَقُلْ «مِنْكُم» لأنَّ الرِّجْسَ مَعَهُم لا فيهِم فَأَذْهَبَ الله عَنْهُمُ الرِّجْسَ. حَيْثُ عَرَفْنَا مِنْ أَوامِرِ القُرْآنِ أنَّ الَّذي لَمْ يُنَفِّذْ هَذِهِ التعاليمَ هُوَ الرِّجْسُ، لأنَّهُ لَو سَكَتَ عَنْهَا وَلَمْ يُخْبِرْنَا سبحانه بِهَا لاخْتَلَطَتْ عَلَينا الأمورُ وَلَمْ نَعُدْ نَعْلَمُ الطَّاهِرَ مِنَ الرِّجْسِ.

الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ:

وَهُوَ قولُهُ عليه السلام: **«وطَهَّرَهُم تَطهيرا»**: ذَكَرْنَا القَولَ فِيهَا ضِمْنَ الآيَةِ في مَا سَبَقَ وفي فَقَرَةٍ أَسْبَق فَرَاجِعْ.

الصِّفةُ الرَّابِعةُ:

وَأمَّا قولُهُ عليه السلام: «**وأَلْهَمَهُم عِلْمَهُ**».

أَقُولُ: هَذا دالٌّ عَلَى العصمَةِ قَطْعاً، لأنَّهُ لَمْ يَقُلْ وأَلْهَمَهُم العِلْمَ أو عِلْماً ما حَتَّى يكونَ عِلْماً عامّاً حصَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ بالفَحْصِ والدراسَةِ وحَصَلوا عَلَيْهِ إلهاماً. فَلا مُقارنَةَ، لأنَّ عِلْمَ النَّاسِ هُوَ عِلْمُ النَّاسِ وعِلْمَ الله هُوَ عِلْمُ الله، لِذَلِكَ قالَ: «وأَلْهَمَهُم عِلْمَهُ». قَالَ تَعَالَى:

﴿... وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فَلاحِظْ مَوقِعَ الباءِ الأولى والثانيةِ وافْهَمْ لُغَةَ القُرْآنِ.

فإنَّ الاستثناءَ لَيْسَ لَهُم عليهم السلام، بَلْ لغيرِهِم. أي أنَّ غيرَهُم إنْ أَرادوا عِلْمَهُ تَعَالَى فَإنَّهُم يحيطونَ بِهِ بواسطَةِ مَنْ شَاءَ - لاحِظْ باءَ الواسطَةِ - ولا يَحصلون عَلَيْهِ مباشرَةً فَهْوَ مُمْتَنِعٌ.

والآيَةُ تَدلُّ عَلَى ولاية عَلِيٍّ عليه السلام لأنَّهُ بابُ مدينَةِ العِلْمِ كَمَا ثَبَتَ في السُّنَّةِ.

فَأينَ تَذْهَبون؟

القُرْآنُ كُلُّهُ ضِدُّكُم حَرْفاً حرفاً ومُفْرَدَةً مفردَةً وآيَةً آيَةً وسورَةً سُورَةً!

والتَّاريخُ كُلُّهُ ضِدُّكُم بِكُلِّ تفاصيلِهِ!

والمَنْطِقُ كُلُّهُ ضِدُّكُم!

والخَيْرُ كُلُّهُ ضِدُّكُم!

والوجدانُ كُلُّهُ ضِدُّكُم!

والحَدْسُ كُلُّهُ ضِدُّكُم!

والعِلْمُ كُلُّهُ ضِدُّكُم!

والوَاقِعُ المُعَايَنُ كُلُّهُ ضِدُّكُم!

فَأَيْنَ تَذْهَبونَ؟

وأَنَّى تُؤفكونَ؟

وَأَيْنَ تَهربونَ مِنْ وَجْهِ العَدَالَةِ.. مِنْ وَجْهِ اللهِ؟

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥].

الصِّفَةُ الخَامِسَةُ:

وَأَمَّا قَوْلُهُ عليه السلام: **«واسْتَحْفَظَهُم كُتُبَهُ»**.

لَمْ يَقُلْ «كِتَابَهُ» لِيكونَ القُرْآنَ فَقَط، بَلْ كُلَّ كُتُبِهِ.

فَهَلْ تَفْهَمونَ هَذا؟

وَهَلْ تُدْرِكونَ أَنَّ أَحداً مِنَ الشِّيْعَةِ لَو أَرادَ تَلْفيقَ كَلِمَةٍ وانْتِحالَ فَقرَةٍ عَلَى عَلِيِّ ابنِ أَبي طَالِبٍ فإنّها لَنْ تَأتيَ بِمِثْلِ هَذا الإحْكَامِ والدِّقَّةِ لأنَّهُ يَتَحدَّثُ عَنْ نَفْسِهِ؟ وكَفَى بالمرءِ خبيراً بِنَفْسِهِ.

ذَلِكَ أَنَّ آلَ مُحمَّدٍ عِنْدَهُم كُلُّ كُتُبِ الله المُنَزَّلَةِ... وكُلُّ تَأويلِهَا عِنْدهم!

وتَصديقُ ذَلِكَ في القُرْآنِ: فَأَوّلُ مَا تَقْرأُ مِنَ القُرْآنِ بَعْدَ الحَمْدِ وسُؤالِ الهِدَايَةِ إلى صِراطِ الَّذينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم هُوَ هَذِهِ الآياتُ مِنْ سُورَةِ البقرة:

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة:١-٥].

مُتَّقونَ ومُفْلِحونَ وَعَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِم!!

فَهلْ هَؤُلاءِ هُمْ أَنفُسُهُم خَليطُ الَّذينَ آمَنوا؟

كلاَّ.. بالطَّبْعِ.. فَلَو كانوا هَؤُلاءِ لَمَا عَلَّلَ لَهُم الصفاتِ: لعلَّكُم تَتَّقون - لَعَلَّكُم تُفْلِحونَ - لَعَلَّهُم يهتدون.

فَلِمَاذَا يُعَلِّلُ الصفاتِ وَهْيَ موجودَةٌ؟

إذَنْ.. هُنَاكَ فَرِيقان: فَرِيقٌ هَدَاهُم الله فَهُمْ مُفْلِحون ومُتَّقونَ ومُؤمنون!

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّهُ يَصِفُهُم بأَنَّهم آمَنوا بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ مُفَصَّلَةٍ فِيهِ!

إذا قُلْتُمْ هَذا يَا قَوْمُ فقَدْ كَفَرْتُم بالآيَةِ لأَنَّكُم تَجْعَلونَ الله يَتَكَلَّمُ ولا يَعْني بِكلامِهِ شَيئاً مُحَدَّداً.

فالَّذي يُؤْمِنُ بِكُلِّ الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ السَّابِقَةِ وعِنْدَهُ مُجَرَّدِ اعْتِقَادٍ عامٍّ بِصحَّتِهَا مِنْ غَيْرِ أنْ يَعْلَمَهَا سَيكونُ مَشمولاً بِهَذِهِ الصفاتِ!.

هَذا إيمانٌ أَعْمَى بِلا فَهْم ولا وَعْيٍ ولا دِرَايَةٍ بِمَا أَنْزَلَ الله مِنْ قَبْل.. فَكَيفَ يَصِحُّ امْتِدَاحُ شَخْصٍ لا يَفْهَمُ وَهْوَ يُؤْمِنُ بِهَا عموماً بلا دِرَايَةٍ بِمَا في تِلْكَ الكُتُبِ؟

بَلْ لا مَعْنَى لِمُفْرَدَةِ «يُؤْمِنُ» أَصْلاً ولا تَنْطَبِقُ عَلَيْهِ المُفْرَدَةُ لأنَّ الإيمانَ بالشيءِ لا يَصِحُّ إلاَّ بِمَعْرِفَتِهِ، وغَيْرُ هَذا يُسَمَّى ظَنَّاً أو رَجْماً بالغيبِ. بَيْنَما هُوَ تَعَالَى يَقولُ «يُؤْمِنونَ بالغيبِ» عَلَى نَسَقِ إيمَانِهِم بالكُتُبِ المُنَزَّلَةِ السَّابِقَةِ.

فَهَؤُلاءِ هُمْ مَجْموعَةٌ خاصَّةٌ لَهَا عِلْمٌ تَفْصيليٌّ بِكُلِّ الكُتُبِ المنزَّلَةِ وَمَا يَتْبَعُهَا مِنْ وقائع احتماليَّةٍ بحَيثُ إذا لاحَظَ أَحَدُهُم الواقِعَ الحاليَّ عَرَفَ فوراً حَتَّى الأَحْدَاثَ المستقبليَّةَ، فإيمانُهُ بِهَا حقيقيٌّ لا مُجَرَّدُ تَخْمِينٍ.

فَتَعالَ إلى عَلِيِّ بنِ أَبي طَالِبٍ لِتَعْرِفَ إيمانَهُ كَيفَ هُوَ بالغيبِ، وكَيفَ هُوَ بالكُتُبِ المُنزَّلَةِ!.

أَهُوَ مُجَرَّدُ قَولٍ أَمْ هُوَ مَعْرِفَةٌ تفصيليَّةٌ وقُدْرَةٌ عَلَى الحُكْمِ بِهَا وجَمْعَهَا في «ذَلِكَ الكِتَابِ لا رَيبَ فِيهِ»؟

لقد كانَ عَلِيٌّ يَقولُ:

«بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكنونِ عِلْمٍ لَو بُحْتُ بِهِ لاضْطَرَبْتُم اضطِرَابَ الأرشيةِ في الطّوى البَعيدَةِ»!.. الخطبة/ ٥.

«أَيُّهَا النَّاسُ إنِّي فَقَأْتُ عَينَ الفِتْنَةِ وَلَمْ يَكُنْ ليجترِيءَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا واشْتَدَّ مَكَبُّهَا فاسْأَلوني قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُوني فَوَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَسْأَلوني عَنْ شَيءٍ فيمَا بَيْنَكُم وبَيْنَ السَّاعَةِ ولا عَنْ فِئَةٍ تَهْدي مائَةً وتُضِلُّ مائَةً إلاَّ أَنْبَأْتُكُم بِنَاعِقِهَا وقَائِدِهَا وسَائِقِهَا ومَنَاخِ رِكَابِهَا ومَحَطِّ رِجَالِهَا وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً ومَنْ يَموتُ مِنْهُم مَوتاً»!

فَأَسْأَلُكُم: أَلَيْسَ هَذا مُصَدَّقاً في آيَةِ الكُرْسِي:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ...﴾ [البقرة: ٢٥٥].

لأنَّ هَذا نَوعٌ مِنَ العِلْمِ غَريبٌ عَلَيْنَا لأنَّهُ هُوَ ذاتُهُ عِلْمُ اللهِ. وَهَذا الَّذي يقولُهُ عَلِيٌّ عليه السلام مِنْ عِلْمِ الله لا عِلْمِ الخَلْقِ؟

فإذا لَمْ يَكُنْ عَلِيٌّ هُوَ المُسْتَثْنى في آيَةِ الكُرسي فَمَنْ هُوَ الَّذي عِنْدَهُ شيءٌ مِنْ عِلْمِ اللهِ؟

أَهو أَبو بَكْرٍ الَّذي لا يَعْلَمُ «الأَبَّ» وماتَ قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ مَا هِيَ الكلالَةُ!

أَمْ يُعْطِي الله عِلْمَهُ لِعَابِدِ صَنَمٍ عَكَفَ عَلَيْهِ أربعينَ سَنَةً قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ الله مُحَمَّداً؟

«والله لَو شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُم بِمَخْرِجِهِ ومَوْلِجِهِ وجَميعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ وَلكِنْ أَخَافُ أَنْ تكفروا فيَّ برسولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله».. الخطبة/ ١٧٣.

«والله لَو ثُنِيَتْ لِيَ الوسَادَةُ لحَكَمْتُ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْرَاةِ بتوراتِهِم وبَيْنَ أَهْلِ الإنجيلِ بإنجيلِهِم وبَيْنَ أَهْلِ القُرْآنِ بقرآنِهِم».

«إنَّ هٰهنا عِلْماً جَمّاً لَو أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً» الفقرة/ ١٤٣.

أَقُولُ: وَهَذِهِ هِيَ صِفَةُ حُجَجِ الله في كتابِهِ الكريم في أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ كَمَا أَوْضَحْنَاهُ في أَوَّلِ سُورَةِ البَقَرَةِ. وَهْوَ في آخرِهَا أَيْضاً حَيْثُ خَتَمَ بِهِم عليهم السلام:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

هَذِهِ الآياتُ في الأَئمَّةِ فَقَط كَمَا في أَوَّلِ السورَةِ: «وبالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنون» – إِذْ لا يَبْلغُ دَرجَةَ اليَقينِ مَنْ عَلَّلَ لَهُ الأفْعَالَ والأوامِرَ الشَّرعيَّةَ بالتَّقْوَى فَقَالَ: «لَعَلَّكُم تَتَّقُون»، وَقَالَ «اتَّقُوا رَبَّكُم»، وَقَالَ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

إِذَنْ.. فالَّذينَ آمَنوا جَمَاعَةٌ والمؤمنونَ جَمَاعَةٌ أُخْرَى..

فَمَا لَكُمْ لا تَفْقَهون؟

وَهَلْ تَرونَ في أَنْفُسِكُم أَنَّكُم مِنَ المُتَّقينَ المُؤمنينَ المُفْلحينَ أَمْ أَنَّكُم مِنَ الَّذينَ آمَنوا والَّذينَ لا زالوا يَشكُّونَ في كُلِّ شَيءٍ وهُمْ في حَاجَةٍ إلى إيمانٍ آخر غَيْرِ إيمانِهِم هَذا؟

إذا كَانَ الكُلُّ سَوَاءً فَقَدْ كَفَرْتُم باللهِ لأَنَّكُم تَجْعَلونَ كلامَهُ تَخْليطاً لا مَعْنَى لَهُ ولا مَقَاصِدَ فِيهِ. فَهُمْ تارةً مؤمنون، وتارةً يتوجَّبُ عَلَيْهِم الإيمانُ، وتارةً مُتَّقونَ مُوقنونَ، وتارةً لَمْ يَتَّقُوا الله بَعْدُ.. الخ.

فَكَمْ مِنْ فَرْقٍ بَيْنَ المُؤْمِنِ العَاصي الشَّاكِّ وبَيْنَ المُوقِنِ؟.

إنَّ وَضْعَ الشَّخْصِ غَيْرِ المُنَاسِبِ في المَكانِ غَيْرِ المُنَاسِبِ هُوَ عَمَلُكُم الدَّائِمُ وديدَنُكُم الَّذي لا تَتَخلَّوْنَ عَنْهُ قط مَهْمَا زَعَمْتُم مِنْ مَزَاعِمِ التَّحَضُّرِ والتَّطَوُّرِ.

فَقُلْ لِكُتَّابِ النِفَاقِ وشُذَّاذِ الآفاقِ مِنْ مِصْرَ وسوريا والحِجَازِ: عَلامَ تُنْكِرونَ الحَقَّ وتُبَرِّرونَ الأَباطيلَ في تاريخِ أُمَّةٍ مَضَى وانْقَضَى؟

فإنَّكُم لَأَنتُمُ الَّذينَ تَتَشدَّقونَ بالتَّحَضُّرِ والتَمَدُّنِ زُوراً مَعَ أَنَّكُم أَنْتُمُ الأَعْدَاءُ الأَلدَّاءُ للتَّحضُّرِ إذْ لا زِلْتُم تُحَاولونَ في كتاباتِكُم الغَثَّةِ تبريرَ وَضْعِ الشَّخْصِ غَيْرِ المُنَاسِبِ في المَوْضِعِ غَيْرِ المُناسِبِ؟

وقَدْ تَرَكْتُم - تَرْكَ الباغِضِ الباغي - الرَّجُلَ القَادِرَ عَلَى حُكْمِ كُلِّ مِلةٍ بِحَسَبِ كِتَابِهَا، وَلَمْ تَفْتَحْ عيونكُم حقيقَةُ أَنَّهُ تَعرَضَّ إلى السَبِّ والتَّشويهِ واللَّعْنِ طِيلَةَ أَكْثَرَ مِنْ ثمانينَ عاماً مِنْ قِبَلِ أَشْرَسِ طُغَاةِ الأَرْضِ..

أَجَلْ.. فَلَمْ تَسْألوا: لِماذَا؟

لأَنَّكُم لا تُرِيدونَ لِغَيْرِكُم نعمْةَ العَاجِلِ في أَمَاسيِّ الدُّولارِ المَلعونَةِ، تُريدوها لَكُمْ فَقَط يَا عَبَدَةَ الجيفِ والنتنِ.. وتَحْسبونَ أَنَّ الأَحْرَارَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ العَلَي سينافسونكُم فِيْهَا..

أَلا خُذُوهَا والعَبُوا بِهَا عَلَيْكُم لَعْنَةُ الله يَا أَعْداءَ الحُرِّيَةِ والسَّلامِ ويا عَبَدَةَ الطَّاغوتِ العُمَري الَّذي لَمْ يَسْتَطِعْ رؤيَةَ جماعَةٍ يُصَلُّونَ النَّافِلَةَ في المَسْجِدِ أَفْرَاداً فَجَمَعَهُمْ عَلَى إمَامٍ واحِدٍ بطَرِيقَةِ كُلِّ طاغوتٍ عسكريٍّ رَجْعِيٍّ مُتَخلِّفٍ يَخْشَى أنْ تَتَطوَّرَ حُرِّيَةُ العِبَادَةِ إلى حرِّيَةِ رَأْيٍ في نهايَةِ المطافِ!.

وَهَكذا فَعَلَ في كُلِّ أَعْمَالِهِ الأُخْرَى الَّتي تُسَمُّونَهَا بالاسمِ المُقيتِ «مَنَاقِبَ»: إلْهَاءُ القَوْمِ بالفتوحاتِ، والمنعُ مِنْ ذِكْرِ آياتِ القُرْآنِ، وتحريمُ الحَديثِ عَنِ النبيِّ، ومَنْعُ الصَّحَابَةِ مِنَ الحَرَكَةِ مِنَ العاصِمَةِ بِحُجَّةِ أَنَّهُ يَحْتَاجُهُم دَوْماً...

الخ.. الخ.. أَعْمَالٌ طاغوتيَّةٌ تَتابَعَتْ كُلُّهَا حَتَّى أَجَّجَ الفِتْنَةَ ودَثَّرَهَا بِدِثَارٍ سَميكٍ، ومَكَرَ مَكْرَ السُّوءِ حَتَّى يَكونَ انفتاقُهَا عَاتِياً عَاصِفاً مِنْ بَعْدِ مَوتِهِ.

يَا هَؤُلاءِ أَتَحْسَبونَ أَنَّكُم مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الآيات؟!

كلاًّ وألف كلاًّ..

وَإِنَّمَا أَنْتُم قَوْمٌ كُفَّارٌ لأَنَّكُم لا عِلْمَ لَكُمْ بِكُتُبِ الله ولا رُسِلِهِ..

فَمَا هُوَ عِلْمُكُم بِمَا في صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ ومُوسى؟

سَتَقولونَ: لا عِلْم لَنَا!

الحَمْدُ للهِ وَمَنْ لا عِلْمَ لَهُ بالشَيءِ فَإِنَّهُ لا يُؤْمِنُ بِهِ، إِذْ كَيفَ يُؤْمِنُ المرْءُ بِشَيءٍ لا عِلْمَ لَهُ بِهِ ولا يَدْرِي مَا فِيهِ؟ لأَنَّهُ لَيْسَ المُرَادُ أنْ يُؤْمِنَ بعنوانٍ اسمُهُ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ وعنوانٍ اسمُهُ تَورَاةُ موسى، بَلِ المُرَادُ الإيمانُ بالمَضْمونِ الَّذي تَحْتَ العنوانِ!

إِذَنْ.. فَأَنتُمْ كُفَّارٌ لأَنَّكُم لا تُؤمنونَ بِكُتُبِ الله كُلِّهَا ولا تقْدِرونَ عَلَى عَدَمِ التَّفريقِ بَيْنَ رُسُلِهِ!

ثُمَّ إِنَّكُم لا تَعْلَمُونَ مَا هُوَ اليومُ الآخِرُ وتَزْعَمونَ أَنَّهُ يَوْمُ القِيامَةِ.

فَمَا أَدْرَاكُم أنَّ اليومَ الآخِرَ هُوَ يَوْمُ القِيامَةِ؟

سَتَقولونَ: وَأَنْتَ أَيْضاً لا تَعْلَمُ مَا في كُتُبِ اللهِ!.

بلى.. أَنَا لا أَعْلَمُ أَيْضاً بِمَا فِيْهَا وَمَعَ ذَلِكَ فأنا مُؤْمِنٌ وَأَنْتُمْ في ضَلالٍ بَعِيدٍ كَمَا قَرَّرَتْهُ الآيَةُ!

ذَلِكَ لأَنِّي مُؤْمِنٌ بإمْكانيةِ تَحقيقِ مَا في الآيَةِ مِنْ ضَرورَةِ وجودِ هَذا العِلْمِ ومُؤمِنٌ بوجودِ مَنْ يَعْلَمُ كُلَّ كُتُبِ الله المُنَزَّلَةِ. فأنا مُؤْمِنٌ بالآيَةِ ومضمونِهَا كامِلاً

وَأَنْتُم تَكْفرونَ بالآيَةِ لأَنَّكُم تَنفونَ هَذِهِ الإمكانيَةَ وتَزْعَمونَ أنْ لا وجودَ لِشَخْصٍ يَحْمِلُ عِلْمَ الكِتَابِ كُلَّهُ الَّذي أَنْزَلَهُ الله أقْساماً عَلَى الرُّسُلِ جَمِيعاً.

فإذا جَهِلْتُ المضمونَ شَفَعَ لي إيماني بالمضمونِ وحامِلِهِ وجُهْدي في التَّعَرُّفِ عَلَى هَذا المضمونِ وعَدَمُ قُدْرَتي عَلَى تَجاوزِ ذَلِكَ إلى عِلْمِ حامِلِهِ لأَنَّهُ مُغيَّبٌ بِسَبَبِ إلحادِكُم وكُفْرِكُم.

أمَّا أَنْتُمْ فجَهْلكُم بِهِ هُوَ هَدَفُكُم وَلَيْسَ هُوَ سَبَباً طَارِئاً عَلَيْكُم فَلا يَشْفَعُ لَكُمْ العُنوانُ عَن المضمونِ لأَنَّكُم تَرُدُّونَ عَلَى الله وتُكَذِّبونَ كلامَهُ.

كُلُّ آيَةٍ تُكَفِّرُكُم بِمَا في ذَلِكَ كُلُّ مَقْطَعٍ مِنْ كُلِّ آيَةٍ مِنْ آياتِ القِصَصِ والأَمْثالِ وَلَيْسَ فَقَط آياتُ العَقَائِدِ والأَحْكَامِ. فَلَو سمِعْتُ المُقْرِئَ يقول:

﴿... فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠].

عَلِمْتُ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ أَنِّي مُؤْمِنٌ وَأَنْتُم كُفَّارٌ خِلافاً لِمَنْ زَعَمَ أَنَّ «هارونَ العبَّاسيَ» كَانَتْ لَديهِ فراسَةٌ فَرَأَى رَجُلاً فَقَالَ: «هَذا أَحْمَقُ»، فَلَمَّا نَظَروا إلى خَاتِمِهِ وَجَدوا نَقْشَ خَاتِمِهِ: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠] فقالوا: «صَدَقَ الأميرُ»!.

أَقُولُ: أَمَا احْتَمَلَ هَؤُلاءِ أنَّ الرَّجُلَ قَدْ عَلِمَ مِنَ الآيَةِ مَا لَمْ يَعْلَمْهُ الأميرُ وجلاوزتُهُ؟. فإنَّ هَذا مُمْكِنٌ ومُحْتَمَلٌ في كِتَابِ الله الَّذي هُوَ تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ وفَوقَ كُلِّ ذي عِلْمٍ عَليمٌ.

إنَّمَا الأَحْمَقُ هُوَ الَّذي يَجْعَلُ نَقْش خاتِمِهِ «ملك الملوك فلان» وَهُوَ يَعْلَمُ أنَّ مُغَسِّلَ المَوتى لا بُدَّ أنْ يَخْلَعَه مِنْهُ يوماً مَا. فَمَنْ هُوَ الَّذي يَقْدِرُ عَلَى تَفَقُّدِ الطَّيرِ ومعرِفَةِ «الموجودِ الغائِبِ» مِنْهُ إلاَّ حُجَّةُ الله عَلَى الخَلْقِ؟

إنَّ قولَهُ عليه السلام: **«واسْتَحْفَظَهُم كُتُبَهُ»** هُوَ تَرْتيبٌ مَقْصودٌ، فقَدْ جَعَلَ الاستحفاظَ بَعْدَ إلهامِهِم العِلْمَ، فَحِينَمَا وَجَدَهُم يُؤمنونَ باللهِ ورُسُلِهِ ولا يُفَرِّقونَ

بَيْنَهُم أي حِينَمَا استَقَاموا وغَابَتْ عِنْدَهُم الأحْكامُ الذَّاتيةُ وَلَمْ يَعودوا يَرْغبونَ في أيِّ حُكْم عَلَى أيِّ شَيءٍ إلاَّ بِحُكْم الله أَلهَمَهُم عِلْمَ مَا أَنْزَلَ ثُمَّ ابْتَلاهُم كَيفَ شَاءَ فاستَحْفَظَهُم كُتُبَهُ بَعْدَمَا استَمَرُّوا في الطَّاعَةِ وَدَاموا عَلَى الإذعانِ للهِ فَجَعَلَهُم حَفَظَةً لِكُتُبِهِ.

وكلامُهُ عليه السلام يَجْري مَجْرَى كَلامِ الله وَهْوَ يُشيرُ إليه، فَهْوَ يَأْخُذُ مِنْهُ ويَعودُ إليه، وفيه إِشَارَةٌ إلى قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

إنَّكُم تَقولونَ: إنَّ التوراةَ مَنسوخَةٌ..»!

فَأَيْنَ وَجَدْتُم أَنَّهَا منسوخة؟!

أَلَيسَ الله هُوَ الَّذي يَقولُ إنَّ فِيْهَا هُدًى ونورٌ ويَحْكُمُ بِهَا النَّبيونَ والرَّبَانيونَ والأَحْبَارُ الَّذينَ اسْتَحْفَظَهم الله كُتُبَهُ؟

إِذَنْ.. فَأَنتُم تَكْفرونَ بالكُتُبِ المُنَزَّلَةِ وتُفَرِّقونَ بَيْنَ الرُّسُلِ. إِذْ لَيْسَ عِنْدكُم إمامٌ يَعْلَمُ كِتَابَ الله مِثْلُ إمامِنَا عَلِيٍّ عليه السلام الَّذي أَرَادَ أنْ تُثْنَى لَهُ الوسَادَةُ لِيَحْكُمَ بِكُلِّ الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ. فَأَنْتُم ضِدُّ الآيَةِ وَنَحْنُ مَعَهَا.

إمامُكُم هُوَ عُمَرُ الَّذي قَضَى عشرينَ سَنَةً في حِفْظِ سُورَةِ البَقَرَةِ،: فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّهُ حَفظَهَا نَحَرَ جَزوراً بِهَذِهِ المُنَاسبَةِ السَّعيدَةِ!!

ذَكَرَ ذَلِكَ ابنُ أَبي الحديدِ في شَرْحِ نَهجِ البلاغة في شروح الخطبة «٢٢٣» الَّتي أَوَّلُهَا: «للهِ دَرُّ بلادِ فُلان» - يُريد بِهِ عُمَرَ حَسَبَ الشُّرَّاح. وَذَكَرَ في نَفْسِ البَابِ: إنَ عُمَرَ خَرَجَ يوماً إلى المَسْجِدِ وعَلَيهِ قميصٌ في ظَهْرِهِ أَرْبعُ رقاعٍ فَقَرَأَ

حَتَّى انتهى إلى «وفَاكِهَةٍ وأَبًّا» فَقَالَ: مَا الأَبُّ؟ ثُمَّ قَالَ: إنَّ هَذا لَهُوَ التَّكَلُّفُ وَمَا عَلَيْكَ يَا بنَ الخطَّابِ ألاَّ تَدْرِي مَا هُوَ الأَبُّ؟!!

فَهُوَ يُسَمِّي التَدبُّرَ في كِتَابِ الله تَكَلُّفاً ويَنْهَى عَنْهُ. وقَدْ نَهَى النَّاسَ عَنْهُ وابْتَدَعَ لَهُم سُنَّةً جَديدةً هِيَ عَدَمُ السُّؤالِ لِحينَ النَّجاحِ في ترتيبِ المُصْحَفِ الجديدِ المُلائِمِ.

وَمَرَّ شابٌّ مِنَ الأَنْصَارِ وَهْوَ ظَمآنٌ فاستَسْقَاه فَخَاضَ لَهُ عَسَلاً فَرَدَّهُ وَلَمْ يَشْرَبْ وَقَالَ إنِّي سَمِعْتُ الله يقولُ: ﴿ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠] فَقَالَ الفَتَى: إِنَّهَا واللهِ لَيْسَتْ لَكَ فاقْرَأْ يَا أميرَ المؤمنينَ مَا قَبْلَهَا ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٠] أَفَنَحْنُ مِنْ الَّذينَ كَفَروا؟ فَقَالَ عُمَرُ: «كُلُّ النَّاسِ أفْقَهُ مِنْ عُمَرَ» ثُمَّ شَرِبَ[١].

أَقُولُ: دَعْوَتُنا الجديدَةُ القَديمَةُ الَّتي أَشَارَ إليها أَهْلُ البَيْتِ عليهم السلام في أنَّ «عُمَرَ» هُوَ الشَّيْطَانُ نَعْرِضُها عَلَى أَهْلِ الأَدْيانِ وَأَهْلِ اللُّغةِ والدَّارسينَ، فَعَلَيْهِم أنْ يَتَمَعَّنوا فِيْهَا فإنَّهَا تحِلُّ الإشكالاتِ العقائديَّةِ كُلِّها وتُبَيِّنُ حقيقَةَ نصوصِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله فِيهِ وفي سِوَاه.

فإنَّ عُمَرَ صادِقٌ كُلَّ الصدْقِ في كُلِّ مَا قَالَهُ وكلِّ مَا وَرَدَ عَنْهُ بِشَرْطِ أنْ نَفْهَمَهُ الفَهْمَ الصَّحيحَ.

نَعَمْ. . فَكُلُّ النَّاسِ أَفْقَهُ مِنْ عُمَرَ وَلكِنْ ليسوا أَعْلَمَ مِنْهُ. ففي هَذِهِ الواقِعَةِ مثلاً لَمْ يَلْتَبِسْ الأَمْرُ عَلَيْهِ، بَلْ الآيَةُ فِيهِ وَلكِنَّهَا لَيْسَتْ «لَهُ» كَمَا قَالَ الشابُّ

---

(١) نهج البلاغة/ ج ٣/ ٧٦١ - ط بيروت - دار الحياة.

الأنصاريُّ وَلكِنَّهُ أَرادَ إعطاءَ إِشَارَةٍ إلى الفَتَى وَلكنَّ الفَتَى لَمْ يَفْهَمْ وَهْوَ الَّذي التَبَسَ عَلَيْهِ الأَمْرُ أو لَعَلَّهُ فَهِمَ الأَمْرَ لأنَّهُ قَالَ: «لَيْسَتْ لَكَ» وَلَمْ يَقُلْ «لَيْسَتْ فيكَ».

لَقَدْ كَانَ عُمَرُ يَقومُ بدور الفاتِنِ للأمَّةِ، وَهْوَ مُسْتَمِرٌّ في توضيحِ أفعالِهِ وواجباتِهِ للآخرين وَلكنَّ النَّاسَ لا تَعْلَمُ حقيقَةَ الحَالِ. وَحِينَمَا يَقولُ: «كُلُّ النَّاسِ أفْقَهُ مِنْ عُمَرَ» فَإنَّهُ صَادِقٌ في قَوْلِهِ لأنَّنا قُلْنَا: إنَّ الفقْهَ هُوَ غَيْرُ العِلْمِ، والفِقْهُ عَكْسُ الإيمانِ، بَيْنَمَا العِلْمُ لا يَتَضَادُّ مَعَ الإيمانِ. فَهْوَ يُقَرِّرُ حقيقَةً موجودةً وَهْيَ أنَّ الخَلقَ كُلَّهم أفْقَهُ مِنْهُ، ومعناه أنَّهُ أكْفَرُ الخَلْقِ وأبعدُهُم عَن الفِقْهِ مَهْمَا كَانَ هَؤُلاءِ الخَلْقِ مِنْ ناحيةِ العَقَائِدِ. فَهْوَ شَرُّ الخليقَةِ كُلِّهم، ذَلِكَ لأنَّ الفِقْهَ في القَلْبِ كَمَا رأينا وَعَلَى القَلْبِ مَدارُ الإيمانِ والكُفرِ كُلِّهِ.

تَحْتَاجُ أَقْوَالُ عُمَرَ وخطاباتُهُ كُلُّهَا إلى مُرَاجَعَةٍ جديدَةٍ ودراسَةٍ وفقَ هَذا المنظورِ. فَهْوَ لَمْ يَقُمْ بإخفاءِ حقيقَةٍ معيَّنَةٍ ولا كَذَّبَ في حياتِهِ قط! كُلُّ مَا فَعَلَهُ هُوَ أنَّهُ دَعَاهُم فاسْتَجَابوا لَهُ.

ومَفْهُومُ هَذا الأَمْرِ هُوَ أنَّ الشَّيْطَانَ لا يَكْذِبُ قط حَالَ الإغواءِ لأنَّهُ لَو كَذَّبَ عَلَى المُكَلِّفِ كَانَ المُكَلَّفُ في عُذْرٍ حالَ العِصيَانِ.

فَلَو رَجَعْنَا إلى أَقْوَالِ إبليسَ أو الشَّيْطَانِ مَعَ آدمَ لا نَجِدُهُ يَكْذِبُ. فالشَّيطانُ في الواقِعِ لا يُغيِّرُ الحَقَّ إلى باطِلٍ أو البَاطلَ إلى حَقٍّ، بَلْ كُلُّ مَا يَفْعَلَهُ هُوَ أنْ يدعو للباطِلِ مِنْ حَيْثُ هُوَ باطِلٌ، فَلا يُضيفُ عَلَيْهِ صِفَةً لَيْسَتْ فِيهِ أو مأخوذةً مِنَ الحَقِّ. لَو فَعَلَ ذَلِكَ فإنَّ المُكلَّفَ الَّذي لا يَعْلَمُ سيكونُ في عُذْرٍ ويَسْقطُ الحِسَابُ.

كَانَ عُمَرُ كثيرَ الكَلامِ، وَلكِنَّهُ حِينَمَا يَخطبُ عَلَى المِنبَرِ يَتَفَوَّهُ بعبارَاتٍ مُتَقَطِّعَةٍ ويَنْزِلُ سريعاً لأنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَقْدِرُ عَلَى الاسترسَالِ.

وإنَّ جميعَ مَا بَيْنَ يديَّ مِنْ أقوالِهِ وأفعالِهِ وجَلائِلِ أعْمَالِهِ إنَّمَا تُفَسِّرُهَا حقيقَتُهُ الَّتي كَشفَهَا الرَّسُولُ ﷺ في أحَاديثِهِ والتي لا تُفيدُ سِوَى أنَّهُ زعيمُ الشَّيَاطِينِ في التَّاريخِ وأكثَرُهُم قُدْرَةً عَلَى الإغواءِ. بَلْ بَلَغَ عُمَرُ الدَّرَجَةَ القصوى مِنَ الإغواءِ الَّتي أصْبَحَ يَقومُ فِيْهَا بتَجارِبَ ويتحرَّشُ بالآخرين لمعرفَةِ قُدْرَتِهِم عَلَى كَشْفِهِ فَوَجَدَهُم عُمياناً بَهائِمَ لا فَهْمَ لَهُم ولا عَقْلَ!

فَحِينَمَا يَعْجلُ بالأمرِ ويُخطئ كَانَ يعتبرُ نَفْسَهُ قَدْ قامَ بواجبِهِ أيْضاً تِجَاهَ الحقيقَةِ. فَإِنَّهُ إذا أقَامَ السُّنَّةَ فَهوَ عَمَلُهُ وإنْ خَالَفَهَا فَهوَ عَمَلُهُ أيْضاً. وَلكِنَّهُ كَانَ يَنْدَهِشُ لذهولِ النَّاسِ عَنْ أمْرِهِ حَتَّى لَيَكادُ يقولُ لَهُم بصريحِ العِبَارَةِ: «انظروا أيُّهَا الحَمْقَى مَنْ أنَا؟». فَحِينَمَا حدَّدَ المهورَ وقَامَتْ إليه امرأةٌ فقالت: «لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ يَا عُمَرُ إنَّ الله يقولُ: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٢٠]. فَقَالَ عُمَرُ: ألا تَعْجَبونَ مِنْ امرأةٍ أَصَابَتْ وإمامٍ أخطأ؟»: !.

لقَدْ كَانَ يَحْمِلُهُم عَلَى الاندهاشِ والتَّعَجُّبِ فَلا يعجبون ولا يندهشون ولا يَقُولُونَ: - «إذَنْ فَتِلْكَ المرأةُ أولى مِنْهُ بالإمَامَةِ في مِقياسِ العِلْمِ بالشَّريعَةِ». ثُمَّ قَالَ: «امرأةٌ نَاضَلَتْ إمامَكُم فَنَضَلَتْهُ»!

أوْرَدَ ذَلِكَ صَاحِبُ شَرْحِ النَّهْجِ في ج٣/ ٧٦٢.

وَيَفْتَخِرُ عُمَرُ بِأنَّهُ قَدْ نَجَحَ في مَنْعِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ تَعْيينِ الخليفَةِ بوثيقَةٍ رَسميَّةٍ في كِتَابٍ مَشهودٍ حَالَ وفاتِهِ.

قَالَ ابن عَبَّاس: دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ في أَوَّلِ خِلافَتِهِ وقَدْ ألقِيَ لَهُ صَاعٌ مِنْ تَمْرٍ عَلَى خُصْفَةٍ فَدَعَاني للأَكْلِ فَأَكَلْتُ تَمْرَةً واحِدَةً وأقْبَلَ يأكُلُ حَتَّى أتى عَلَيْهِ ثُمَّ شَرَبَ مِنْ جَرٍّ كَانَ عِنْدَهُ واسْتَلْقَى عَلَى مِرْفَقَتِهِ وطَفِقَ يَحْمدُ الله ثُمَّ قَالَ: مِنْ أيْنَ جِئْتَ يَا عَبْد الله؟ قُلْتُ: مِنَ المَسْجِدِ. قَالَ: كَيفَ خَلَّفْتَ ابنَ عمِّكَ؟ فَظَنَنْتُهُ

يُريدُ عَبْدَ الله بنَ جعفرٍ. قُلْتُ: خَلَّفْتُهُ يَلْعَبُ مَعَ أَتْرَابِهِ. فَقَالَ: لَمْ أَعْنِ ذَلِكَ إِنَّمَا عَنيتُ عَظيمَكُم أَهْلَ البَيْتِ!. قُلْتُ: خَلَّفْتُهُ يَمْتَحُ بالغَرْبِ «الدلو» عَلَى نُخَيلاتِ بَنِي فُلانٍ وَهْوَ يَقْرَأُ القُرْآنَ قَالَ: عَلَيْكَ دِمَاءُ البدنِ إِنْ كَتَمتَنيها. هَلْ بقي في نَفْسِهِ شَيءٌ مِنْ أَمْرِ الخِلافَةِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: أَيَزْعمُ أَنَّ رَسُولَ الله نَصَّ عَلَيْهِ؟. قُلْتُ: نَعَمْ وَسَأَلْتُ أَبِي العبّاسَ عَمَّا يَدَّعيهِ فَقَالَ: صَدَقَ. فَقَالَ عُمَرُ: لَقَدْ كَانَ مِنْ رَسُولِ الله في أمرِهِ ذَرْوٌ مِنْ قولٍ لا يُثْبِتُ حُجَّةً ولا يَقْطَعُ عُذْراً ولَقَدْ كَانَ يربعُ في أمْرِهِ وقتاً مَا ولَقَدْ أَرَادَ في مَرَضِهِ أَنْ يُصَرِّحَ بِهِ فَمَنَعْتُهُ مِنْ ذَلِكَ إِشفاقاً وحيطَةً عَلَى الإِسلامِ، لا وَرَبِّ هَذِهِ البَنِيَّةِ «يَعْنِي الكَعْبَةَ» لا تَجْتَمِعُ عَلَيْهِ قُرَيْشُ أبداً ولو وليها لانتفضَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَقْطَارِهَا فَعَلِمَ رَسُولُ الله أَنِّي عَلِمْتُ مَا في نَفْسِهِ فَأَمْسَكَ وأَبَى الله إلاَّ إمْضَاءَ مَا خَتَمَ».

ذَكَرَهُ شارِحُ النَّهجِ في نَفْسِ المَوْضِعِ أعلاه. وللحديثِ صُوَرٌ مُخْتَلِفَةٌ عِنْدَ المؤرِّخِينَ يُمَثِّلُ هَذا النصُّ أَحْسَنَهَا بالنِسْبَةِ لأهلِ الشُّورَى.

أَقُولُ: لَيسَ في النصِّ أيُّ تمويهٍ أو كَذِبٍ.

إِنَّهُ حَقَائِقُ واضحَةٌ بَيْدَ أَنَّ موضوعَ الإِمَامَةِ لَيْسَ هُوَ موضوعُ السياسَةِ.

الإِمَامَةُ الَّتي نَتَحَدَّثُ عَنْهَا هُنَا وفي الفِكْرِ الإماميِّ لَيْسَتْ هِيَ اجتماعَ العَرَبِ أو عَدَمِ اجتماعِهَا!.

إن عَدَمَ اجتماعِ العَرَبِ عَلَى عَلِيٍّ عليه السلام هُوَ حقيقَةٌ أَيَّدَهَا التَّاريخُ! بَيْدَ أَنَّ هَذا هُوَ نَفْسُه الفِتْنَةُ الَّتي يُدْخِلُ الله بِهَا الأكثريةَ إلى جهنَّمَ لأَنَّهُمْ رَفَضُوا اختيارَ الله وعَمَلُوا باختيارِهِم الخاصِّ. ومعلومٌ إنَّ الَّذينَ قادوهم يَتَوَلَّونَ أَكْبَرَ الإثمِ وأعْظَمَ الوِزْرِ.

إنَّ اجتماعَ الخَلْقِ عَلَى الباطِلِ هُوَ موضوعُ الدِّينِ. فالأَدْيَانُ مَا جَاءَتْ لِتَجْمَعَ النَّاسَ أو لِتؤسِّسَ دولاً أو كياناتٍ سياسيَّةً ناجحَةً وفقَ المنظورِ البَشَرِيِّ. فهذِهِ

الكياناتُ تَتغَيَّرُ وتَتبَدَّلُ وتَنْهَارُ وتَذْهَبُ نظرياتُ ملوكٍ ويأتي غَيْرُهم، وفي كُلِّ دَوْرٍ تَقومُ السُلْطَاتِ بالإعلانِ عَنِ انفرادِهَا بالعَدْلِ واتِّبَاعِ الحَقِّ لتضليلِ الجماهيرِ. فالكياناتُ السياسيَّةُ تَجْمَعُهُم جَمْعَ قُوَّةٍ وجَمْعَ طَمْعٍ. فَلَيْسَ هَذا هُوَ الكيانَ الَّذي يَسْعَى الدِّينُ لتحقيقِهِ!.

إنَّ افتخَارَ هَذِهِ الأُمَّةِ بالكيانِ السياسيِّ الَّذي بَلَغَ حدودَ الصِّينِ شَرقَاً والأطلسيِّ غَرْبَاً باعتِبَارِهِ كِيَاناً مُنْبَثِقَاً عَن الدِّينِ الإسلاميِّ هُوَ مَخْزِيَةٌ مِنْ مَخَازيَ التَّاريخِ وعلامَةٌ عَلَى الجَهْلِ المُطْبَقِ وغِيَابِ الوَعْيِ الدّيني غِيَاباً تامَّاً. والدَّليلُ عَلَى ذَلِكَ أنَّ التَّاريخَ زاخِرٌ بالقوى الَّتي سَيْطَرَتْ عَلَى أجْزَاءٍ كَبيرةٍ مِنَ العَالَمِ!. فقَدْ سَيْطَرَ البابليون والآشوريون والكنعانيون والرومان والتَّتَرُ والفُرْسُ والتركُ وغيرُهُم عَلَى أَجْزَاءٍ كُبْرَى مِنْ العَالمَ خِلالَ أدوارِ التَّاريخِ كُلِّهَا. ثُمَّ جاءَتْ موجَةُ العَصْرِ الحديثِ فَسَيطَرَتْ بريطانيا العُظْمَى عَلَى أَكْثَرِ أَقْطَارِ الأَرْضِ مِثْلَمَا سَيْطَرَ الإسكندَرُ مِنْ قَبْلُ أو مَلِكُ فارسٍ «كورش» أو «سابور» ومِثْلَمَا تُسيطِرُ اليوم الولاياتُ المُتَّحدةُ خَلَفَاً للتقسيمِ الأَسْبَقِ بينها وبَيْنَ الشيوعيَّةِ.

إنَّ تَصنيفَ الإمبراطوريةِ الإسلاميةِ مِنْ جُمْلَةِ هَذِهِ الإمبراطورياتِ هُوَ حقيقَةٌ تاريخيَّةٌ. فَلَيسَتْ هَذِهِ الإمبراطوريةُ سِوَى كيانٌ سياسيٌّ واتَتْهُ الظروفُ الموضوعيَّةُ كافَّةً للسيطرَةِ عَلَى العالَمِ شأنُهُ شأْنَ أيَّةِ إمبراطوريةٍ سابقَةٍ أو لاحقَةٍ.

ولا تَمتُ هَذِهِ السيطرَةُ في جوهرِهَا إلى الدِّينِ بأيَّةِ صِلَةٍ سِوَى أنَّ الدِّينَ هُوَ الايديولوجيةُ العامَّةُ لِهَذا الكيانِ والشِّعارِ المَرفوعِ، ومِثْلُهُ مِثْلُ كُلِّ الشِّعَاراتِ المُزَيَّفَةِ للدولِ العِمْلاقَةِ الَّتي تَقومُ بالسيطرَةِ والاحتلالِ. فالخَرَاجُ والسيطرَةُ السياسيَّةُ والاستفادَةُ مِنَ الغلاَّتِ والعَبيدِ وإلهاءِ الخَلْقِ في الحروبِ هِيَ الدوافِعُ الثابِتَةُ لِهَذِهِ الكياناتِ.

وَلكنّ بِفَضْلِ معاشرَةِ النَّاسِ لأهالي تِلْكَ المناطِقِ المسيطَرِ عَلَيْهَا ورَغْبَةً مِنْهُم بالسَّلامَةِ والمعامَلَةِ الحَسَنَةِ فقَدْ كانوا يَدخلونَ الإسلامَ. فبَعْضُهُم يكتَشِفُ الحقيقَةَ وبَعْضُهُم يَبْقَى عَلَى ضَلالِهِ القَدِيم. فَهُوَ إسلامٌ رسميٌّ لا علاقَةَ لَهُ بالدِّينِ الَّذي جاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَلِذَلِكَ تَبْقَى هَذِهِ الكِيَاناتُ والأُمَمُ مُرْتَبِطَةً بجذورِهَا الأولى ويَتَفَوَّقُ دَوْماً انتماؤُهَا العِرْقي والوَطَني عَلَى انتمائِهَا الايديولوجيِّ العقائدي. لِذَلِكَ فسرعانَ مَا تَتَفَتَّتُ هَذِهِ الكياناتُ وتَنْفَصِلُ أو تُطَالِبُ بالانْفِصَالِ وتَحدثُ الحروبُ بينها بِسُرْعَةٍ مُذْهِلَةٍ مثلما تَحْدثُ بَيْنَ الأعْداءِ.

إنَّ تحويلَ وجهَةِ الإسلامِ مِنْ دينٍ عقائديٍّ إلى كيانٍ سياسيٍّ مُخْتَلٍّ وإلى إمبراطوريَّةِ ضلالٍ بَدَلاً مِنْ دولةِ خلافةٍ إلهيةٍ إنَّمَا تَمَّ بِفَضْلِ التَّخطيطِ المُحْكَمِ لليهودِ وفقِ خطَطٍ مرسومَةٍ سَلَفَاً وقَامَتْ قُرَيْشُ بتنفيذِهَا عَنْ طريقِ أبي بَكْرٍ وعُمَر.

إنَّ تصنيفَ دولَةِ أَبي بَكْرٍ وعُمَرَ مِنْ جُمْلَةِ دُوَلِ الاستخلافِ في الأَرْضِ هُوَ بِحَدِّ ذاتِهِ كُفْرٌ. فَهْيَ دولةٌ سياسيَّةٌ دكتاتوريَّةٌ. وَمَا الصُّورُ الديمقراطيةُ المنقولَةُ عَنْهَا مِثْلُ بَسَاطَةِ الخَليفَةِ وإمكانيَّةِ نَقْدِهِ مِنْ قِبَلِ العامَّةِ إلاَّ تَمثيلياتٌ ومسرحيَّاتٌ كَانَتْ ضروريَّةً جِدَّاً لِتَضليلِ الجمهُورِ الَّذي لا زالَ قَريب العَهْدِ مِنَ الحكومَةِ الإلهيَّةِ للرسولِ ﷺ.

لِذَلِكَ يُعْتَبَرُ أَبو بَكْرٍ وعُمَرُ أَعْظَمَ زعيمينِ للدكتاتوريَّةِ والتنظيرِ الطاغوتيِّ في كُلِّ تاريخِ الأَرْضِ لأَنَّهُمَا اعْتَمَدَا فَقَرَاتٍ مُهِمَّةٍ جِدَّاً لإجراءِ التَّحوُّلِ مِنَ الحكومَةِ الإلهيَّةِ إلى الحكومَةِ الطاغوتيَّةِ، فَتَنبَغِي دراسَةُ التَّاريخِ دِرَاسَةً واقعيَّةً نقْدِيَّةً وتَرْكُ الترديدِ البغاويِّ لِنَفْسِ المَقولاتِ مُنْذُ أربعة عَشَر قَرْناً. فَهُنَاكَ دَوْماً الأَقْلامُ الَّتي تُمَجِّدُ تاريخَ الأُمَّةِ عُموماً ولا يهمُّهَا أَنْ يَسِيءَ ذَلِكَ إلى جَوْهَرِ الطَّرْحِ الدِّينيِّ

وشَخصيَّةِ الرَّسُولِ ﷺ . وَمَا دَعَواتُ الغَرْبِ وأَعْدَاءِ الدِّينِ إلاَّ مقولاتٌ تبريريَّةٌ انْبَثَقَتْ أَصْلاً مِنْ أَقْبِيَةِ المُحَرِّفينَ مِنْ عُلَمَاءٍ ووعَّاظِ السَّلاطين.

اعْتَمَدَ الشيخانِ عَلَى خُطُواتٍ هامَّةٍ لِنَقْلِ الحَالِ إلى الحكومَةِ السياسيَّةِ الطاغوتيَّةِ، وَهْيَ واضِحَةٌ جِدًّاً في التَّاريخِ وأَهَمُّهَا القَضَاءُ عَلَى المُعَارَضَةِ وتَغْييرُ دَلالَةِ المُصْطَلَحَاتِ القرآنيَّةِ كالبيعَةِ والسُّنَّةِ والحَجِّ والصَّلاةِ والزَّكاةِ وعشراتٍ غَيْرِهَا وإِخْفَاءُ النِصِّ القرآنيِّ وابتِدَاعُ التَّرديدِ في النِصِّ أو تأويلِهِ لِجَعْلِهِ عُرْضَةً للتفسيرَاتِ المُتَعَدِّدَةِ والاستحْوَاذُ عَلَى الأموالِ والخراجات والجُزيَةِ والدَّعْوَةُ إلى الدِّينِ بالسَّيفِ وتقسيمُ الأُمَّةِ إلى طَبَقَاتٍ في المَعَاشِ ثُمَّ في الأَنْسَابِ والأَحْسَابُ وتأجيجُ التَّفَاخُرِ القَبَلِيِّ.

وبِصِفَةٍ عامَّةٍ تَمَّ إدخَالُ كُلِّ المفاهيمِ الجاهليَّةِ لِتَكونَ جُزْءَاً مِنْ مفاهيم الاصطلاحِ الدينيِّ وتَحْجيمِ المُرَادِ والمَقصودِ مِنَ النصِّ القُرآنيِّ لِيكونَ مُرْتَبِطَاً بأَشْخَاصٍ مُعَيَّنينَ ومَوَارِدَ مُحَدَّدَةٍ بأسبابِ النزولِ. وقَدْ تَمَّ بِفَضْلِ هَذا التَّخطيطِ تَحويلُ النصِّ الإلهيِّ إلى تاريخٍ وتُرَاثٍ بَدَلاً مِنْ أنْ يَكُونَ فِكْرَاً مَفْتوحَ الدَّلالَةِ زَمَنياً. فَأَصْبَحَ المرءُ يَتْلو الآيَةَ ولا يَخْطرُ في بالِهِ إلاَّ عَبْدُ الله بنُ أَبي سلول وأَصْبَحَ يتلو سُورَةَ النَّصْرِ ولا يَخْطِرُ ببالِهِ إلاَّ فَتْحُ مَكَّةَ وَهكذا..

وَكَانَ عُمَرُ خصوصَاً لامتدادِ حُكْمِهِ يؤَسِّسُ التأسيسَ الجديدَ كُلَّهُ، وَكَانَتِ الجَوَانِبُ العقائديَّةُ والماليَّةُ والأخلاقيَّةُ والسياسيَّةُ قَدْ نَالَتْ مِنْ أعْمَالِهِ الكثيرَ. والعُقولُ الَّتي رَانَ عَلَيْهَا الضَّلالُ كَانَتْ تَتَقَبَّلُ الكَثيرَ مِنْ أَفْكَارِهِ الجديدَةِ باعتبارِهَا تَأويلاً مُعَيَّنَاً للنصِّ هُوَ مِنْ صلاحياتِ الخليفَةِ مِمَّا أَدَّى إلى أنْ تَفْسَدَ الأُمَّةَ كُلَّهَا ومِنْ ثمَّ تَهْيئتِهَا للفتنَةِ ثُمَّ زَرَعَ بذورِ هَذِهِ الفِتْنَةِ قَبْلَ رحيلِهِ. وَلِذَلِكَ قَالَ أَميرُ المؤمنينَ هَذا القولَ المشهورَ الَّذي اخْتَلَفَ النَّاسُ كُلُّهُم في تَفْسيرِ مَعْنَاهُ.
فقَدْ قَالَ عليه السلام:

«للهِ بِلادُ فُلانٍ فَلَقَدْ قَوَّمَ الأَوَدَ وداوَى العَمَدَ وأَقَامَ السُّنَّةَ وخَلَّفَ الفِتْنَةَ. ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوبِ قَليلَ العَيبِ. أَصَابَ خَيرَهَا وسَبَقَ شَرَّهَا. أَدَّى إلى الله طَاعَتَهُ واتَّقَاهُ بِحَقِّهِ. رَحَلَ وتَرَكَهُم في طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ لا يَهْتَدي بِهَا الضَّالُ ولا يَسْتَيقِنُ المُهْتَدي».

نهج البلاغة/ الخطبة ٢٢٣

أَكْثَرُ الشُّرَّاحِ قالوا المُرَاد بِفُلانٍ عُمَر. وَقَالَ بَعْضُهُم لا يَسْتَقيمُ الكَلام لأَنَّهُ انْتَقَدَ عُمَرَ نقْداً شَديداً في مَواضِعَ أُخرَى فَلا يُصْلحُ أَنْ يَكُونَ الثناءُ عَلَيْهِ هُنَا، فالمرادُ أبو بَكْرٍ.

وَلَمْ تسْبِقْهُ دولَةٌ أو بلادٌ لأَحَدٍ سِوَاهُمَا مَعَ عُثْمَانَ. وَلَيْسَ عُثْمَانُ هُوَ المُرادَ مِنْهُ بإجْمَاعِ الشُّرَّاحِ لأَنَّهُ صَاحِبُ الفِتْنَةِ ومَرْكَزُهُ. فالسَّابِقُ لَهَا: أَبو بَكْرٍ وعُمَرُ فَقَط. وقِيْلَ إنَّ الجارودِيَّةَ قَوْمٌ مِنَ الزيديَّةِ يَزْعمونَ أَنَّهُ في عُثْمَانَ.

قَالَ ابنُ أَبي الحديد وقَدْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ حيرَةٌ عَظيمَةٌ في تَفْسيرِ هَذا الكَلامِ أَنَّهُ سَأَلَ عَنْهُ النقيبَ أبا جَعْفَر بنَ يحيى فَفَصَّلَ لَهُ أَقْوالَ فرَقِ الإماميَّةِ فِيهِ ومِنْهُم الإثنا عشريَّةَ حَيْثُ قالوا هُوَ مِنْ بَابِ التَّقِيَّةِ لاسْتِصْلاحِ أَصْحَابِهِ!!

وَقَالَ في الردِّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ في بَعْضِ الأَصْحَابِ دونَ الخُلَفَاءِ: «إنَّهُ لا يَجوزُ»، وسَمَّاهَا بالتأويلاتِ الغَثَّةِ وَقَالَ: «لا يُعْجِبُنِي هَذا التأويلُ». . عَلَى أَنَّ أبا جَعْفَرٍ الطبري صَرَّحَ أو كَادَ أَنْ يُصَرِّحَ بِأَنَّ المَقْصودَ مِنْ هَذا الكَلامِ هُوَ عُمَرُ. فقَدْ نَدَبَتْهُ إحدَى النِّسَاءِ عِنْدَ موتِهِ فَقَالَتْ: «وَاعُمَراه أَقَامَ الأَوْدَ وأَبْرَأَ العَمَدَ، أَمَاتَ الفِتَنَ وأَحْيَا السُّنَنَ، خَرَجَ نَقِيَّ الثَّوبِ بَرِيئاً مِنَ العيبِ».

قَالَ: وَقَالَ الطبريُّ عَنِ المُغيرَةَ وَهُوَ مِنْ أَعْدَاءِ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: أَتَيْتُ عَلِيّاً لَمَّا دُفِنَ عُمَرُ وأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ مِنْهُ وقَدْ خَرَجَ يَنْفضُ رَأْسَهُ ولِحْيَتَهُ وقَدْ اغْتَسَلَ وَهُوَ مُلْتَحِفٌ بِثَوْبٍ لا يَشكُّ أَنَّ الأَمْرَ يَصيرُ إليه فَقَالَ: رَحِمَ الله ابنَ الخَطَّابِ

لقَدْ صَدَقَتْ إبنَةُ أبي حَثْمَةَ ذَهَبَ بِخَيْرِهَا ونَجا مِنْ شَرِّهَا أَمَا واللهِ مَا قَالَتْ وَلكِنْ قُوِّلَتْ.

أَقُولُ: أَمَّا أَنَا فَعَجَبِي مِنَ النَّاسِ كُلِّهِم أَنَّهُم لَمْ يَفْهَموا هَذِهِ النصوصَ وَلَمْ يُصيبوا المُرَادَ مِنْهَا بِمَا في ذَلِكَ ميثم البحراني أَحَدُ شُرَّاحِ النَّهجِ مِنَ الشِّيْعَةِ حَيْثُ تَحَيَّرَ فِيْهَا..

فَيَا للعجب!!

أَمَّا المَغيرَةُ فَهْوَ مُنَافِقٌ مِنْ رؤوسِ النِّفَاقِ فَمِنَ الطبيعيِّ أنْ يَتَصَوَّرَ عَلِيّاً وَهْوَ لا يَشكُّ أنَّ الأَمْرَ صَائِرٌ إليهِ!

فأيْنَ العَهْدُ المَعهودُ مِنَ النَبِيِّ الأميِّ ﷺ الَّذي كَانَ يُكَرِّرُ القَولَ فِيهِ إِذَنْ؟

وَهَلْ الَّذي يَدْرِي سَاعَةَ مَوتِهِ ولا يَموتُ إلاَّ بمشيئَةِ الله لا بِمَشيئَةِ مَلِكِ المَوتِ لا يَدْرِي متى يَصيرُ الأَمْرُ إليه؟

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

ذَكَرَ صَاحِبُ الرياضِ في ج٢/ ١٦٥ مرفوعاً إلى النَبِيِّ ﷺ قَالَ:

«لَمَّا أُسْرِيَ بي مَرَرْتُ بِمَلِكٍ جَالِسٍ عَلَى سَريرٍ مِنْ نُورٍ وإحْدَى رِجْلَيهِ في المَشْرِقِ والأُخْرَى في المَغْرِبِ وبَيْنَ يَديهِ لَوْحٌ يَنْظُرُ فِيهِ والدُّنْيَا كُلُّهَا بَيْنَ عَينيهِ والخَلْقُ بَيْنَ ركْبَتيهِ ويَدُهُ تَبلغُ المَشْرِقَ والمَغْرِبَ فَقُلْتُ: يَا جِبْريلُ مَنْ هَذا؟ قَالَ: هَذا عِزْرائيلُ تقدَّمْ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَتَقَدَّمْتُ وسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: وعَليكَ السَّلامُ يَا أَحْمَدُ. مَا فَعَلَ ابنُ عَمِّكَ عَلِيٌّ؟ فَقُلْتُ: وَهَلْ تَعْرِفُ ابنَ عَمِّي. قَالَ: وكَيفَ لا أَعْرِفُهُ وقَدْ وَكَّلَني الله بِقَبْضِ أرْوَاحِ الخلائِقِ مَا خلا روحِكَ وروحِ ابنِ عَمِّكَ عَلِيِّ بن أبي طَالِبٍ فإنَّ الله يتوفَّاكُمَا بمشيئَتِهِ».

أَقُولُ: وَهُوَ الحَديثُ «١٩٥» في كِتَابِ فَضَائِلِ الخَمْسَةِ في الصِّحَاحِ السِّتَةِ مِنَ الجُزْءِ الثالِثِ/ ٧٤.

فَأَمَّا قَولُهُ عليه السلام: «والله مَا قَالَتْ وَلَكِنْ قوّلَتْ»، أي أَنْطَقَهَا الله بِهَذا الكَلام. وَهُوَ كَلامٌ حَقٌّ وفيه ذَمٌّ وتَكْفيرٌ لأنَّ الذَّاهِبَ بِخَيرِ شَيءٍ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ. وقَدْ قَالَتْ النادبَةُ: «ذَهَبَ بِخَيرِهَا». وقَالَتْ: «نَجَا مِنْ شَرِّهَا» وفيهِ ذَمٌّ أَعْظَمُ لأَنَّ الرُّسُلَ والمؤمنينَ جَميعاً ليسوا بِمَنْجَاةٍ مِنَ الشّرورِ وإلاَّ فكَيفَ وَمَعَ مَنْ وَقَعَ صِرَاعُهم إِذَنْ؟.. بَلْ الأشرارُ أنفُسُهُم ليسوا بِمَنْجَاةٍ مِنْ شرورِهِم قط إلاَّ عُمَرَ انْفَرَدَ عَنِ الأَخيارِ والأَشْرارِ في أَنَّهُ بِمَنْجَاةٍ مِنْ شرورِ الدُّنْيَا.

فَيَا للعَجَبِ مِنَ العقولِ الَّتي لا تَفْهَمُ هَذا الكَلامَ، فَإِنَّهُ لا يَصِحُّ إلاَّ إذا كَانَ هُوَ مَصْدَرَ الشرورِ كُلِّهَا. فالمَصْدَرُ بالطبعِ هُوَ الوحيدُ بِمَنْجَاةٍ مِنْهَا لأَنَّهُ هُوَ ذاتُهُ شَرٌّ مَحْضٌ.

وَأمَّا قَولُهَا: أَمَاتَ الفِتَنِ» فَهُوَ خِلافُ القانونِ الإلهيِّ، لأنَّ القانونَ الإلهيَّ هُوَ مَا في سُورَةِ العنكبوتِ مَثَلاً:

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ١-٣].

فَمَاذَا فَعَلَ؟ وَمَاذَا قالوا حَتَّى أَمَاتَ الفِتَنِ؟

لا تَموتُ الفِتَنُ حَتَّى يقولوا: «كَفَرْنَا ورَضِينا بالكُفْرِ ديناً وبالشَّيطانِ إِمَاماً وقائِدَاً». وعند ذَلِكَ تموتُ الفِتَنُ!!

أَمْ تَحْسَبُ أنَّ جعفَرَ الصَّادِقَ عليه السلام يَظْلمُ أُمَّةَ جدِّهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وقَومِهِ حِينَمَا يقولُ: **«كَفَرَ النَّاسُ بَعْدَ رَسُولِ الله إلاَّ ثَلاثَةً»!!**

إِنَّهُ يَا قَوْمُ يَنطِقُ عَنِ القُرْآنِ!

والمصيبَةُ أَنَّكُم لا زِلتُمْ تكفرونَ بالرَّحمنِ!

فَالوَيلُ لَكُمْ مِنْ عَذَابِ الله القَرِيبِ!

وَأمَّا قَولُ النَّادِبَةِ: «أَحْيَا السُّنَنِ» فَلا أَحَدَ لَهُ الحَقُّ في أنْ يَزْعمَ أنَّ النادِبَةَ تَعْنِي بِهَا سُنَنَ النبِيِّ ﷺ مِثْلَمَا لا يَحقُّ لي أنْ أدَّعِي أَنَّهَا تَعْني سُنَنَ الشَّيْطَانِ.

أَلَيسَ هَذا إنْصَافٌ مِنِّي؟

لأنَّها تَرَكَتْهَا سائِبَةً بلا إضافَةٍ ولا تَعريفٍ.

إذَنْ. . فَنَحْنُ مُتَّفِقُونَ بِحَمْدِ الله أنَّ النادِبَة قَالَتْ: «السُّنَن» وَهْيَ لا تَعْنِي مَا نَفْهَمُ مِنَ اللُّغَةِ إلاَّ «السُّنَنَ» مُطْلَقَاً. والسُّنَنُ مُطْلَقَاً هِيَ قَوَانينُ الحَرَكَةِ الاجتماعيَّةِ ذاتِهَا، ولِنَقُلْ إنَّهَا السُّنَنُ المذكورَةُ في القُرْآنِ:

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

لقَدْ أَحْيَا هَذِهِ السُّنَنَ فَمَرْحَى لعُمَرَ!

وَمَرْحَى. . للمؤمنينَ بعُمَرَ!

وَأمَّا قَولُ النادِبَةِ: «خَرجَ نَقِيَّ الثَّوبَ، بَرِيئَاً مِنَ العَيبِ. . فَهَذَا هُوَ حَالُ الشَّيْطَانِ، فَإنَّهُ يَغْوِي وَلكِنْ لا عَلاقَةَ لَهُ باختيارِ الخَلْقِ ولا يَحْمِلُ في الواقِعِ ذنوبَهُم.

وَمَا هُوَ العَيْبُ في الشَّيْطان يَا هَذا؟!

لأنَك لَو قُلْتَ هَذا الكَلامَ عَن الكافِرِ فَإنَّهُ لا يَصِحُّ، ولا يَصِحُّ عَنِ المُشْرِكِ أَيْضاً لأنَّ الكُفْرَ والشِّرْكَ فِيهِما عيوبٌ لا تُنْكَرُ.

وَلكِنْ مَاذَا تَقولُ عَن العَيْبِ نَفْسِهِ المُجَسَّدِ في صورَةِ إنسانٍ؟

هَلْ تَقولُ: إنَّ في العيْبِ عَيْبَاً؟

لا يَجوزُ طَبْعاً . . ويَجوزُ أنْ تقولَ: إنَّهُ نَقِيٌّ نقاوَةً كامِلَةً مِنْ حَيْثُ هُوَ عَيْبٌ كُلُّهُ . .

إذا فَهِمْنَا كَلامَ النادِبَةِ وتصديقَ الإمَامِ عَلِيٍّ لَهَا فَهِمْنَا كلامَهُ الَّذي هُوَ أَكْثَر وضوحاً. وأعني بِهِ قَولَهُ: «للهِ درُّ بلادِ فُلانٍ. . . الخ».

فقولُهُ عليه السلام: «فُلان» هُوَ قَولٌ مَقصودٌ أَرادَ بِهِ الإشارَةَ إلى اسمِهِ في القُرْآنِ. وَلِذَلِكَ أَقْسَمَ أَنَّهَا مَا قَالتْ وَلكِنْ قُوِّلَتْ ونَطَقَ عَلَى لسانِهَا رُوحُ القُدُسِ. قَالَ تَعالَى:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

و «فُلانٌ» إسمُهُ عِنْدَ النَّاسِ وَهوَ نَفْسُهُ الشَّيْطَانُ. والظَّالِمُ هُنَا أَبو بَكْرٍ يَنْدمُ عَلَى اتِّخَاذِهِ الشَّيْطَانَ المَحْضَ خليلاً.

والزَّعمُ بِأنَّ الظَّالِمَ هُوَ اسمُ جنسٍ مردودٌ، بَلْ هُوَ كُفْرٌ بالقُرْآنِ، لأنَّهُ إذا كَانَ اسمُ جنسٍ فقَدْ شَمَلَ كُلَّ الظَّالمينَ، وكُلُّ مؤمِنٍ هُوَ ظالمٌ بدرجَةٍ مَا. وَلكنَّ الظَّالِمَ الحقيقيَّ ومُمَثِّلَ الظَّالمين واحدٌ مَعْلومٌ بأل التعريفِ، لأنَّ الجنسَ الكامِلَ للظالمين مذكورٌ في القُرْآنِ بِلَفْظِ الجَمْعِ. فإنِ ادَّعى المُدَّعِي أنَّ الظَّالمَ اسمُ جنسٍ فقَدْ ادَّعَى أنْ لا فَرْقَ بَيْنَ المُفْرَدِ والجَمْعِ فَيُخالِفُ اللُّغَةَ والطبيعَةَ ويَتَّهِمُ البَارِي عزّ وجلّ بِقولِ الأشياءِ شَطَطَاً تَعالَى الله عَنْ ذَلِكَ عُلُواً كَبيراً.

عَلَى أنَّ تَفسيرَ أَهْلِ البَيْتِ عليهم السلام في أنَّ «الظَّالِمَ» هُوَ أَبو بَكْرٍ، و «فُلانَ» هُوَ عُمَرُ الشَّيْطَانُ مُتَواتِرٌ عَنْهُم في عَشَرَاتِ الأخْبَارِ. فَمَنْ شَاءَ أنْ يَعْبُدَ الله فَهَذَا كَلامُ الله، وَمَنْ شَاءَ أنْ يَعْبُدَ الشَّيْطَانَ فـ:

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

إنَّ كُلَّ الألفاظِ في الآيَةِ «آيَة الفرقان» هِيَ عَلَى الأفْرَادِ. ومعلومٌ أنَّ الظَّالِمَ نادِمٌ لأنَّهُ لَمْ يتَّخِذْ مَعَ الرَّسُولِ سَبيلا فَهُوَ في عَصْرِ الرَّسُولِ واتَّخَذَ مِنْ دونِهِ فُلاناً خليلاً وَهُوَ شَخصٌ واحِدٌ أيْضاً، وَهُوَ مَعْلومٌ ويَعْرِفُهُ وَهُوَ قَرينُهُ.

ولا نَعْلَمُ في الملَّةِ رَجُلينِ تَآخَيَا في كُلِّ حالٍ واقْتَرَنَا في كُلِّ مَجَالٍ سِوَى الأربعَة مُحَمَّدٍ وعَلِيٍّ مِنْ جِهَةٍ، وأبي بَكْرٍ وعُمَرَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

والآيَةُ هِيَ في الَّذي اتَّخَذَ مِنْ دونِ الرَّسُولِ خَليلاً فَلا تَصْدُقُ عَلَى أيِّ اثنينِ في الأُمَمِ كُلِّهَا والتَّاريخِ كُلِّهِ إلاَّ عَلَى أَبي بَكْرٍ وعُمَرَ حَتَّى أنَّهمَا سُمِّيَا باسمٍ واحِدٍ فَقِيلَ: الشَّيخَانِ وقِيلَ العُمَرَان: فافْهَمْ وتأمَّلْ.

ثُمَّ إنَّ الخِطَابَ لَهُمَا في سُورَةِ الرَّحْمَنِ مستمِرٌّ مِنْ أوَّلِ السورَة إلى آخِرِهَا. فَكُلَّمَا وَرَدَ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٣٢] كَانَا هُمَا المُخَاطَبَيْن[١].

ويَحْمِلُ المُحَرِّفونَ الخِطَابَ عَلَى أنَّهُ للإنسِ والجنِّ. وَهَذِهِ فِرِيَةٌ مكشوفَةٌ لأنَّ الإنسَ والجِنَّ قَدْ وَرَدَا في نَفْسِ السُّورَةِ. إذْ لَمَّا جَاءَ بالفِعْلِ جَاءَ بِهِ عَلَى الجَمْعِ وَلَمْ يَأْتِ بِهِ عَلَى المُثَنَّى لأنَّ المَعْشَرَ مجموعَةٌ والمَعْشَرَ الآخرَ مجموعَةٌ فَأَصْبَحَ المَجموعُ مجموعَ أفرَادٍ. ولِذَلِكَ قَالَ: «إنِ استَطَعْتُم»، وَقَالَ: «تَنْفذوا» وَقَالَ: «فأنفذوا» وَقَالَ: «لا تَنْفذون».. وكُلُّ هَذِهِ جُموعٌ. ولو كَانَا هُمَا المُرَادَ مِنَ المُثَنَّى لاستَمَرَّ بالقَوْلِ: «إنِ استطعتُمَا، وأنفذَا، ولا تَنْفذَا... الخ». فانْظُرْ:

---

(١) نستبِقُ فنلفتُ نظرَ القراء الكرام إلى أن المرحوم النيلي إذ يظهر هذا الموقف من مسألة تحريف النصّ القرآني فإنّه لا يوافق القوم على أن وجود التحريف ملازمٌ لنفي الحجيّة عن كتاب الله، وكذلك فهو قَدْ نفى التلازم بين مصدرية النصّ المقدّس وبين عدم وقوع التحريف فيه وهو التلازم الذي وجدَ المنظّرون مستنده الأساسي في آية الذكر حيثُ فسّروها بما يفهم منه ذلك. وقد تحدّث عن قضية التحريف بتفصيلٍ أكثر في كتابه الآخر «البحث الأصولي بين الحكم العقلي للإنسان وحكم القرآن»...

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ [الرحمٰن: ٣٣].

وَكَانَ المُحَرِّفون في عَهْدِ عُثْمَانَ يَعْلَمون ذَلِكَ فَوَجَدوا في السورَةِ آيَةً تكْشِفُ الأمْرَ وتفْضحُ القَضِيَّةَ كُلَّهَا وَهْيَ عَلَى نَسَقِ الآياتِ كُلِّهَا في التَّثْنِيَةِ، وَهْيَ قَولُهُ تَعالَى:

﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ﴾ [الرحمٰن: ٤١].

وقَولُهُ:

﴿يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ﴾ [الرحمٰن: ٤٤].

وكلُّ هَذِهِ مَدْعَاةٌ لأنْ يَسْأَلَ القارِئُ: مَنْ هما؟ فَيَنْكَشِفُ الأمْرُ، فَعَمَدوا إلى تَحويلِ الصِّيغَةِ مِنَ المُثنَّى إلى الجَمْعِ خِلافاً لِكُلِّ آياتِ السورَةِ المُبارَكَةِ وجَعَلُوهَا «يُعْرَفُ المجرمون» و «يَطوفون» لِتَكونَ عامَّةً في كُلِّ الكُفَّارِ.

في تَفْسيرِ البُرْهانِ بِسَنَدِهِ إلى إبْراهِيمَ بنِ عَبْدِ الحَميدِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبي عَبْدِ الله عليه السلام فَأَخْرَجَ لي مُصْحَفاً فَتَصَفَّحْتُ فِيهِ فَوَقَعَ بَصَري عَلَى مَوْضِعٍ مِنْهُ فإذا فِيهِ مكتوبٌ: (هَذِهِ جهنَّم الَّتي كُنْتُم بِهَا تكذِّبان) يَعْني الأوَّلَيْنِ.

وفي بَصَائِرِ الدَّرَجاتِ: ﴿يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ﴾ [الرحمٰن: ٤٤] / البرهان/ ج٢٧/ ٢٦٩/ ح٦.

أَقُولُ: وَهَذا هُوَ المُلائِمُ للتثنيَةِ في كُلِّ آياتِ السُّورَةِ.

وفي تَفْسيرِ القُمِّي: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمٰن: ٣١] قَالَ عليه السلام:

«نَحْنُ والقُرْآنُ أَلَمْ تَسْمَعْ بِقَولِ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ إنِّي مُخَلِّفٌ فِيكُم الثَّقلين كِتَابَ الله وعترتي».

وفيه أيْضاً: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [الرحمٰن: ٧] قَالَ: السَّماءُ رَسُولُ الله رَفَعَهُ إليهِ والميزانُ أميرُ المؤمنينَ نَصَبَهُ الله لِخَلْقِهِ. قُلْتُ: ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي

﴿ٱلْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: ٨] قَالَ: لا تَعْصوا الإِمَامَ ولا تُخْسِروا المِيزَانَ لا تَبْخِسوهُ حَقَّهُ ولا تَظْلِمُوهُ. قَالَ: قُلْتُ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] قَالَ: في الظَّاهِرِ مُخَاطَبَةُ الجِنِّ والإِنسِ، وفي الباطِنِ فُلانٌ وفُلان.

أَقُولُ: لا يَقْصِدُ بالظَّاهِرِ ظَاهِرَ القُرْآنِ، بَلْ الظَّاهِرَ عِنْدَ النَّاسِ وَهْوَ غَيْرُ ظاهِرِ القُرْآنِ.

وفيه قَالَ في الحَديثِ الثَّالِثِ: قَرَأَ أَبو عَبْدِ الله عَلَيْهِ السَّلَامُ (هَذِهِ جهنَّم الَّتي كُنْتُم بِهَا تكذِّبان).

انْظُرْ هَذِهِ النصوصَ وغَيْرَهَا في تَفْسيرِ البُرْهانِ/ج٢٧/سُورَة الرحمن/المجلّد/ ٤

وفي كِتَابِ البُرْهانِ: عَنِ البَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ في قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧] يَعْنِي عَلِيَّ بنَ أَبي طَالِبٍ.

وفيه أَيْضاً: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٨] قَالَ: الأَوَّلُ أي أبو بَكْرٍ يقول ذَلِكَ عَن الثاني «أي عُمَر».

وفي حَدِيثٍ طويلٍ آخر قَالَ:

«إذا كَانَ يَوْمُ القيامَةِ تَلاعَنَا في دَورِهِما وتَبَرَّأَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ يقولُ لقَرِينِهِ إذا التَقَيا: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٨] فيجيبُهُ الأَوَّل: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٨-٢٩].

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ يعقوب: خَطَبَ أميرُ المؤمنينَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالمَدينَةِ بَعْدَ سَبْعَةِ أيام مِنْ وفاةِ الرَّسُولِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ فَقَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذي مَنَعَ الأَوْهَامَ أَنْ تَنَالَ وجودَهُ وحَجَبَ العقولَ أَنْ تَتَخَيَّلَ ذاتَهُ.. وسَاقَ الخُطْبَةَ وَهْيَ طويلَةٌ

وَلَيسَتْ في النَّهجِ ولا في المُسْتَدْرَكِ عَلَى النَّهجِ وَهيَ بروايَةِ البَاقِرِ عليه السلام وجاءَت فِيْهَا الفَقَرَةُ أعلاه وَمِنْهَا أَيْضاً:

«أَنَا وَاللهِ الذِّكْرُ الَّذي ضَلَّ عَنْهُ والسَّبيلُ الَّذي عَنْهُ مَالَ والإيمانُ الَّذي بِهِ كَفَرَ والقُرْآنُ الَّذي إِيَّاهُ هَجَرَ والدِّينُ الَّذي بِهِ كَذَّبَ والصِّرَاطُ الَّذي عَنْهُ نَكَبَ ولَئِنْ رَتَعَا في الحطَامِ المُنْصَرِمِ والغُرورِ المُنْقَطِعِ وكَانَا عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ لَهُمَا عَلِيَّ شرٌّ ورودٍ في أَخْيَبِ وفودٍ وأَلْعَنِ موروْدٍ يَتَصَارَخَانِ باللَّعْنَةِ، ويَتَنَاعَقَانِ بالحَسْرَةِ، مَا لَهُمَا مِنْ راحَةٍ ولا عَنْ عذابِهِمَا مِنْ مَنْدُوحَةٍ، إِنَّهُمَا لا زَالا عِبَادَ أَصْنَامٍ وسَدَنَةَ أَوْثَانٍ يُقيمونَ لَهَا المَنَاسِكَ ويَنْصِبونَ لَهَا العَتَائِرَ ويَتَّخِذونَ لَهَا القُرْبَانَ ويَجْعَلونَ لَهَا البحيرَةَ والسائِبَةَ والوَصِيلَةَ والحَامَ ويَسْتَقْسِمونَ بالأَزْلامِ عَاقِهِينَ عَن ذِكْرِ الله عَزَّ ذِكْرُهُ، جَائِزِينَ عَنِ الرَّشَادِ، مُهطَعِيْنَ إلى العِنَادِ قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِم الشَّيْطَانُ وغَمَرَتْهُمْ سَوداءُ الجاهليَّةِ ورَضَعوهَا جَهَالَةً وانْتَظَمُوهَا ضلالَةً... إلى آخِرِ الخُطْبَةِ.

أَقُولُ: هَذِهِ الأفْكَارُ هِيَ ثَوَابِتُ الاتِّجَاهِ الإماميِّ الَّذي يُؤْمِنُ بالنصِّ والوصيَّةِ، إِذْ يَسْتَحيلُ الجَمْعُ بَيْنَ الإيمانِ بالإِمَامَةِ المَنْصوصَةِ وصِحَّةِ الاعتقادِ بأئمَّةٍ آخرين..

أَمَّا التحولاتُ الموجودَةُ في طَوَائِفَ وتَيَّارَاتٍ ضِمْنَ الاتِّجاهِ الإماميِّ فَهِيَ تَحولاتٌ نِفَاقيَّةٌ أو وفاقيَّةٌ لا صِلَةَ لَهَا بالثَّوابِتِ الإماميَّةِ. فالمُجَامَلات شَيءٌ والتَقِيَّةُ شَيءٌ آخَرُ. فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ التقيَّةَ تُبيحُ لَهُ تَغْييرَ الثَّوابِتِ أو ادِّعَاءَ سِوَاهَا فَهُوَ كَافِرٌ.

إِنَّمَا التقيَّةُ هِيَ تَصَرُّفٌ فَرْدِيٌّ فَقَط كَأَنْ يَقولُ الخَائِفُ: أَنَا لَسْتُ إماميّاً ولا أَقُولُ بِهذا القَوْلِ.

أَمَّا أَنْ يَكْذِبَ عَلَى الأَئمَّةِ ويَقولَ إنَّ مِنْ قَوْلِهِم كذا وكذا وَهُوَ لَيْسَ مِنْ قَوْلِهِم، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وملائكتِهِ والنَّاسِ أَجْمعين.

نَعَمْ.. في عَصْرِ الأئمَّةَ عليهم السلام كَانَ يمكنُ بإذْنٍ مِنْ الإمَامِ نَفْسِهِ أنْ يقولَ مَا يَأمُرُهُ الإمَامُ بِقَوْلِهِ، فَإِنَّهُم عليهم السلام يَقُولُونَ وَلكِنْ لا يَكْذِبونَ قط.

فَمَنْ يَفْهَمُ يَفْهَمُ وَمَنْ لا يَفْهَمُ لا يَفْهَمُ!

فَكَانوا يَمْنَعونَ عَن أَنْفُسِهِم الخَطَرَ بِقَولٍ هُوَ عَينُهُ الحَقُّ وَلكِنْ بطرائِقَ وألفاظٍ يَعْمَى عَنْهَا الخَصْمُ يَحْسبُها لَهُ وَهِيَ عَلَيْهِ كَقَولِ عَلِيٍّ عليه السلام في تَأبينِ عُمَرَ: «عَلَيْكَ رَحْمَةُ اللهِ»: !.

نَعَمْ.. إنَّهَا عَلَيْهِ لا لَهُ وَمَا هِيَ إِذَنْ إلاَّ لَعْنَةٌ، لأنَّهُ مَنَعَ رَحْمَةَ الله مَعَ جُنُودِهِ مِنَ الانتشارِ في المَعْمُورَةِ.

فَقَولُهُ عليه السلام: «للهِ درُّ بِلادِ فُلانٍ»، فقَدْ عَلِمْتَ لِماذَا قَالَ «فُلانَ» وَلَمْ يُسَمِّهِ باسمِهِ. فَهَذَا وَحْده فِيهِ مَا فِيهِ مِنَ الإشارَةِ إلى فُلانٍ الَّذي أَضَلَّ قَرِينَهُ والمَذْكورِ في كِتَابِ اللهِ.

وَقَولُهُ: «بِلاد».. لَمْ يَقُلْ «بَلَد» للاختلافِ بَيْنَهُما في القُرْآنِ. فالبَلَدُ واحِدٌ دَوْماً وَهوَ «البَلَدُ الأَمينُ» الَّذي جاءَ في قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ٣]، وقوله تَعَالَى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ١].

أَمَّا البِلادُ فَهوَ تَعْبِيرٌ عَنْ دَولَةِ الطَّاغوتِ. قَالَ تَعالَى:

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [غافر: ٤].

والجَّمْعُ «بِلادٌ» دَليلٌ عَلَى الفُرْقَةِ لأنَّ الفاروقَ جَعَلَهُ بِلاداً لا بَلَداً وَاحِداً، وبِفَضْلِهِ تَمَّ زَرْعُ بذورِ الفِتْنَةِ. وَلِذَلِكَ قَالَ عليه السلام بَعْدَهَا: «خَلَّفَ الفِتْنَةَ»، فَهْيَ مِنْ تَرِكَتِهِ في البلادِ.

وقَولُهُ عليه السلام: «قَوَّمَ الأَوْدَ ودَاوَى العَمَدَ» مِنْ غَيْرِ إضافاتٍ مَعْلومٌ مُرادُهُ، لأنَّ هَذا هُوَ حَالُ النِّفاقِ. فَهُوَ عِنْدهُم كَذَلِكَ، وَلكنَّ الإمَامَ صَادِقٌ فَهُوَ يُحدِّثُ عَن نَفْسِهِ لا عَنْ غَيْرِهِ.

وإذن فالأوْدُ والعَمَدُ هُوَ أودُهُم وعَمَدُهُم، وَلِذَلِكَ تَرَكَ إضَافَتَهُ فَلَمْ يَقُلْ: أَوْدُ الدِّينِ أو الإسلامِ مثلاً ولا قَالَ: عَمَدُ الملَّةِ أو غَيْرِهَا.. وأعْقَبَ ذَلِكَ بالقَوْلِ: «وَأقَامَ السُّنَّةَ..» حَيْثُ تَرَكَهَا عامَّةً وَهِيَ سُنَّةُ الله في الَّذينَ خَلو مِنْ قَبْلُ، لأنَّكَ لَو رَاجَعْتَ أقْوَاله عليه السلام في السُّنَّةِ وَجَدْتَهَا جميعاً يُضيفُ فِيْهَا لَفْظَ «السُّنَّةِ» إلى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله فَيقولُ: وسُنَّةُ نَبِيِّهِ أو سُنَّةُ رَسُولِ الله كَمَا في قَوْلِهِ مِنَ الفَقَرَةِ «٢٦٦» مِنْ جُزْءِ «٤» مِنْ شَرْحِ النَّهجِ:

«..ومُحَمَّدٌ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ فَلا تُضِيعُوا سُنَّتَهُ أَقيمُوا هَذَينِ العَمُودينِ..».

فَلَمَّا تَرَكَ الإضافَةَ فَقَالَ: «أقَامَ السُّنَّةَ» فقَدْ أقَامَ السُّنَّةَ فِعْلاً!.

أَوَلَيْسَتِ السُّنَّةُ وَاقِعَةٌ عَلَى الفِتْنَةِ والفِتْنَةُ مِنَ السُّنَنِ الإلهِيَّةِ؟

وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْدَهَا مُبَاشَرَةً: «وخَلَّفَ الفِتْنَةَ». وفيها إشَارَةٌ إلى واحِدَةٍ مِنْ «مَنَاقِبِ عُمَرَ» ذَكَرَهَا الحُفَّاظُ عَلَى أنَّهَا مَنْقَبَةٌ قَالَهَا فِيهِ صَاحِبُ الرِّسَالَةِ صلى الله عليه وآله وَهِيَ قَولُهُ لعُمَرَ: **«هَذا غَلْقُ الفِتْنَةِ»** - ذَكَرَهُ السيوطيُّ في التَّاريخِ. وفي لَفْظٍ آخرَ: **«إذا ذَهَبَ هَذا خَرجَتِ الفِتْنَةُ إنَّ هَذا غَلْقُ الفِتْنَةِ»** ويُشيرُ فِيهِ إلى عُمَرَ.

فالنَّاسُ لِجَهْلِهِم ظَنُّوا أنَّ الفِتْنَةَ جَاءَتْ بِسَبَبِ عُثْمَانَ حَتَّى أنَّ بَعْضَ أربابِ الكَلام وزُعَمَاءِ المِلَلِ وجَّهوا كَلامَ أميرِ المؤمنينَ في الفِتْنَةِ إلى عُثْمَانَ جَهْلاً مِنْهُم أو تَعَصُّباً لِعُمَرَ وأبي بَكْرٍ أو عِبَادَةً لأفكارِ مَذَاهِبِهِم الَّتي عَبَدُوهَا مِنْ دونِ اللهِ. ولكي تَفْهَم هَذا الأمْرَ بِجَلاءٍ تَامٍّ سَوفَ أذْكُرُ لَكَ مِثالاً عَنْهُ مِنْ كَلامِ رَئيسٍ مِنْ رُؤساءِ الاعتزالِ هُوَ ابن أبي الحديد في شَرْحِهِ لِفَقَرَةٍ مِنْ كَلامِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام لِتَرَى بِنَفْسِكَ: هَلْ يَعْبُدُ ابنُ أبي الحديد الرَّبَّ الَّذي تَحَدَّثَ عَنْهُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله أمْ يَعْبُدُ شَيخَهُ واصِلَ بنَ عطاء؟

هَذِهِ الفَقَرَةُ مِنْ هِيَ قَولُ أميرِ المؤمنينَ في الخُطْبَةِ الأولى بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ حَيْثُ قَالَ بَعْدَ الحَمْدِ والصَّلاةِ:

«قَدْ طَلَع طالِعٌ ولَمَعَ لامِعٌ ولاحَ لائِحٌ واعْتَدَلَ مَائِلٌ واسْتَبْدَلَ الله بِقَوْمٍ قَوْماً وبِيَومٍ يَوْماً وانْتَظَرْنَا الغِيَرَ انْتِظَارَ المُجْدِبِ المَطَرَ. وَإنَّمَا الأئِمَّةُ قُوَّامُ الله عَلَى خَلْقِهِ وعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ ولا يَدْخلُ الجَنَّةَ إلاَّ مَنْ عَرَفَهُم وعَرَفوهُ ولا يَدْخلُ النَّارَ إلاَّ مَنْ أنْكَرَهُم وأنْكَروه».

نهج البلاغة/ الخطبة ١٥٢/ ج ٣/ ٢٣٨

قَالَ الشَّارِحُ: «قَولُهُ انتَظَرْنَا الغيَرَ انتظارَ المُجْدِبِ المَطَرَ: هَذا الكَلامُ يَدلُ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَتَربَّصُ بِعُثْمَانَ الدَّوَائِرَ ويَرْتَقِبُ حِلولَ الخُطوبِ بِسَاحَتِهِ».

ورَاحَ الشَّارِحُ يُحَاوِلُ الإجابةَ عَلَى هَذا الإشْكَالِ وتَنَاقُضِهِ مَعَ الواقِعِ التَّاريخيِّ الَّذي دَافَعَ فِيهِ عَلِيٌّ عليه السلام عَنْ عُثْمَانَ مراراً ومَنَعَ مِنْهُ الثُّوَّارَ.

وَذَلِكَ أَنَّ الشَّارِحَ ظَنَّ أَنَّ أَوَّلَ الكَلامِ: **«طَلَع طالِعٌ ولَمَعَ لامِعٌ ولاحَ لائِحٌ واعْتَدَلَ مَائِلٌ»** - هُوَ بِمَعْنًى واحِدٍ وَقَالَ: «هُوَ إِشَارَةٌ إلى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الأُمورُ مِنَ الاعوجَاجِ أَوَاخِرِ أَيّامِ عُثْمَانَ، واستَبْدَلَ الله بعُثْمَانَ وشِيعَتِهِ عَلِيّاً وشِيعَتَهُ فَلِذَلِكَ قَالَ عليه السلام: استَبْدَلَ الله بيومٍ يَوماً وبقومٍ قَوْماً».

أَقُولُ: كُلُّ ذَلِكَ يَزْعمُهُ الشَّارِحُ مِنْ أَجْلِ الإبْقاءِ عَلَى صِحَّةِ خِلافَةِ أَبي بَكْرٍ وعُمَرَ، بَلْ والشَّطْرِ الأوَّلِ مِنْ خِلافَةِ عُثْمَانَ مَعَ أَنَّ النصَّ لا يُشيرُ مِنْ قَريبٍ ولا مِنْ بَعِيدٍ إلى أَيَّةِ فَتْرَةٍ مُحَدَّدَةٍ، بَلْ هُوَ عَامٌّ، بَلْ هُوَ لَو تَمعَّنْتَ يُشيرُ إلى «طَالِعٍ ولائحٍ ولامِعٍ» كَانَ مُخْتَفِياً طوال الوَقْتِ. وبالتَّالي فإنَّ «المَائِلَ واليَومَ والقَوْمَ المَبَدَّلين» هُمْ كُلُّ الَّذينَ سَبَقُوهُ فانْتَبِهْ.

وَلِذَلِكَ قَالَ إنَّ مَعْرِفَةَ الإمَامِ المَفروضِ الطَّاعَةِ وَاجِبَةٌ عَلَى المُسْلِمِ وإنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إلاَّ إذا عَرَفَ أَئِمَّةَ الحَقِّ وعُرَفَاءَ الله عَلَى العِبَادِ ومَنْ أَنْكَرَهُم دَخَلَ النَّارَ.

بَلْ حَصَرَ الدُّخولَ إلى الجَنَّةِ والنَّارِ بِمَعْرِفَتِهِم أو إِنْكَارِهِم عَلَى التَّرْتيبِ بأَدَاةِ

الحَصْرِ فَقَالَ: **«لا يَدْخلُ الجَنَّةَ إلاَّ مَنْ عَرَفَهُم وعَرَفُوه»** وَقَالَ: **«لا يَدْخِلُ النَّارَ إلاَّ مَنْ أَنْكَرُهم وأَنْكَروه»**.

قَالَ الشَّارِحُ: «هَذِهِ إِشَارَة إلى قوله تَعَالَى:

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١].

فقَدْ قَالَ المَفسِّرونَ: يُنَادَى في المَوقِفِ يَا أَتْبَاعَ فُلانٍ ويا أَصْحَابَ فُلانٍ. فَيُنَادَى كُلُّ قَوْمٍ باسمِ إمامِهِم ويَقولُ أميرُ المؤمنين: **«لا يَدْخلُ الجَنَّةَ إلاَّ مِنْ كَانَ عَارِفاً بِإِمَامِهِ»**.

ثُمَّ قَالَ: «وأَصْحَابُنَا كافَّةً قَائلونَ بِهَذِهِ القَضِيَّةِ وصِحَّتِهَا وَهْيَ أَنَّهُ لا يَدْخلُ الجَنَّةَ إلاَّ مَنْ عَرَفَ الأَئِمَّةَ. أَلا تَرَى أَنَّهُم يَقُولُونَ: الأَئِمَّةُ بَعْدَ رَسُولِ الله فُلانٌ وفُلانٌ وفُلانٌ ويَعدُّونَهُم وَاحِداً وَاحِداً. فَلَو أَنَّ إنْسَاناً لا يَقولُ ذَلِكَ لَكَانَ عِنْدَهُم فاسِقاً والفاسِقُ لا يَدْخلُ الجَنَّةَ عِنْدَهُم أَبَداً. وجَاءَ في الخَبَرِ المَرْفوعِ عَنِ النبيِّ ﷺ: مَنْ مَاتَ بِغَيْرِ إمَامٍ مَاتَ مَيتَةَ جاهليَّةٍ.».. انتهى المَقْصودُ مِنْ كلامِهِ.

أَقُولُ: انْظُرْ إلى غَرَابَةِ هَذا التَّفسِيرِ فَكَأَنَّهُ يَزْعمُ أَنَّ مَنْ عَرفَ الإمَامَ المُنْتَخَبَ دَخَلَ الجَنَّةَ!

وبالطَبْعِ فَكُلُّ الخَلْقِ يَعْلَمونَ الإمَامَ بَعْدَ انتخابِهِ فَهَلْ يَدْخلُ الجميعُ إلى الجَنَّةِ؟

أَم المَقصودُ مِنْ كلامِهِ عليه السلام أَنَّ الواجِبَ مَعْرِفَةُ الإمَامِ الحَقِّ سَوَاء انْتَخَبَهُ النَّاسُ أَمْ لَمْ يَفْعَلوا؟..

فَيَا لِغَبَاءِ العُقولِ إذا عَمِيَتِ القُلوبُ!

إن هَذا الشَّارِحَ يُريدُ إرضاءَ نَفْسِهِ والمُطابَقَةَ مَعَ مَذْهَبِهِ في الاعتِزَالِ، لأَنَّهُ قَالَ: «وإنْ قُلْنَا غَيْرَ ذَلِكَ فَهُوَ عَيْنُ قَولِ الشِّيْعَةِ!».

إِذَنْ فَلْيُخَالِفَ المَنْطِقَ وليَكْذِبْ عَلَى عَلِيٍّ بنِ أَبي طَالِبٍ وليُسَوِّفَ ويُزَوِّرَ الأَقْوَالَ حَتَّى لا يُطَابِقَ كَلامُ الإمَامِ آراءَ الشِّيْعَةِ!!

وَأَمَّا قَولُهُ عليه السلام: **«ولا يَدْخلُ النَّارَ إلاَّ مَنْ أنْكَرَهُم وأنْكَروه»**.. فَهُوَ أَوْضَحُ ويُنَاقِضُ مَا ذَهَبَ إليه الشَّارِحُ، وَلِذَلِكَ تَورَّطَ فِيهِ فَقَالَ: «وَلَيْسَ في ذَلِكَ القَولِ إشْكَالٌ عِنْدَ أَصْحَابِنَا وَلكنَّ الإشْكَالَ في قَوْلِهِ **«ولا يَدْخلُ النَّارَ إلاَّ مِنْ أنْكَرَهُم وأنْكَروه»**!

وزَعَمَ أنَّ إنكارَهُم لَهُ وإنكارَهُ لَهُم يَتِمُّ في يَوْمِ القِيَامَةِ بِسَبَبِ أعْمَالِهِم وادَّعَى أنَّ هَذا التَّأويلَ هُوَ الوَحيدُ المُمْكِنُ للحفَاظِ عَلَى رَأيِ السَّلَفِ في صِحَّةِ خِلافَةِ الصِدِّيقِ والفاروقِ!

أَلا تَعْجَبُ أخي القارئُ مِنْ تَزْويرِ هَذِهِ الأُمَّةِ وكذْبِهَا عَلَى أَولياءِ الله وَعَلَى الله ورسولِهِ؟

وصَاحِبُ هَذا القَولِ هُوَ نَفْسُهُ صَاحِبُ الشِّعْرِ المَارِّ ذِكْرُهُ آنِفاً والذي عَدَّدَ فِيهِ مَثَالِبَ أبي بَكْرٍ ومَنَاقِبَ عَلِيٍّ.

فَمَاذَا تُسَمِّي هَؤُلاءِ؟..

جَهَلَةً أَمْ مُنَافقينَ أَمْ عُمْيَانَ أَمْ أَغْبِيَاءَ أَمْ هُوَ قَوْمٌ تُحَرِّكُهُم الأَهْوَاءُ والانتماءَاتُ القَبَلِيَّةُ أَمْ هُمْ قَوْمٌ وَلَعُوا بالخَلْطِ بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ؟

وَهَلْ تَحْسَبُ أنَّ الآخِرِينَ أَقَلُّ إمْعَاناً في هَذا الخَلْطِ مِنْ أَبي الحديد ذي العَقْلِ البَليدِ؟!!

وأَعودُ إلى الأَصْلِ:

وَأَمَّا قَولُهُ عليه السلام: **«أَصَابَ خَيْرَهَا وسَبَقَ شَرَّهَا..»** فالضَّمَائِرُ تَعودُ إلى الولايَةِ، حَيْثُ أَصَابَ مِنْهَا الخَيْرَ الَّذي جَاءَ بِهِ البَشِيرُ النذيرُ وسَبَقَ الشَّرَّ الَّذي

قَامَ هُوَ بتأسيسِ أركَانِهِ ويُفَسِّرُهُ قَولُهُ اللاحِقُ وَهُوَ: **«أَدَّى إلى الله طَاعَتَهُ واتَّقاه بِحَقِّهِ»**.

فَيَا لَهَا مِنْ كَلِمَةٍ جامِعَةٍ تَدلُّ دَلالَةً واضِحَةً عَلَى أَنَّهُ أَكْفَرُ خَلْقِ الله في التَّاريخِ، لأنَّهُ لَمْ يُؤَدِّ إلى الله الطَّاعَةَ - طَاعَةَ نَفْسِهِ، بَلْ أَدَّى إلى الله طَاعَةَ الله، وَلَمْ يَتَّقِ الله بِحَقِّ نَفْسِهِ، بَلْ بِحَقِّ الله ذاتِهِ وَهَذا مُنتَهَى الطُّغيانِ والكُفْرِ.

فَعَجَباً لِمُحَمَّد عَبْدَه وابنِ أَبي الحديد، بَلْ عَجَباً لأَسَاطينِ الشِّيْعَةِ وهم يُفَسِّرونَ كَلامَ أميرِ المؤمنينَ بِغَيْرِ مُرَادِهِ، بَلْ بِخِلافِ مُرَادِهِ وهُمْ يَزْعمونَ أَنَّهُم يُحِبُّونَ عَلِيَّ بنَ أَبي طَالِبٍ ويُعَظِّمُون قَدرَهُ!

ثُمَّ يَأتي هَذا الكَاتِبُ الكاذِبُ والمُلَفِّقُ النَّاصِبُ فَيَأخُذُ أَقوالَهُم ويَدَّعِي التَّجديدَ في التَّنظيرِ للشُّورَى ومِنْ كَلامِ عَدُوِّ الشُّورَى اللَّدودِ الإمَامِ عَلِيِّ بن أَبي طَالِبٍ!

وَمَا عِشْتَ أَرَاكَ الدَّهْرُ عَجَباً!

فانْظُرْ إلى تخريجِ ميثَمِ البحراني الَّذي هُوَ أَعْجَبُ!

بلى.. إنَّ الأَمْرَ لَكَمَا قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام:

«العِلْمُ عِلْمَانِ: مَطْبوعٌ ومَسْموعٌ ولا يَنْفَعُ المَسموعُ إذا لَمْ يَكُنِ المَطْبوعُ».

النهج/ الفقرة ٢٧٨/ ج٥/ ٥٧٧

إِنَّهُم عُلَمَاءُ بَيْدَ أَنَّهم عُلَمَاءُ عِلْمٍ مَسْموعٍ وَلَيْسَ عِنْدَهُم ذَرَّةٌ مِنَ العِلْمِ المَطبوعِ، بَلْ طَبَعَ عَلَى قلوبِهِم فَهُم لا يَفْقَهون.

ثُمَّ خَتَمَ عليه السلام كلامَهُ بالقَوْلِ: **«فَتَرَكَهُم في طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ لا يَهْتَدي بِهَا الضَّالُ ولا يَسْتَيقِنُ المُهْتَدِي»**.

وَهَذا مُنْتَهَى الذَّمِّ وَهُوَ واضِحٌ جِدّاً إلى حَدٍّ يَسْتحيلُ مَعَهُ إمكَانُ تأويلِهِ لِيُطَابِقَ مَا زَعَمُوهُ مِنَ المَديحِ في مَا سَبَقَهُ مِنْ كَلامٍ.

واللهِ لا أَسْتَحِي أَبَدَاً أنْ أَصِفَ الشُّرَّاحَ بِوَاحِدَةٍ: إمَّا النِّفَاقُ وإمَّا الغَبَاءُ وألاَّ فَلَنْ أَقْبَلَ بِأَنْ أكونَ مِثْلَهُم فَأَكْذِبَ حَتَّى لَو كُنْتُ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الملَّةِ ولا شَأْنَ لي بِصَرَاعِ القَوْمِ. . .

فَكَيفَ وأَنَا أَتشَرَّفُ بالانتسابِ إلى دِينِ الإسلامِ وهَوَايَ أنْ يَمُنَّ الله عَلَيَّ بالرِّضَا والغُفْرَانِ؟

لِنَرْجعَ إلى الأَصْلِ في الفَقَرَةِ «ت» - الأَمْر السَّادِس.

الصّفَةُ السَّادِسَةُ:

قَولُهُ عليه السلام في وَصْفِ أَهْلِ البَيْتِ عليهم السلام: **«واسْتَرْعَاهُم عِبَادَهُ. . »**.

مَعْلومٌ أنَّ اللَّفْظَ هُنَا مَقْصُودٌ أيْ جَعَلَ العِبَادَ هُمُ الرَّعِيَّةَ وَأَهْلَ البَيْتِ هُمُ الرُّعَاةُ لُطْفاً بالعِبَادِ وتَحَنُّناً مِنْهُ عَلَيْهِم. وَلكِنْ لا تَحْسَبْ أنَّ العِبَادَ هُمْ كُلُّ الخَلْقِ، بَلْ مَنْ أَرَادَ الدُّخولَ في طاعتِهِم فَهْوَ مِنْ عِبَادِ الله، وإلاَّ فَهْوَ مِنْ عِبَادِ الشَّيْطَانِ، ويَثْبتُ هَذا الفَرق في القُرْآنِ بَيْنَ العَبيدِ والعِبَادِ فَتَدَبَّرْ.

الصّفَةُ السَّابِعَةُ:

قَولُهُ عليه السلام: **«وَجَعَلَهُم طَيِّبِينَ. . »**.

ومَرْجِعُ هَذا إلى كِتَابِ اللهِ. . . إنَّ فِعْلَهُم هُوَ الطَّيِّبَاتُ فَقَط. وَلَو تَدَبَّرْتَ القُرْآنَ لوَجَدْتَ الآياتِ المَذْكورِ فِيْهَا هَذا اللَّفْظ كُلَّهَا فيهِمْ عليهم السلام.

الصّفَةُ الثَّامِنَةُ:

قوله عليه السلام: **«أَوْجَبَ عَلَى النَّاسِ حَقَّهُم. . »**.

ذَلِكَ أنَّ الحُجَّةَ لَيسَتْ قَائِمَةً عَلَى المؤمنينَ خَاصَّةً ولا التَّابعينَ لِخَاتَمِ النبيينَ تَحْديداً، بَلْ عَلَى كُلِّ الخَلْقِ. وَلِذَلِكَ قَالَ «النَّاسَ» وَلَمْ يَقُلْ «أَهْلَ الإسلام» أو «الملَّةَ» أو «العَرَبَ». . الخ. وَهَذا الوُجوبُ في الحَقِّ لا مُبَرِّرَ لَهُ، بَلْ مُحالٌ لَو كَانَ الأَمْرُ شُورَى.

وَلكِنْ قَدْ يقولُ القائِلُ: فَكَيفَ جمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ بَيْنَ قُبولِ قَولِ عَلِيٍّ عليه السلام في الشَّرَائِعِ وسِوَاهُ مِنَ الصَّحَابَةِ ورَفَضوا أقوالَهُ هَذِهِ؟

أَقُولُ: مَاذَا تَعْني بأَهْل السُّنَّةِ؟

أَوَلا تَدْرِي أنَّ «أَهْلَ السُّنَّةِ» هُوَ لَفْظٌ مُوهِمٌ جِدَّاً.. فإِنِّي وَجَدْتُ بَعْضَهُم يَتَشَيَّعُ سِرّاً، وبَعْضَهُم يَدْعُو للتَّشَيُّعِ بطريقَتِهِ الخَاصَّةِ وإنْ كَانَتْ عَجِيبةً تَدلُّ عَلَى الخَوفِ والجُبْنِ مِنْ قَولِ الحَقِّ، وبَعْضَهُم ضَالاً مُتَحَيِّراً لا يَدْري، وبَعْضَهُم راضٍ بِمَا عِنْدَهُ ولا يُرِيدُ مَعْرِفَةَ المَزيدِ ولا التَّحْقيقَ فيما عِنْدَهُ، وبَعْضَهُم عَابِدَ صَنَمٍ، وبَعْضَهُم مُناصِباً العَدَاوَةَ لأَهْلِ البَيْتِ، وبَعْضَهُم أَهْلَ شِقَاقٍ ونِفَاقٍ.

وعِنْدِي: لَيْسَ هُنَاكَ شِيْعَةٌ وسُنَّةٌ حَقّاً، بَلْ هُنَاكَ دَرَجَاتٌ مِنَ الإيمانِ ودرجاتٌ مِنَ الكُفْرِ، وَهْيَ مبثوثَةٌ عِنْدَ كُلِّ الطَّوَائِفِ.

فَهَلْ تَقْدِرُ أَيُّهَا المُعْتَرِضُ أنْ تصوغَ لي نَظَرِيَّةً مُتَكَامِلَةً واحِدَةً لا خِلافَ فِيْهَا في أَيَّةِ مَسْأَلَةٍ مِنْ مَسَائِلِ الدِّينِ وتَقولَ: «هَذِهِ هِيَ نَظَرِيَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ»؟

لا.. ورَبِّكَ لا تَستطيع!

فإذا لَمْ تَخُنْكَ الفِئَاتُ في هَذا الزمانِ خَانَكَ التَّاريخُ. رُبَّمَا يكونُ عَدَدُ المَذَاهِبِ الفِعْلِيَّةِ بِعَدَدِ الخَلْقِ! ولا أَقَلَّ مِنْ أنْ يَكُونُوا بِعَدَدِ كُلِّ ناعِقٍ لَهُ فِئَةٌ تَابِعَةٌ!.

نَعَمْ.. إنَّ الَّذينَ يَجْمَعونَ حُبَّ عَلِيِّ بنِ أَبي طَالِبٍ مَعَ حُبِّ أَعْدَائِهِ ويَخْتَارونَ مِنْ كلامِهِ مَا أَعْجَبَهُم - إذا أَعْجَبَهُم قالوا: مَا أَحْسَنَهُ، وإذا لَمْ يُعْجِبْهُم قالوا: هَذا لَيْسَ مِنْ كلامِهِ - لا يَخْتَلفونَ بِشَيءٍ عَن كُلِّ الَّذينَ قَالوا للرُّسُلِ حِينَمَا لَمْ تُعجِبْهُم دَعْوَتُهُم: هَذا لَيْسَ مِنْ قَولِ اللهِ وإنَّ اللهَ لَمْ يُرْسِلْكُم وَأَنْتُم تكْذِبون!

لَيسَتْ هُنَاكَ أَيَّةُ مُشْكِلَةٍ في الدِّينِ!

المُشْكِلَةُ في النفوسِ الَّتي كُلٌّ مِنْهَا يُريدُ أنْ يَكُونَ إمَامَاً لِنَفْسِهِ ولِغَيْرِهِ!

هُنَاكَ سَيُبْتَلَى الخَلْقُ وَهُنَاكَ تَنْكَشِفُ النَّوَايَا . . أَمَّا الآنَ فاعْمَلوا مَا شِئْتُم إنَّهُ خَبيرٌ بِمَا تَفْعَلون.

الصِّفَةُ التَّاسِعَةُ:

قَولُهُ عليه السلام: **«أَوْجَبَ مَوَدَّتَهُم»**.

لقَدْ قُلْتُ سَابِقَاً: إنَّ وجوبَ مَودَّةِ قَوْمٍ يَجِبُ التوقُّفُ عِنْدَهُ والتَّفكيرُ في سَبَبِهِ. فإنَّ هَذا الوجوبَ مِنْ أَصْعَبِ التَّكَاليفِ، بَلْ هُوَ عِنْدِي أَصْعَبُ تَكْليفٍ شَرْعِيٍّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مُطْلَقَاً. ذَلِكَ لأنَّهُ لَيْسَ بِمَقْدُورِ المرءِ أنْ يُحِبَّ وأَن يَكْرَهَ كَمَا يَشَاءُ. فالحُبُّ والكُرْهُ هُمَا مِنَ المَشَاعِرِ اللاإرادِيةِ.

ومُحَالٌ أنْ يَأْمُرَ الله بمودَّةِ كائِنٍ يمكنُ أنْ يخطئَ ولو بالنَّظْرَةِ أو الخَلْجَةِ، لأنَّها مَدْعَاةٌ للبُغْضِ، فَلَو قَطَّبَ شَخْصٌ بِوَجْهي فإنَّ ذَلِكَ يَدْعوني لبُغْضِهِ بِدَرَجَةٍ مَا!

فَكَيفَ يَأْمُرُ الله الخَلْقَ أن يُحِبُّوا شَخْصَاً مَا مِنْ بَنِي البَشَرِ؟

هَذا محالٌ. . اللَّهُمَّ إلاَّ أنْ يَكُونَ هَذا الشخْصُ يُحِبُّهُ الله جِدَّاً وتُحِبُّهُ المَلائِكَةُ ولا يَظْلِمُ مِقْدَارَ ذَرَّةٍ ولا يُحْتَمَلُ مِنْهُ أنْ يُقَطِّبَ حاجِبَهُ في يَوْمٍ مَا إلاَّ بالحَقِّ ولِلْحَقِّ! بحَيثُ إنَّ المُبْغِضَ لَهُ ظَالِمٌ والمُحِبَّ لَهُ عَادِلٌ ومُحِبٌّ للهِ ولِلْحَقِّ.

يَا قَوْمُ إنَّكُم تَبْحَثونَ عَن دَليلٍ عَلَى العِصْمَةِ!

سُبْحَانَ اللهَ!

إنَّ دَلائِلَ العِصْمَةِ بِعَدَدِ الشَّجَرِ والحَصَى والمَدَرِ ولَكِنَّكُم عُميانٌ. . فإنَّ آيَةَ المَوَدَّةِ وحْدَهَا دَليلُ العِصْمَةِ!.

دَعوا هَذا جَانِبَاً!

فإنّي أتحدَّاكُمْ أمَامَ كُلِّ أُمَمِ العَالَمِ أنْ تأتوني بِفِعْلٍ واحِدٍ لِرَسولِ الله أو عَلِيِّ بنِ أبي طَالِبٍ فِيهِ خَطَأٌ مَا وليكونَ كِتَابُ الله هُوَ الحَكَمُ بَيْنَنَا وبَيْنَكُم.

وفي عَيْنِ الوَقْتِ أتحدَّاكُم أنْ تأتوني بِعَمَلٍ واحِدٍ للثَّلاثَةِ الَّذينَ سَبَقُوا خَالِصٍ لوَجْهِ الله ولا قَدَحَ ولا مَغْمَزَ فِيهِ لأحَدٍ والحَكَمُ بيننا هُوَ كِتَابُ الله والتَّاريخُ!

مَا لَكُمْ لا أبَاً لَكُمْ أعْمَاكُمُ الله في كُلِّ اتِّجَاهٍ فَلا تَتَّقونَ مَا بَيْنَ أيدِيكُم وَمَا خَلْفَكُم!!

ث - وَمِنْهَا قوله عليه السلام:

إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بالأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاؤوا بِهِ ثُمَّ تلا عليه السلام: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ قَالَ: إنّ وليَّ مُحمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ الله وإنْ بَعُدَتْ لحمَتُه وإنَّ عَدُوَّ مُحمَّدٍ مَنْ عَصَى الله وإنْ قَرُبَتْ قرابَتُهُ.

نهج البلاغة/ الخطبة ٩٢/ ج٥/ ٣٧٣ مِنْ شَرْحِ ابنِ أَبي الحديد

أَقولُ: هَذِهِ هِيَ قاعِدَةُ الولايَةِ، فَهوَ عليه السلام لا يَحْتَجُّ عَلَى الإمَامَةِ بالقَرَابَةِ ولا يَرَى الولايَةَ لِمُحَمَّدٍ إلاَّ بِطَاعَةِ الله وَلكِنْ لا يَعْلَمُ ذَلِكَ إلاَّ عَالِمُ النُّفوسِ.

فَلا أَحَدٌ يُزَكِّي نَفْسَهُ، لأنَّ الله تَعَالَى نَهَى عَن تَزْكِيَةِ النَّفْسِ فَقَالَ:

﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

فَكَيفَ يَزْعمُ هَذا الأَفَّاكُ الكَذوبُ أنَّ النَّاسَ قادرونَ عَلَى انْتِخَابِ شَخْصٍ مَا لولايَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ويُزَكُّونَهُ مِنْ تِلقاءِ أنْفُسِهِم مَعَ أنَّ أكْثَرَهُم فاسقونَ ومُنَافِقونَ وشَاكُّونَ؟!

فَمِنَ الطبيعيِّ مَعَ نَزَاهَةِ الانتخاباتِ أنْ لا يَفوزَ إلاَّ مُمَثِّلُ الأكثريَةِ الفاسِقَةِ..

فَكَيفَ **«والمُشيرون غُيَّبٌ»** كَمَا قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام؟

هَذا هُوَ قانونُ الله وَأَنْتُم تَفْتَرونَ عَلَى الله الكَذِبَ لا غَيْر!!

قَالَ تَعالَى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾ [النساء: ٤٩-٥٠].

لا جَرَمَ أنْ يَقولَ هَذا القَولَ أكثريةُ الأُمَّةِ، لأنَّها حَطبُ جهَنَّمَ. فالأكثريةُ هُمْ أَهْلُ الباطِلِ. قَالَ تَعالَى:

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢].

﴿. . . وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٩].

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

وقَرَّرَ القُرْآنُ في أَكْثر مِنْ ثلاثينَ آيَةً أنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون وأَنَّهُم فَاسِقُونَ وكَافِرُونَ ولا يَسْمَعُونَ ولا يَعْقِلونَ ولا يَشْكُرُونَ ولا يُؤْمِنُونَ:

فَأَيْنَ تَضَعُونَ هَذِهِ الآياتِ؟

أَمْ تَقولونَ: إِنَّهَا تَخصُّ النَّاسَ كُلَّهُم وإِنَّ الَّذينَ آمنوا بمحمّدٍ ﷺ قَدْ خَرَجُوا مِنْ هَذا الوَصْفِ؟

هيهات. . !

فَمِنْ أَيْنَ لَكُمْ عِلْمٌ بالمُنافِقِينَ وأَعْدادِهِم وَهُوَ يُؤَكِّدُ: إِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ لا تَعْلَمُهُم، إِنَّمَا الَّذي يَعْلَمُهُم هُوَ الله؟

فَلِمَاذَا إِذَنْ نَافَقُوا إِذا كانوا قَدْ كَشَفُوا لَكَ أَنْفُسَهُم؟

إِنَّمَا رَحِمَكُم الله فَأَخبَرَكُم بالوَلِيِّ لإِحْباطِ مُؤَامرَاتِهِم عَلَيْكُم. فإِنْ أَبَيْتُم ورَدَدْتُم هَدِيَّةَ الله ونِعْمَتَهُ كَفَرْتُم وكُنْتُم مِنْ أُولَئِكَ المَوصُوفِينَ بِهَذِهِ الأَوصَافِ.

فَمَنْ يَرْفَعُ مِنْكُم عَقِيرَتَهُ ويُحَاجِجُنِي في هَذا؟

مَنْ مِنْكُم يَردُّ عَلِيَّ هَذا الدَّلِيلَ الصَّارِخَ في الإِمَامَةِ؟!

مَنْ مِنْكُم يُحَاجِجُني في كِتَابِ الله؟!

أَتَحدَّاكُم أنْ تَأتوا بِشَطْرِ آيَةٍ تَزْعمونَ أَنَّهَا لَكُمْ وَهْيَ لَيسَتْ إلاَّ عَلَيْكُم بِشَرْطِ أَنْ لا تُفَسِّرُوهَا إلاَّ في مُجْمَلِ نِظَام القُرْآنِ ولا تَتَنَاقَضُ مَعَ آيَةٍ أُخْرَى!!

فَإِنَّهُ لا طَرِيقَ لَكُمْ إلاَّ أَنْ تَكْفروا بالقُرْآنِ قَبْلَ الإِمَامَةِ، ومُحَالٌ أَنْ تَتَمَكَّنوا مِنَ الكُفْرِ بالإِمَامَةِ مِنْ دونِ القُرْآن.

وَلِذَلِكَ لَمْ يَأْتِ الكَاتِبُ النَّاصِبُ بآيَةٍ واحِدَةٍ مِنْ كِتَابِ الله ولا الحَدِيثِ الشَّريفِ. وكُلُّ مَا جاءَ بِهِ هُوَ أَقْوَالُ رِجَالٍ. فَهُوَ عَابِدُ أَوْثَانٍ شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ بِفِعْلِهِ. قَالَ تَعَالَى:

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾ [يس: ٦-٧].

لَكِنَّهُم يَا هَذا دَخلوا الإِسْلامَ وأَصْبَحَتِ الكَثْرَةُ مِنْ أَهْلِ الدِّين فَهَلْ تُكَذِّبُ اللهَ؟!

لِماذَا لا تُقولُ للهِ: أَنتَ كَاذِبٌ لأَنَّك قُلْتَ لا يُؤْمِنونَ وَلَكِنَّهُم آمَنوا ودَخلُوا في الإِسلامِ بَعْدَ الفَتْحِ جَمِيعاً ودَخلوا الدِّينَ أَفْوَاجاً؟!

نَعُوذُ باللهِ مِنْ شَطَطِ القَولِ وحَاشَا للهِ أَنْ يَجرؤ عَلَى قُدْسِهِ الكَافِرون.

أَلَسْتُمْ تَقولونَ إِنَّ سُورَةَ النَّصْرِ هِيَ في فَتْحِ مَكَّةَ وقَدْ نَزَلَتْ تُبَشِّرُ بِهَذا الفَتْحِ؟

فَتُعْساً لَكُمْ وتَبّاً لِعِقولِكُم فإنَّكُم تَقُولونَ هَذا في الشَّرْحِ وَتُثْبِتُونَ في نَفْسِ المُصْحَفِ أَنَّها نَزَلَتْ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ[1]!!

ذَلِكَ أَنَّ الله أَعْماكُم وأَصَمَّكُم وجَعَلَ كُلَّ أقوالِكُم حُجَّةً عَلَيْكُم.

فَمَنْ هُمُ القَوْمُ الَّذينَ قَالَ الله فيهِم: لتُنْذِرَ قَوْماً ما أُنْذِرَ آباؤُهم؟ وَمَنْ هُمُ الَّذينَ حَقَّ القَولُ عَلى أكْثَرِهِم؟

مَعْلومٌ إنَّ الانتخابَ لا غَايَة مِنْهُ إلاَّ إِعادَةَ الجَّاهليَّةِ والقَضَاءَ عَلَى الدِّينِ. وَهَذا الأَمْرُ واضِحٌ مِثْلُ وضوحِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بالنِسْبَةِ لَنَا ولا يَشكُّ فِيهِ إلاَّ شاكٌّ بِمُحَمَّدٍ أَصْلاً، وَلكِنَّهُ لا يَقْدِرُ عَلَى التَّصْريحِ فَيَتَّخِذُ هَذا الطريقَ!

وَهَذا مِنْ طَبيعَةِ البَاطِلِ فَإِنَّهُ دَوْماً مُخَاتِلٌ جَبَانٌ رِعْديدٌ لا يُصَرِّحُ بآرائِهِ مُبَاشَرَةً، وَإِنَّمَا يَسْتُرُهَا بِسِتَارِ الحَقِّ. وقَدْ أَلْبَسَ أَسْلافُكُم الحَقَّ بالبَاطِلِ فَمَا أَغْنَى ذَلِكَ عَنْهُم شيئاً إلاَّ مَتاعَ الدُّنْيا فَأَكَلوا وتَمَتَّعُوا «كَما تَأْكُلُ الأَنْعَامُ والنَّارُ مَثْوَى لَهُم».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢]

لِذَلِكَ قَالَ الإمَامُ عَلِيٌّ عليه السلام:

«إعرِفْ الحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَه».

فاعرِفْ مَنْ هُوَ الَّذي اخْتَارَهُ الله لولايَةِ مُحَمَّدٍ، وَلَنْ تَعْرِفَهُ مَا لَمْ تَعْرِفْ أَنَّ الله لا بُدَّ أَنْ يَخْتَارَ ولا يَتْرُكُ الخيرَةَ للنَّاسِ لأَنَّهُ لَو فَعَلَ لَنَاقَضَ فِعْلُهُ هَذا كُلَّ مَا فَعَلَهُ مِنْ قَبْل، لأَنَّ الإمَامَ عَلِيّاً عليه السلام مَا احْتَجَّ بالقُرْبَى ولا احْتَجَّ باللحْمَةِ ولا بالصُحْبَةِ وَإِنَّما احْتَجَّ بالحَقِّ!.

---

(١) سَبَقَ وأنْ بيَّنَ المؤلِفُ بالتفصيلِ هذا الأمرِ في كتابِهِ الآخر «طور الاستخلاف» فراجع أوائله لتجدَهُ جليّاً.

فَلَمَّا احْتَجُّوا بالصُحْبَةِ تَنَاقَضوا، لأنَّهُ أَيْضاً قَدْ سَبَقَهُم جميعاً بالصُّحْبَةِ!

فَلَمَّا احْتَجُّوا عَلَى الأنصَارِ تَنَاقَضوا مَرَّةً أُخرَى، لأَنَّهُمْ احتَجُّوا عَلَيْهِم بالقُرْبَى لأنَّ الأنصارَ سَبَقوهُم بالصُحْبَةِ والنَّصْرِ للنبيِّ ﷺ ويَبْقَى الَّذي اخْتَارَهُ الله أَيْضاً هُوَ الأَقْرَبُ بِهِ نَسَباً.

فالقَاعِدَةُ لَيْسَتْ بالقُرْبَى ولا بالصُحْبَةِ، وَإِنَّمَا الأَوْلى بِهِ هُوَ الأَكْثَرُ طَاعَةً لِلَّهِ ولا يَعْلَمُهُ إلاَّ اللهُ، وقَدْ بَيَّنَهُ في كتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسولِهِ وشَهِدُوا أَنَّهُ قَامَ في غَديرِ خُمٍّ فَوَلاَّهُ عَلَيْهِم، وشَهِدوا أَنَّهُم أَرَادوا التَّمَلُّصَ مِنْ هَذا الأَمْرِ وأَنَّهُ ﷺ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُم كِتَاباً فِيهِ فَمَنَعُوه مِنْهُ!

وَلكنَّ الحَمْقَى سَيقولونَ: لِماذَا لَمْ يُصِرّ النَبِيُّ ﷺ عَلَى كِتَابَةِ هَذا الكِتَابِ حَتَّى لَو خَالَفوهُ وامْتَنَعُوا؟:!.

نَعَمْ.. إنَّ الَّذينَ يَسْأَلونَ هَذا السُّؤالَ هُمْ حَمْقَى بالفِعْلِ، لأنَّ الخَلْقَ إذا أَصَرُّوا عَلَى رَفْضِ رَحْمَةِ الله فَلا إجْبَارَ!

تُرَى مَاذَا تَفْعَلُ لِشَخْصٍ تُريدُ أنْ تُقَدِّمَ لَهُ هَدِيَّةً عَظيمَةً نافِعَةً وَهْوَ يُدْبِرُ عَنْكَ ويَصْرَخُ ويَسْتَغيثُ ويَدَّعِي أَنَّكَ تُريدُ لَهُ الشَّرَّ وأَنَّكَ وَضَعْتَ في هَذِهِ الهَدِيَّةِ مَكِيدَةً؟::!!

أَلا تَقولُ لَهُ: إذْهَبْ إلى الجَحيمِ فَإِنَّكَ لا تَسْتَحِقُّ هَذِهِ الهَدِيةَ؟ أَمْ أَنَّكَ سَتُحَاوِلُ إجبارَهُ عَلَى قُبولِهَا؟.

وَمَاذَا يَنْفَعُ الإجْبَارُ فَإِنَّهُ سَيقومُ بِتَحطيمِ الهَدِيَّةِ وإتْلافِهَا مَا دام يَرَاكَ عَدُوّاً لا حَمِيماً!

سَتَقولُ: وَمَا ذَنْبُ المؤمنينَ إِذَنْ حَيْثُ حُرِمُوا مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ؟!

نَعَمْ.. ذَنْبُهُم أَنَّهُم سَكَتُوا ووَهَنُوا وَضَعفوا واسْتَكانوا!!

ومَنْ هُمْ يَا هَذا؟

إِنَّهُم ثَلاثَةٌ فَقَط! وَمَعَ ذَلِكَ دَبَّ الشَكُّ في أَحَدِهِم إلى الضُّحَى!

سَتَقولُ: وَمَا ذَنْبُ الَّذينَ لَمْ يَهِنوا وَلَمْ يَضْعفوا؟!

الجَّوَابُ: هَؤُلاءِ لا ذَنْبَ لَهُم ولا جَرَمَ عَلَيْهِم وَلَكِنَّهُم قِلَّةٌ.

فَهَلْ يُجْبِرُ الله أَهْلَ الجزيرَةِ كُلِّهِم عَلَى ولايَةِ عَلِيٍّ مِنْ أَجْلِ الأُخْوَةِ الأربَعَةِ: عَمَّار بن ياسِر والمِقْدَاد وأَبو ذَرٍّ وسَلْمَان؟

هَؤُلاءِ عَلَيْهِم أَنْ يَصْبِروا ولَهُمْ أَفْضَلُ جَزَاءِ الله وبَرَكاتِهِ بِمَا صَبَرُوا، هَؤُلاءِ سَيُؤتِيهِم الله أَجْرَهُم مَرَّتينِ - مَرَّتين لا ضِعْفينِ - فَافْهَمْ وتَأَمَّل.

فَإِنَّهُم يَخْتَلِفونَ عَن الَّذينَ يؤتيهِم أَجْرَهُم ضِعفين، ثُمَّ يَكونُ جَزَاؤُهُم النِهَائيُّ بِغَيْرِ حِسَابٍ إلاَّ «عَطاءً حِساباً» مِثْل غَيْرِهِم. وَكَذَلِكَ هُوَ الأَمْرُ لِكُلِّ صَابِرٍ مِثْلهُم عَارِفٍ بالحَقِّ وأَهْلِهِ مُذْعِنٍ لأَمْرِ الله، أَسْلَمَ وأَطَاعَ وَلَمْ يَرْفَعْ عَقيرَتَهُ لِيُزَكِّي نَفْسَهُ أو غَيْرَهُ اسْتِكْبَاراً عَلَى اللهِ.

أَنْتُم قَوْمٌ مُسْتَكْبِرونَ!!

وإِنِّي لأَعْجَبُ مِنْ قَوْمٍ يُطْلِقونَ شعَارَ الاستكبَارِ عَلَى الأوربيينَ، وَإِنَّمَا بؤرَةُ الاستكبَارِ عَلَى الله ومَرْكَزُهُ ونَوَاتُهُ الَّتي يَخْرجُ مِنْهَا هِيَ أَقْبِيَةُ المُدَّعِينَ بِعُلَمَاءِ الدِّينِ مِنْ كُلِّ المِلَلِ ومَرَاكِزِ البَحْثِ الدِّينيِّ. فَهُمْ أَظْلَمُ الخَلْقِ وأَكْثَرُهُم اسْتِكْبَاراً عَلَى الله وإِنْ أَقَاموا لَيْلَهُم ونَهَارَهُم وإِنْ أَرَادوهَا صَلاةً خَالِصَةً لِوَجْهِ اللهِ. ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الدولِ الغربيَّةِ مَا قالوا إِنَّهُم يَحْكُمونَ بِمَا أَنْزَلَ الله ولا قَالوا هَذا حُكْمُ الله، بَلْ اعْتَرَفوا بِأَنَّ هَذا هُوَ حُكْمُهُم في الأَشياءِ وَهَذا هُوَ عِلْمُهُم الَّذي اكْتَفوا بِهِ عَنْ عِلْمِ الله فَكَفَروا.

أَمَّا الَّذينَ تَصَدَّوا لِدينِ الله وحَمَلوهُ دونَ أَنْ يُحَمِّلَهُمْ الله ثُمَّ قالوا: هَذا هُوَ حُكْمُ اللهِ. وَهْوَ في الحَقيقَةِ حُكْمُهُم فقَدْ كَفروا مَرَّتينِ: مَرَّةً عِنْدَمَا حَمَلُوا الدِّينَ عَنْ أَهْلِهِ المُوَكَّلينَ بِهِ ومَرَّة عِنْدَمَا حَكَموا بِقَوَاعِدَ مِنْ عِنْدِهِم ونَسَبُوا الحُكْمَ إلى

اللهِ وَهوَ لَيسَ حُكْمَهُ. لذا فَهُمْ فَوَق هَذا قَدْ استَكبروا ضِعفين فَلَهُمْ مِنَ العَذَابِ ضِعْفَين. لقَدْ قَالَ تَعَالَى في الأُخْوَةِ الأَرْبَعَةِ الَّذينَ صَبَروا ومَعَهُم كُلُّ مَنْ سَارَ في طَرِيقِهِم:

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [القصص: ٥٣-٥٤].

أَمَّا أُولئِكَ الَّذينَ يَعْبدونَ الأسمَاءَ ولا يُحَاولونَ مَعْرِفَةَ الحَقِّ قَبْلَ الرِّجَالِ فَإِنَّهُم مَلْعُونونَ ولَهُم مِنَ العَذَابِ ضِعَفينِ، لأَنَّهُمْ جَعَلُوا القُرْآنَ وَرَاءَ ظهورِهِم مِثْلَمَا جَعَلُوا كَلامَ رَسُولِ الله كَأَيِّ كَلامٍ، لا يَهُمُّهُم تَأويلُهُ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ مِنْ أَجْلِ أوثَانِهِم.

يَقُولُونَ: مَا قَصَدَ بالوَليِّ يَوْمَ الغَديرِ الولايَةَ العامَّةَ ولا عَنَى بالوَليِّ في آيَةِ الولايَةِ الولايَةَ العامَّةَ..

يَقُولُونَ هَذا طَاعَةً للرِّجَالِ الَّذينَ يَعْبدُونَهُم:

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦-٦٨].

ويُسْتَجابُ لأَعْوَانِكُم مَرَّةً أُخْرَى فَيُضاعَفُ عَلَيْكُمُ العَذَابُ.

خ - وَمِنْهَا قوله عليه السلام

لا يُعَابُ المرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ إِنَّمَا يُعَابُ مِنْ أَخْذِ مَا لَيْسَ لَهُ.

نهج البلاغة/ ج ٥/ ٤١٦

أَرَادَ عليه السلام بِهَذِهِ الكَلِمَةِ الجامِعَةِ تَصحيحَ مَا رَانَ عَلَى العُقولِ المَريضَةِ مِنْ أَوْهَامٍ وأَفْكَارٍ هِيَ مقلوبٌ للحَقائِقِ الثَّابِتَةِ.

فالنَّاسُ دَوْمَاً أَذِلَّةٌ لِصَاحِبِ السُّلْطَانِ ويَلقونَ باللَّومِ عَلَى صَاحِبِ الحَقِّ، يَقُولُونَ لَهُ: لِماذَا تَتْرِكُ حَقَّكَ؟ إذهَبْ وافْعَلْ كذا وكذا ويَقومونَ بإرشادِهِ.

وَهَذا مَا نُلاحِظُهُ كُلَّ يَوْمٍ في الشَّارِعِ والمَقْهَى والمَحَاكِمِ!

أَيُّهَا النَّاسُ افْهَموا:

إِنَّكُم في هَذا لا تُدَافِعُون عَنِ الحَقِّ، بَلْ عَنِ الباطِلِ!

فَهَلْ تَفْقَهونَ هَذا الكَلامَ؟

فَتَعَالوا أُوَضِّحُ لَكُمْ الأَمْرَ:

إنَّ كُلَّ صَاحِب حقٍّ لا بُدَّ أنْ يَكُونَ مُقابِلُهُ طَرَفٌ آخَرُ هُوَ الَّذي سَلَبَ حَقَّهُ «صَاحِبُ الباطِلِ»!. والأَمْرُ بالمعروفِ والنَّهْيُ عَن المُنْكَرِ إنَّمَا أَسَاسُهُ أن تَقولوا لغَاصِبِ الحَقِّ: أرْجِعِ الحَقَّ لأَهْلِهِ!.. لا أنْ تُلْقُوا باللَّومِ والتَعْنيفِ عَلَى صَاحِبِ الحَقِّ!.

فَلِمَاذَا تَفْعَلونَ ذَلِكَ؟:!

أتدرون لِماذَا؟

لأَنَّكُم جُبَنَاءُ ومنافِقُونَ ورَعَاديدُ... تَقولونَ لِصَاحِبِ الحَقِّ: إذْهَبْ وقَاتِلْ ومُتْ دونَ حَقِّكَ..، ولا جُرْأَةَ لَكُمْ عَلَى أَنْ تقولوا للمُبْطِلِ الشِّرِّيرِ: أَنْتَ شريرٌ فَأَرْجِع الحَقَّ لفُلانَ!

لقَدْ انقَلَبَتِ المُعَادَلَةُ مُنْذُ أُزيح عَلِيٌّ بنُ أَبي طَالِبٍ عَنْ ولايَةِ الأُمَّةِ ولا زالَتْ هِيَ مُنْقَلِبَةً ولا زَالَ النَّاسُ يأمرونَ بالمُنْكَرِ ولا يَنْهَونَ عَنْهُ ويَنْهَونَ عَنِ المَعْروفِ ولا يَأمرونَ بِهِ!.

هَؤُلاءِ هُمْ خِيَارُكُم فَمَاذَا يَفْعَلُ شِرَارُكُم إِذَنْ؟

فَلا زِلْتُ أَسْمَعُ مَنْ يَقولُ: لِماذَا تَرَكَ عَلِيٌّ حَقَّهُ؟!

سُحْقاً لَكُمْ..

وَمَا هُوَ حَقُّهُ؟!

أَتزْعمونَ أنَّ التَرَبُّعَ عَلَى كُرْسِيِّ حُكْمِكُم هُوَ حَقُّهُ؟.

لا وألفُ لا.. وَإِنَّمَا حَقُّهُ جَنَّتَانِ مُدْهَامَتَانِ فيهِما عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ وقَدْ أَعَدَّهُمَا الله لَهُ!

أَمَّا دُنْيَاكُم بِقَضِّهَا وقَضِيضِهَا فَهْيَ عِنْدَهُ أَهْوَنُ مِنْ عفطَةِ عَنْزٍ!.

هَذا حَقُّكُم يَا عُمْيَانُ..

هَذا حَقُّكُم أَنْتُم أَيُّهَا المُغَفَّلون..

وَعَليكُمْ أنْ تُنْكِروا عَلَى سَالِبِ الحَقِّ مِنْكُم وتَعْتَرِفُوا بِجُرْمِهِ وجُرْمِكُم وتَتوبوا إلى اللهِ!

لقَدْ انْحرفَتْ عُقولُكُم وزَاغَتْ قُلوبُكُم وأَعْمَاكُمُ الله عَنِ الحَقِّ فأَصْبَحْتُم ترونَ الأشياءَ بالمِقْلوبِ!

العَيْبُ عَلَيْكُم لا عَلَيْهِ وَعَلَى الَّذينَ سَلَبُوا الحَقَّ وأَخذوا مَا لَيْسَ لَهُم.

وعَجَباً عَجَباً لِهؤلاءِ الَّذينَ يَبْكونَ عَلَى عَلِيِّ بنِ أَبي طَالِبٍ!.

أَبْكوا عَلَى أَنْفُسِكُم أَيُّهَا المَسَاكينُ لأَنَّكُم لِلآن لَمْ تَكْتَشِفوا كَيفَ يَرْجعُ إليكُم حَقُّكُم بِعَلِيٍّ!

لقَدْ قُتِلَ عَلِيٌّ في مِحْرَابِهِ سَاجِداً للهِ وَهْوَ الآنَ مُنعمٌ مَعَ الحُورِ العِينِ في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ. فأَبكوا عَلَى أَنْفُسِكُم وحَظِّكُم العاثِرِ ولا تَبْكوا عَلَيْهِ حَيْثُ لَمْ يَحصل لا هُوَ ولا ذُرِّيَّتُهُ عَلَى دُنْيَاكُم، فَإِنَّهُ أَصْلاً كَانَ يَتَجشَّأُ مِنْ دُنْيَاكُم.

أليس هُوَ القَائِلُ عَن السلْطَةِ وَهْيَ في يَدِ غَيْرِهِ:

«إِنَّهَا عِنْدِي مِثْلُ عَظْمِ خِنْزِيرٍ في يَدِ مَجْذومٍ».

ذ - وَمِنْهَا قوله عليه السلام:

عَلَيْكُم بِطَاعَةِ مَنْ لا تُعْذَرونَ في جَهَالَتِهِ.

وُضِعَتْ هَذِهِ الكَلِمَةُ مُسْتَقِلَّةً تَحتَ رَقْمِ «١٥٧» مِنْ شَرْحِ النَّهجِ لابنِ أبي الحديد مِنَ الجُزْءِ الخامِسِ/ ص٤٢٥.

وإذا كَانَ الواصِلُ إلينا مِنْ كلامِهِ عليه السلام هَذِهِ الكَلِمَةَ وحْدَهَا مَعَ إقْرارِ القَوْمِ بِهَا فَهْيَ كافيَةٌ وحْدَهَا لإثْبَاتِ الولايَةِ والعِصْمَةِ والنصِّ والوصيَّةِ ودَوَامِ وجودِ الحُجَّةِ للهِ تَعَالَى واتِّصَالِ حَبْلِ الله المَتينِ بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ الأسْمَاءِ والأشْخَاصِ، لأنَّهُ يَقولُ عَلَيْكُم واجِبٌ شَرْعِيٌّ هُوَ إطَاعَةُ الَّذي لَو جَهِلَهُ الجَّاهِلُ فَلا عُذْرَ لَهُ أَمَامَ اللهِ!

ويَسْتَبْطِنُ هَذا الكَلامُ شَرْحاً عَمَليّاً للتوحيدِ، فَهْوَ عَيْنُهُ عِبارَةُ «لا إِلَهَ إلاَّ الله» بِصُورَةِ مُفْرَدَاتٍ أُخرَى.

لأنَّ الخَلْقَ لَو أَمْكَنَ أنْ يَجهلوا مَنْ يُطَاعُ ولا يمكنُهُم تَمْييزُهُ مِمَّنْ يُعْصَى لَمَا أَمْكَنَهُم مُطْلَقاً تَحقيقُ شَيءٍ مِنْ شَرْعِ الله، لأنَّهُمْ قَدْ يُطيعونَ عَدُوَّ الله ويَعْصُونَ وَليَّ اللهِ. فَلا بُدَّ مِنْ أنْ يَكُونَ وليُّ الله المُطَاعُ مَعْلوماً للجميعِ ولا إشْكَالَ في التَعَرُّفِ عَلَيْهِ ولا عُذْرَ لِمَنْ ادَّعى أَنَّهُ يَجْهَلُهُ.

وَمَا قَالَ عليه السلام هَذا الكَلامَ ومُحَالٌ أنْ يقولَهُ إلاَّ وَهْوَ يَرَى أنَّ النَّاسَ في أَكْثَرِهِم قَدْ تَحوَّلوا إلى بَهَائِمَ لانصِبَابِ النِعَمِ عَلَيْهِم صَبّاً فِتْنَةً لَهُم كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ وهُمْ يُقَارِنونَ عَهْدَ عُمَرَ وأبي بَكْرٍ بِعَهْدِ رَسُولِ الله، فأَصْبَحوا يَقْلِبونَ الحَقَائِقَ، ويَزْعمونَ أنَّهُم لا يَعْلَمونَ مَنْ هُوَ وَليُّ الأَمْرِ، ويَتَنَاقَشونَ في الأَفْضَليَّةِ مِثْلَمَا أَطَالَ النِقَاشَ في التَّفضيلِ أَكَابِرُ المُعْتَزِلَةِ والسُّنَّةِ

وفِئَاتٌ مِنَ الشِّيْعَةِ والخَوَارِجِ وقَدْ خَصَّصَ شَارِحُ النَهْجِ فُصُولاً لِتَوضيحِ أَقْوَالِ المَلأ في تَفْضيلِ الصَّحَابَةِ بَعْضِهِم عَلَى بَعْضٍ! . ثُمَّ أَدْلَى هُوَ الآخرُ بِدَلْوِهِ وزَعَمَ أنَّ ولايَةَ أَبي بَكْرٍ وعُمَرَ حَقٌّ وَلكِنَّ عَلِيّاً هُوَ الأَفْضَلُ والأَوْلَى مِنْهُم بِهَا مُنْذُ البِدَايَةِ كَمَا عَلَيْهِ شِيُوخُ المُعْتَزِلَةِ الَّذينَ جَمَعوا بَيْنَ أَقْوَالِ السُّنَّةِ في أَقْصَى طَرَفِهَا وأَقْوَالِ الشِّيْعَةِ في الطرَفِ الأَقْصَى الآخَرِ.

ومَا دَرَى هَذا المِسْكينُ أنَّ مُجَرَّدَ التَحَدُّثِ عَنِ الأَفْضَلِيَّةِ هُوَ كُفْرٌ صَريحٌ وشِرْكٌ مُبِينٌ وظُلْمٌ عَظيمٌ!

لأنَّ الله تَعَالَى نَهَى عَن تَزْكِيَةِ المرءِ لِنَفْسِهِ فَكَيفَ يُزَكِّي غَيْرَهُ؟!! . . وقَدْ تَلَوْنَا عَلَيْكَ الآياتِ الدالَّةِ عَلَى ذَلِكَ.

نَعَمْ . . إِنَّهَا أُمَّةُ عُلَمَاء حَمْقَى وأَغْبِيَاءَ أُخِذُوا مِنْ مَأْمَنِهِم واسْتَدْرَجَهُمُ الله وأَعْمَى أَبْصَارَهُم سواء أكانوا مِنْ هَؤُلاءِ أو هَؤُلاءِ، لأَنَّهُمْ قَدَّمُوا مَعْصِيَةَ الله أمامَ كُلِّ بَحْثٍ بَحَثوهُ وَلَمْ يَرْجِعوا إلى كِتَابِ الله ولا قَوَاعِدِ الدِّينِ ولا مَا يَنْبَثِقُ عَنِ التَّوحِيدِ مِنْ قَوَانينَ صَارِمَةٍ لا يمكُنُ خَرْقُهَا.

أَوَّلُ عِبَارَةٍ قَالَها الشُّرَّاحُ جَميعاً عِنْدَ شَرْحِهِم لِهَذِهِ الكَلِمَةِ الجامِعَةِ هِيَ: «عَنى نَفْسَهُ عليه السلام»!! . .

وَلكِنْ يا هَؤُلاءِ لَنْ تَنْفَعَكُم عِبارَةُ «عليه السلام» شَيئاً يَوْمَ الحِسَابِ فَسَوفَ يُجَادِلُكُم عَلِيٌّ عليه السلام ويَخْصِمُكُم ويقولُ: لا واللهِ مَا عَنَيتُ نَفْسِي! إذ كَيفَ أَعْنِي نَفْسِي؟ وكَيفَ أُثْبِتُ نَفْسِي إنِّي أَوْلى بالإِمَامَةِ وهُمْ يكفرونَ باللهِ قَبْلَ ذَلِكَ ويَكْفرونَ بِحُرْمَةِ التَحَدُّثِ في مَوضوعِ التَفْضيلِ؟!، إنَّمَا عَنَيتُ أنَّ الحَديثَ في التَّفضيلِ حَرَامٌ مُحَرَّمٌ لأنَّ صَاحِبَ الأَمْرِ لا بُدَّ أنْ يَكُونَ بَيِّناً لا عُذْرَ في جهالَتِهِ!!، فإذا أَقَرُّوا بِأنَّ الحُجَّةَ للهِ والاخْتِيَارَ لَهُ وأَسْلَموا فَإِنَّهُم سَوف يَعْلَمونَ أنَّ اسْمَهُ هُوَ عَلِيُّ بنُ أَبي طَالِبٍ كَمَا عَلِمْتُهُ أَنَا. **فَأَنَا عَبْدٌ مَأمورٌ مُطيعٌ لِلَّهِ في نَفْسِي ولَسْتُ**

مُطيعاً لِنَفْسِي في الله أَيُّهَا الجَهَلَةُ الكَذَبَةُ المُرَاؤون!!، **فَهَلْ** تَجِدونَ في عِبَارَتي شَيئاً أُشيرُ فِيهِ إلى نَفْسِي؟!، ومَعْلومٌ لَكُمْ أَنَّهم مَا أَنْكَروا إمَامَتي إلاَّ بَعْدَ إنْكَارِهِم أنْ تَكُونَ الحُجَّةُ عَلَيْهِم. فَكُفرهُم باللهِ سَبَقَ إنْكار إمَامَتِي، فَكَيفَ أُزَكِّيْ نَفْسِي لِقَوْمٍ كَافرينَ؟!!، إنَّمَا أُريدُ إرْجَاعَهُم إلى الإيمانِ، فإذا رَجَعوا إليه عَلِموا مَنْ هُوَ الإمَامُ فَهوَ مَشْهورٌ إلى دَرَجَةٍ أَنَّهُ لا يُوجَدُ في الأَرْضِ أَحَدٌ ادَّعَى النصَّ سِوَاه! لأنَّ القَوْمَ أَنْكَروا النصَّ فَكَيفَ يَدَّعون مَا أَنْكَروا؟!، وكُلُّ مَا أَرَدْتُ قَولَهُ هُوَ أَن إنْكَارَ النصِّ يُعْطِي العُذْرَ لِلْخَلْقِ في المَعْصِيَةِ، فَكَأَنَّ الله لَمْ يَفْعَلْ شَيئاً حَيْثُ أَرْسَلَ رَسولاً!!، وَكَأَنَّهُ تَعَمَّدَ أنْ يُضِلَّهُم بَعْدَ إذْ هَدَاهُم!!، وَهَذا هُوَ الكُفْرُ الخَفِيُّ الَّذي سَرَى في عُروقِ النَّاسِ الَّذينَ ابْتَغَوْا العِزَّةَ فَأَصَابَتْهُم ذِلَّةٌ وصَغَارٌ عِنْدَ الله لأَنَّهُمْ قالوا: هَذا للهِ وَهَذا لَنَا. فالشَّرْعُ للهِ، والإمامُ القَائِمُ بالشَّرْعِ لَنَا وَنَحْنُ نَخْتَارُهُ. فَجَعَلوا لأَنْفُسِهِم حَدّاً مُجَاوِراً لِرَبِّ العِزَّةِ.. تَعَالَى الله عَمَّا يُشْرِكون:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: ٢٠-٢١].

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

ض - **وَمِنْهَا قوله** عليه السلام:

مَا اخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إلاَّ كَانَتْ إحْدَاهُمَا ضَلالَةً.

وُضِعَتْ هَذِهِ العِبَارَةُ تَحتَ رَقْمٍ مُسْتَقلٍّ في النَّهْجِ هُوَ «١٥١» مِنْ تَرْتيبِ الشَّرْحِ وَهُوَ نَفْسُ الرَّقْمِ في الأَصْلِ/ج٥/ ٤٤٩.

وفي كلامِهِ عليه السلام هَذا قَاعِدَةٌ تُهَدِّمُ العَقيدَةَ الفاسِدَةَ القائِلَةَ بِعَدْلِ جميعِ مَنْ

صَحِبَ النَبِيَّ ﷺ وكَانوا الأَسَاسَ في انْقِسَامِ الأُمَّةِ وتَشَرْذُمِهَا وضيَاعِ حَقَائِقِ الدِّينِ.

فالمُحَرِّفونَ يُريدونَ التَّغطيَةَ عَلَى البَاطِلِ عَنْ طَريقِ الحَقِّ، ذَلِكَ لأنَّ البَاطِلَ لا يَقْدِرُ أنْ يقولَ للحَقِّ: «أنْتَ باطِلٌ»!. فَهْوَ أَعْجَزُ مِنْ أنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، وطَريقُهُ الوَحيدُ هُوَ في أنْ يقولُ: «أنَا وإيّاك عَلَى الحَقِّ»!، فافْهَم هَذا فإنِّي فَتَحْتُ لَكَ باباً مِنْ أبوابِ عِلْمِ اللهِ.

وَلِذَلِكَ استَمَرَّ التأكيدُ مِنْ قِبَلِ المُحَرِّفينَ وَأَهْلِ الباطِلِ عَلَى صِحَّةِ الاحتجاجِ بِكُلِّ الصَّحَابَةِ وعَدَمِ تَخْطِئَةِ أَحَدٍ مِنْهُم وخصوصاً الأُمَراءَ وَأَهْلَ السُّلطانِ... فَلَمَّا ظَهَرَ فُجورُ بني أُمَيَّةَ اقْتَصَروا عَلَى الثَّلاثَةِ الَّذينَ سَبَقوهُم وجَمَعوهُم مَعَ عَلِيِّ بنِ أَبي طَالِبٍ وأَطْلَقوا عَلَيْهِم اسْمَ الخُلَفَاءِ الرَّاشدين.. وقَدْ سَرَقوا الاسْمَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذي عَنَى بِهِ خُلَفَاءَ اللهِ المَنْصوصَ عَلَيْهِم بالرُّغْمِ مِنْ إنكارِهِم النصِّ فَتَأَمَّلْ حُمْقَهُم.

فَمَا أَدْرَاكُم أنَّهُم راشدونَ إذا كُنْتُم تَقولون نَخْتَارُ ولا نَعْلَمُ مَا في النُّفوسِ؟!!، لأنَّ النَبِيَّ ﷺ لَمْ يَقْصُدْ هَؤُلاءِ قَطْعاً مَا دَامَتْ شُورَى!.

والنبيُّ ﷺ مَا تَنَاقَضَ لأَنَّهُ لَمْ يُسَمِّهِم «أي خُلفاء الله المنصوص عليهِم» رَاشدين مِنْ تلقاءِ نَفْسِهِ، بَلْ بأَمْرٍ مِنْ اللهِ.. وَلِذَلِكَ فأَوَّلُ عَمَلٍ يقومُ بِهِ المَهْدِيُّ عليه السلام إذا خَرَجَ هُوَ إقامَةُ الحَدِّ عَلَى السُّرَّاقِ فَيَقْطَع أيديهم، وأَوَّلُ السُّرَّاقِ هُمْ سُرَّاقُ الأَسْمَاءِ والأَفْكارِ والعَقَائِدِ فَيُعَلِّق أيديهم في جُدْرَانِ مَكَّةَ!.

فَهَنِيئاً لَكُمْ هَذِهِ البِشَارَةُ يَا سُرَّاقَ النَّهَارِ! ويا سُرَّاقَ العَلانية!!

ويَزْعمُ الكَذَبَةُ: «إنَّ كلامَهُ عليه السلام هُنَا لا يُؤْخَذُ عَلَى عمومِهِ لأنَّ الفُقَهَاءَ اخْتَلَفوا في الفتْيَا فَكَيفَ تكونُ إحدى الدَّعوتينِ ضَلالَةً؟.. وإذن فَلا بُدَّ مِنْ حَمْلِهِ عَلَى أُصولِ الدِّينِ».. هَكذا زَعَمَ ابنُ أَبي الحديد وغَيْرُهُ، وهَذا مَا قَالَهُ شارِحُ النَّهجِ حِفَاظاً عَلَى البَاطِلِ.

كَذَبْتُمْ واللهِ!!

فَأَنتُم تكذبونَ حَتَّى في أُصولِ الدِّينِ، لأنَّ الصَّحَابَةَ اخْتَلَفوا في الأُصولِ كُلِّهَا وَمَعَ ذَلِكَ قُلْتُم: إنَّهُم كُلَّهُم عدولٌ!

تَبّاً لَكُمْ!!

لقَدْ دَوَّخَتْكُم عِبَارَةُ عَلِيٍّ هَذِهِ حَتَّى مَا عدْتُم تقْدِرونَ عَلَى تَخْرِيجِهَا بأيِّ طَريقٍ!.

ألا تَعْلَمُونَ أنَّ كَلامَهُ يَجْرِي في مَجْرى كَلامِ اللهِ؟.. ومِثْلمَا يَفْضَحُكُمُ القُرْآنُ يَفْضَحُكُم كَلامُ عَدْلِ القُرْآنِ والثِّقْلِ الأَصْغَرِ!.

فَعَلَى أيِّ حِمْلٍ تَحْمِلونَ هَذا الكَلامَ؟

وَهَلْ لَكُم قُدْرَةٌ عَلَى حَمْلِ أمانَةِ ثِقْلَينِ نَائَتْ بحَمْلِهَا الجِّبَالُ وأَشْفَقْنَ مِنْهَا لأنَّها أَمَانَةُ الله عَلَى خَلْقِهِ؟!

بَلْ حَمَلْتُم هَذِهِ الأَثْقَالَ لجَهْلِكُم وظُلْمِكُم كَمَا قَالَ الله تَعَالَى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢].

والإنسانُ هُنَا هُوَ أَبو بَكْرٍ أَوَّلُ حَامِلٍ للأَمَانَةِ وَلَهُ قَرِينٌ شَيْطَانٌ يَعْتَرِيهِ. وقَدْ اعْتَرَفَ بصِحَّةِ ورودِ خَبَرٍ بِهَذا المَضْمونِ المُدَافعونَ عَنْهُ. وَلَكِنَّهُم أَوَّلوه فقالوا: لِكُلِّ مُؤْمِنٍ شَيْطانٌ يَعْتَريهِ!

لا ورَبِّكَ لا.. لَيْسَ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ شيطانٌ يَعْتَريهِ، بَلْ شَيْطَانٌ يُؤْذيهِ. فَهَذَا نَعَمْ!!

أَمَّا الَّذي يَعْتَريه فَهُوَ أَبو بَكْرٍ إِذْ لا سُلْطَانَ لَهُ إلاَّ «عَلَى الَّذينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُون».

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ٩٨-١٠٠].

فانْظُرْ أقوالَهُم ودِفَاعَ المُعْتَزِلَةِ عَنْ شَيطَانِ أَبي بَكْرٍ في شَرْحِ النَّهْجِ ودِفَاعَ الجَّاحِظِ عَنْهُ في الجزأين الرَّابعِ والخامِسِ.

وَلكِنْ إنْ كَانَ لَكَ شَأْنٌ في كِتَابِ الله والشَّهَادتين فاعرِضْ كلامَهُم عَلَى مُسَلَّمَاتِ الكِتَابِ لِتَرى المَدَى البَعيدِ الَّذي بَلَغَ إليه القَوْمُ مِنَ الكَذِبِ والتَّزويرِ واللَفِّ والدَوَرَانِ والمَكْرِ والخدَاعِ للجَمَاهيرِ والحُمْقِ والكُفْرِ الصريحِ والشرْكِ الظَّاهِرِ لِتَعْلَمَ أَنَّهُ إذا كَانَ هَذا هُوَ شَأْنُ المُعْتَزِلَةِ دُعَاةِ العَقْلِ والمَنْطِقِ فَمَا هُوَ شَأْنُ غَيرِهِم في الأَبَاطيلِ؟!

إنّ هَؤُلاءِ وغَيْرَهُم هُمْ قَوْمٌ مُتْرَفونَ وثَقَافَتُهُم هِيَ ثَقَافَةُ المُتْرَفينَ لا المُجَاهدينَ في الله ورَسولِهِ. وهُمْ مِنَ الشُّعَراءِ الغَاوينَ الَّذينَ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلون، والَّذينَ هُمْ في كُلِّ وَادٍ يَهِيمُون.

قَالَ ابُن أَبي الحديد: «ولا يَحْمِلُ أَصْحَابُنَا كَلامَ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام عَلَى عُمومِهِ لأنَّ المُجْتَهدينَ في فُروعِ الدِّينِ وإنِ اخْتَلَفوا وتَضَادَّتْ أَقوالُهُم ليسوا ولا واحِدٌ مِنْهُم عَلَى ضَلالٍ وَهَذا مَشْروحٌ في كُتُبِنَا الكَلامية في أُصولِ الفِقْهِ»!../ج٥/ ٤٤٩.

أَقولُ: وَهْوَ مَشْروحٌ في كُتُبِ الشِّيْعَةِ الكلاميةِ أَيْضاً. وَلكِنَّهُ بالضِّدِّ مِنْ كَلامِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام، بَلْ هُوَ دَعْوَةٌ أُخْرَى للكُفْرِ. فَكَأَنَّ الإمَامَ لَمْ يَقُلْ هَذِهِ العِبَارَةَ ولا تَظْهَرُ فائِدَةٌ مِنْهَا!!

إِذْ كَيفَ يَخْتَلفونَ في الأُصولِ فَيَكونُ بَعْضُهُم عَلَى ضَلالٍ وهؤلاءِ هُمْ

أَنْفُسُهُم أَهْلُ الفَتْوَى في الفِروعِ؟ . . فَلا بُدَّ أنْ يَكُونُوا عَلَى ضَلالٍ أَيْضَاً في أَحْسَنِ الأَحْوَالِ لِفَسَادِ أُصولِهِم.

فإذا زَعَمَ أنَّ الفِئَةَ الَّتي عَلَى هُدًى في الأُصولِ واخْتَلَفَتْ في الفروعِ لا يَشْملُهَا كلامُهُ عليه السلام . . فَمَا أَدْرَاهُ مَا هِيَ الفِئَةُ الَّتي عَلَى ضَلالٍ وأَصْحَابُهُ يَزْعمونَ أنَّ إحْدَى الفِئَتَينِ فاسِقَةٌ وَلكِنْ بلا تَحْديدٍ!؟ . . لأَنَّهُمْ أَحْجَموا عَنْ تحديدِ الفِئَةِ الفَاسِقَةِ!!

نَعَمْ . . نَفْسُ التَّمَلُّقِ للحُكَّامِ ظَاهِرٌ، ونَفْسُ الخَلْطِ بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ يَعْلو ويَصْعَدُ مِثْلَ نَفْسِ الَّذي يَصْعَدُ في السَّمَاءِ فَيَكونُ صَدْرُهُ ضَيِّقاً حرِجاً مِنَ الحَقِّ أو كالذي تَهْوي بِهِ الرِّيحُ في مَكَانٍ سَحيقٍ.

عَن أَيَّةِ كُتُبٍ كلاميةٍ يَتَحَدَّثُ هَؤُلاءِ؟!

فإِنَّنَا لَو حَاكَمْنَا كُلَّ مَقولاتِهِم عَلَى كِتَابِ الله وَعَلَى المَنْطِقِ والوَاقِعِ والعُرْفِ لَسَقَطَتْ وتهَاوَتْ.

وكَيفَ يَكونُ كُلُّ مُجْتَهِدٍ مُصيباً وإنِ اخْتَلَفوا؟

فَهَلْ أَمَرَ الله بالشَيءِ ونَقِيضِهِ في آنٍ واحِدٍ؟

إِذَنْ . . فهؤلاءِ قَدْ أَثْبَتوا إلهَيْنِ اثْنينِ في التَّنظيرِ، وَلكِنْ عملياً كَانَتْ لَهُم آلِهَةٌ بِعَدَدِ المُجْتَهدين!

مَعْلومٌ أَنَّهُ عِنْدَ غِيَابِ الاخْتِيَارِ الإلهيِّ وخَفَاءِ الحُجَّةِ وعَدَمِ ظُهورِ مَنْ يَعْلَمُ الكِتَابَ والسُّنَّةَ تَبْقَى الأَحْكامُ غَيْرَ مَبْثوثٍ بِهَا ولا واقِعَةٍ عَلَى الحوَادِثِ ويَبْقَى كلامُهُ عليه السلام عامَّاً. فَلَو قَالَ لَكَ المُجْتَهِدُ: أَعِدْ صَلاتَكَ، وَقَالَ الآخرُ: لا تُعِدْ. فَلا بُدَّ أنْ تَكونَ إحداهُما ضلالةً!

هَذا هُوَ مَنْطِقُ القَوْمِ الَّذينَ كَذَّبوا بآياتِ الله وسَيَعْلَمُ الَّذينَ ظَلَموا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبون.

ظ - وَمِنْهَا قوله عليه السلام:

لِتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شَمَاسِهَا عَطْفَ الضَّروسِ عَلَى وَلَدِهَا وَتَلا عُقَيبَ ذَلِكَ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

شرح النهج/ الفقرة ٢٠٥/ ج ٥/ ٤٩٣

هَذِهِ واحِدَةٌ أُخْرَى مِنْ كَلِمَاتِهِ عليه السلام تُسْقِطُ كُلَّ أبْحَاثِ السَّلَفِ في الأصولِ والفروعِ في آنٍ واحِدٍ.

فَلِمَاذَا تَعْطِفُ الدُّنْيَا عَلَيْهِم إذا كَانَ الخُلَفَاءُ الَّذينَ سَبَقوهُ رَاشدينَ وتَرَكَ هُوَ بِنَفْسِهِ أَمْرَ القَولِ بِخِلافَةِ مَنْ يليه مَنَ الخُلَفاءِ وتَرَكَهَا للشُّورَى كَمَا يَقُولُ الكاتِبُ الكَاذِبُ وأَصْحَابُهُ؟

لا مَعْنَى لِكَلامِهِ عليه السلام إلاَّ إذا كَانَ هُوَ ذَلِكَ المَعْنَى الَّذي أَكَّدَهُ النَبِيُّ صلى الله عليه وآله في مِئاتِ الأَحَاديثِ مِنْ أنَّ الدُّنْيَا تُملأُ ظُلْمَاً وجوراً ثُمَّ يَأْتِي المَهْدِيُّ فَيَمْلأُهَا عَدْلاً وقِسْطَاً. وَهُوَ حَديثٌ واحِدٌ وَرَدَ بِعَشْرَةِ طُرُقٍ في مُعْجَمِ الطبراني وبِعَشَرَاتِ غَيْرِهَا في الصِّحَاحِ السِتَّةِ، وَهُوَ أَحَدُ أَشْهَر الأَحَاديثِ في المَهْدِي عليه السلام والَّتي بَلَغَتِ الآلافَ.

ولا أَقْصدُ هُنَا إِثْبَاتَ ظُهورِ المَهْدِيِّ عليه السلام بِهَذا العنوانِ، لأنَّ هَذا وَعْدٌ إلهيٌّ مِثْلُ وَعْدِ الآخرَةِ، بَلْ هُوَ وَعْدُ الآخِرَةِ. فَمَنْ شَاءَ أنْ يُؤْمِنَ باللهِ واليومِ الآخِرِ آمَنَ بِهِ ولو بِغَيْرِ نصٍّ لأَنَّهُ تَحْصيلُ حاصِلٍ لِمَالِكِيَّةِ الله وغَايَتِهِ مِنَ الخَلْقِ، إِذْ بِدونِهِ يُصْبِحُ الابتِلاءُ وإِنْزَالُ الكُتُبِ وإرسالُ الرُّسُلِ عَبْثَاً مَا دَامَتْ لا تَتَحَقَّقُ في يَوْمٍ مَا.

ومِنَ البديهيِّ أنَّ الَّذي لا يُؤْمِنُ باللهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ فَلَنْ يُؤْمِنَ بالمَهْدِيِّ عليه السلام، وَلكِنْ سَيُعْلنونَ إيمانَهُم بِهِ بَعْدَ ظُهورِهِ بالقُوَّةِ القاهِرَةِ رُعْبَاً مِنْ سَطْوَتِهِ!. ويومئذٍ:

﴿... لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

إنَّمَا أَقْصدُ أنَّ التطَّوُّرَ الاجتماعيَّ العامَّ الَّذي تَمْتَلئ بِهِ الأَرْضُ ظُلْمَاً وجوراً إِنَّمَا يَدلُّ عَلَى فَسَادِ الخُلَفَاءِ الَّذينَ تَوَلَّوا عَلَى الأُمَّةِ، وَعَلَى فَسَادِ المُؤَسَّسَةِ الدِّينيَّةِ بِرُمَّتِهَا. إِذْ لَو كَانَتْ هُنَاكَ بَقِيَّةٌ تَأْمُرُ بالمَعْروفِ وتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ لَمَا حَصَلَ مِثْلُ هَذا التَّطَوُّرِ نَحْوَ الشرورِ، بَلْ لَحَصَلَ العَكْسُ مِنْهُ، وَهُوَ انْتِشَارُ العَدْلِ وظُهورُ الحَقِّ.

وَلِذَلِكَ قامَتِ المُؤَسَّسَةُ الدينيَّةُ بِإِبْعَادِ النُّصوصِ الَّتي تَتَحَدَّثُ عَنْ هَذا التدهورِ وَلَمْ تَجعَلْهَا مِنْ جُمْلَةِ دراسَاتِهَا وفَصَلَتْ بَيْنَ العَقيدَةِ والتَّشريعِ، وتَخَصَّصَ العُلَمَاءُ في الحَلالِ والحَرَام وتَرَكوا العَقَائِدَ، بَيْنَمَا العَقَائِدُ هِيَ مِنْ مُقَدِّمَاتِ الحَلالِ والحَرَامِ وبِغَيرِهَا لا تُقْبَلُ الأعمالُ ولا يمكُنُ تَحديدُ مُرَادِ الله مِنْهَا.

وأَصْبَحَتْ أَحاديثُ المَلاحِمِ مِنَ الأَحاديثِ المَنْبوذَةِ واسْتَكْبَرَ عَلَيْهَا عُلَمَاءُ الدِّينِ وعَتَوا عَنْهَا عُتُوّاً كبيراً وعَامَلوها وكَأَنَّهُم وكلاءُ عَنِ الله يَأْخذونَ مِنْهَا مَا يُعْجِبُهُم ويَهْجرونَ ويُكَذِّبونَ بِمَا لا يُلائِمُ أَهْوَاهَم.

فانْظُرْ إلى اسْتِشْهَادِهِ عليه السلام بالآيَةِ. فالآيَةُ عِنْدَ المُفَسِّرينَ في قَوْمِ موسى عليه السلام لأنَّها جَاءَتْ في السِّياقِ الَّذي يَتَحَدَّثُ عَن قصَّةِ موسى عليه السلام وفرعونَ.

وَلكِنَّ آيَةَ المَنِّ حُشِرَتْ هُنَا لِغَايَةٍ بالفِعْلِ المُضَارِعِ لأَنَّهُ لَو كَانَ المَقْصودُ تَوَقُّفَ هَذا المَنِّ عَلَى المُسْتَضْعَفينَ عَلَى مُوسى وقَومِهِ لَقَالَ بِصيغَةِ الماضي «وأَرَدْنَا أَنْ نمُنَّ»، بَيْنَمَا هُوَ يَقُولُ ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى﴾ [القصص: ٥]. وَمعْنَى ذَلِكَ أَنَّ إرادَتَهُ تَعالَى مُسْتَمِرَّةٌ لاستِمْرَارِ وجودِ المُسْتَضْعَفين في الأَرْضِ.

إِذَنْ.. فَعَلِيٌّ بنُ أَبي طَالِبٍ عليه السلام يَرَى نَفْسَهُ مُسْتَضْعَفاً جِدّاً وَهْوَ خليفَةٌ لأنَّ الخَلْقَ مَا أَطاعوهُ وعَصوهُ وشَكُّوا فِيهِ وحَارَبُوهُ خِلافاً لِمَا فَعَلوهُ مَعَ أَبي بَكْرٍ وعُمَر[1].

مِنَ الطبيعيِّ أنَّ النَّاسَ وبَعْدَ إنْ ذَكَرَ الله أنَّ أَكْثَرَهُم فَسَقَةٌ لا بُدَّ أنْ يَجْتَمِعوا عَلَى الباطِلِ ويَتَفَرَّقوا عَنِ الحَقِّ!

فالذي قَالَهُ عُمَرُ من: «أنَّ العَرَبَ لا تَرْضَى ولا تَجْتَمِعُ عَلَى عَلِيِّ بنِ أَبي طَالِبٍ» هُوَ حَقٌّ وواقِعٌ!، ذَلِكَ لأنَّهُ يَعْلَمُ جيِّداً وَهْوَ شَيْطَانُ الأُمَّةِ أَنَّهَا تَجْتَمِعُ عَلَيْهِ هُوَ ولا تَجْتَمِعُ عَلَى الحَقِّ. ومَنْ هُوَ الأَعْلَمُ بالحَقِّ غَيْرُ النَّقيضِ؟! فَلا يُدْرِكُ الحَقَّ كُلَّهُ إلاَّ البَاطِلَ كُلَّهُ. ومِنْ هُنَا قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام في تَكْمِلَةِ الآيَةِ:

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٦].

قَالَ عليه السلام: «المُرَادُ بِفرعونَ الأوَّل وهَامَانَ الثَّاني وجُنُودِهِمَا شِيعَتُهُم وَمَا يَحْذَرُونَ هُوَ ظُهورُ المَهْديِّ عليه السلام».

وَهَذا هُوَ وَحْدُهُ المُطابِقُ للغَةِ القُرآنيَّةِ لأنَّ الأَفْعَالَ مُسْتَقْبَليَّةٌ كُلُّهَا.. «نُريدُ - نَمُنَّ - نُرِي».. وَإِنَّمَا جَاءَتْ وَسَطَ الحَديثَ عَنْ موسى عليه السلام وفرعونَ، لأنَّ الصِّرَاعَ هُوَ ذَاتُ الصِّرَاعِ والجَبَهَاتِ هِيَ نَفْسُ الجَبَهَاتِ.. فالحَدَثُ مَاضٍ والقَانونُ مُسْتَمِرٌّ فَافْهَم!

فإنْ قُلْتَ: «فَكَيفَ يُسَمِّي الأَوَّلَ - أي أبا بَكْرٍ- فرعوناً، وعُمَرَ باسْمِ هَامَانَ وهُمَا إسمانِ لفرعونَ وهَامَانَ اللَذين كَانَا مَعَ موسى عليه السلام؟»!

---

(١) لَكَ الله يا سيدي يا أمير المؤمنين.. لَكَ الله منهُم ومنَّا ياسيدي.. وإنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعون.. ورحِمَكَ الله يا أبا أحمدٍ.. ما أقسى ما ترينا إيَّاه من مَظْلَمةٍ بحقِّ هذا الإمام الحقِّ ولا مثلها مَظْلَمَةٌ لا قبلُ ولا بعدُ!!..

أَقُولُ: هَذِهِ لَيْسَتْ أَسْمَاءَهُم حَتَّى يَحْصُلَ التِبَاسٌ، بَلْ هِيَ أَلْقَابٌ مِثْلُ الجِبْتِ والطَّاغوتِ والجَبَّارِ العَنيدِ وأَمْثَالِهَا. فإِنَّ حُكَّامَ ومُلوكَ مِصْرَ كُلٌّ مِنْهُم يُسَمَّى فرعوناً، وَهُوَ لَقَبٌ ملوكيٌّ لا عَلاقَةَ لَهُ باسْمِهِ الخاصِّ، ولِكُلٍّ مِنْهُم اسمُهُ الخاصُّ وَمعْنَى «فرعون» - المُسْتَكْبِرُ عَلَى الله - لأَنَّ مَعْنَاهُ عِنْدَهُم «المَلِكُ الَّذي لا يَحْتَاجُ إلى أَحَدٍ» وقِيلَ هُوَ الَّذي يريدُ أَنْ يَنْفَرِدَ بالحُكْمِ عَنِ الله تَعَالَى. فَهُوَ إِذَنْ لَقَبٌ يُطَابِقُ في الواقِعِ كُلَّ طاغوتٍ. وَكَذَلِكَ هامانُ لَيْسَ اسمَهُ، وَإِنَّما هُوَ لَقَبٌ لوزيرِهِ مَسْروقٌ مِنْ أَسْمَاءِ المُطِيعينَ مِنَ المَلائِكَةِ، ومَعْنَاه: «المَشْغوف بِطَاعَةِ فرعونَ وتَأْييدِهِ» - وانْطِبَاقُهُمَا عَلَى العُمَرَينِ مِنْ أَوْضَحِ الأُمورِ.

ومن هُنَا قَالَ الله تَعَالَى بِصيغَةِ المُضَارِعِ «نُريد ونَمُنَّ». وَإِنَّمَا قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّ اللَّفْظَ بالمُضَارِعِ ولكِنَّ المَقْصودَ بِهِ المَاضِي.. إِنَّما قَالوا ذَلِكَ فلأَنَّهُمْ كَفَرَةٌ يَرِدُّون عَلَى الله كلامَهُ كي لا يَنْكَشِفَ القناعُ عَنْ أَسْيَادِهِم الطَّوَاغيتِ والجَّبَابِرَةِ. فَنَحْنُ نَأْخُذُ بِتَفْسيرِ الإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام المُطَابِقِ لِلُّغَةِ والقُرْآنِ ونَتْرُكُ كَلامَ المُفْتَرِينَ عَلَى اللهِ.

وَيَبْقَى أَنْ يقولَ مُفَسِّرو الشِّيْعَةِ شيئاً آخرَ مُجَامَلَةً للحُكَّامِ أو خَوفاً مِنَ السُّلطانِ أو إغواءً مِنَ الشَّيْطَانِ. يَبْقَى هَذا مِنَ المُتحوّلِ والمُتَغيِّرِ والذي لا عَلاقَةَ لَهُ بِثَوابِتِ المبادئ الإماميةِ عِنْدَ أَهْلِ البَيْتِ أَنْفُسِهِم فَنَحْنُ نَتْبَعُ أَهْلَ البَيْتِ ولا نُتَابِعُ مَنِ اتَّبَعَهُم. ولو فَعَلْنَا مَا تَزْعمونَ لَضَلَلْنَا إِذَنْ وَمَا كُنَّا مِنَ المُهْتَدين ولا يَحِقُّ لَنَا الادِّعَاءُ بأَنَّنَا أتباعُ أَهْلِ البَيْتِ عليهم السلام، فَكَمْ مِنْ مُدَّعٍ لولايتِهِم وَهُوَ عَدُوٌّ لَهُم، والكَاتِبُ الكاذِبُ أَوْضَحُ مَثَالٍ عَلَى ذَلِكَ.

نَعَمْ.. إِنَّهُ تَطَوُّرٌ مُسْتَمِرٌّ حَصَلَ في الفِكْرِ الشيعيِّ وَلكِنْ غَابَ عَنْ هَذا الأَحْمَقِ أَنَّ هَذا التَّطَوُّرَ هُوَ آراءُ رِجَالٍ وأَقْوَالُ قَوْمٍ مَا أَنْزَلَ الله بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ في اتِّبَاعِهِم وإِنْ تَزَعَّمُوا طائِفَةَ الشِّيْعَةِ واشْتَهَروا فِيْهَا. فَأَهْلُ البَيْتِ عَلَيْهِم السَّلام وعَقَائِدُهُم الثَّابِتَةُ شَيءٌ وأَقْوَالُ شيعتِهِم شَيءٌ آخرٌ. وَنَحْنُ لا نُنْكِرُ هَذا

التَّغيُّرَ وَلكِنَّهُ لا يَنْفَعُكَ أَيُّهَا الكَاتِبُ الكاذِبُ بِشَيءٍ، بَلْ يدينُكَ، لأنَّهُ تَطوُّرٌ باتِّجَاهِ الانحِرَافِ والابْتِعَادِ عَنْ عَقيدَةِ أَهْلِ البَيْتِ عليهم السلام، فَهوَ عَلَيْكَ لا لَكَ.

فَلَيْسَ لَكَ أنْ تَزعمَ أنَّكَ مِنْ أوليائِهِم ثُمَّ تَأْخُذُ بِأَقْوَالِ المُحَرِّفينَ والمُنْحَرِفينَ لإنْكَارِ مُسَلَّماتٍ كَانَتْ عِنْدَهُم. وفَوقَ هَذا فإنَّ المؤسَّسَةَ الدِّينيةَ لَمْ تَسْتَطِعْ بِكُلِّ جَبَروتِهَا مِنَ الخُروجِ مِنْ تِلْكَ المُسَلَّمَاتِ وإنكارِهَا بالرُّغْمِ مِنْ كُلِّ مَا حَصَلَ لديها مِنْ تَطَوُّرَاتٍ.

نَعَمْ.. إنَّ للاتِّجَاهِ الثابِتِ أهْلهُ وإنَّهُم لَو عَلِمْتَ أَيُّهَا الأَبْلَهُ الأَحْمَقُ هُمُ الأَقَلُّ عَدَداً في الطائفَةِ، بَلْ بَيْنَ طَوائِفَ أُخْرَى، والأَشدُّ إيماناً بأهلِ البَيْتِ والَّذينَ يكونُ لَعْنُ أَصْنَامِ قُرَيْش مِنْ أَورَادِهِم اليوميَّةِ في دُبرِ كُلِّ صَلاةٍ «أَسْمَاؤهم في السَّمَاءِ مَعْروفَةٌ وهُمْ في الأَرْضِ مجهولون». وهم يَقُولُونَ الحَقَّ ولو عَلَى أَنْفُسِهِم، أُولَئِكَ الَّذينَ أَخَذَ الله موثِقَهُم فآمنوا وأَسْلَموا فَسَلِموا وانْكَشَفَتْ لَهُمُ الحَقَائِقُ.

ولنَخْتمَ هَذا الكَلامَ بِقَوْلِهِ عليه السلام:

«لا خَيْرَ في الصَّمْتِ عَنِ الحُكْمِ «الحَقِّ» كَمَا لا خَيْرَ في القَوْلِ بالجَّهْلِ».
نهج البلاغة/ الفقرة ١٨٧

فالَّذينَ صَمَتوا عَنْ قَولِ الحُكْمِ الحَقِّ هُمْ كالَّذينَ قَالوا جَهْلاً سواءٌ بِسَوَاءٍ. فهؤلاءِ خَذَلوا الحَقَّ وهؤلاءِ نَصَروا البَاطِلَ كَمَا ذَكَرَهُ في مَوْضِعٍ آخرٍ.

أمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الكَاتِبُ الكاذِبُ فَقُلْتَ بالجَّهْلِ، وأمَّا الَّذي قُلْتَهُ فَهوَ القَولُ الآخرُ للَّذينَ صمتوا عَن الحُكْمِ فَجاءَ كَلامُكَ مِثْلَ:

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

ونَترِكُ الغَيْنَ إجلالاً للمُغَيَّبِ عَنِ العَيْنِ حَتَّى يَأْتي يَوْمٌ تَراهُ فِيهِ كُلُّ عَيْنٍ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العَلِيِّ العَظِيم.

إلى هُنَا فقَدْ انْتَهَى القِسْمُ الأوَّلُ المُسمَّى «الإمَامَة بَيْنَ الثابت والمتحوّل» والَّذي أَرَدْنَا فِيهِ إثْبَاتَ وجودِ الثَّابِتِ في الإمَامَةِ بِمَا أَوْرَدْنَاهُ اقتِصاراً عَلَى مَا جَاءَ في كَلامِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام في أنَّ الإمَامَةَ هِيَ أَمْرُ اللهِ ومِنَ اللهِ وللهِ، ولا شَأْنَ لِلْخَلْقِ بِه، وَهْوَ الأَمْرُ الَّذي ابْتَدَأَ الكاَتِبُ النَّاصِبُ بإنكارِ وُجودِهِ في نَهْجِ البلاغَةِ أو سِوَاه. وقَدْ اقْتَصَرْنَا عَلَى هَذا الكَلامِ المُقَدَّسِ لأميرِ المؤمنين خَشْيَةَ أنْ تَنْطَليَ إدِّعَاءاتُ هَذا المُلَفِّقِ عَلَى السُّذَّجِ والجَّهَلَةِ وأَنْصَافِ المُثَقَّفينَ مِنْ أَمْثَالِهِ عَلَى أَمَلِ أنْ نَجْعَلَ القِسْمَ الثَّاني فيما يَرَاهُ الأخوةُ القُرَّاءُ ضَرورِيّاً.

وللهِ الحَمْدُ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ وصَلَّى الله عَلَى نَبِيِّنَا الأَكْرَمِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرينَ والأَوْصِيَاءِ المَرْضِيينَ وَعَلَى جَميعِ الأنْبِيَاءِ والمُرْسَلينَ واللَّعْنَةُ عَلَى أعدَائِهم والمُفَرِّقينَ بَيْنَهُم مِنَ الأَوَّلينَ والآخِرين.... آمين.

انْتَهَى القِسْمُ الأَوَّلُ ويَليهِ القِسْمُ الثَّاني
وَهْوَ بعنوانِ «الوَجْهُ الآخَرُ للشَّيخَيْنِ».
قِرَاءَةٌ جَديدَةٌ للفَضَائِلِ
والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين

الفهرس